بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): عبدالمعطي بن محمد عبدالمعطي سمسم كلية: الشريعة والدراسات الإسلامية قسم: الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الأطروحة المقدمة لنيل درجة:الدكتوراه في تخصص التاريخ القديم.

عنوان الأطروحة:

(العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م) (دراسة تاريخية)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد بناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٠/٧/٢٥هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفق،،،

أعضاء اللجنة:

المشرف الأول
الاسم:أ.د.أحمد محمود صابون
التوقيع: ....

المشرف المساعد
الاسم: أ.د. حسين دويدار
التوقيع: ....

المناقش الخارجي
الاسم: أ.د.محمد بن صامل السلمي
التوقيع: ....

المناقش الخارجي
الاسم: أ.د. حسن محمد محي الدين السعدي
التوقيع: ....

المناقش الداخلي
الاسم:أ.د.سليمان بن عبدالرحمن الذيب
التوقيع: ٢/٨/١٤٢٠

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية
الاسم: أ.د/ ضيف الله بن يحيى الزهـــراني
التوقيع: ٨/٢٢

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

ن/صغيري

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م

" دراسة تاريخية "

دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالب

عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم

إشراف

أ.د أحمد محمود صابون
أستاذ التاريخ القديم

أ.د.حسين يوسف دويدار
أستاذ التاريخ الإسلامي

مكة المكرمة ١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

عنوان الرسالة

العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول ق. م "دراسة تاريخية"

وهي دراسة تتبع فيها الباحث تلك العلاقات السياسية والحضارية بين المنطقتين منذ مراحلها المبكرة ، والتي تشير بعض الدلائل على أنها ترجع ألي حوالي الألف الرابع قبل الميلاد وبلغت ذروتها خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حيث تفاعل العرب القاطنين في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية مع الأحداث التاريخية المختلفة في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة مع بلاد الرافدين خلال عصري الإمبراطورية الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ق.م) والبابلية الكلدانية (٦٢٦-٥٣٩ق.م) وأدت الى قيام نوعاً من العلاقات فيما بينهما خلال تلك الحقبة التاريخية موضع البحث .

موضوعات الرسالة

مقدمة شملت أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادره وإحاطة موضوعية للتفسير الإسلامي للتاريخ ، وتمهيد عن المراحل المبكرة للعلاقات بين المنطقتين منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ثم تحديد مدلول المنطقتين (شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين) والموقع الجغرافي لكل منهما . وجاء الباب الأول عن العلاقات السياسية والاقتصادية بين الإمبراطورية الآشورية وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية : تتضمن الفصل الأول العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى . والفصل الثاني عن العلاقات السياسية والاقتصادية بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية . أما الباب الثاني فقد كان عن العلاقات السياسية والاقتصادية وأثرها بين الإمبراطورية البابلية الكلدانية وشمال و شمال غرب شبه الجزيرة العربية : وتتضمن ثلاث فصول الفصل الأول : عن بوادر النفوذ البابلي في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والفصل الثاني عن التوسعات البابلية الكلدانية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وتحدث الفصل الثالث عن تيماء في عهد الدولة البابلية الكلدانية ودورها التاريخي في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية . وجاء الباب الثالث : عن موقف الإسلام من الحضارة الآشورية والبابلية الكلدانية : تحدث الفصل الأول عن مفهوم الحضارة في الإسلام وماهيتها ، أما الفصل الثاني فقد كان عن النشاط الديني في بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ودعوات التوحيد فيهما في عهود كل من إبراهيم الخليل عليه السلام وشعيب ، وصالح عليهم السلام وموقف أقوامهم من دعواتهم .

نتائج الدراسة

١- تبؤ منطقة (ادوماتو) الجوف الحالية مكانة سياسية واقتصادية متميزة ،خلال عصر الإمبراطورية الآشورية الحديثة .

٢-تقدم الجيوش الآشورية في مناطق مختلفة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وصلت حتى أطراف منطقة العلا جنوبا.

٣-وجد الآشوريين في سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية خصوماً ، تفاعلوا معهم ،وكونوا علاقات عداء وحرب تارة وعلاقات ود و سلام تارة أخرى .

٤-للعامل الاقتصادي دوره في تقدم البابليون الكلدانيون نحو منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

٥-تقدم الجيوش البابلية الكلدانية الى مناطق مختلفة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بلغت (يثريبو) المدينة المنورة.

٦-يعتبر ورود لفظة (يثريبو) المدينة المنورة أول ذكر لها في النصوص التاريخية التى تخص الملك البابلي نبو نيد .

٧-جعل البابليين من مدينة تيماء بمثابة عاصمة لدولتهم لمدة عشرة أعوام تاركين فيها تراثاً معمارياً باقياً حتى اليوم .

والله الموفق ،،،

الطالب	المشرف	المشرف المساعد	عميد الكلية
عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم	أ.د احمد محمود صابون	أ.د حسين يوسف دويدار	د. محمد بن على العقلا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

{ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَـــى عُرُوشِـــهَا وَبِـئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُـــونَ لَـــهُمْ قُلُـوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُـوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } سورة الحج ، آية : ٤٥-٤٦

موضوعات الرسالة

الموضوع ....صفحة

فهرس الخرائط والأشكال :

أولاً : فهرس الخرائط

ثانياً : فهرس الأشكال

المقـــدمـــة

أولاً

أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادره

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

تأتي أهمية اختيار موضوع هذه الرسالة وهو " **العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد . دراسة تاريخية** " ، لما لدراسة العلاقات الدولية في عالم الشرق الأدنى القديم من أهمية بارزة ، لاسيما أن هذه الفترة ، محور البحث ، عاصرت قيام الإمبراطورية الآشورية ، ثم الإمبراطورية الكلدانية "البابلية الحديثة"، بالإضافة إلى ظهور العرب على مسرح الأحداث التاريخية في المنطقة وشكلوا معا جوانب هامة من الأنشطة المختلفة التي أسفرت عن قيام علاقات متبادلة بينهم .

ولقد أدرك الباحث أن تلك العلاقات ، تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة العلمية ، التي تعتمد على أساس وثائقي ، لاستكمال جانب مهم من جوانب الدراسات التاريخية لمنطقتنا العربية خاصة وأن هذه الفترة ، محور البحث لم تحظ بدراسة علمية دقيقة ، تعتمد أساسا على المنهج الإسلامي في تفسير الأحداث التاريخية ، وفق المشئية الإلهية عبر رسله الكرام ، وسننه في الإنسان والكون ، قال تعالى { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } (1) .

في الحقيقة ، إن دراسة العلاقات الدولية لها أهميتها في مجال البحث التاريخي، حيث تمكن الباحث من الوقوف والتعرف على طبيعة تلك العلاقات ، بين تلك الدول، والقدرة على رصد الظواهر الإيجابية والسلبية في تلك العلاقات ،

(1) سورة الأحزاب ، آية :٦٢ .

ومن ثمة إتاحة الفرصة لطرح تقويم شامل لتلك الأحـــداث المؤثـــرة ، في حيـــاة الشعوب ، والوصول إلى مدى التأثيرات المباشرة و غير المباشرة بينـــهما ، مـــن حيث التميز والتفرد، والترابط والتوافق ، وعلى ذلك كله يمكـــن الوصـــول إلى خلفية تاريخية تعتمد على المصادر الأصلية ، لرصد تلك العلاقات أو الصــــلات بأنماطها المختلفة، سياسياً وحضارياً .

وفي الواقع فقد حظيت شبه الجزيرة العربية عامة وطرفها الشمالي والشمالي الغربي خاصة ، بمكانة متميزة عبر تاريخها الطويل ، وكانت لها صلاتها المختلفة مع باقي شعوب المنطقة المجاورين لها ، والتي تتصف بالحرب والعداء تارة ، وبالسلام والود تارة أخرى، ووفقاً لطبيعة كل مرحلة ، حيث تفاعلت مع باقي المنـــاطق ، فكرياً وسياسياً واقتصادياً ، كما أشارت إلى ذلك المصادر التاريخية ، والدراسات المساعدة لها الأثرية واللغوية .

فقد تميزت المنطقة بما حباها الله من مكانة دينية معروفة ،حيث مر بأرضها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل – عليه السلام – وهو متوجه نحو مكة المكرمـــــة ، و تحققت على أرضها ، أيضاً ، دعوة شعيب –عليه السلام– في أرض مدين ، كما قضى موسى – عليه السلام – على أرضها فترة لابأس بها من حياته، فضلاً عـن كونها قد شهدت دعوة صالح – عليه السلام – في ثمود .

كما حظيت ، بمكانة اقتصادية مرموقة ، حيث كان يمر بأرضها أحد أبـرز طرق التجارية القديمة ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، والذي استمرت أهميتـه حتى بعد ظهور دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في نص القـــرآن الكريم مذكرا قريشا بتلك الميزة العظيمة ، في قوله سبحانه وتعالى: { لإِيـــــلافِ

قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [١]

ولم تقل مكانتها ، السياسية والاجتماعية عن سابقتيها ، حيث كانت مركز التقاء لأنماط اجتماعية، وهجرات بشرية مختلفة، كان لها دورها الفعال في تكوين مجتمعات الشرق الأدنى القديم والتي ترجع إلى فترات تاريخية مبكرة، تزداد وضوحا خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م.

حيث شجعت تلك المميزات التي حظي بها شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بعض القوى السياسية، على تحقيق أطماعها التوسعية في المنطقة ، وعلى سبيل المثال ما قام به حكام بلاد الرافدين ، تجاه هذه المنطقة ، والتي اسفرت إلى قيام علاقات مختلفة بينهما، أي خلال عصري الإمبراطوريتين الآشورية والبابلية الكلدانية .

وحتى لايتشعب الموضوع فقد آثر الباحث أن يضع مخططاً علمياً يتضمن جذور الموضوع وأسسه ، ليتمكن من الوقوف على الخلفيات التاريخية لتلك العلاقات بين المنطقتين .

فشملت الدراسة **مقدمة** تضمنت مبحثين : **أولهما : أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادره وثانيهما : إحاطة موضوعية للتفسير الإسلامي للتاريخ** ، ومنهج الدراسة تناول فيه الباحث الحديث عن ماهية التاريخ والتفسير ، ومدلولهما في اللغة والاصطلاح ، ثم تعرض الباحث بعد ذلك إلى الوعي التاريخي لدى شعوب العالم القديم ، ومن ثم انتقل بالحديث عن الوعي التاريخي ، لدى المسلمين ، مبينا دور القرآن الكريم في تنبيه العقول العربية وغيرها ، على أهمية التاريخ ودوره الفعال والمؤثر ، في حياة البشرية جمعاء، ،وعلى مر الدهور ،

---

(١) سورة قريش ، الآيات : ١-٤ .

موضحاً بعد ذلك العلاقة الوطيدة بين الوعي التاريخي عند المسلمين ، وبين التفسير الإسلامي للتاريخ مستنبطاً من ذلك كله عناصر التفسير الإسلامي للتاريخ وأهم سماته ، وشموليته في تفسير حياة الإنسان على الأرض ، وعلاقته بخالقه ، وبالكون حوله، وختم الباحث هذا بإيضاح نظرة الغرب حول التفسير التاريخي .

ثم أعقب الباحث تلك المقدمة بتمهيد عن المراحل المبكرة للعلاقات بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين ، منذ عصور ما قبل الأسرات ، وحتى نهاية الألف الثاني ق.م واشتمل على :أولاً : تحديد مدلول مسمى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، والموقع الجغرافي لكل منهما ، وقد تتضمن دراسة شاملة لمدلول بلاد العرب وشمال غرب شبه الجزيرة العربية حيث استلزم الأمر على الباحث قبل التعريف بشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، أن يقدم دراسة لبلاد العرب ، الذي تشكل منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية جزءاً منها، من الناحيتين اللغوية والجغرافية، عبر التاريخ ، وبالمثل كان تتبع مدلول لفظة " بلاد الرافدين ". وفي ثانياً : من التمهيد حاول الباحث إظهار بوادر العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الأسرات ، وحتى نهاية الألف الثاني ق.م وذلك من واقع بعض المؤشرات النصية والآثرية ، التي عثر عليها في المنطقة ، والتي تشير إلى وجود صلات قديمة بين أرض الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، يرجع تاريخها إلى ما بين الألف الرابع ، ونهاية الألف الثاني قبل الميلاد .

وفي الباب الأول تناول الدارس العلاقات السياسية والاقتصادية ، بين الإمبراطورية الآشورية وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية . وذلك في الفترة ما بين (٩١١-٦١٢ق.م) تقريباً .

وهو عبارة عن فصلين : جاء الفصل الأول عن العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى

(٩١١-٧٤٥ق.م). استهله الدارس بمقدمة تعريفية بآشور ، وعهودها التاريخية ، ثم تابع بعد ذلك تطلعات الآشوريين نحو الغرب ، حتى كان لقاؤهم بالعرب ، المنتشرين على أطراف جزيرتهم ، حيث شكل ظهورهم ذلك ، أول ظهور للعرب على مسرح الأحداث السياسية في المنطقة ، وبداية الاتصالات مع ممالك الشرق القديم، وذلك في عهد الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ق.م.) ، أما الفصل الثاني فكان عن : العلاقات السياسية والاقتصادية بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٥-٦١٢ق.م) . وفيه تابع الدارس تلك العلاقات التي زادت وضوحاً ، خلال هذا العصر بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وحكام بلاد الرافدين ، وذلك خلال عهود كل من الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) ، والملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ق.م) والملك سنحريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) والملك اسرحدون (٦٠٨-٦٦٩ق.م) وحتى عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م) آخر ملوك ذلك العصر ، الذي شكل العرب فيه قوة لا يستهان بها ضد تطلعات الآشوريين في المنطقة .

وجاء الباب الثاني عن العلاقات السياسية والاقتصادية ، وأثرها بين الإمبراطورية البابلية الكلدانية وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وضم ثلاثة فصول : الفصل الأول عن :بوادر النفوذ البابلي الكلداني في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية . خلال عهد الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) ناقش فيه الدارس الدلائل التي أشارت إلى تلك العلاقات والتي تأتي المصادر الإسلامية في مقدمتها ، حيث أسهبت في التحدث عن علاقاته بالعرب ، بالإضافة إلى ما ذكرته المصادر الأخرى ، والآراء الحديثة ، وقد سبق هذا الحديث بمقدمة تعريفية بالدولة الكلدانية ، وتحدث الدارس في الفصل الثاني عن : التوسعات البابلية الكلدانية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عهد الملك نبونيد (٥٥٥-٥٣٩ق.م) الذي تقدم في شمال وشمال غرب شبه

الجزيرة العربية، ما بين أدوماتو (دومة الجندل) وتيماء وديدان وخيبر وفدك (الحائط) ويديع (الحويط)وجنوباً ، حتى يثرب (المدينة المنورة) ، وكان الفصل الثالث عن : تيماء في عهد الدولة البابلية الكلدانية ، ودورها التاريخي في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية حيث استقر فيها الملك نبونيد والتي مارس فيها حكماً بابلياً ،وجعلها بمثابة عاصمة لبابل لمدة عشرة أعوام تقريباً من حكمه ، وخلف فيها تراثاً معمارياً باقياً حتى اليوم .

وحمل الباب الثالث عنوان:موقف الإسلام من الحضارة الآشورية والبابلية.

وتضمن فصليين :

الفصل الأول : عن مفهوم الحضارة في الإسلام وماهيتها ، مع دراسة مقارنة لدستور الحرب عند الآشوريين والبابليين ، وفي الإسلام ، أما الفصل الثاني فكان عن النشاط الديني في بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، ودعوات التوحيد فيهما، في عهود كل من إبراهيم الخليل – عليه السلام – وشعيب ، وصالح عليهما السلام، وموقف أقوامهم من دعواتهم .

ثم الخاتمة التي تناول فيها الباحث أهم نتائج البحث ، وقائمة الاختصارات وملحق للخرائط والأشكال ، وقائمة بها مصادر ومراجع البحث .

ولقد اعتمد الدارس على مصادر ومراجع متنوعة ، فهناك المصادر الإسلامية والمصادر غير الإسلامية ، فبالنسبة للمصادر الإسلامية ،فيعتبر القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة من أهم تلك المصادر ، بالإضافة إلى ما يدور حولهما من دراسات في كتب التفسير ،وكتب الإخباريين والجغرافيين المسلمين، وكتب الأدب العربي ، والتراجم .

أما بالنسبة للمصادر الأخرى فمن أهمها المصادر النصية ، والمادية ونعني بها تلك النقوش والبقايا المعمارية التي ضمتها آثار العصر الذي نحن بصدده ، سواء أكانت تلك الآثار ثابتة أم منقولة ، بالإضافة إلى المصادر اليهودية ، وما دونه مؤرخي الإغريق والرومان.ثم الأبحاث الحديثة والمراجع .

ومن المسلم به أن القرآن الكريم ، يمثل في هذا الصدد ، أهم المصادر الإسلامية وأصدقها وأصحها على الإطلاق ، لتوثيق سنده بتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه من كل عابث يؤدى إلى تحريفه أو تبديله قال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [1] وقال تعالى : { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [2] .

ولقد بدأ تدوينه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [3] ، مع الأخذ في الاعتبار أن ما جاء فيه من قصص تاريخي ، إنما هو أنباء واقعية ، مجردة عن الصور الخيالية ، ولذلك فلقد افتقدت الدراسات التاريخية القديمة مورداً هاماً من مصادر التاريخ القديم ، وقد يرجع ذلك إلى أن معظم الدارسين في تلك التخصصات ، هم من المستشرقين ، أو تلاميذهم من العرب غير المسلمين والذين هم بطبيعة الحال لايؤمنون بالوحي ، أو من المسلمين ، الذين ربما رأوا في دراستهم لهذا المصدر بعداً عن أغراضهم ، بالإضافة إلى إحساس بعض الطوائف غير المسلمة ، بالحرج في تناول بعض أحداث القرآن الكريم التاريخية ، بالبحث والدراسة، ومع ذلك فلا يمكننا اعتبار القرآن الكريم ، أحد كُتُبَ التاريخ القابلة للنقد والتمحيص ، فهو – فوق كل شيء وقبل كل شيء – كتاب إرشاد وهداية ، ودستور حيلة للمسلمين ، يطبقون منهجه ، ويحيون به عقيدهم التوحيدية ، ويُقيمون به

---

(١) سورة الحجر ، آية :٩.

(٢) سورة القيامة ، الآيات : ١٧-١٩.

(٣) محمد حسين على الصغير : تاريخ القرآن ، الدار العالمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٦٩-٩٦ . حيث كتب كله بأقلام كتاب الوحي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده، ولم يجمع في مصحف واحد إلا في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر جميل عبد الله محمد المصري : الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية "زمن الدولة الأموية "، دار أم القرى للنشر ، عمان ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص٢٠-٢٢ .

أنفسهم ، فهو منار للأخلاق ، وميزان للعدالة ، واستنباط للأحكام ، وقد جاء تفسيراً لحياة الإنسان على الأرض كيف كانت ؟ وكيف ستكون ؟ وما جاء فيه من قصص تاريخي إنما كان للعبرة والموعظة ، وهو الحق من عند الله ، وأصدق القصص [1] قال تعالى : { اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا } [2] وقال تعالى { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [3] وقال تعالى : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [4] .

أما بالنسبة لثاني هذه المصادر الإسلامية فهي السنة النبوية الشريفة ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم والمتمثلة فيما وردنا من كتب الأحاديث الصحيحة ومن أشهرها كتب الأصول الستة [5] ، بالإضافة إلى ما ورد في المسانيد والجوامع كمسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره ، وترجع بداية التدوين الرسمي للسنة إلى عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز في أوائل القرن الثاني الهجري ، حيث بذل أولئك المحدثون الكثير من الجهد ، في التدقيق والتمحيص ،

---

(١) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، (١)في بلاد العرب ، المكتبة التاريخية جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٦ ، ٧ ، ١١ .

(٢) سورة النساء ، آية :٨٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية :٦٢ .

(٤) سورة الكهف ، آية :١٣ .

(٥) كتب الأصول الستة هي :- " الجامع الصحيح " للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري و" الجامع الصحيح " للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، و " السنن " للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، و " السنن " للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، و" السنن " للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، و " السنن " للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني .

لإظهار سنة المصطفى عليه السلام في أكمل صورها وقد واكب ذلك ظهور علوم إسلامية جديدة ، لخدمة الحديث ، كعلم مصطلح الحديث وعلم الرجال (الجرح والتعديل) (١) ، وعلى الرغم من أن كتب الحديث في مظهرها كتب فقهية ، إلا أنها من الأهمية التاريخية بمكان ، باعتبارها مصدراً أساسياً في بعض أخبار العرب قبيل دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولقد دفع هذان المصدران الأساسيان في التشريع الإسلامي إلى ظهور علوم إسلامية أخرى ، لخدمة هذين المصدرين ، ومن أهمها ، علم التفسير ، الذي نشأ لفهم القرآن الكريم وتدبره ، وتوضيح الغامض فيه ، وفهم استعاراته وألفاظه ، وشرح أحكامه .

ويعود تاريخ نشأة علم التفسير إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، باعتباره أول من قام بتفسيره ، وشرحه لأصحابه ، ثم كان دور الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين، ومن أشهرهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، ثم كان دور التابعين ومن أشهرهم سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ في مكة وتلاميذ ابن عباس ، كمجاهد المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة ١٠٥هـ، ومن أهل المدينة محمد بن كعب القرظي ، وتلاميذ عبد الله بن مسعود في العراق، ومنهم مسروق بن الأجدع ، فضلاً عن الإمام الحسن البصري ، والذي شب في كنف الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - والمتوفى سنة ١١٠ هـ في البصرة (٢) .

---

(١) يوسف القرضاوي : المدخل لدراسة السنة النبوية ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٧٥-٨٨ .

(٢) يوسف القرضاوي : المرجع السابق ، ص١٠٣-١١١ .

ومن أشهر كتب التفسير الإسلامي ، كتاب " جامع البيـــان في تفســير القرآن " والمعروف بتفسير الطبري للإمام محمد بن جرير الطبري المتـــوفى ســنة ٣١٠ هـــ رحمه الله ، الذي جاء حافلاً بتفاسير ، وشروح مفصله لآيات الذكــر الحكيم بالإضافة لشروح مفصلة لبعض قصص القرآن الكريم ، وأحداثها التاريخية مع أنه دون كتاباً آخر في التاريخ سماه كتاب " تاريخ الأمم والملوك " وفي مطلـع القرن السابع الهجري نجد كتاب تفسير القرآن الكريم للحافظ بن كثير والمتـــوفى سنة ٧٧٤هـــ ، والذي يشبه منهجه منهج الطبري ، بالإضافة إلى تدوينه كتــاب آخر في التاريخ سماه " البداية والنهاية " وفي كلا الكتابين يسير المنهج إلى تتبــع أحداث البشرية ، منذ بدء الخليقة واستخلاف الإنسان على الأرض ،وقصـــص الأنبياء والأحداث التاريخية ، المواكبة لدعواهم وتاريخ العـــرب قبيـــل دعـــوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأحداث التاريخ الإسلامي إلى عصرهم ، وهكذا نجد ارتباط علم التاريخ بالعلوم الإسلامية الأخرى والتي من أجلها كتب التفسير، ومن الجدير بالذكر أن بعض كتب التفسير والحديث قد حملت الكثير من الخلـط والإسرائيليات فيما يخص أخبار الماضين أو ما يعرف بالتاريخ القديم [1] ، وهذا ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيميه [2] بقوله : " ... والموضوعات في كتب التفسـير كثيرة .... "، وكتب التفسير من الكثرة بمكان لا يتسع المقام لذكرها هنا .

وتعتبر كتب السير والمغازي ، من المصادر المساعدة ، في تدويـــن تـــاريخ العرب القديم ، لما حفلت مقدماتها من دراسات ، حول التاريخ العربي القديم قبيل الوصول إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتبحر في ســـيرته العطـــرة ،

---

(١) محمد حسين الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبـــة ، القـــاهرة ، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م ، ص٢٣-٢٤ .

(٢) مجموع فتاوى الشيخ أحمد بن تيميه ، طبعة ١٤٠٤ هـــ ، تحت إشراف الرئاسة العامـــة لشـــؤون الحرمين الشريفين ، الجزء الثالث عشر ، ص٣٥٤ .

ويعتبر ما دونه ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ ، والذي أخذ منه ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ، سيرته المشهورة على الرغم من أن بعض ما دونه ابن إسحاق عن تاريخ ماقبل البعثة النبوية يظهر عليه سمات القصص الشعبي ، فإن ابن هشام قد استطاع تدقيق وتحقيق بعض ما وصله عن ابن إسحاق ، وإظهاره في صورة أفضل . بالإضافة إلى ما وصل إلينا لبعض الرواة المسلمين كعبيد بن شريه الجرهمي المتوفى سنة ٦٧ هـ ، والذي يتحدث بإسهاب مليء بالمبالغات والخيالات عن تاريخ اليمن القديم ، وكذا وهب بن منبه المتوفي سنة ١١٠هـ، وهو أحد المسلمين من الأصل اليهودي ، والذي ينسب إليه الكثير من الإسرائيليات ، التي دخلت المصادر الإسلامية ، وكان له أثره في معظم ما دونه الاخباريون المسلمون المتقدمون ، وهناك كتاب الدينوري المتوفى عام ٢٨٢هـ " الأخبار الطوال ، و كتاب الطبري المعروف " بتاريخ الأمم والملوك " المتوفى عام ٣١٠هـ والذي يعتبر حجة في التاريخ الإسلامي بشكل عام ، بتعرضه للأحداث التاريخية السابقة للإسلام ، وقصص الأنبياء والرسل ، قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهناك أيضاً الهمداني المتوفى سنة ٣٤٠ هـ والذي يعتبر رائد المتخصصين العرب ، في تدوين تاريخ العرب قبل الإسلام ، ومن أشهر كتبه " الأكليل " الذي دونه في حوالي عشرة أجزاء ، وصل منها أربعة ، وبين يدي الباحث هنا الجزءان الثامن والعاشر، بالإضافة إلى كتابه المتخصص والمعروف " بصفة جزيرة العرب " والذي كان بحق أشمل كتاب تاريخي وجغرافي لمدن ومواقع، بلاد العرب على الإطلاق ، وهناك كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودي المتوفى عام ٣٤٦هـ ، والذي يعتبر من المصادر الأساسية ، في التاريخ القديم ، وقد دون فيه الكثير من أخبار الدول والممالك ،السابقة للإسلام ، والتي شملت جزأين من كتابه، المكون من أربعة أجزاء ، والذي تميز فيه المسعودى بروح المشاهد ، التي كانت تبرز في معظم ما دونه من أخبار ، وهناك كتاب " تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء " للأصفهاني المتوفي سنة ٣٥٠هـ،

والذي تميز بالطابع العلمي الجاف ، البعيد عن التحليل ، ويعتبر في ذاته تقويماً زمنياً لتاريخ ملوك الأرض ، والأنبياء ،على مختلف أجناسهم ومدنهم . [1] .
بالإضافة إلى كتب البلدان ، ومنها كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ومن الأهمية بمكان ، الإشارة إلى أنه منذ مطلع القرن السابع الهجري ، ظهرت كتب إسلامية في التاريخ ، تميل إلى التدقيق والتمحيص، والتخلي عن عوامل التكرار والخيالات في سرد الأحداث المتعلقة بالتاريخ القديم ، ومن أشهرها كتاب ، " الكامل في التاريخ " لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، والذي يرى فيه الكثير من الباحثين أنه جاء مكملاً وملحقاً لكتاب الطبري " تاريخ الأمم والملوك " ثم كان كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير السابق الذكر ، وكذا تاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ ، الذي نقد في مقدمته الشهيرة معظم ما دونه الاخباريون المسلمون ، والذي يعد بحق رائداً في مجال النقد التاريخي .

كما يعتبر الشعر الجاهلي من أهم مصادر التاريخ العربي القديم ، وكذلك كتب الأنساب العربية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب "جمهرة أنساب العرب " لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

وبالنسبة للمصادر الأخرى ، فهي لا تقل أهمية عن المصادر الإسلامية ، نظراً لقيمتها التاريخية ، ومعاصرتها ، ودقه تفصيلاتها في وصف الأحداث ، ومن أهمها ما عثر عليه الأثريون من دلائل أثرية ونصية، تشكل في معظمها شواهد حية على تلك الفترات الحضارية ، في تاريخ أي شعب من الشعوب القديمة ، ومن ضمنها شعوب الشرق الأدنى القديم ، وتُعد ذات قيمه تاريخية متقدمة ،

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٢٨-٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦-٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧

تناول الباحث دراسة مفصله للوعي التاريخي عند المسلمين في ثانياً من المقدمة .

لكل باحث في التاريخ . ومما يؤسف له أن معظم ما ورد إلينا من نصوص في شبه الجزيرة العربية ، إما كان ناقصاً أو مشوهاً ، أو أنها تخلو من التقويم الزمني لتأريخ تدوينها ، بالإضافة إلى أن جملة ما وصلنا من نصوص عربية قديمة إنما هي نصوص دونها أفراد في مناسبات معينة نقشت على جدران المعابد ، أو على شواهد القبور، مع الأخذ في الاعتبار أن منطقه شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، قد افتقدت إلى الكثير من تلك الشواهد ، التي تبرز أهمية تاريخ المنطقة ، وتساعد على دراستها دراسة مستفيضة ، ليتمكن الباحث التاريخي من الوقوف على أصول تلك الأحداث ، وإبراز أهميتها ، ورغم تلك المجهودات التي تبذل في سبيل ذلك ، فلا زال الباب مفتوحاً على مصراعيه ، لمزيد من الدراسات والأبحاث العلمية لتقديم التاريخ العربي القديم في أبهى صوره بصفة عامة وفي منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة ، والتي مازلنا نجهل الكثير من تاريخها ، الذي دونته بنفسها إلا ما ندر ، وخاصة في الحقبة التاريخية موضع البحث ، والتي لم نعرف تاريخها ، إلا عن طريق ما وصلنا من نقوش، عثر عليها الأثريون في مناطق متفرقة من بلاد الرافدين وسوريا ، والتي تحقق على ضوئها ، للباحث الوقوف على حقيقة تلك العلاقات القائمة بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وفي مقدمتها الكتابات المسمارية (الأسفينية) [1].

(١) اكتشفت في حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي ، بواسطة النبيل الإيطالي بيترو ديللافال الذي عثر على أحجار منقوشة برسوم غير معروفة ، في بابل ، واور وفي برسبوليس في (ايران) ، حيث لاحظ أن معظم تلك النقوش رسمت بعلامات أشبه بالاسفين ، أو المسمار ، ومن يومها عرفت، الكتابة المسمارية أو (الاسفينية) ، هذا ولقد ساعد عثور الباحثين على نقش طويل بنفس الكتابة عند بهستون – ما بين همدان وكرمنشاه – وينسب إلى الملك دارا الأول الفارسي ، مدوناً في شكل ثلاثة عشر عاموداً بلغات أقسام الإمبراطورية الفارسية الثلاثة فارس/ عيلام/بابل على تفهم أكثر لتلك الكتابة ، حيث تمكن الباحثون ، في منتصف القرن التاسع عشر ، وبعد دراسات مستفيضة لتلك النصوص إلى حل رموز الكتابة المسمارية وبالتالي التعرف على لغاتها

=

والتي قام لفيف من الباحثين الأجانب ، على جمعها وترجمتها ، من لغاتها الأصلية، لتكون بين يدي الباحثين سهله ميسرة ، هذا ولقد اعتمد الباحث في هذا الصدد على عدة مصادر متفرقة ، منها :كتاب Luckenbill , Ancient Records of Assyira and Babylonia [1] والذي جمع فيه الكثير من النصوص الآشورية والبابلية الكلدانية ، والتي تخص ملوك تلك الدولتين ، ومن الجدير بالذكر ، أن معظم تلك النصوص التي قام Luckenbill.بترجمتها ، تفتقر إلى الشروح والإيضاحات إلا القليل ، وقد جعلها في صور مقاطع منفصلة مرقمه ، كما يلاحظ اهتمامه بالعصر الآشوري على البابلي الكلداني ، حتى أنه لم يشر إلى الملك البابلي الكلداني نبونيد ، (لوفاته قبل أكمال ترجمة النصوص) و كان إصداره في جزئين الأول عام ١٩٢٦م ، والثاني عام ١٩٢٧م، ويلاحظ أنه قد تفرد في ترجمة بعض النصوص ، أو إعادة ترجمتها مرة أخرى وأضاف إليها، كما يتضح ذلك من المصدر الثاني الذي اعتمد عليه الباحث وهو ترجمة A.L., Oppenheim , في Babylonian and Assyrian Historical Texts والمنشورة في Ancient Near Eastern Texts [2] والتي وجد فيها الباحث دراسة جادة لنصوص أحداث تلك الفترة ،موضع البحث.

= وتفسير النصوص المدون بها . انظر

محمد عبد الطيف محمد على :تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م.، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص٣-١٠ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ ، ص٣٤٠-٣٤٤ .

(1) Lukenbill. D.D., Ancient Records of Assyria And Babylonia,2vols., Chicago , 1926-1927.

(2) Britchard. J.B ,The Ancient Near Eastern Texts , New Jersey , eds 1969.

وتأتي أهمية هذا المصدر لكونه الأحدث' إصداراً ، حيث ضم معظم النصوص التاريخية لبلاد الرافدين ، بالإضافة إلى تذييل النصوص بهوامش تضمنت شروحاً لتحديد بعض المواقع ، والأسماء الغريبة والشاذة ،وتفسير للكلمات الغامضة ، وأرجأ القارئ إلى المصادر والمراجع والأبحاث المتخصصة ، لتفسير بعض الشروح الغامضة ، أو للاطلاع على مزيداً من الأبحاث المتخصص حول أسم علم أو أسم مكان ، كما رتبت النصوص حسب الدول ، وبأسماء الملوك ، ترتيباً زمنياً ،وفصلت بشكل موضوعي بحسب تحركات الملك ، كما تأتي أهمية هذه الترجمة ، بأن قام المترجم بوضع مقدمة تسبق النصوص يشير فيها إلى النص من حيث مكان اكتشافه ، وتاريخ أول نشر له ، وحتى تاريخ حصوله عليه ، ومن ثمة ترجمته .

وقد قام الدارس وأثناء دراسة تلك النصوص بعمل مقارنة بين المصدرين فوجد أن Oppenheim قد أضاف بعض الأحرف وبعض الكلمات التوضيحية ليستقيم بها المعنى وجعلها بين القوسين ( ) وفي الوقت نفسه لم ترد عند Luckenbill الذي ذكر نفس النص ،كذلك ترجمة بعض أسماء الأعلام والمواقع، في المصدرين بشكل مختلف ، وقد وضح ذلك الدارس حين ورودها في النص ، كما أن هناك نصوصاً تفرد بها Luckenbill ،ولم يشر إليها Oppenhiem والعكس والتي تتضمن موضوع البحث كتلك التي تتعلق بالملك سنحريب الآشوري ونبونيد البابلي ، هذا ولقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة ، على النصوص التي قام بترجمتها Oppenheim ، من بين الترجمتين إلا ما تفرد به أحد المصدرين عن الآخر .

كما اعتمد الدارس على بعض الدراسات المنفصلة والخاصة ببعض تلك النصوص كنص حران المنسوب للملك البابلي نبونيد والذي أشار فيه إلى توسعاته

في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، الذي أكتشفه Rice,D.S سنة ١٩٥٦م وقام بنشره Gadd سنة ١٩٥٧م ثم قام Gadd. J.C. (١) بدراسة مستفيضة له ونشره في ما بين عامي ١٩٥٧/١٩٥٨م ، بالإضافة إلى نصوص أخرى متفرقة كنصي Dougherty على لوحين من الطين نشرهما تباعاً ١٩٢٠م/١٩٢٣م (٢) وبعض النصوص الثمودية التي عثر عليها فلبي ، عام ١٩٥٦م وكان أخر من قام بدراستها ونشرها Winnett & Reed عام ١٩٧٠م ، (٣) هذا بالإضافة إلى نصوص أخرى وجدت على بعض البقايا الأثرية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كمسلة تيماء الشهيرة والتي اكتشفت عام ١٨٧٩م (٤) وحجر ومكعب تيماء المكتشفان عام ١٩٧٩م (٥) ، والذي قام عدد من الباحثين بدراستهم دراسة مستفيضة ، ونشرها في مجلات متخصصة ، ومن ضمنها حوليات الآثار السعودية " أطلال " .

والتي تتميز بإسهاماتها المتعددة ، في مجال الأبحاث الأثرية ، في المملكة العربية السعودية والتي أعتمد عليها الباحث في دراسة المؤثرات الحضارية بين بلاد الرافدين وشمال غرب شبه الجزيرة العربية (٦) .

كما كان للأبحاث ، التي قدمت في الندوتين العالميتين الأولى والثانية والتي كان موضوعهما دراسات تاريخ الجزيرة العربية والتي نظمت الأولى منها : في

---

(١) انظر ص (٣٢٨) .

(٢) انظر ص (٣٥١-٣٥٢) .

(٣) انظر ص (٣٣٦) .

(٤) انظر ص (٣٦١) .

(٥) انظر ص (٣٦٧-٣٦٨) .

(٦) تصدر عن الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية ، حيث صدر منها العدد الأول عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، وآخر ما صدر منها حتى تاريخ البحث العدد الثالث عشر عام ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

قسم التاريخ ، كلية الآداب ،جامعة الرياض في الفترة ٥-١٠ جماد الأول ١٣٩٧هـ ، الموافق ٢٣-٢٨ أبريل ١٩٧٧م وكان موضوعها مصادر تاريخ الجزيرة العربية ونشرت أبحاثها في جزأين عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، أما الثانية : ففي قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف ، كلية الآداب ، جامعة الرياض (الملك سعود) في الفترة ٥-١١ جماد الأولى ١٣٩٩هـ، الموافق ١٣-١٩ أبريل ١٩٧٩م وموضوعها الجزيرة العربية قبل الإسلام ونشرت أبحاثها عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، في كتابين ، تحت إشراف أ.د عبد الرحمن الطيب الأنصاري وكان للدراسات التي قدمتها الندوتين مكانتهما ، وأهميتهما خلال هذه الدراسة .

بالإضافة إلى العديد من المراجع العربية وأخص بالذكر كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ، والذي يعد على قمة المراجع العربية المتخصصة في تاريخ العرب قبل الإسلام وغيره من الكتب العربية وكذلك المترجمة، ككتاب ، ا.موسيل المترجم عن شمال الحجاز - طبعاً بالإضافة إلى أصله الأجنبي .

ولقد كان للأبحاث العربية و الأجنبية المتخصصة ، والمقالات المنشورة في الدوريات المختلفة .أهميتها الخاصة خلال هذا البحث .

ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها الدارس أيضاً ، المصادر اليهودية ومنها التوراة . والتلمود وشروحهما ، والتي تضمنت أخبار متفرقة عن بلاد العرب وبلاد الرافدين .وهناك ايضا، المصادر الكلاسيكية اليونانية ، والرومانية ، كمدونات : المؤرخ اسخيلوس Aeschylus (٥٢٥-٤٥٦ ق.م)، وهيرودت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) ، واسترابو Strabo في نهاية القرن الأول ق.م، والذي تناول في كتابه الجغرافي التاريخي الكثير عن العرب وأخبارهم ، والأمم المجاورين لهم .

ولازال مجال البحث العلمي مفتوحاً أمام الباحثين،لمزيد من البحث والتنقيب، لإعطاء تصور شامل،عن تاريخ شرقنا العربي الإسلامي،عامة ومنطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية خاصة .

ولعل من الجدير بالذكر هنا قيام الباحث برحلات علمية خاصة لتوثيق مطالعاته مع ، مشاهداته فزار المتحف البريطاني بلندن ومتحف اللوفر بباريس ، بالإضافة إلى متاحف اسطنبول وموقع مدينة حران ، الذي يعرف حالياً بأورفا ، في جنوب شرق تركيا ، وبزيارات مماثلة لمناطق ومتاحف مختلفة ، في مصر وسوريا والأردن ، وفي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي تتضمنها هذا البحث .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بشكري وتقديري العميق لكل الأساتذة الذين قدموا إليّ توجيهاتهم العلمية وإرشاداتهم المنهجية ، وأخص بالذكر أ . د **رشيد سالم الناضوري** رحمه الله الذي بادر بتوجيهي نحو وضع خطة الرسالة وتشجيعي على المثابرة في تحقيقها ، والذي مارس معي فترة الإشراف ، و لم ينأى جهداً في سبيل تدريسي لأولويات اللغة الأكادية بالإضافة إلى ما بذله من جهد مشكور أثناء جمعي الأول للمادة ومراجعة بعض ترجمات البحث و لم يبخل علي طيلة مدة البحث بغزير علمه وبوافر توجيهاته وإرشاداته العلمية السديدة . وأثني بالشكر والتقدير لفضيلة **الشيخ محمد قطب** الذي كان لتوجيهاته وإرشاداته العلمية القيمة وخاصة في ما يتعلق بالمنظور الإسلامي في دراسة التاريخ وتفسير أحداثه أثره الواضح على مفردات هذا البحث ،كما لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير والعرفان بالجميل لسعادة **أ.د أحمد محمود صابون** الذي مارس معي واجب الأشراف العلمي والقيام بدراسة موضوع الرسالة بعد استكمال جوانب الفحص والتمحيص الشكلي والموضوعي ، وإعطائي من جهده ووقته ، الكثير مما نتج عنه هذا النتاج العلمي الحالي وأثنى بالشكر

والتقدير لسعادة **أ.د جميل عبد الله المصري** (رحمه الله)لتوجيهاته السديدة وغزير علمه ، خاصة فيما يتعلق بمنهج التفسير الإسلامي لدراسة التاريخ ، مما كان لـــه أثرة في وضع اللمسات الأخيرة على هذا البحث .

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير لكلية الشريعة والدراســات الإســلامية ، وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، وكل العاملين بهما ، كما أتوجـــه بالشكر لكل من ساهم معي في إعداد هذا البحث وأعطاني من جـــهده ووقتـــه وعلمه الكثير فجزاهم الله عني خير الجزاء .

ولا يفوتني أن انوه بعميق شكري وتقديري ودعواتي **لوالدي** رحمـــه الله **وأسرتي الكريمة** اللذين حبياني بعطفهما وتشجيعهما من أجل تكملـــة مســـيرتي العلمية .

واسأل الله التوفيق فهو نعم المولى ونعم المصير ، والحمد لله رب العالمين

ثانياً

إحاطة موضوعية للتفسير الإسلامي للتاريخ ومنهج الدراسة

التفسير التاريخي وماهيته :

إن من الأهمية بمكان ، قبل الخوض في دراسة التفسير الإسلامي للتاريخ ، الوقوف على تلك المدلولات اللغوية له . في نطاق التعريف العام اللغوي والاصطلاحي للكلمتين . جاءت كلمة (تفسير) من الفعل الثلاثي فسر ، والفسر: البيان ، واستفسر أو استفسرته كذا ، أي سألته أن يفسر لي [1] . وفسر الشيء، فسراً : أي وضحه واستفسره عن كذا – سأله أن يفسره له .والتفسير –الشرح والبيان .

وفي الاصطلاح فقد ارتبطت الكلمة بمدلولها في تفسير القرآن العظيم ، التي تعنى شرحه وتوضيح معانيه ، وما تنطوي علية أسراره وأحكامه ، والتعريف بنزول الآيات وشئونها وأقاصيصها وأسبابها وترتيبها ، من حيث المكي منها والمدني وناسخها ومنسوخها ومحكمها أو متشابهها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها [2].

أما التأريخ لغة فهو التعريف بالوقت وجاءت من الفعل الثلاثي (أرخ) ومنها التوْريخُ. وأرخه وورخه ، أي حدد وقته [3] ، ويذكر البعض أنها عربية عرفها العرب ، ووردت في كلامهم ، فبنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخاً. وبنو قيس يقولون أرخته تأريخاً [4]. وقيل بأنها من أصل سرياني بمعنى الشهر [5] .

---

(١) الجوهري : الصحاح ١ / ٤١٨ .

(٢) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، المجلد الثاني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ، ص٧١٤ .

(٣) الجوهري : الصحاح ١ /٤١٨.

(٤) محمد بن صامل السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٨هـ، ص٤٧ .

(٥) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم إسلامي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص١١.

أو من كلمة (أرخ) اليوناني arch . والتي تعنى التاريخ [1] ، والمرادفة لكلمة Historia، التي تعنى مسيرة الكائن الحي (الإنسان) على الأرض، منذ بدء خلقه على الأرض ، والمستقاة مما تركه من مخلفات نصية أو معمارية ، سجل فيها أخباره وأحواله ، ولقد وجدت اللفظة في النصوص الأكادية والمكتوبة بالخط المسماري – (Arhu) أرخ وتعني الشهر [2] .ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن لفظة تاريخ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم و لم ترد في شعر العرب القديم ، و لم يرد ذكرها على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأقدم ذكر لها ورد على لسان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهي تعنى القمر عند الشعوب السامية [3] .

وبالنسبة لتعريف التأريخ اصطلاحا ، فقد تعددت الأقوال حوله : فقال عنه محمد بن سليمان الكافيجي [4] "... علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به، من حيث تعيين ذلك وتوقيفه... " وقال عنه شمس الدين محمد السخاوي [5] "... إنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت عما كان في العالم وموضوعه الإنسان والزمان ... " ويقول عنه عبد الرحمن ابن خلدون [6] "... إن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوقه والأغفال ،

---

(١) حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٧ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٢ .

(٣) على حسن : الموجز في علم الآثار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص١٣ .

(٤) المختصر في علم التاريخ ، عن كتاب التاريخ عند المسلمين ، مكتبه المتنبي، بغداد ، بدون تاريخ ، ص٣٢٧.

(٥) التوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ ، ص ١٧ .

(٦) مقدمة ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، بدون تاريخ ، ص٣ – ٤ .

وتتنافس فيه الملوك والأقيال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى ، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال . وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال . واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع ، وأسبابها عميق " فهو لذلك عريق في الحكمة وجدير بأن يعد في علومها وخليق .

في حين يرى سيد قطب – رحمه الله – [1] : أن التاريخ ليس مجرد سرد الحوادث بل هو تفسير تلك الحوادث والوصول إلى الروابط الظاهرة والباطنة ، والجمع بين شتاتها وجعلها وحدة موضوعية متماسكة الحلقات بتفاعلاتها المختلفة الجزئية والعامة، والممتدة بعمر الزمن والبيئة مع امتداد الكائن الحي عبر الزمان والمكان . ويضيف عمر فروخ [2] : أن التاريخ ما هو إلا واصف للأحداث ومعلل لها ، ويتكون من شقين طبيعيين : أحدهما يتحدث عن خلق السموات والأرض ، ونشأة الإنسان عليها أما الشق الثاني فيتحدث عن مسيرة الإنسان على الأرض وما امتزجت به من أنشطه فكرية وسياسية واقتصادية . ويقول عنه حسن عثمان [3] : "... هو جملة الأحوال والأحداث التي جرت للإنسان وألمت به أفراداً وشعوباً منذ أقدم العصور وسايرته عبر الزمان والمكان وحتى وقتنا الحاضر ...".

---

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج ، الطبعة السادسة ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٣٧ .

(٢) الإسلام والتاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) منهج البحث التاريخي، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ ، ص١١-١٢.

كما يعرفه محمد بن صامل السلمي [1] ، أنه علم نظري يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت ومن حيث التفسير والتعليل ، ويشمل جانبين ، نقل الحدث بالرواية والمشاهدة ، وتعليله ... وعلى كلٍ فقد عرف التأريخ : بأنه جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع ، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية وتسجيل كل هذه الأحداث ...." [2] وعلى ذلك فقد جعل الإنسان التاريخ من أهم الميادين الفكرية التي اهتم بها منذ وقت مبكر من حياته على الأرض ، حيث سجل أفكاره وأعماله في حله وترحاله ، أفراداً وجماعات مع بعضهم البعض ، أو مع الأشياء حولهم ، في شكل حلقات مترابطة بين الماضي والحاضر والمستقبل . سجل فيه بالتزام تجاربه وممارساته التي خاضها عبر مسيرته الدنيوية منذ أن استخلفه الله على الأرض . ومع جمع مدلول الكلمتين التفسير والتاريخ ، نلاحظ أن كلمة فسر والتي تعني التوضيح والشرح والبيان ، وكلمة تاريخ والتي تعنى مسيرة الكائن الحي على الأرض ، وبمدلول الكلمتين اصطلاحاً، واللذان يعنيان البحث في دقائق الأحداث وأسرارها وما وراءها ، وأهدافها ، وغاياتها ، وخاصها ، وعامها ، **فإن تفسير التاريخ** يعني الوصول إلى الروابط الوثيقة للمسيرة البشرية . عبر الزمان والمكان في الماضي والحاضر والمستقبل ، وتفاعلات الإنسان أفراداً وجماعات بين بعضهم البعض ، أو مع الكون حولهم ، والنظر بعين الاعتبار إلى أخذ الدروس والعبر من أخبار الأمم والممالك السابقة ، ودراسة الظواهر الثابتة ، والمتحركة في كيان من وصلتنا أخبارهم ، والتقيد بمعرفة نتاجهم المادي والفكري . ونضيف إلى كل ذلك الإسلام بشموليته ووقائعه على المدلول

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٠ .

(٢) المعجم الوسيط ١ / ١٣ .

السابق؛ حيث تخضع كل تلك الدراسات،إلى معرفة مدى ارتباط الإنسان – المحرك الرئيسي لذلك النشاط – بالله خالقه والمتصرف فيه . فتستخلص أسباب التمكين وأسباب الانهيار ، ومدى تحقيق الغاية من خلقه ، والبحث في سنن الله فيه ، وفي الكون حوله، مسبوقاً كل ذلك بالاعتقاد الجازم بوجود الله – سبحانه وتعالى – الخالق المسير لهذا الكون ، الذي لم يخلق عبثاً ، وهذا هو التفسير الإسلامي للتاريخ [1] . وهو المفهوم الذي عاش في وجدان الإنسان منذ أقدم العصور ، ولكن بتصورات شتى ، حيث بحث الإنسان بفطرته عن تلك القوة الكامنة وراء تلك السنن والقوانين الثابتة ، التي تحكم حياته بصفة خاصة ، والطبيعة والكون من حوله بصفة عامة . فالمفسر هنا ليس مؤرخاً يكتفي بعرض الأحداث التاريخية بجوانبها الحضارية المادية والفكرية والسياسية ، وعن قيام الدول وسقوطها ، بل يجب عليه أن ينظر للحادثة التاريخية ، برواية متعمقة واعية وشاملة ، مع التبيين والتوضيح لتلك الأحداث ، ويستخلص منها القيم الكلية ، والعلل الجزئية لنشاط الإنسان وأفعاله ، وأهدافه وتحقيق الغاية من وجوده ، بالإضافة إلى استنباط القيم والمثل والأنماط، التي صحبت وجوده عبر حياته الدنيوية ، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، وإبراز القوانين والسنن التي تحكم

(١) إن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن فلسفة التاريخ ، وإذا كان في ظاهره أقرب لمنهج التفسير التاريخي لأن مبحثها عن قوانين الله ، في الاجتماع والكون والإنسان إلا أن التفسير الإسلامي للتاريخ يبحث وفق المنهج الإسلامي دون أي تفريط في وضع الأمور في نصابها. حيث أن الفلسفة التاريخية اتجهت عن هذا الهدف الحقيقي وأقحمت نفسها في مجادلات عقيمة تعدت حدود الإنسانية إلى البحث في الله وصفاته ، ونبشت في صغائر الأمور وتركت كبائرها فأرهقت العقل البشرى في الوصول إلى غاية ، لخدمة البشرية والكون المحيط بها ، قال تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } سورة فصلت ، آية : ٥٣ . انظر

عبد الحليم عويس : المرجع السابق ص١٣ – ١٥

مسيرته التاريخية أفراداً وجماعات لمعرفة مدي تقدمه ، فإن اهتمام الإنسان بما حوله ، والتعرف على الكون المحيط به ، بل والبحث في ما وراء ذلك ، نابعاً مما أودعه الله – سبحانه وتعالى – فيه ، من روح واعية ، تتطلع دائما إلى المعرفة بعقل الفطرة التي فطرها الله عليها،والتي تتجدد بفعل الله على يدي رسله الكرام . منذ آدم عليه السلام وحتى محمد عليه الصلاة والسلام [1] .

التفسير التاريخي ومدلولاته :

إن التفسير التاريخي – شأنه شأن سائر العلوم الإنسانية – عبر مسيرته العلمية يتخبط بين الصواب والخطأ . وأن ما وصلنا عن الوعي التاريخي – لدى شعوب العالم منذ أقدم العصور – لا يتعدى كونه بناءاً لنظريات غير متكاملة ، مبنية على أساطير وخرافات، ومع ذلك وكما يرى عبد الحليم عويس [2] فقد خطت بالبشرية خطوة نحو وعي تاريخي مكتمل .

ففي **بلاد الرافدين** : جعل مؤرخ بلاد الرافدين العوامل البيئية بجوانبها المتعددة (المائية ، والأرضية ، الجوية) عاملاً مهماً أثناء تدوينه تاريخه ، واعتبر الظواهر الطبيعية الناجمة عن هذه الجوانب هي مصدر الخير والشر في حياته . حيث جعل من الفيضانات أساساً هاماً على مجرى حياته ، و شكلت أهم الظواهر التي تهدد كيانه، بطريق مباشر وغير مباشر ، وجعلها حداً لتدوينه التاريخي ، كما عرف لنا ذلك الأدب السومري ، وتناقلته المراحل الفكرية المختلفة ، من الأدب الرافدي عبر عصوره التاريخية المختلفة ، حيث جعل من البيئة غير المطمئنة حقيقة وعماداً تدور حوله حضاراته [3] . على الرغم

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٥-١٨، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٧.

(٢) نفس المرجع ، ص٤٣ .

(٣) رشيد سالم الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٢٢١ – ٢٢٢ .

من اعتقادهم بالخلود ، وأن الحياة فانية ، إلا أنهم فكروا في عالم سفلي ، قد يرجع منه الإنسان إلى الحياة [1] .

أما بالنسبة للعرب وعلمهم بالوعي التاريخي قبل دعوة المصطفي - صلى الله عليه وسلم - ، نجد التاريخ عندهم لا يتعدى كونه قصصا أدبية ، وملاحم تصور معتركهم في الحياة ، في تلك البيئة القاسية التي نشأوا عليها ، في أرض الجزيرة العربية ، وكان الهدف الأكبر منها إطراف آذان السامعين ، بوصف وقائعهم وحروبهم ، مع بعضهم البعض ، أو مع الأمم المجاورين لهم ، والتفاخر بذلك بينهم ، والتي عرفت ودونت باسم أيام العرب ، وهى لاشك فاقدة للحس التاريخي ، المعتمد على تصور كوني واضح ، يربط بين أحداث التاريخ عبر عصوره المختلفة ، ليستفاد منه في إعطاء نموذج حضاري للحياة العربية ، قبل دعوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - [2] ، وفي الحقيقة ، فلا توجد نظرية متكاملة في الوعي التاريخي قبل بعثة المصطفى – صلى الله عليه وسلم - ، كما لاحظنا . وإن ما وصل لنا من تراث مدون عن وعى تاريخي لدى الأمم السابقة، لا يتعدى كونه نظريات غير متكاملة ، تفتقر للكثير من التكامل . لربط أحداثه ، واستخراج الوقائع ، والمغزى منها . هذا إذا ما استثنينا نور الله المطل على البشرية، في شكل نبوات ورسالات سماوية ، بين الحين والآخر ، لتصحيح المسيرة الإنسانية ، وتوجيه عقولهم ، التي مهما بلغت من الكمال، لا تستطيع - وحدها - حماية الإنسان ، وإشباع غاياته ، وتفسير الظواهر من حوله ، والمليئة بالأهواء والأباطيل والانحرافات، فتزيح الركائم الوثنية عن أعين الناس ،

(١) رشيد سالم الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الثالث ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٦٤ .

(٢) سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ ، ص٣٧ .

لفهم ما وراء الطبيعة ، ومعرفة الله حقاً ، أفراداً وجماعات ، وأن الحياة بكل ما فيها ما هي إلا جسر إلى ما عند الله ، حيث الراحة مما يعانيه من ظلمات ، أغرقت تفكيره بالتضليل والخرافات ، برغم ما أصاب تلك الديانات من تحريف مقصود ، على يد متبعيها . والواقع أن نور الدعوة الإسلامية الخاتمة أكمل تصحيح ذلك المسار الرباني ، فأعطى القرآن الكريم إطاراً شاملا ، لمدلول التفسير التاريخي للمسيرة الإنسانية على الأرض، بل والتصور الواضح والجلي ، للخالق – سبحانه وتعالى – وللإنسان . وللكون حوله ، وعلاقاتهم وتفاعلاتهم معاً ، وذلك وفق المشيئة الربانية التي ارتضاها الله لخلقه [1] . فلا تفسير للتاريخ إلا بالاعتماد الكلى على مصادره الشرعية ، وهي القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، اللذان أعطياه تصوراً إسلامياً ، ذا طابع شمولي ، وتفسيراً جلياً ، ووحده قياسية للحياة الإنسانية ، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها [2] . تقوم على مجموعة من الحقائق العقائدية الأساسية ، التي تنشأ في عقل المسلم وقلبه ، عن الوجود ، وما وراءه ، من قدرة مبدعة ، وإرادة ، أو ما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات ، أوجدها المصدر الرباني ، خالق هذا الكون، ونسجتها حكمته – سبحانه وتعالى – ولم يوجدها الإنسان بعقلة ؛ ليتمشى بها [3] قال الله تعالى : { وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [4] .

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٨١، ١٠٣ .

(٢) محمد بن صامل السلمي : المرجع السابق ، ص١٠٨ – ١٥٧ .

(٣) سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، ص ٤١ – ٤٥ .

(٤) سورة الحشر ، آية : ٧ .

المفهوم القرآني للتاريخ :

نبه القرآن الكريم العقول العربية للتاريخ وأهميته ، وأوضح حقيقة بـــارزة ، باهتمامه بالحادثة التاريخية ، حيث يلاحظ القارئ لآيات الذكر الحكيم أن مقاطع كثيرة ، وحيزاً كبيراً من سُوَرِه وآياته تعرضت لأخبار تاريخية ، بأبعاد واتجاهـــات مختلفة ، وتأتي بشكل عرض مباشر ، كما في سورة يوسف ، أو بإشارة ســريعة لحدث ما ، كما في ذكر موسى ، وهذه العروض تعد في مجملها صوراً للحيـــاة الإنسانية ، وحركة البشرية ، عبر الزمان والمكان ، والسنن التي تحكـــم حيـــاة الإنسان، والغرض من خلقه وغايته وهدفه ، وهي التي اصطلح علـــى تســـميتها بالقصص القرآني. والتي تتسم بالبعد التاريخي المجرد ، مع الأخذ في الاعتبــــار أن تلك القصص لم تأت لمجرد الترف الذهني ، والاستمتاع بأحاديث الماضي ، بـــل للوصول إلى بلورة المبادئ الأساسية ، للحركة البشرية ، عبر مسيرتها التاريخيـــة ، والسنن التي تحكمها والتي يؤكد القرآن الكريم على تأملها ، والاعتبار بمدلولاتها ، ومراميها ، لأن القصد من ذكر الحادثة التاريخية في القرآن الكـــــريم توضيـــح تجارب الأمم السابقة ، ليكون من جاء بعدهم على بينة من أمرهم ، وعلى كـــل فإن القرآن الكريم بمعطياته التاريخية يدفع بالإنسان نحو الهدف المنشود ، بعد شرح وافي لحال الأمم بين الاستقامة كأمة حق تدعو إلى الخير ، أو أمة منحرفة تدعـــو إلى الشر ، كما أن القصص القرآنية تحمل في طياتها إثارة للإنســـان وفكـــره ، للارتقاء بمجتمعه ، وإبراز الفروق الحادة بين المجتمع المسلم والكافر . وليكونـــوا على بينه من أمرهم ، وأخذ السنن والاعتبار ، حتى يكونوا على طريق الهـــدى ، في مواصلة البناء وتحقيق الغاية من خلقهم ، وتكون لديـــهم القـــدرة الكافيـــة للتصدي لقوى الشر ، المشكلة في أناس غرقوا في الغفلة والنســـيان، والكســـل

واليأس ، والصد عن رحمة الله ، وبيان خاتمة أمرهم [1] . قال تعالى : { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [2] وقال تعالى: { فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [3] { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ } [4] { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ }[5] . وهكذا يأتي القرآن الكريم بكل تلك المعطيات التاريخية ؛ ليدفع الإنسان نحو طريق الخير ، الذي رسمه الله للعالمين ، وإبعادهم عن طريق الشر، خشية الوقوع في المزالق والمهالك ، التي قضت على الكثير من الأمم ، فكانت تلك النماذج التاريخية صوراً حية وواقعية، ربطت بين الفكرة والهدف ، وبين التجربة [6]. حيث جاء القرآن الكريم بمعطيات تاريخية ، تعطى تفسيراً جلياً لحياة الإنسان على الأرض ، بل وأبعد من ذلك فلو تتبعنا تلك الصور القرآنية للحياة الإنسانية في القرآن الكريم نجد أن أول سورة من سُوره بعد الفاتحه تهتم بإبراز الحدث الأول في الحركة البشرية ، وهو خلق آدم عليه السلام ، خلق الإنسان. واستخلافه على الأرض ، قال تعالى :{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [7] فشكل هذا الحدث حجر الزاوية لكافة الأغراض القرآنية اللاحقة بعد خلق آدم عليه السلام ، وشكل المبدأ الأساسي لتركيب

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٥ ، ٩٧-١٠٦،٩٨.
(٢) سورة آل عمران ، آية : ٦٢ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٦ .
(٤) سورة يوسف ، آية : ١١١ .
(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٢٤ .
(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ٧-٨ .
(٧) سورة البقرة ، آية : ٣٠.

الإنسان ، ودوره في الحياة ، والغاية من خلقه، والصراع بين الخير والشر ، والعلاقة بين السماء والأرض ، والمصير الحتمي لكل هذه المسائل ، كما وضح شروط الاستخلاف وكيفية تسخير الكون حوله ، وخلال تلك الرحلة الإنسانية يشير القرآن الكريم إلى العناية الربانية بالإنسان بإرسال الرسل، بين الحين والآخر؛ لتجديد العبودية لله ، وتذكيرهم بأن الحياة على الأرض تسير وفق سنن الهية ، موضوعة من قبل الحكيم الخبير ، دون تبديل ولا تحويل [1] . ويعطي القرآن الكريم تصوراً شاملاً للحضارة الإنسانية ، من حيث الوجود والبناء ، وعوامل الازدهار والانهيار ، ومؤشرات النهوض لاستئناف المسيرة التاريخية ، وبناء حضاري مرضى عنه من عند الله [2] .

وهكذا فإن ارتباط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ، بشكلها الموجز والمسهب ، يعد تفسيراً تاريخياً متكاملاً للحياة البشرية، وفق النظرة الإسلامية للإنسان والكون والحياة ، حيث إن كتاب الله يعطى للحدث التاريخي أهمية كبيرة، فقل أن تجد سورة من سوره لا تأتي بحدث تاريخي – موجزاً أو مسهباً –، إلا لغرض وهدف هو دفع الإنسان إلى التفكير والتأمل والتدبير. كما يصف القرآن الكريم النتائج النهائية للحركة البشرية بجانبيها الزماني والمكاني ، ودور الإنسان فيها [3] . وأن من الأهمية بمكان الإشارة ، أن كل قصة تاريخية في القرآن الكريم لها خصوصيتها في إظهار دور معين يختلف عن غيره ، فكل قصة تشكل تجربة تاريخية منفصلة ، يستطيع المفسر للتاريخ أن يجمع منها حصيلة كبيرة ، من الدلالات والإرشادات والسنن ، التي يمكن في ضوئها استخلاص تفسير

---

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ٩٨ – ١٠٠ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٠٣ – ١٠٤ .

(٣) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٧ .

تاريخي جلي ، للمسيرة الإنسانية على الأرض ، وعبر التاريخ [1] . حيث يقدم القرآن الكريم منهجاً متكاملاً للتفسير التاريخي يشمل العرض والتجميع واستخلاص القوانين [2] . قال تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [3] فجاءت القصة التاريخية في القرآن الكريم شاملة لحياة الإنسان على الأرض ، بشقها الطبيعي الإنسان والكون، والاجتماعي أي حياة الإنسان على الأرض وتعميرها [4] ، بل إن القرآن الكريم يمتد في تفسير المسيرة التاريخية للإنسان إلى أبعد من حياة الإنسان على الأرض، واستخلافه فيها، حيث يمتد إلى ما وراء التجارب البشرية ، فيرجع بتأريخ الإنسان إلى بدء خلقه ليرى الإنسان بذلك قدرة الله المبدعة وسننه الدائمة المرافقة لمجرى حياته ، منذ بدء تكوينه [5] . قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [6] ، ويمتد كذلك بمعطياته التاريخية إلى ما بعد الحياة الدنيوية. وأن من الأهمية بمكان القول : أن العروض التاريخية الواردة في القرآن الكريم لا تجعل من كتاب الله كتاباً تاريخياً يبحث في تاريخ البشرية والأنبياء ، إلا أنه واصف للخطوط العريضة لتفسير المسيرة التاريخية للبشرية وفق الرؤية الربانية ، وعنايته بالإنسان عبرها [7] .

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص١٠٤ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٨ -٩ .

(٣) سورة فصلت ، آية : ٥٣ .

(٤) عمر فروخ : المرجع السابق ، ص١٤٦ .

(٥) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١١٣ - ١١٤ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية : ١٩ - ٢٠ .

(٧) عماد الدين خليل :المرجع السابق ، ص١٠٥ - ١٠٦ .

قال تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } [1] ومع ذلك فقد أسهب القرآن الكريم في قصصه التاريخية ، بالإشارة إلى حياة الأنبياء والرسل أي إلى النواحي الدينية ، بالإضافة إلى ذكر الملوك والحكام كعنصر أساسي في التغيير التاريخي ثم بعد ذلك يأتي الحديث عن أخبار الأمم ، ومن ثمة أخذ العبر والعظة بأخبارهم [2].

تطور اهتمام المسلمين بالتاريخ :

ولقد اهتم المسلمون الأوائل بالتاريخ الذي أشعرهم به القرآن الكريم ، إلا أن انشغالهم به كان أقل من انشغالهم بعلوم أخرى اتصلت بالقرآن الكريم مباشرة، مثل علم القراءات ، وعلم التفسير ، والعلوم الأخرى التي اتصلت بهم كعلم التوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة ، وتركز اهتمامهم بالتاريخ في شكل سرد لأخبار الماضين ، وأخبار آدم عليه السلام وقصص الأنبياء وأحوال القيامة وبلغ أوج اهتمامهم بالتاريخ بدراسة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولم يهتموا في دراستهم بتفسير الحركة البشرية، والربط بين القصة التاريخية ، وبين مغازيها ، وإظهار تجارب الأمم، واستخلاص القوانين والسنن الكونية . ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الإسلام جاء بعقيدة عظيمة ، مهمتها كانت تغيير العالم من عبودية العباد إلى عبودية الله ، وكان هذا شغلهم الشاغل ، ولم يكن لديهم الوقت لتفسير العالم بقدر ما هو تغيير العالم [3] . كما يتضح ذلك من قول الصحابي الجليل ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس : "... لقد بعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد

(١) سورة غافر ، آية : ٧٨ .

(٢) أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ،الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٤م، ص٧٧ .

(٣) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٠٤ - ١٠٦ .

إلى عبادة الله الواحد القهار ... "[1] وكان وعيهم التاريخي في بداية الأمر ينصب أو يتركز على تدقيق تواريخ ميلاد الرواة ووفاتهم والترجمة لهم ، وكان هدفهم بذلك الوقوف على صحة الروايات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الروايات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم ، ولم يتعرضوا خلال دراستهم للتاريخ في النظر إلى الأحداث التاريخية ، واستخراج العبر والعظات منها ، أي أن علم التاريخ ارتبط في نشأته بالعلوم الشرعية منذ انطلاقته ، وأصبح علماً ذا شقين ديني وعلمي [2] . وإن صح لنا – كما يرى عبد الحليم عويس – أن نطلق عليه اسم علم (مصطلح التاريخ) ذلك العلم الإسلامي الذي تبنى تأسيسه ووضع قواعده المسلمون . وكان القصد منه التوصل إلى الحديث النبوي الشريف الصحيح . وذلك من بداية القرن الثاني الهجري ، أي قبل أن تعرفه أوربا بحوالي سبعة عشر قرناً ، حيث اهتم المسلمون به اهتماماً نابعاً من مسئوليتهم تجاه دينهم، فهو علم إسلامي عربي ، نبيل الهدف ، مبني على أسس البحث العلمي الدقيق ، من فحص وتدقيق ، وتثبيت ودراسة ، ونزاهة وموضوعية [3] . ولقد أظهرت تلك الدراسات مسيرة تاريخية جديدة ، وجديرة بالدراسة والتدوين ؛ لأنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلم الحديث ، وهي سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم ، وأحوال الحياة حوله ، المتمثلة في شخصه الكريم ، وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين ، فكانت سيرته بحق البؤرة ، التي انطلقت منها كتابة التاريخ الإسلامي ، وشكلت السيرة النبوية المادة الخامة التي فجرت الطاقة الكامنة ، والقدرة الفكرية لديهم ، فسجلوا السيرة في أروع صورها، وتنافسوا

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٠٧ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٢٠ .

(٣) شوقي أبو خليل : موضوعية فيليب حتي في كتابة تاريخ العرب المطول ، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٥ .

في تدوينها قولا وفعلاً وتقريراً (وصفةً) ، وسجلوا مغازيه عليه الصلاة والسلام ، فكانت بحق سيرته رحمة ومغازيه ملحمة ، حيث قدمها المؤرخ المسلم ، بعيدة عن الهوى ، بحقائق صادقة ، لم يختلط فيها الحق باللغو ، ولا الرؤية الشخصية، بل بالحقيقة الموضوعية ،لأنها عبادة وتاريخ ، فكتبت على ضوء الجرح والتعديل ، ترعاها عين الباري [1] . { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [2] ثم أعقبتها مرحلة جديدة من الوعي التاريخي والتدوين ، ترجع إلى القرن الثالث الهجري ، حيث كانت بداية التدوين الموسوعي ، للتاريخ الإسلامي ، وكانت بمثابة تمهيد إعدادي، لنظرة الإسلام في تفسير الواقع البشري ، منذ بدء الخليقة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فكتبت المسيرة التاريخية ، على يد الإخباريين المسلمين ، بتوسع وشمولية ، تتبع فيها المؤرخ المسلم المنهج الرباني ، في التدرج التاريخي ، وسياق الأخبار ، فكما وضع القرآن الكريم اللبنة الأولى في أول سُوره بالحديث عن آدم عليه السلام ، ثم أتبع ذلك بوصف للمسيرة الإنسانية بعد آدم ، وإظهار دعوات الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام ، والسنن التي تحكم البشرية ، والغاية من خلق الإنسان ، واستخلافه على الأرض . فلقد اتبع المؤرخ المسلم ذلك المنهج بدقة في بداية الأمر ، فلو بحثنا في أوسع المصادر التاريخية الإسلامية وأولها ، والتي اتخذت الشكل الموسوعي ، ككتاب [تاريخ الأمم والملوك] للإمام الطبري ، الذي يعد من أقدم المصادر التاريخية المطولة . ذات الطابع الشمولي ، نجد أن الطبري قد دون التاريخ في شكل سرد تدريجي للحوادث ، بما جمعه من روايات مختلفة ، دون ترجيح أو تحقيق ، حيث بدأ تاريخه بتاريخ الخليقة، منذ آدم عليه السلام ،

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٢١ .

ثم تناول استخلافه على الأرض . ثم بعد ذلك سرد الوقائع التاريخية ، التي تتصل بالإنسان ، ابتداء من قصة هابيل وقابيل ابني آدم ، وتاريخ الأنبياء عليهم السلام . وذكر الأمم السابقة ، من الفرس والروم والعرب ، ثم تفرد بحديثه عن السيرة العطرة ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، والدول الإسلامية ، حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن الرابع الهجري، وعلى الرغم من اهتمام الإمام الطبري – رحمه الله – بالسند إلا أنه لم يول اهتماما كبيراً بالمتن ، وتحقيق الروايات ، حيث يعد الإمام الطبري – رحمة الله – ، بتدوينه الموسوعي عن الإنسان على الأرض منذ البدء ، خطوةً رائدةً في رحلة التدوين التاريخي الإسلامي ، وقمة ذلك هو تناوله موضوع الرسل كممثلين للحق في التاريخ، وتبعه معظم المؤرخين المسلمين في ذلك ، بل وأضافوا إليه شعبا أخرى ، كما يظهر من كتاب [مروج الذهب ومعادن الجوهر] للمسعودي و الذي أضاف إلى تصنيف الطبري أخباراً شمولية ، وبعض التعليل ، في أمور جديدة ، تخرج عن الإنسان بذاته ، إلى الكون حوله ، فكتب عن الفلك، وعن الأقطار ، وأخبار الممالك ، وأجناس البشر والأجيال ، وكتب في الطب والأدب ، وكذا كان مطهر بن طاهر المقدسي في [البدء والتاريخ] الذي يعتبره عبد الحليم عويس رائداً ، في إعطاء نظرة كلية للتفسير التاريخي ، حيث أضاف إلى كتابه نظرته الكونية للتاريخ ، وربطه بالثقافة الفكرية للأديان القديمة ، في المجتمعات المختلفة . والنماذج كثيرة في تراثنا التاريخي . أمثال ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠هـ تقريباً في كتابه [الكامل في التاريخ] وكذا الحافظ ابن كثير والمتوفي سنة ٧٧٤ هـ في كتابه [البداية والنهاية] . ولا شك أن ابن خلدون يعتبر رائد النظرية المتكاملة ، في إعطاء تصور علمي دقيق ، لمنهج التفسير التاريخي، لاشتمال مقدمته على تحليل كتابة فن التاريخ الإنساني ، من حيث تعليل الحوادث، واستنباط السنن والقوانين، وإظهار العبر والمواعظ ، واستخلاص السلبيات والإيجابيات ، من تجارب الأمم السابقة ، وربط الدراسات التاريخية ،

بالعوامل النفسية ، والفكرية ، والعقائدية ، والاقتصادية ، والربط بينها وإعطاء كل عامل حجمه ، في مرحلته التاريخية المناسبة له ، وأثر ذلك على المسيرة التاريخية للإنسان (١) .

عناصر التفسير الإسلامي للتاريخ :

إن من أهم العناصر في مجال التفسير التاريخي : **الإنسان** ، فهو العنصر الفعال، والمتحرك ، والصانع للحضارة في التاريخ ، وهو المستخلف من الله على الأرض ، والمزود بكل الإمكانيات ، والأدوات الكفيلة ، لتحقيق خلافته عليها (٢) . والتفسير التاريخي في الإسلام يرقى بالإنسان ، ويتعامل معه بإنسانيته ، البعيدة عن المادية والحيوانية، فهو قبضة من طين ونفخة من روح الله . قال تعالى : { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (٣) ، وقال تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً } (٤) ، فهذه الثنائية في التكوين: الروح التي تمثل النفخة العلوية، والطين الذي يمثل القبضة السفلية (٥)، هذه الثنائية في التكوين ، هي لحكمة أرادها المولى – عز وجل – ، فيكون الإنسان بمقتضى النفخة العلوية ، في حالة من الترفع والشفافية ، والتقدم ، لتطبيق القدرة والحرية ، التي أرادها الله له ، والمستمدة من روحه – سبحانه وتعالى –

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١١١ – ١١٤، ١٤٥-١٤٧.

(٢) نفس المرجع ، ص٢١٢ .

(٣) سورة ص ، آية : ٧١-٧٢ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٨٥ .

(٥) عماد الدين خليل : المرجع السابق، ص ١٥٨ .

والتي تشكل الإيجابية في سلوكه [1] . وفي حالة القبضة الطينية يكـــون تعـــامل الإنسان ، بالجسد المصنوع من القبضة الطينية السفلية ، الخاليـــة مـــن الوعـــي والاختيار ، والميالة بدورها إلى الغرائز والشهوات ، والتي تشـــكل الســـلبية في سلوكه [2] . فيخضع بهذا العنصر الترابي إلى السنن الإلهية التي تعمل في الأشـــياء والأحياء ، في المحيط المادي والحيوي ، الذي ينتمي إليه [3] . وقد يكون ذلـــك حداً للإنسان ، ليكون على وعى تام بحقيقة تكوينه ، فلا يشذ ولا يطغـــى ، ولا يتجبَّر على من حوله ، ليتمكن من تحقيـــق الاســـتخلاف ، المرتبـــط برضـــاء الله وقدره [4] ، وذلك حسب تكوينه الثنائي قال تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّـــفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا } [5].

وقال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُـــوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } [6] قـــال تعالى: { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَـــهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًـــا جَـــهُولاً } [7] ومـــع ذلـــك فـــإن الله كـــرم الإنســـان وجعلـــه في أحســـن تقـــويم

(١) إن تلك الشفافية لا تصل إلى درجة شفافية الملائكة بل هي شفافية تليـــق بخلـــق الإنســـان الثنـــائي التكويـــن. انظـــر
محمد قطب:مذاهب فكرية معاصرة ، الطبعة الأولى،دار الشروق،القاهرة ،١٤٠٣هـ ، ص٣٩٢.

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٥٨ .

(٣) محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، الطبعة الأولى، دار المنـــار، القـــاهرة، ١٤٠٤هـ ، ص٩٠.

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٥) سورة النساء ، آية : ٢٨ .

(٦) سورة الروم ، آية :٥٤ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية : ٧٢ .

قال تعالى:{ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [(1)] سواء من الناحية الخلقية أو الخُلقية قال تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } [(2)] فمنذ اللحظات الأولى ، حمل الإنسان تبعة كل شيء بعمله ولا يحمل تبعته غيره [(3)] { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا } [(4)] قال تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ للإنسَان إلا مَا سَعَى } [(5)] ويقول - أيضا - في كتابه الكريم: { وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [(6)] وأيضاً قال الله تعالى: { مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [(7)] ، وقال تعالى: { أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسَانِ إلا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأوْفَى } [(8)] { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا } [(9)] .

ومنذ البدء في المسيرة التاريخية الإنسانية - في نظر التصور الإسلامي - فإن الإنسان مخير في اختيار طريقه ، ووضع الأحداث بإرادته واختياره ،

---

(١) سورة التين ، آية : ٤ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

(٣) عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٤) سورة الجاثية ، آية : ١٥ .

(٥) سورة النجم ، آية : ٣٩ .

(٦) سورة الإسراء ، الآيات : ١٣ - ١٤ .

(٧) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٨) سورة النجم ، الآيات : ٣٨ - ٤١ .

(٩) سورة لقمان ، آية : ٣٣ .

قال الله تعالى:{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } [(١)] وبهذا التكريم والتفضيل ، يكون الإنسان – في نظر التفسير الإسلامي للتاريخ – سيد المخلوقات ، يُخضِعُ ولا يَخْضَع ، يصُوغ ولا يصاغ ، يخطط وينفذ ، ولا يكون مجرد أداة للطبيعة والمادة ، بل متفاعلاً معها ، في صياغة التاريخ . ولكن لله ، وبذلك يشكل الإنسان بعلاقاته المختلفة مع الكون حوله بما وهبه الله من قدرة على تسخير الكون وسيادته عليه ، وبالإنسان تناط سيادة الحياة وتعميرها ، وقد أضاف الله إلي تكريم الإنسان تكليفا جعله غاليا عنده وهو تكليفه بعبادة الله وحده . وأن المساس بهذا الإنسان أو قتله فيه تحطيم لكرامته ، وقتل للناس أجمعين [(٢)] قال تعالى:{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [(٣)] ويقول الله تعالى : { وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ } [(٤)] وهذا جوهر التكريم ، الذي أوجده الله – سبحانه وتعالى – للإنسان، والتاريخ بالنسبة للإنسان هو سجله الذي سطره بنفسه ، واصفاً فيه تفاعلاته مع من حوله في حالة الهداية ، أو في حالة الضلال ، وسجل علاقاته مع أخيه الإنسان وكذا مع باقي المخلوقات ، وحتى الجماد ، بل الكون بأسره ، وكتب أنماطه السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والفكرية ، بحقائقها وخيالاتها ، وأساطيرها، سجلها بطوعه واختياره ، وبالضغوط التي واجهته وباختصار "... كتبه بكل ذرة

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٣ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٥٤،١٥٦ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٣٢ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٣٣ .

من كيانه فكل ما كتبه هو منه وله .... " [1] وليس هذا معناه أن كل ما واجه الإنسان سجله ، فهناك فترات وأزمنة لم يسجلها الإنسان، أو لم تصل الينا بالإضافة إلي وجود معالم ، أخفتها أيدي الإنسان نفسه ، وشوهتها بقصد أو بغير قصد . دلك هو أول العناصر وأبرزها في التفسير الإسلامي للتاريخ ، وهو الإنسان بخلقه، وتكريم المولى له عز وجل. وهو المسئول الأول والأوحد ، الذي منحه الله القدرة على البناء والهدم، في المسيرة التاريخية [2] . فالاتجاه الإيجابي هو الصعود إلى الروحانية وإلى تحقيق عمارته للأرض ، في إطار المشيئة الربانية وتحت رعاية الله وكنفه . قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [3] أما الاتجاه السلبي فهو الاتجاه إلى الجانب السفلي من تكوينه الدافع إلى السكون والهدم والسقوط في الهاوية . قال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [4] فالنظرة الإسلامية للإنسان أنه إنسان حر ، مكلف ، عاقل ، مميز بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، يملك القدرة فرداً وجماعة على التعمير والبناء والحركة ، أو الهدم والسكون ، وليس أداة طيعة في يد الطبيعة، أو أداة طيعة في يد الظروف الاقتصادية ، فتقع عليه الحياة الحتمية والجبرية ، التي تلزمه أو تلغي آدميته [5] . وإن الإنسان فرداً أو جماعة ، يسير وفق النظام الرباني في حياته ومعاشه ، وسوف يسأل عن كل ذلك ، بكل ذرة من كيانه [6] .

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٣٩٢.

(٢) عبد الحليم عويس :المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٣) العنكبوت ، آية: ٦٩ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٥٣ .

(٥) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢١٤.

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٤٨ .

قال تعالى: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) وقال تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } (٢) وقال تعالى: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ } (٣) وكل ذلك في إطار الحرية التي منحها الله للإنسان، وتدور في فلك رسمه المولى – عز وجل – للإنسان في الدنيا ، وأن هذه الحرية التي أودعها الله في الإنسان ، سوف يكون له حساب عليها في اليوم الآخر، إن خيراً خيراً ، وإن شراً شراً ، فهي مسئوليته بكامل معانيها (٤) . قال تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه } (٥) وهكذا يكون الإنسان في التصور الإسلامي إنساناً يمارس مسئوليته على الأرض ، وبالأمانة التي اختصه الله بها دون مخلوقاته ، وهي قمة المعاملات الإنسانية ، والتي تربط بين جميع أعماله ، وهي الأخلاق التي ينشأ بها وتقوم عليه حياته ، وتقف عليها جميع أنشطته ، بدءاً بطعامه وشرابه ، واقتصاده وسياسته وفكره . وهي القيم العليا التي يصبو إليها الإنسان، وهي المقياس الحقيقي للغاية من وجوده (٦) . وفي ظلال الحرية الممنوحة له ، كفل الله – سبحانه وتعالى – الإنسان ، وتعهده برعايته وتوجيهه ، عن طريق رسله الكرام ، وأنبيائه الأخيلو ، لتجديد العهد بينهم وبين خالقهم ، وأنه لا معبود سواه ، وكذلك تجديد شروط الولاء ، والاستخلاف في الأرض ، على المنهج المستقيم ، وإعلام الناس بالجزاء

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٤٧.

(٣) سورة الأحزاب ، آية : ٦٧ .

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٤٤ – ١٤٧ .

(٥) سورة الزلزلة ، الآيات : ٧ – ٨ .

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٣٩٦ – ٣٩٧ .

والحساب ، والجنة والنار ، قال تعالى: { رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } [1] وقال تعالى: { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [2] فإن استقام الإنسان ، استقامت له المشيئة الربانية ، فوهبه الله التمكين والعزة . قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } [3] وقال تعالى: { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ } [4] أما إذا ما انحرفت الأمة في التصرف بتلك الحرية التي منحها الله لها ، بالغرور والكفر، والإعراض عن ما وهبه الله ، في أنفسهم وفي الكون حولهم ، فإن العقاب واقع عليهم لا محالة [5] . قال تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [6] ، قال تعالى:{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [7] وفوق كل ذلك فإن الله مطلع على عباده رحيم بهم، لا يؤاخذهم بالغلط أو النسيان، بل ترك لهم التوبة ، والرجوع إلى الله،

---

(١) سورة النساء ، آية :١٦٥ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٤٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٤) سورة غافر ، آية : ٥١ .

(٥) عماد الدين خليل : المرجع السابق، ص١٤٨ .

(٦) سورة الأنعام ، الآيات : ٤٤ – ٤٥ .

(٧) سورة النحل ، آية : ١١٢ – ١١٣ .

كي لا تصيبهم سننه ، التي لا تبديل ولا تحويل عنها ، لعلمه سبحانه وتعالى بالإنسان وقدرته التي هي في علم الغيب مكنونة . قال تعالى: { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (١) وفي ضوء ذلك يكون الجزاء (٢) . قال تعالى: { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (٣) إن الله – سبحانه وتعالى – قد وضع في قلب الإنسان الحجة والبرهان ، وحمله المسؤلية عن عمله في الدنيا ، وعليه أن يختار بإرادته ووعيه النظرة السليمة ، التي فطره الله – سبحانه وتعالى – عليها منذ خلقه. قال تعالى: { مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } (٤)

وقال تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } (٥) ويقول تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى } (٦) وكما يقول عماد الدين خليل (٧) : " إن الله سبحانه وتعالى لم يطبع على قلب الإنسان بالكفر ، ولكن ذلك يرجع لاختيار الإنسان متأثرا بظروفه البيئية والوراثية "

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦.

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣) سورة الجاثية ، آية : ٢٨ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٥.

(٥) سورة الإنسان ، آية : ٣ .

(٦) سورة النجم ، آية : ٣٩ – ٤١ .

(٧) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

الاستخلاف وسننه :

النظرة الإسلامية تنظر للإنسان بما منحه الله من حرية في تحقيق ذاته واستخلافه على الأرض ومنحه القوة للقيام الخلافة ، دون تجبر أو تمرد على ما أودعه الله – سبحانه وتعالى – لخدمته في تسخير الكون ، وذلك وفق قيود وضوابط ، وسنن يتحرك بمقتضاها على الأرض [1] . يقول الله تعالى: { أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } [2] والإنسان في هذا العالم الفسيح جزء منه ، ينعم بنعم الله ، تسرى فيه سننه وهو عبد بكامل عبوديته لله ، فردا خائفا ، وقانتا لله ، لا يملك مطلق الحرية والاستقلال ، إلا فيما يدور في ملك الله ، بكل إنتاجه المادي ، والفكري ، المستمد من المشئية الإلهيه ، الممنوحة له بما سخر له الله من قوة عقلية، وبدنية ، فهي لله وفي الله ، وأنه محاسب عليها ، في سرها وعلانيتها ، فالإنسان وبكل ما يملك من طاقة مخلوق مكرم، معزز ، لغاية واحدة، هي العبادة، التي من أجلها خلق واستخلف . قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ } [3] والتي يتوجب على الإنسان الإقرار بها . بأن الله ربه وخالقه ومالكه ومتعهدة بالإصلاح والتربية . وصاحب الحق الأوحد في التشريع والمنهاج، الذي يجب أن يخضع له في حياته [4] . ولتحقيق الغاية من خلقه ، عليه أن يستجيب ، لما كلف به ، فتصبح حياته كلهافي طاعة الله ، فينطبق عليه وصف الحكيم الخبير : { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) سورة القيامة ، آية : ٣٦ .

(٣) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٤) جمال عبد الهادي محمد ، ووفاء محمد رفعت : منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٦هـ ، ص٩ .

(١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } [١] . فالعبادة تسخير للقوة الذاتية ، التي وضعها الله في الإنسان ، والتي تتناسب ودوره في الخلافة ، والتي تتماشى مع تركيبه الجسماني والروحاني، فهو عابد بالسجود والتسبيح ، وعابد يطبق منهج الله، على الأرض ، وتعميرها ، وتنظيم حياته ، في طلب الرزق والسعي إليه ، وكسب عيشه، في ضوء ما أنزل الله ، ووفق الضوابط الشرعية التي ارتضاها الله – سبحانه وتعالى – لعباده ، ففي الاستفادة مما حلل الله ، والبعد عن ما حرم الله عابد . وفي تربية أهل بيته عابد ، وفي طلب العلم عابد ، وفي قتاله عابد ، ما دام المقصود من وراء ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا . وهي عقيدته الصحيحة لأداء الشعائر ، في شتى جوانب الحياة التي تهمه ، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفكريا وفنيا [٢] . فالعبادة هي الغاية المحببة إلى الله ، والتي من أجلها خلق الخلق [٣] . فوجود الإنسان على الأرض لم يكن عبثا وإنما لهدف وغاية، ووفق منهاج متكامل للحياة ، حول علاقته بربه وبمن حوله ، وعن دوافعه ومبرراته ، التي من أجلها خلق ، ومن أجلها استخلف على الأرض . وأنه محكوم من قبل حكيم خبير [٤] ، . قال الله تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ } [٥] وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } [٦] وعلى ذلك فالإنسان وحريته ، يدور في دائرة

---

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .(بتصرف)

(٣) سليمان الخطيب : المرجع السابق ، ص ١٢٨

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٥) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥.

(٦) سورة الأنبياء ، الآيات : ١٦ – ١٧ .

محكومة الإقفال . وفق سنن إلهية ؛ حيث إنها تفوق قدرته وطاقته . إذا ما اختلت دبت الفوضى في النظام الكوني . قال تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ } [(١)] ، وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ } [(٢)] وفي ضوء ذلك كانت الخلافة، وفق ما وضع الله في الإنسان ، قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } [(٣)] ويقول تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا } [(٤)] ويقول تعالى – أيضا – في كتابه الكريم : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [(٥)] فإن الخلافة تقتضي الهيمنة والسيطرة والقدرة، على الإنشاء والتعمير ، والتمييز والاختيار [(٦)] ، والعمل والإبداع ، ومواجهة الظلم والفساد ، وتلقى العلم من السماء عن طريق رسله الكرام ، قال تعالى: { قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } [(٧)] وبذلك يكون محور أعمال الإنسان في الأرض طاعة الله ، وأن أي نشاط

---

(١) سورة الرعد ، آية : ١٥ .

(٢) سورة الحج ، آية : ١٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(٤) سورة فاطر ، آية : ٣٩ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .

(٧) سورة هود ، آية : ٦١ .

يقوم به الإنسان ، لابد وان يقترن بأوامر الله - سبحانه وتعالى - ونواهيه ، وأن أي نشاط مخالف عن شرع الله ، سوف يؤدى إلى التدمير والهلاك ، لأن فيه مخالفة للسنن ، التي وضعها المولى - عز وجل - للإنسان على الأرض [(١)] . قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } [(٢)] وقال تعالى: { وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا } [(٣)] هذا ولقد استودع الله — سبحانه وتعالى - في الإنسان كل الإمكانيات اللازمة لهذا الاستخلاف ، وجعله على أتم الاستعداد للتعليم والإدراك، والتلقي والقيام بالعمل، والحركة اللازمة في شكل خلق تام سوى [(٤)] قال تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا } [(٥)] وقال تعالى: { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [(٦)] ، وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [(٧)] قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [(٨)] ويقول الله تعالى: { أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } [(٩)]

---

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٩٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٦٨ - ١٦٩

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٥٦ .

(٤) محمد رشاد خليل : المرجع السابق ، ص٩٠ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٣١ .

(٦) سورة العلق ، الآيات : ٣ - ٥ .

(٧) سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

(٨) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٩) سورة البلد ، الآيات : ٨-١٠ .

ويقول : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (١) ويقول الله تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } (٢) ويقول تعالى: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ } (٣) أي جعلها مقرا صالحا لنشأته ، بما هيأها الله سبحانه وتعالى ، وبموقعها وتركيباتها المختلفة في هذا الكون الفسيح ، وفي أبعادها المختلفة عن أفلاك الله ، والشمس والقمر . وبما أودع الله فيها من الأقوات ، والأرزاق ، والقوة والطاقة التي تسمح للإنسان باستعمارها ، ويجعله سيد المخلوقات والقادر على تطويعها وتسخيرها (٤) .

وفي ضوء الاستخلاف الذي مكن الله سبحانه وتعالى به الإنسان على الأرض ، فقد جعل حياته تسير وفق سنن ربانية ، ارتبطت بحياته ارتباطاً وثيقاً ، وفق ما أودعه الله سبحانه وتعالى في خلقه ، وهي مصممة على فطرته وغرائزه ، وأفكاره، وأخلاقه، وعواطفه ومعاملاته ، وكل ارتباطاته الظاهرة والباطنة ، بقيم ثابتة ودائمة في الإنسان ، أفراداً وجماعات ، نافذة غير قابلة للتحويل أو التبديل (٥) . وهي الحتمية الوحيدة التي تحكم مسار الحياة البشرية وفق نتاج الإنسان وإرادته ، وسلوكياته ، التي خيره الله فيها (٦) ، بما وهبه الله من عقل وحكمة ، في تنفيذ قرار استخلافه ، وبمسئولية كاملة تجاهها . ولأن وجوده

---

(١) سورة الشمس ، الآيات : ٧ – ١٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٠ .

(٤) منير محمد غضبان : المسيرة الإسلامية للتاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٠٢هـ ، ص١٤ .

(٥) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٠٨ – ١٠٩.

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٤ ، ٧ .

على الأرض لم يكن اعتباطياً ، أو عشوائياً بل هو وجود متحرك ، نحو الله ، ومع العالم من حوله، فإن حياته على الأرض لا تخرج عن أحد طريقين : فإما الاستجابة و تحقيق الهدف من خلقه ، وتعمير الأرض وفق المنهج الرباني ، المكلف به ، والمفطور عليه ، والمتجدد عن طريق رسله الكرام ، وإما أن يكون منحرفاً عنه ، مكذباً لرسله الكرام ، مرسلاً في إطلاق جماح غرائزه وشهواته، دون قيد أو شرط بما أودع الله – سبحانه وتعالى – فيه من الحرية ، فيغيب عنه الوعي الصحيح ، فيندفع نحو السقوط والانهيار [١] . قال تعالى: { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا سُنَّةَ الأوَّلِينَ فَلَنْ تَجدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً } [٢] قال تعالى : { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [٣] قال تعالى:{ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } [٤] وقال تعالى: { سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً } [٥] ولا تقف السنن الكونية عند حد الحياة الدنيوية ، بل تمتد لليوم الآخر [٦]. قال تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ } [٧] ، وهكذا ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ على أن لله الهيمنة الكبرى والشاملة ، على الكون وما فيه . قال تعالى:{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٠٩ – ١١٠ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٣٧ .

(٤) سورة الأحزاب ،آية : ٦٢ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٧٧ .

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

(٧) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ .

بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ } [1] وهكذا نجد أنه بحسب مـــدي تفـاعل الإنسان مع ربه ، من حيث القرب والبعد ، تكون المسيرة التاريخية، للإنسان [2].

ويجعل التفسير الإسلامي للتاريخ من الأخذ بالسنن الربانية في المسيرة التاريخيـــة ضرورة ومقياسا لمدى وعي الإنسان من حيث إدراكها أو إنكارها ، وتوضيـــح الفرق بين الهدى والضلال ، فمن أدركها ، كان من الناجين ، ومن أنكرها كان من الغافلين ، الذين عميت أعينهم فهم لا يبصرون ، بل وتوقفت معـــها جميـــع حواسهم ، الظاهرة والباطنة [3] ، قال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُـــونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَـــى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [4] كيف لا !! وهي المقياس والفارق ، الذي بـــين المؤمنين وغير المؤمنين [5] . قال تعالى:{ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ } [6] وفي السنن عـــبر وعظـــات ، وتوجيه للأمم ، لتدارك أخطاء السابقين ، والتوجيه بمستقبل أفضـــل للبشـــرية ، وذلك بتفهم عميق ، للسنن الربانية لينعم الإنسان ، بعيداً عـــن عـــالم الدمـــار والهلاك، الذي يصيب الأمم الجاحدة والمنكرة [7] . قال تعالى:{ قَدْ خَلَتْ مِـــنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـــةُ الْمُكَذِّبِـــينَ (١٣٧)

---

(١) سورة الزمر ، الآيات : ٦٢ – ٦٣ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢١٩ .

(٣) محمد قطب :حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعـــة الأولى ، المجموعـــة الإعلاميـــة، الريـــاض، ١٤٠٨هـــ ، ص٨٥ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٤٦ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٦) سورة يونس ، آية : ١٠١ .

(٧) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١١١ .

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ } (١) ، قال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } (٢) وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُون يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات أَفَلا يَسْمَعُونَ } (٣) وقال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } (٤) ويضيف عماد الدين خليل (٥) : أي أن النظر في السنن الكونية ، يجب أن يكون بالبحث والتجول في تاريخ البشرية للوصول إلى مردود إيجابي ، يدفع بالبشرية إلى الخير والصواب ، وأن يكون ذلك بكامل الحواس ، والقدرات العقلية ، لاستخلاص المغازي والعبر ، ليسيروا حياتهم وفقها . يقول الله تعالى: { فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (٦) قال تعالى: { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٧) وهكذا تأتي الحياة البشرية .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) سورة محمد ، آية : ١٠ .

(٣) سورة السجدة ، آية : ٢٦ .

(٤) سورة النحل، آية : ٣٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٦) سورة الحج ، الآيات : ٤٥ – ٤٦ .

(٧) سورة النمل، آية : ٥٢ .

أما موافقة للنواميس التي وضعها وارتضاها الله للإنسان ، فيحيا حياة طيبة سعيدة، في ظل مجتمع إنساني عظيم ، وفي راحة نفسية عالية ، ينعم فيها بما مَنَّ الله عليه من خيرات ، سخرها له في الأرض ، وجعلها متاعاً ومستقراً له إلى يوم يبعثون . وهو جوهر الاستخلاف ، الذي ارتضاه الله لعباده ونادى به أنبياؤه الكرام. قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (1) .

وإما أن يأتي موقف الإنسان في مواجهة السنن الربانية والنواميس ، متعارضاً مع ما أراده الله ، على الأرض ، فينغمس الإنسان في شهواته وغرائزه ، فيحيا حياة شقية ، مفككة ، وسط بناء حضاري مؤقت ، في مجتمع إنساني متخبط ، بعيداً عن ما ارتضاه الله لخلقه . وعلى أي حال فإن السنن الربانية مطبقة على الإنسان، أفراداً وجماعة ، دون أي تفرقة أو تميز بين جماعة وأخرى ، لا من حيث حجمها، ولا من حيث دورها الحضاري ، وإنتاجها المادي والفكري ، ومهما بلغت من الرقي والكمال، فالقياس هو سلوكيات وأخلاقيات تلك الجماعة في الحياة ، والناتجة عن تفاعلات الإنسان المختلفة ، في مواجهة الله والكون (2) . قال تعالى: { أَفَنَضْرِبُ عَنكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ } (3) وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (4)

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٣٩ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، ١١٤.

(٣) سورة الزخرف ، آية : ٥٦ .

(٤) سورة الروم ، آية : ٩ .

وقال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٨٢)فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } (١) والسنن الكونية قد تأتي بشكل خارق ، غير مألوف على الناس ، كتلك التي تصاحب دعوات الأنبياء والرسل ، لتعضد دعواهم، وتجئ بفعل مباشر خارج عن النواميس الطبيعية ، وتحمل معها مؤثرات قوية ، لتهز كيان ومشاعر وأفئدة المجتمعات تجاه دعواهم ، وهى التي تعرف بالمعجزات ، فيكون تأثيرها قوياً على الناس ، لإيقاظهم من غفوتهم ، في الظلم والجحود ، وتحويلهم إلى طريق النور والهدي الصحيح . ومنها ما يأتي وفق نواميس الطبيعة ، ولكن بصورة معجزه ، أي خارج عن المألوف كالسيل والزلزال والرجفة والغرق والصاعقة والطوفان، والقمل والضفادع ، والخوف والجوع والخسف (٢) . وقد تأتي أيضاً كمعجزات لخدمة الدعوة لله ، كناقة صالح عليه السلام ، قال تعالى: { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا } (٣) . وكعصا موسى عليه السلام ، قال تعالى: { وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ } (٤) . أو كجنود من السماء لنصرة الأمة المؤمنة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } (٥)

---

(١) سورة غافر ، الآيات : ٨٢ – ٨٣ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٢٦ – ١٢٨ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٥٩.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب ،آية : ٩ .

قال تعالى: { أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } [1] وقال تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ } [2] وقال تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَات مُفَصَّلات فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ } [3] وقال تعالى: { وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } [4] والنوع الثاني هو السنن الجارية إما طبيعية ، كسنه الله في تعاقب الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وجرياهما في أفلاكهما وفق ناموس محدد قدره الله – سبحانه وتعالى – كما في قوله تعالى: { وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [5] أو سنن جارية مقدرة من عند الله ، تصيب الإنسان أفراداً وجماعات ، مسلمهم وكافرهم ، مسلطة من عند الله ، مقياسها مدي الالتزام بالله ، وتطبيق منهجه وشريعته ، فإما نصر وتمكين للمؤمنين ، أو هلاك وتدمير للكافرين ، وهي المقياس الحقيقي الذي يحكم المسيرة الإنسانية ، عبر تاريخها الطويل ، وهي تنقسم إلى قسمين :

سنن عامه تشمل المؤمنين والكافرين ، وخاصة تخص كل فئة دون غيرها ،

---

(١) سورة الملك ، الآيات : ١٦– ١٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٥٥ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٣٣ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ١٣ .

(٥) سورة يس ، الآيات : ٣٧ – ٤٠ .

وقد تتكرر وقد لا تتكرر ، عبر المسيرة التاريخية للإنسان [1] . والسنن العامة هي الأكثر في القرآن الكريم ، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتشمل المؤمنين والكافرين لتحدد لهم طريقهم وعاقبة أمرهم [2] . وعلى ضوئه يكون العطاء والابتلاء ، ليكون الامتحان . يقول الله تعالى: { كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } [3] { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } [4] قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [5] وهذا الابتلاء فيما سخر الله للإنسان على الأرض، من متاع مزين له ليقوم بعمارة الأرض ، وذلك وفق أوامر الله ونواهيه، وأحكامه وتوجيهاته . فعلى مدى التزامهم يتوقف قضاء الله وقدره ، فالمعيار ليس مجرد الاستحواذ ، ولكن المعيار هو ماذا فعل الإنسان بهذا العطاء الرباني، في مجالات حياته الفكرية والمادية ، فإما الاستقامة والعمل في ما يرضى الله ، أو التجبر والاستحواذ ، وتركه العنان لنفسه لإشباع رغباته وشهواته ، يقول الله تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ } [6] وقد تطول وقد تقصر فترة الإمهال ، وقد تختلف

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ،ص٨٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص٨٦ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٧ .

(٥) سورة الملك ، آية : ٢ .

(٦) سورة القصص ، الآيات : ٧٩ – ٨١ .

ما بين الأفراد والجماعات . يقول الله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ } (١) فالسنة الربانية هي للتذكير والتدبير ، لكل الحائدين عن منهج الله سبحانه وتعالى ، ومهما طال الأمد في الخروج عن شرع الله، فإن النهاية واقعة لا محالة وهذه هي سنة الله، وليس لسنة الله تبديلٌ (٢). يقول الله تعالى : { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (٣) وقال تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(٤٤)فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (٤) فتمكين المؤمنين يكون مصحوباً بالبركة والطمأنينة والرضا ، في حين يكون تمكين الكافرين للاستدراج (٥) . يقول الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٦) ويقول الله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (٧) { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } (٨) تلك الطمأنينة المصحوبة بالتوكل على الله ،

---

(١) سورة الحج ، آية : ٤٨ .

(٢) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٨٧ -٩٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية :١٧٨ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ - ٤٥ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٩٥ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٧) سورة الرعد ، آية : ٢٨ .

(٨) سورة النور ، آية : ٥٥ .

والإيمان بالقضاء والقدر [1] . قال تعالى:{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [2] { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [3] أما تمكين الكافرين فيكون بالنعم والرفاهية، لاستدراجهم ، مع مصاحبة ذلك باليأس والقنوط والمعيشة الضّنْك [4] . قال تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } [5] قال تعالى: { أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } [6] قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } [7] قال تعالى:{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [8] وقال تعالى:{ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } [9] ومن السنن العامة أيضاً تأكيد النصر للمؤمنين ، إذا ما أعدو عتادهم ؛ لانتصار الحق وتحقيق العبادة [10] يقول الله تعالى: { إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } [11] مع وجود التداول

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصره ، ص٣٩٩ .

(٢) سورة التغابن ، آية : ١١ .

(٣) سورة نوح ، آية : ١٠ – ١٢ .

(٤) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص٩٦ – ١٠٠ .

(٥) سورة طه ، آية : ١٢٤ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ١٧٨ .

(٧) سورة الروم ، آية : ٤١ .

(٨) سورة الإسراء ، آية : ١٦ .

(٩) سورة الجن ، آية : ١٦ .

(١٠) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(١١) سورة محمد ، آية : ٧.

بين النصر والهزيمة في الأمة المؤمنة [١]. قال تعـــالى:{ وَتِلْـــكَ الأَيَّـــامُ نُدَاوِلُــــهَا بَيْنَ النَّاسِ } [٢] .

أما بالنسبة للسنن الخاصة والتي تصيب المؤمنين والكافرين،كل على حدة . فمما يصيب المؤمنين – خاصة – الابتلاء قبل التمكين ، وهو ابتلاء الرحمــــة، لا ابتلاء الغضب . وابتلاء الاختبار قبل الاختيار [٣] . قال تعالى: { آلم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِــــهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } [٤] .

وأما التمكين الخاص للامة الكافرة رغم عصيانهم ، فإنما يكون من بـــاب الاستدراج ليزدادوا كفراً ، فيصيبهم قضاء الله وقدره [٥] . قال تعالى: { فَلَمَّـــا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُـــوا بِمَـــا أُوتُـــوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [٦] وعلى كل فإن السنن الربانية في تواصــــل مستمر ، دون أي تراخ في تقويم البشر ، وتوجيههم نحو الطريق الصحيح ، وهي لا تحابي أحداً بل واقعة بالناس لا محالة ، وذلك وفق أعمالهم إن خيراً فخـير، وإن شراً فشر ، وعلى ضوئه يكون حسابهم في الدنيا والآخرة [٧] ومع ذلك فـــإن الله – سبحانه تعالى – قد جعل الأصل في البشرية وجود النعـــم { أَلَـــمْ تَـــرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَـــا فِـــي السَّـــمَاوَاتِ وَمَـــا فِـــي الأَرْضِ وَأَسْـــبَغَ عَلَيْكُـــمْ

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٠٥ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٠.

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١١٠ – ١١١ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآيات : ١ – ٣ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٠٦ – ١٠٧ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ .

(٧) محمد قطب : المرجع السابق، ص١٠٠ – ١٠٢ .

نعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } (١) والنعم تزداد مع الشكر ، قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (٢) وأن التغير في تلك النعم لا يأتي إلا بفعل أعمال البشر (٣) . قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } (٤) { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٥) وقال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (٦) .

والدارس للمسيرة الإنسانية عبر التاريخ – حسب التصور الإسلامي يجد أن الارض بما هيأه الله فيها لتكون مستقراً ومتاعاً للإنسان ، أوجد فيها قوة تنافر وتجاذب ، وتدافع بين الإنسان والكون حوله ، وهي سنة من سنن الله سبحانه وتعالى في الحياة، وهي واقع وهدف ، لدفع الإنسان إلى الخير والحق ، لأداء رسالته على الأرض، وهو التدافع المشروع . ويكون هذا التدافع ضرباً من الفوضى والفساد إذا ما حاد عن الطريق الصحيح ، الذي أراده الله لعبادة (٧) ، حيث يكون فيه الإنسان أداة طيعة في يدي عدوه اللدود ، إبليس اللعين ، ليستمر الصراع الحتمي ، الذي بدأ مع الإنسان منذ اللحظات الأولى من خلقه ، عندما استشعر الشيطان عظمة هذا المخلوق الجديد، فأعلن الحرب عليه وعلى ذريته ،

---

(١) سورة لقمان ، آية : ٢٠ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٧ .

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٠٣ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ١١.

(٥) سورة الأنفال ، آية : ٥٣ .

(٦) سورة النحل ، آية : ١١٢ .

(٧) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص١٥٥ – ١٥٦ .

وكان له ذلك بقدر الله ، حيث كان الصراع بين الإنسان والشيطان في الجنة . قال تعالى: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } [١] وقال تعالى: { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [٢] وتواصل الصراع على الأرض بين الإنسان والشيطان ، فكان صراع الإنسان المؤمن عنوان الخير ، وصراع الشيطان وأعوانه عنوان الشر [٣] . قال تعالى: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } [٤] فهناك صراع موجود في الحياة البشرية، وبقدر من الله ، والعامل المحرك لها هو الشيطان وجنوده ، ابتلاء وتمحيص للإنسان ، هذا في نظر الإسلام ، وكما يصور التفسير الإسلامي التاريخي.

قال تعالى:{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ } [٥] وقال تعالى:{ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ } [٦]

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٣٥ - ٣٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٨٩ - ١٩٠ .

(٤) سورة طه ، آية : ١٢٣-١٢٤ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية : ٢ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ٥٣ .

وقال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ } (١) ويقول الله تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } (٢) وقال تعالى: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } (٣) وقال تعالى: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (٤) وهكذا { لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } (٥) .

إذاً هناك صراع بين قوة الخير وقوة الشر، قوة الخير المتمثلة في الإنسان المؤمن ، وقوة الشر المتمثلة في الشيطان واتباعه . وبين الإنسان المنوط إليه دور التعمير ، وإحياء الأرض في كنف الله ورعايته ، وبين معاول الهدم والدمار من أعوان الشيطان . وهكذا تنشب الصراعات المتعددة بين حزب الله وحزب الشيطان . وأن مثل هذه الصراعات موجود في فطرة الإنسان لأنه مخلوق مزود بالخير والشر (٦) { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ } (٧) { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } (٨) ، ومع ذلك فقد زود الله الإنسان بالقوة الكافية ، لاختيار الطريق الصحيح ، والوقوف أمام الشيطان ، والانتصار عليه ،

---

(١) سورة الأعراف ،آية : ٢٧ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ٦ .

(٣) سورة الأعراف ،آية : ١٦ - ١٧ .

(٤) سورة ص ، آية : ٨٢ .

(٥) سورة الحج، آية : ٥٣ .

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٧) سورة الشورى ، آية : ٨ .

(٨) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .

وعلى جنده . فالصراع منوط بالنصر للمؤمنين ، والتمكين لهم [1] . يقـــول الله تعالى: { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } [2] { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } [3] والله المطلع علـى عبادة يرسل لهم بين الحين والآخر (الرسل) ، ليحذروا الناس من إغواء الشيطان وحيله ، وكيده لهم ، وليجددوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم . وليتداركـوا أخطاءهم فمنهم من هدى ، ومنهم من ضل [4] . قال تعالى: { قَالَ اهْبِطَا مِنْـهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ أَعْمَى } [5] فقمة الصراع ، الإيجابية نصر الأمة المؤمنة ، والسلبية انقلاب ذلـك الصراع إلى العكس، حيث يصبح الإنسان في خضم جنود الشيطان، فيغيب ديـن الله وتغيب معه الغاية من خلق الإنسان ، فينتصر حزب الشيطان [6] . قال تعالى: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [7] ويقـول الله تعالى: { أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } [8] وقد يـأتي الصراع ، في شكل تدافع ، وفي صور ومعايير مختلفة ، وضعها الله – سـبحانه وتعالى – للبشرية ، يقول الله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ } وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِـلافُ

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) سورة ص ، آية : ٨٢ – ٨٣ .

(٣) سورة الحجر، آية : ٤٢ .

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

(٥) سورة طه ، آية : ١٢٣ – ١٢٤ .

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢١٧ .

(٧) سورة المائدة ،آية : ٥٠ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ٧٠ .

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ } (1) حيث يؤدى ذلك – بطبيعة الحال – إلى وجود علاقات وتبادلات ، بين الأمم والشعوب ، لما فيه رفع مصالح الأمم ، مع بقاء تلك الاختلافات .قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (2) وهذا الصراع وما خلفه من تغاير بشري ، هو ما أراده الله للبشرية ؛ حيث يعقبه تناقص فصراع فحركه ، تتخطى مواقع الركون والسكون والفساد ، وتدفع بالإنسان إلى الأفضل ، وتحقيق المجتمع المؤمن الموحد ، الذي ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى (3) . قال تعالى:{ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (4) وقال تعالى: { وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } (5) وقد يؤدى هذا الصراع – في المنظور الإسلامي– إلى وجود تقاتل ، وإشهار للسلاح والذي يرجع في أصله إلى وجود متغيرات في المجتمع البشري ، في المذاهب والأجناس واللغات ، والبيئات الجغرافية ، وهو أمر لا مفر منه ، إذا ما أريد للحياة أن تتحرك نحو التقدم ، وتجاوز مواقع السكون والفساد (6) . قال تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

---

(١) سورة الروم ، آية : ٢٠ ، ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٣) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥١ .

(٥) سورة الحج ، آية : ٤٠ – ٤١ .

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٤٤ .

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } (١) ، ويكون نهاية هذا الصراع هو تمكين الأمة المؤمنة على الأرض، لإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وهو التدافع المطلوب ، وهو الحكمة والغاية من الخلق ، (٢) وهو الهدف المنشود لتصحيح وتقويم حياة البشرية ، بدل الركون للشهوات ، والغرائز وحب الدنيا. { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } (٣) لأن التلهيُ بالدنيا ، والركون إليها ، يؤدى إلى انتشار الفساد في الأرض قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ }(٤) فوجود التدافع بين الناس لإزالة الفساد أمر هام ، حتى تستقيم الأمور ، فالإنسان بطبيعته تواق إلى التكبر والتعالي ، على أخيه الإنسان. قال الله تعالى: { كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } (٥) وهذا التكبر والطغيان يؤدى إلى الفساد ، ويصل بالإنسان إلى درجة تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله، إلا من هدى الله ، قال الله تعالى: { إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } (٦) فوجود الصراع والتدافع بين الناس أمر طبيعي ؛ لتقف قوة الخير أمام قوة الشر ، للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومجاهدة

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

(٢) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٥٦ .

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٤ .

(٤) سورة الروم ، آية : ٤١ .

(٥) سورة العلق ، الآيات : ٦ – ٧ .

(٦) سورة العصر ، آية : ٣ .

الفساد في الأرض ، أينما كان ، وبأي صورة كان [1] . قال تعالى:{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [2] وكذلك اقتضت المشيئة الالهية بما وهب الله للإنسان من حرية الاختيار بين الهدى والضلال ، أن يتحمل تبعة اختياره ، فتجرى حياته بذلك القدر الرباني ، فيكون التدافع والصراع ، حتى يكون قيام الأمة المؤمنة ، ودحر الأمة الكافرة ، ويكون الدين كله لله .{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [3] قال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [4] وخلقهم هكذا ليبلى هؤلاء بهؤلاء ؛ لحكمة أرادها – سبحانه وتعالى – { ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } [5] من أجل ذلك جعل الله التدافع بين الناس سنة من سننه ، لكي لا تفسد الأرض ، ولكي لا يستقر فساد في الأرض، إن قام به فريق من الناس، قام فريق آخر يدفعه ، فلا يستقر .[6] والأمة المؤمنة أمة واحدة ، منذ آدم عليه السلام ، لها أهدافها وسيرها التي تتطلع إليها، وغايتها لا معبود إلا الله . قال تعالى:{ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [7] وقال تعالى:{ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [8] ومن الجدير

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٥٨ .

(٢) سورة الحديد، آية : ٢٥ .

(٣) سورة يونس، آية : ٩٩ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٣٥ .

(٥) سورة محمد ، آية : ٤ .

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٥٩ .

(٧) سورة الأنبياء ، آية : ٩٢ .

(٨) سورة المؤمنون ، آية : ٥٢ .

بالذكر أن الصراع قد يحصل في الأمة الإسلامية ، و يصل إلى درجة القتال ، لان الصراع لا ينحسر إلا باتباع المنهج الرباني ، ويكون بين المد والانحسار، ولا يزال أبدا لأن الإنسان بشر ، والبشر خطاءون . { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [1] ولكن هذا القتال – وكما يقول محمد قطب [2] – لا يكون مسفاً ولا يكون على سفاسف الأمور ، ولا يهبط بجموع الناس عن قيمهم العليا ، ولا يجعل الناس يخرجون من الإيمان : كما في قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [3] أي أن الصراع في المجتمع المسلم الملتزم يقع خلافاً للأصل، ولكنه موجود ، ولا يبعد جموع الناس عن الإيمان ومقتضياته، ولا يخرجهم منه، بل قد يعودون بعده إلى الأخوة التي تجمع المؤمنين ، ومع كونه خلافاً للأصل ، إلا أنه لا يشغلهم عن القيم الأصلية للمجتمع الإسلامي ، قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [4] في حين يكون صراع الأمة الجاهلية هو الأصل، لأنه من أجل الاستحواذ على متاع الدنيا ، بكل جوانبها ، ومن أجل جمع المال ، والسلطة ، فملئوا الأرض بالحروب التي لا تهدف إلى إحقاق حق ،

---

(١) سورة آل عمران ،آية : ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٦١ – ١٦٣ .

(٣) سورة الحجرات ، الآيات : ٩ – ١٠ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٧١ .

أو إزهاق باطل ، معتمدين في ذلك على طول النفس ، والتفاوت في العدة والعتاد، بقيم فاسدة هابطة ، فهو صراع من أجل الشهوة والغلبة ، والتوسع والعدوان ، ومن أجل السيطرة والسلطة ، والبروز والتعالي ، والتجبر على خلق الله [1] . قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ } [2] ويواجه الإنسان في نظر الإسلام أفراداً وجماعات ، نوعين من الصراع :

صراع داخلي بين الانسان و نفسه ، حيث يقف أمامها ويتحداها للتفوق على قوى الشر الموجودة بداخله ، والتي تدفعه نحو الشهوات والملذات ، وهو جهاد النفس ، ودفعه يدفع بالمسيرة التاريخية للإنسان نحو الكمال المرسوم لها . وجهاد النفس هو القاعدة التي يرتكز عليها قيام وإتمام النعم ، التي وهبها الله للإنسان .{ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [3] { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [4] .

أما النوع الثاني من الصراع فهو جهاد العدوى الخارجي ، الذي هو ماضي مع الأمة المسلمة والإنسان المسلم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، سواء كان سياسياً أو عسكرياً أو أخلاقياً أو اقتصادياً ، وهو الجهاد المنوط بالأمة الإسلامية ، في شكل صراع بين قوى الخير والشر . قال تعالى: { الَّذِينَ

---

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصره ، ص٤٠٤ – ٤٠٥ . وكذا محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص١٦٣ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٧٦ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ١١ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٥٣ .

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ } [١] وأن النصر دائماً يكون من عند الله للفئة المؤمنة قال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢)وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [٢] وهو صراع مع النظم ، ومع الجيوش الكافرة ، لإزالتها عن طريق الدعوة . وهناك نوع آخر يسميهم بعضهم صراعاً، لا يخفيه الإسلام وهو تجاذب وتحاور بين الإنسان وبين الأشياء حوله ، والتي خلقت من أجله ، ليتمتع بها ، ويستحوذ عليها ، ولكن في حدود منهج الله الذي رسمه له ، والذي لا يؤدى إلى درجة الفساد [٣] . قال تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَاده وَالطَّيِّبَات مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [٤] وقال تعالى: { وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } [٥] وفي الحقيقة أن هذا الصراع هو المقصود بالصراع بين الإنسان والطبيعة ، الذي تركز على وجوده كثير من المدارس التاريخية الحديثة [٦] ، وهو ليس صراعاً بمعنى الكلمة، بل هو تدافع وتحاور بين الإنسان والعالم حوله ، ووفق مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فإرادة المولى عز وجل اقتضت وجود ذلك التجاذب والتدافع ، لأن الله لم يكشف للإنسان كل أسرار الكون ، و لم

---

(١) سورة النساء ، آية :٧٦ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ١٧١.

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٢١٢ ،١٦٠.

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٣٦ .

(٦) تعددت الآراء حول علاقة الإنسان بالطبيعة المادة والتراب وكونها عند البعض ضداً مقابلاً للإنسان وأنها تشكل صراعاً بينها وبين الإنسان الصانع الحضارة ، كما في التفسير المثالي – التفسير المادي ، والتفسير الحضاري . انظر عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢٠ .

يكشف له كل قوانينه ، حتى يضعه في موقع السلبية ، فيركن إلى الكسل والقعود، وهذا ما لا يتسق مع مهمة الإنسان على الأرض ، والاستخلاف المرتبط بالإبداع والتحدي ، والتحرك بجدية على الأرض ، واستخدام كل طاقاته التي وهبها الله له لتحقيق الهدف المرسوم له ، باستخدام عقله وإرادته للتغلب على الغموض ومواطن الضعف والتعقيد ، ليصل إلى درجة التقدم والإبداع والوصول إلى الحقيقة ، فلو لم يكن هناك صراع ومدافعة لما وصل الإنسان إلى ما هو عليه ، ولما كان له تاريخ أو سجل يحفظ فيه محاولاته ، يستفيد منها ويفيد، ويضيف عماد الدين خليل [1] " أن أخلاقية الوجود البشرى على الأرض تفرض هذا الحوار الفعال ، بين الإنسان والطبيعة . هو يسأل وهى تساعده على الإجابة بعد بذل جهد حتى يكتشف الروابط والاسرار ، فهى ترفض أن تفسح له أحضانها ، وتلقى إليه بكنوزها .دون بذل عناء أوجهد . معنى هذا أن على الإنسان أن يرفض الكسل والقعود ، ويسعى إلى رزقه وتأمين حياته ، وإحاطة وجوده على الأرض بالضمانات ، التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون عليها ، وأن يمشى ويتحرك وأن يجد ويكد . باستخدام كل الطاقات التي وهبها الله إياه ، من أجل تحقيق هذا الهدف ، وهو أن ترد الطبيعة على جوابه ، وتسلم إليه القيادة ... ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الطبيعة أمام الإنسان تصل إلى درجة التعقيد والصعوبة والغموض ، بل جعلها ميسرة له ، ولكن بشيء من الكد لتفتح له أبوابها " .

قال تعالى: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا

(١) المرجع السابق ، ص٢٠٠ - ٢٠٢. (بتصرف)

تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } [١] ويضيف عبد الحليم عويس [٢] " إن الطبيعة بالنسبة للإنسان مخلوقة من أجله ، وأن جمالها وأهميتها وعطاءها، لا يتجلى إلا إذا سخرها الإنسان وأعمل فيها عقله ويده ، وأنها من غيره جماد وفوضى وتدمير أحيانا { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ } [٣] وقال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } [٤] وأن ما يسمى بالصراع يمكننا تجاوزاً أن نطلق عليه الاستثارة بين الإنسان والطبيعة أو المدافعة ليحيا الإنسان بما ينفعه تحت العناية الربانية . وكيف يكون صراعاً بين الإنسان والأرض التي هيأها الله للإنسان ، وجعلها مسجداً له ، كيف يكون صراعاً !! وكل ما فيها يسبح له . يقول الله تعالى: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [٥] وخاتمة المطاف فإن الصراع في الحقيقة هو صراع بين قوى الشر في الكون، والتي لا تتوانى في تأليب ودفع الإنسان نحو الهاوية والدمار [٦] ، وبين قوة الخير الممثلة في الأمة المسلمة ، صاحبة البناء والتعمير ، وتحقيق الغاية من خلقها ، وتحقيق الاستخلاف يقول الله تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ١٠،١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٠ – ٢٢١ .

(٣) سورة لقمان، آية : ٢٠ .

(٤) سورة إبراهيم ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٦) محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٣هـ، ص٧٣.

تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } [(١)] وأما باقي الصراعات فما هي إلا حلقة في سلسلة التاريخ الإنساني ، تخص علاقاته مع الكون حوله ، كما يصورها التفسير الإسلامي للتاريخ ، صراع مبنى على خط قائم ، للوصول إلى الوئام والانسجام ، والتكامل والوفاق ، والتجانس والالتحام ، بين الروح والمادة ، وبين العقل والقلب ، وبين الأرض والسماء [(٢)] .

سمات التفسير الإسلامي للتاريخ :

إن من أبرز سمات التفسير الإسلامي للتاريخ البعد الغيبي الذي يمثله الإيمان المطلق بالله الذي لا تدركه الأبصار ، وآمنت به الأفئدة والعقول ، عن طريق رسله وأنبيائه الكرام الأخيار ، والذي تضاء به المسيرة التاريخية ، على الأرض ، وتتطلع لحكمه في الآخرة ، إما بالنعيم المقيم ، أو العذاب المستديم ، في يوم البعث والنشور ، ومن ثم الحساب والجزاء ، فالجنة أو النار . وبذلك يتعدى التفسير الإسلامي التاريخ الزمني المحسوس في المسيرة التاريخية ، بماضيها وحاضرها ومستقبلها، إلى مرحلة ما بعد الموت، حيث الحقيقة الخالدة ، التي لا ينفلت منها إنسان ، ويرى الإنسان نتيجة كده ، ومثابرته في البتكار والإبداع ، والعمل في رعاية الله . ووفق منهاج الله، دون شرود ، وركون للغرائز والشهوات التي تنحيه عن طريق الخير والحق ، إلى طريق الشر والباطل [(٣)] . قال تعالى: { الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } [(٤)] وإن التفسير الإسلامي للتاريخ عندما يلقي الضوء

---

(١) سورة يس ،آية : ٦٠ - ٦٢ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٣٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٥ - ١٣٧ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ١ - ٣ .

على الحادثة التاريخية ، فإنه ينظر إليها بانفتاح تام ، مستمد من الوحي الرباني ، الذي يعلو الزمان والمكان ، برؤية شاملة ، للحدث بأبعاده الزمنية المختلفة ، في الماضي والحاضر والمستقبل ، وبمرونة كاملة دون أي ضغوط ، أو تأزم مذهبي ، ودون أي تبديل أو تزييف ، لأنها في نظره واقعية من صنع الله ، ولا يمكن فصلها بأبعادها الزمنية المختلفة ، منذ بدء الخليقة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها [1] . وبذلك يصور التفسير الإسلامي للتاريخ ، الحياة طريقاً مستقيما ، منذ بدء الخلق وحتى يوم الحساب ، طريقا لا تفصله الجزيئات ، فلا يفصل الماضي عن الحاضر ، ولا الحاضر عن المستقبل ، بل يكمل بعضها البعض ، في المسيرة التاريخية للإنسان، وأن الإنسان مسئول مسئولية تامة أمام ماضيه وحاضرة ومستقبله ، وعليه أن يتعظ ويعتبر ، ويعمل ويكد ، ليسير حياته نحو طريق الخير والنور ، فالدنيا في نظر الإنسان المسلم بمثابة قنطرة إلى الدار الآخرة، حيث القرار بعد الجزاء والحساب ، فإما الجنة وإما النار [2] { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [3] وقال تعالى: { يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ } [4] وهكذا تبرز المشيئة الربانية على رأس العوامل والأسباب ، التي تجري في التاريخ، فتحرك الإنسان والأشياء ، بفعل الخالق المدبر المتصرف ، ووفق النظم والقوانين، والسنن الكونية ، التي وضعها ، لتحكم المسيرة البشرية بكل مراحلها ، وأن الكون وما عليه موضوع ومقنن ومدقق ، وفق تلك السنن، وأن التاريخ الإنساني وعناصره لم يكن عقيماً ، ولا خاليا من النظم ، ولا مليئا بالمتناقضات ،

---

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٠ - ١٤ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٤) سورة المجادلة ، آية : ٦ .

والعبث العشوائي ، الذي لا يصل إلى غاية وهدف [1] ، وأن تحقيق المشيئة الربانية يأتي من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان ، على الأرض ، والمقدر من عند الله بسنن معينة ، يجرى بها قدره في الحياة ، ووفق قدراته وتطلعاته ، لتحقيق ذاته، ولكونه مخلوقا ، ليس للأكل والشراب ، والاستحواذ والمتاع والسيطرة [2] ، بل مخلوق لغاية ، هدفها تحقيق عبوديته لله على الأرض . **ومن سماته أن** الواقعة التاريخية تنبع بشكل متوازن ، بين الفرد والجماعة ، فبقدر الأهمية التي يوليها للأفراد في تغير الحركة البشرية ، كما في أنبياء الله ورسله . فانه لا ينقص دور الجماعات ، والأمم والشعوب في ذلك التغير، فلا يستطيع الفرد أن يقوم بتغيير وجه التاريخ ، في شكل المُوَحَّد الذي تجمع عليه الآراء كما في هيجل ، ولا الجماعات تستطيع وحدها أن تغير مجرى التاريخ بتحولها الطبقي أو الجماعي . كما عند ماركس ، بل إن التفسير الإسلامي للتاريخ يجعل التوازن قائما بين الفرد والجماعة ، حتى لا يطغى شق على آخر [3] . قال تعالى: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } [4] وقال تعالى: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ } [5] والتفسير الإسلامي للتاريخ يهتم اهتماما كبيراً بإظهار مشيئة الخالق – سبحانه وتعالى – في مسيرة الحركة البشرية ، وإبراز دور فترات الهدى ، ودعوات الله على يد أنبيائه ورسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [6].

(١) محمد رشاد خليل : المرجع السابق ، ص١٠٠ – ١٠٣ .

(٢) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص١٣ .

(٣) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص١٦٦ – ١٦٨ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٣ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ١٣٤ .

(٦) محمد قطب : المرجع السابق ، ص١٧ .

وأن التفسير الإسلامي يرفض مبدأ الحتميات في المسيرة البشرية ، بما وهب الله الإنسان من إمكانيات يحقق بها استخلافه على الأرض ، وبكل الحرية اللازمة لتطبيق ذلك [1]. قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [2] ، مع الأخذ في الاعتبار أن التفسير الإسلامي للتاريخ لم يقلل من شأن العنصر المادي (الاقتصادي) في حياة الإنسان لأنه مسخر من عند الله ، ليكمل مسيرته ، أفراداً وجماعات ، إلا أنه لا يعتبر العنصر الرئيسي الذي ترتبط به الحياة [3] . قال تعالى:{ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } [4] . وأن كل إنتاجه المادي والفكري يجب أن يكون خاضعا للتوجيه الرباني ، بشتى أنشطته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتشريعية ، وأنه على قدر ترابطه مع المنهج الرباني يكون الحكم على المجتمع ، وإبراز دوره ، وأن الإنتاج المادي وحده لا يشكل صفة منفصلة عن علاقة الإنسان بالله . وهكذا يفسر التاريخ في التصور الإسلامي بكل أمانة وصدق ، ودون إخفاء لأي جانب من جوانبه ، وبالوصف الذي يستحق ، مع إبراز دور الإنسان المستخلف في الأرض ، وأن معيار إنجازاته هو مدى تحقيق الغاية من خلقه ، أما باقي إنتاجه الحضاري فلا يشكل المقياس الذي يضع الإنسان في مرحلة التقدم أو التحضر ، فما هو إلا جزء من مهمته في الأرض [5] . قال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

---

(١) نفس المرجع ، ص١٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٤٧ .

(٤) سورة النساء ،آية : ٥ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٤٤ -٤٥ ، ٥٠ - ٢١٢،٥١ .

وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ } (١) .

ومن سمات التفسير الإسلامي للتاريخ انقسام المجتمعات الإنسانية إلى أمتين (٢): أمة مؤمنة، وأمة كافرة قال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } (٣) ، والمقياس هو الإيمان بالله ، وليس المقياس من حيث التقدم المادي والفكري ، أو من حيث الضعف والقوة (٤) . فالأمة المؤمنة من آدم عليه السلام ، وحتى محمد عليه الصلاة والسلام ، أمة عاشت تتبع أنبياء الله ورسله ،

---

(١) سورة ص ، آية : ٢٧ .

(٢) جاءت لفظة أمة في القرآن الكريم بالمعاني التالية :-

أولاً : معنى جماعة كبيرة من الناس أو الحيوان قال الله تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ } سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

ثانياً : جماعة صغيرة ، قال الله تعالى: { وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ } سورة القصص ، آية : ٢٣ .

ثالثاً : بمعنى إماماً قدوة يقتدي به الناس لما فيه صلاحهم قال تعالى: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة النحل ، آية : ١٢٠ .

رابعاً : تأتي بمعنى مدة من الزمن قال تعالى: { وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } سورة هود ، آية: ٨ .

خامساً : أمة بمعنى جماعة متميزة في دينها ، قال تعالى: { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء } سورة النحل، آية : ٨٩ .أو مجموعة من الناس على منهج واحد في الحياة قال تعالى: { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ } سورة الزخرف ، آية : ٢٢ . انظر

عمر فروخ : المرجع السابق ، ص١١٤ – ١١٦ .

(٣) سورة التغابن ، آية : ٢.

(٤) محمد قطب: المرجع السابق ، ص١٨-١٩.

وعاشوا حياتهم متبعين للمنهج الرباني ، ووفق سنن الله ، فشكلوا المجتمع المسلم ، على مر العصور والدهور ، وآمنوا بعقيدة واحدة ، على مدار التاريخ ، مضمونها أنه لا معبود بحق إلا الله ، فهو الخالق والمستحق للعبادة وحده ، وآمنوا بما أنـزل إليهم ، وآمنوا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وساروا على منـهج الله ، وشكلوا أمة واحدة غايتها تحقيق العبودية لله . قال تعالى: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [1].هذه هي أمة الإسلام ، علـى مـر العصـور والدهور، أمة لا ترتبط برابطة الدم واللغة والأرض ، ولا ترتبط بالعادات والتقاليد والثقافة ، ولا تقاس بالعوامل المادية والاقتصادية ، بل هي أمة تقـاس بوحدتها العقائدية وتصورها عن الله والكون [2] . فالأصل في البشرية كما يصوره التفسير الإسلامي للتاريخ هو الإيمان والإسلام ، ولا ينفي ذلك وجود بعض الاختلافات ، وبعض الانحرافات والتراجعات من قبل الإنسـان بـالبعد عـن شـرع الله ، فيتداركهم الله سبحانه وتعالى بلطفه ، فيرسل بين الحين والآخر الأنبياء والرسل ؛ لتصحيح المسار ، وتجديد الدعوة ، لأن الأصل فيها ثـابت ، وهـو إخـلاص العبادة لله الواحد القهار [3] . فمنهم من هدى ، ومنهـم من ضل عـن الخـير والحـق ، والانقياد لطاعـة الله ، وعصـى أمـره ، وبـدل ديـن الله ، وانغمـس في براثن الشرك ، وعبادة الطواغيت من الإنس والجن .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٩٢ .

(٢) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي قبل البعثة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، المكتـب الإسـلامي، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٥م ، ص١٥ - ١٩ .

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٢٢٠ - ٢٢١ .

وعلى ذلك فإن من أبرز سمات التفسير الإسلامي للتاريخ ارتباطه بالدين [1] ارتباطا وثيقا منذ آدم عليه السلام ، وإلى أن يوث الله الأرض ومن عليها ، والدراسة التاريخية تكون عقيمة إذا ما تخلت عن أهم شروطها ، وهو ربطها بالناموس الإلهي ، أو بالمنهج الرباني، وأن تفسير الأحداث التاريخية بمعزل عن المنهج الرباني يجعل التاريخ مجرد سرد لأحداث ووقائع ، يصعب معها إعطاء تصور كامل ، للحياة والكون ، والسنن التي تحكم حياة البشرية ، أفراداً وجماعات ، لافتقاده للقاعدة الأساسية التي يتمشى بها المؤرخ لمعرفة مدي التزام الإنسان بمنهج الله ، أو البعد عنه ، ومن ثمة الوقوف على الصراع القائم بين حزب الله ، وحزب الشيطان ، وأثر ذلك على المسيرة التاريخية ، ومعرفة حكم الله فيهم ، وفق سننه من حيث الطمأنينة والتمكين ، أو الهلاك والتدمير والتبديل، بحكم الله الذي ارتضاه لعبادة [2] ؛ فقد ارتبط الدين بمختلف أنشطه الإنسان ومعاملاته [3] حيث أدرك الإنسان ، ومنذ اللحظات الأولى من خلقه ، أن الله هو الخالق والقادر ، وهو المستحق للعبادة { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [4] وهذه الفكرة في حالة تجدد مستمر ، بتوجيه الله ، وتحت عنايته — سبحانه وتعالى — على يد رسله الكرام ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، الذين يُبْعَثُون بين الحين والآخر ، لتذكير

---

(١) الدين ، " اسم جامع لكل ما يعبد به الله ، وهو الملة وهو الإسلام وهو اعتقاد بالجنان ، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح " . انظر المعجم الوسيط ١ / ٣١٧ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٧ – ١٨ .

(٣) عمر فروخ : المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢ .

الناس بربهم ، وتجديد العهد به قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (١) وقال تعالى: { رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ لا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } (٢) وقال تعالى: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ } (٣) فإن رسالات السماء قد حافظت على الإنسان وشعوره الدائم بالوحدانية ، وعبادة الله الواحد القهار (٤) ، ومع ذلك فهناك فترات من الانحراف عن شرع الله ، بالتوجه إلى تصور ديني خاطئ ، يدفع بالإنسان إلى طريق الضلال والانحراف ، بتصورات لا تليق بخالق الكون والمتصرف فيه (٥).

فعندما تغيب الرؤية الإيمانية لدى الإنسان ، المبنية على الإيمان الغيبي بالله ، وتصل إلى مستوى فكرى ملموس ، لا يؤمن فيه الإنسان إلا بالمحسوس، نتيجة لطول الأمد بين فترة هداية ، وفترة هداية أخرى ، حين تضل الفطرة عن الوازع الديني المفطور عليه الإنسان والذي يجد فيه الإنسان القوى لحماية عنصره ومجتمعه ، خاصة من العوامل البيئية ، كالعواصف والفيضانات والأمراض المعدية والحيوانات المفترسة ومن شتى المصاعب ، التي تواجه حياته، فيجد ذلك بفطرته في الله ، وبمساندة رسله الكرام . أما إذا ما غاب الدين الصحيح ، جعل الإنسان لنفسه وبعقليته أشكالا عدة من المعبودة ، ليضمن لنفسه الخائفة ، التي تعيش

(١) سورة النحل، آية : ٣٦ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٦٥ .

(٣) سورة فاطر، آية : ٢٤ .

(٤) إن الديانات السماوية قد اختصرت الطريق على الناس وقدمت لهم أشواق فطرهم وحقائق إنسانيتهم وغذاء أرواحهم دون أن تتركهم يعبرون وحدهم رحلة الوصول إلى الحقيقة خشية أن تتكاثف عليهم ضغوط فتضلهم عن طريق الفطرة وتقودهم إلى متاهات الضياع وتتحول أعمار الإنسانية المحدودة إلى جهود نصف صائبة على أقل تقدير بحثا عن الدين الحق . انظر

عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(٥) نفس المرجع ، ص٥٤٠ .

في حالة من الفوضى والانحراف ، الراحة والأمان . وفي حالة ضعف إنساني ، يجعل له حاله تدين نابعة من أفكاره ، ومن أساطير يصوغها ، من عاداته وتقاليده، ليشبع الصراع الذهني ، والروحي لديه ، الظاهر منها العجز الكامل ، عن تصور صحيح لله ، خالق الكون من حيث ، إن العقل وحده لا يكفي ، لحماية الإنسان من الوقوع في الأخطاء والانحراف ، إلا بهدى الدين الصحيح ، الذي يعطى الإنسان المنهج القويم لفهم الأسباب والمسببات ، وعبادة الله عبادة صحيحة ، وتصحيح مسار حياته على الأرض ، فردا وجماعة ، وتجديد الأمل في الدنيا التي كثرت فيها المحن والظلمات ، والنظر إلى الآخرة وما ينتظر المؤمن .

هذا وإن من الصعوبة بمكان ، وجود حضارة بشرية ، بغير أن يكون هناك تصور ديني لها ، سواء كان صحيحاً أو من خلق البشر ، لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها ، والتي تشكل جزءا من تكوينه ، يحسه ويلمسه في كثير من أحواله الاجتماعية والفكرية ، وكذا في أشواقه وآماله ، فعلى مدى صحة اعتقاده، يكون إدراكه للدنيا التي يحيا فيها ، وتفهمه لأسرارها وتحديد سلوكه في الحفاظ، أو عدم الحفاظ على ذاته وحضارته،من حيث ازدهارها أو تدميرها (١) .

وفي التصور الإسلامي وكما دلت الشواهد القرآنية أن الإنسان مفطور على الدين منذ ميلاد البشرية . فكان آدم عليه السلام أباً للبشرية ونبياً كريماً ، استخلفه الله على الأرض هو وأبناءه ، وفي رعاية الله وكنفه بنى حضارته ، فكان دينه الإسلام، قال تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ } (٢) وحمل الرسالة من بعده أنبياء الله ورسله الكرام ، حتى كان خاتمة المطاف على يدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث شكل آدم عليه السلام وبنوه نواة للمجتمع البشري ،

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٥١ - ٥٤ ، ٨١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢.

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .

المفطور على الإسلام ، وشكلوا بداية تاريخ الأمة المسلمة [1] قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [2]

فكان خلق الله – سبحانه وتعالى – جميعاً مفطورين على التوحيد والإسلام، فقد جاء عند ابن تيميه في (اقتضاء الصراط المستقيم) [3] أن المفهوم من قوله تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [4] أن ذلك يعني عامة الناس ، الأولين والآخرين ، بأن الدين عند الله الإسلام ، قال تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ } [5] ، أي أنه الدين الكامل الذي أتم جميع الرسالات ، ونفى أي دين عداه [6] ، وهو الدين الذي جاء به أنبياؤه ، وعليه سار عباد الله المؤمنين ، ويستدل على هذا بما ذكره الله – سبحانه وتعالى – في محكم آياته، على لسان رسله الكرام ، بدءاً من نوح عليه السلام . قال تعالى:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ

---

(١) جمال عبد الهادي محمد ، ووفاء محمد رفعت : الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء ، الطبعة الأولى، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٦هـ ، ص٣٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات : ١٧٢ – ١٧٣ .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، دار الحديث ، بدون تاريخ ، ص٤٠٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .

(٦) جميل عبد الله محمد المصري : الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ، " زمن الدولة الأموية " ، دار أم القرى ، عمان ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٧ .

تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّـهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [1] وعلى لسان إبراهيم عليه السلام قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [2] وعلى لسان يعقوب عليه السلام : { أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [3] وعند موسى { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ } [4] وعلى لسان سليمان عليه السلام قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ } [5] .وقال تعالى: { قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [6] وعلى لسان الحواريين اتباع عيسى عليه السلام { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [7] وهكذا يتضح أن جميع الرسل كلفوا برسالة واحدة ، موضوعها لا معبود إلا الله وحده ، منذ نوح عليه السلام ، وحتى محمد عليه الصلاة والسلام .

---

(١) سورة يونس ، الآيات : ٧١-٧٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٦٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٣٣ .

(٤) سورة يونس ، آية : ٨٤ .

(٥) سورة النمل ، آية : ٤٢ .

(٦) سورة النمل ، آية : ٤٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٥٢ .

قال تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } (١) وقال عليه الصلاة والسلام : " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . " (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي " وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (٣) وعنه صلى الله عليه وسلم قال : " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، قالوا كيف يا رسول الله قال : الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس بيننا نبي " (٤) والمعنى كما يذكر ابن كثير (٥) : في شرائعهم ، وإن اختلفت في الفروع ، ونسخ بعضها البعض ، حتى انتهى الجميع إلى ما شرع محمد عليه الصلاة والسلام ، إلا أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد ، أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (٦) .

فأولاد العلات أن يكون الأب واحداً ، والأمهات متفرقات ، فالدين بمنزلة

---

(١) سورة الشورى ، آية : ١٣ .

(٢) مسلم الصحيح ١٥ / ٥١ .

(٣) الزبيدي مختصر صحيح البخاري ١، ٢ / ٣٢٣، ٣٢٤ الحديث رقم ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ .

(٤) المنذري : مختصر صحيح مسلم / ٤٢٩ .

(٥) ابن كثير : التاريخ ٢ / ١٥٣ – ١٥٤ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

الأب، وهو التوحيد ، والأمهات بمنزلة الشرائع ، في اختلاف أحكامها . يقول الله تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [١] والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها ، إلا أن الجميع أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو دين الإسلام ، الذي شرعه الله لجميع الأنبياء . وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة . كما قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ } [٢] ويقول ابن تيميه [٣] : إن الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ، ويتضمن الإخلاص ، المأخوذ من قول الله تعالى: { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً } [٤] فلابد في الإسلام من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه ، وهذه حقيقة قولنا: "لا معبود إلا الله" فمن استسلم لله، ولغير الله، فهو مشرك . والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر ، عن عبادته . والإسلام هو دين الفطرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" [٥] بل تتعدى النظرة الإسلامية في الإسلام الإنسان إلى الكون كله،بأنه مسلم لله،لأن الله هو الخالق لكل شيء [٦] . قال تعالى:{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [٧]

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص٤٠٨ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٢٩ .

(٥) الزبيدي مختصر صحيح البخاري ١ / ١٥٩ الحديث رقم ٦٨٠ .

(٦) جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت :المرجع السابق، ص٢٨ - ٣٤ .

(٧) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (١) وقال تعالى: { وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ } (٢) وقال تعالى: { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان } (٣)

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } (٤) وقال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (٥) وعن أنس بن ماللك رضي الله عنه قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً وبدا له أحد ، قال : "هذا جبل يحبنا ونحبه" (٦) وعن جابر بن سمره – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله عليه وسلم : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن (٧) .

خاتمه :

وقبل أن نختم هذا المبحث يجدر بالدارس التعرف على نظرة الغرب

(١) سورة النور ، آية : ٤١ .

(٢) سورة الرعد ، آية : ١٣

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٦ .

(٤) سورة الحج ، آية : ١٨ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

(٦) الزبيدي مختصر صحيح البخاري ١/ ٢٨٤ الحديث رقم ١٢٤٨ .

(٧) المنذري مختصر صحيح مسلم / ٤٠٣ الحديث رقم ١٥٢٨ .

للتفسير التاريخي ، حيث وضع الغرب تحت مسمى الفلسفة التاريخية تفسيراً للحياة البشرية ، وجعلوا لها مناهجها ، ومذاهبها المختلفة ، وتوسعوا في وضع الأسباب، وتعليل الحوادث ،حتى وصل بهم الأمر إلى جعل التاريخ ، وتفسيره للكون ، في مترلة صانع لتلك النظم ، التي تحكم البشرية ، وانطلقوا بأفكارهم وأهوائهم التي لا تستقى من منبع واحد ، أو عقيدة ثابتة ، بل على ما تراه عقولهم، وأهواؤهم ورغباتهم ، وثقافاتهم ، فاندفعت في الساحة التاريخية نظريات فلسفية عدة ، لتفسير التاريخ وهى نظريات وضعية [(١)] . وحيث أنه من الصعوبة بمكان على الدارس وضع حصر شامل لتلك المذاهب الوضعية حول التفسير

---

(١) محمد بن صامل السلمي : المرجع السابق ، ص١٥٨ .

ويقصد بالوضعية أي من فعل الإنسان ، ولم تصنع من بوتقة التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ، وإذا كان هناك بعض النظريات التي اقتبست بعض أفكارها من التوراة والإنجيل فجاءت دراستهم في التفسير التاريخي منطلقة مما جاء فيهما من أحداث وأخبار وعلى سبيل المثال (جيوفاني باتيستافيكو) الذي جعل محور دراسته في التاريخ ما جاء في التوراة من قصص ، وجعل من الشعوب العبرانية محور دراسته ، ونظم تفسيره ذلك في حوالي مائه مسلمة ، لا تقبل المناقشة لتفسير الأحداث التاريخية ، منها أن الجنس البشري ينقسم إلى نوعين ، عمالقة أو أناس ذوي قامة متوسطة ، أو أمميين وعبرانيين ، وأن النوع الأول تربيتهم حيوانية والنوع الثاني تربيتهم إنسانية .وجعل من العبرانيين ذوى أصول وصفات إنسانية ، تختلف عن الأمميين ،وذلك كما يرى بفعل الله حتى يميز العبرانيين عن باقي الأمميين ليحققوا بذلك كونهم شعب الله المختار وأنهم أقدم شعوب العالم وأن إظهارهم أو عدم إظهارهم كان بفعل الهي حتى لا يختلطوا مع الأجانب أي الاممين وقسم فيكو التاريخ إلى ثلاث مراحل :-

أولاً : دور المعبودة ، حيث كانت الشعوب الأممية تعيش في ظل حكومات تشرع قوانينها وفق ما تعتقد أنها مشيئة ربانية وذلك عن طريق الروحاء الدينية (الزعماء الدينيين) أو وحي الكهان .

ثانياً :دور الأبطال حيث الحكم يبدأ بأبطال أشداء ومحاربين كما كان ذلك خلال العصور الوسطى .

ثالثاً : دور البشر والاعتراف بسواسيتهم وظهور الأنظمة الديمقراطية . انظر أحمد محمود صبحي : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦٥ .

التاريخي وإظهار آرائهم وما تأثروا به وجمعوه إلى آرائهم من الديانات السماوية السابقة . فإن من أشهر تلك النظريات في التفسير التاريخي . نظرية التفسير المثالي، والتفسير المادي وكذا التفسير الحضاري. فالتفسير المثالي أو الهيجلي ينسب إلى ، هيجل جورج فلهلم فردريك HegeL Georg Wilhelm Friedriek (١٧٧٠-١٨٣١م)وتستند نظريته على أساسين : الميتافيزيقيا (الغيبيات) والمنطق المطابق للميتافيزيقيا . أي المنطق منهاجاً ، والميتافيزيقيا موضوعاً ، وأنهما لا يستقلان أبداً ، فالتاريخ في ظاهره أحداث ووقائع ، تبدو في حالة من الفوضى والعبث ، تسير دون غاية أو هدف ، وباطنه الروح ، التي تجعل مساره محكماً معقولاً ، على يد أفراد أو جماعات ، يستخدمها المنطق لتحقيق أغراضه . وأن منطق التاريخ ومظاهر الوجود عنده تستند على صراع الأضداد ، أو النقائض ، التي تعتبر مصدر الحركة والحياة ، فكل جوانب الحياة الإنسانية لها نقائضها ، فالحياة بعدها الموت، والرخاء في الاقتصاد يؤدى إلى التضخم ، والفوضى السياسية تؤدى إلى الاستبداد،وعلى ذلك فإن الأحداث الحاسمة في التاريخ، لم تكن نتيجة لفعل واع ، أو حر من قبل الإنسان ، بل هي دوافع ورغبات ، تنفذ بواسطة أفراد تكمن وراءهم الروح ، أو القوة الالهية ، لتطبقها على البشرية ، بفعل أولئك الأفراد والأبطال ،الذين يجعلون من الدولة الوحدة الرئيسية . فجعل مجال الدراسة التاريخية في صورتها الواقعية ، يكمن في الروح وهي الفكرة الآلهية ، المتجسدة على الأرض ، وأن أي نشاط بشري ، أو عمل فكري ، إنما يتحقق من خلال الدولة وأنظمتها [1] . وأن حركة التاريخ تدور في كل عصر ، في وحدة تمثل مجموعة من الأنشطة البشرية ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وكل وحدة من تلك الوحدات تتعايش مع بعضها البعض

---

(١) أحمد محمود صبحي : المرجع السابق ، ص٢٠٦-٢٠٨،٢١٠-٢١١.

فتره زمنية ، تنشأ بينهما وحدة جديدة ، تتميز وتتفرد ، فتتوالد منها وحـــدات أخرى جديدة ، تدخل في صراع ، ينتهي ببداية عصر جديـــد [1] . ويســتمر الصراع دائما فتتحد المبادئ المتناقضة ، في وحدة تحت موحد ، يندفع إلى أقصى ما يصل فينشأ صراع جديد ، يولــد موحــداً آخـــر ، حــتى يصـــل إلى المطلــق[2]. ويتضــح من هذا كــله أن التفسير المثــالي ، يصــور الإنسان في حالــة صــراع دائــم ، مع قــدر الله ، يريد أن يثبت ذاته فقد ينجح ، وقــد يفشل، غايته الحياة الدنيا والاستمتاع بطيباتها، وهدفه الســيطرة والاســتحواذ عليها، وبذلك يسجل تاريخه وينشئ أفكاره وعقائده ، وأنماط ســلوكه ، مــن خلال الفرد، أو من خلال الوجود الفردي في المجتمع، فدوافع الإنسان هي الــتي تسجل تاريخه ، مع إهمال العنصر الديني والأخلاقي من حياته وفي تفسير تاريخــه وإنجازاته، وكذلك إهمال فترات الهدى في تاريخ البشرية [3] ، ومن الجدير بالذكر أن الهيجلية وضعت للإنسان حرية للاختيار ، ولكنها حرية في رأيــه لا تخضــع لسنن وقوانين ، بل هي طريق مرسوم من قبل الموحد ، دون حتمية في تصرفاته ، بل هي حرية تندفع من قبل الموحد ، أو المطلق لخلق النقائض ، وعلى أثرها يبــدأ التكوين مــن جــديد [4]. أما التفسير المادي فينسب إلى كارل مــاركس Karl Marx (١٨١٨-١٨٨٣م) الذي بنى نظريته على الجدلية التي وضع أسسها هيجل في تفسير التاريخ ، بل إن نظريته في التفسير التاريخي والتي عرفت بالتفسير المــادي للتاريخ ، نسجت بآراء كثير من الباحثين [5] . حيث يصور مــاركس التــاريخ

(١) أحمد عطية رمضان : فلسفة التاريخ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص١٥٦ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٣ .

(٣) محمد قطب : المرجع السابق : ص١٢-١٣،٤٩،٦٩.

(٤) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٥) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٤٠ .

مجموعة من الأعمال التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره ، وأن الطبيعة هي التي تنتج البنية التاريخية ، وهي التي تدفع بالعقل لتعميرها وفهم أسرارها [(١)] ، وأن التغير في حياة الإنسان ناتج من واقع التغيرات الاقتصادية ، أي المادية ، أي كما تخيل هيجل أن التغير مرتبط بالإرادة وأنها مجرد انعكاس لما تمليه الروح أو المطلق ، وكما أن هيجل يرى : أن الصراع ناتج عن صراع المتناقضات ، يرى ملوكس : أن الصراع واقع لا محالة ، ولكن ناتج من أحوال الناس وأفعالهم وهو مبني على التغيرات الاقتصادية التي تجري بالإنسان [(٢)] .وهكذا يرى كارل ماركس : ربط الإنسان ونشاطاته المختلفة بالدوافع الاقتصادية، وأنها هي التي تحدد الصفة لمعظم أنظمة حياته ، الدينية والأخلاقية أو السياسية والاجتماعية ، وأن أي تغيير في تلك النظم ناتج عن التغيير الاقتصادي [(٣)] ، وهو بذلك يصنع من العامل الاقتصادي العامل الرئيسي والفعال في تغيير وبلورة الأنظمة الاجتماعية ، وإذا كان يضيف إلى ذلك العامل عاملا آخر ، أقل أهمية منه ، ولكن مكمل له ، وهو عامل العمل والإنتاج ، الذي يقع عليه دور تكييف الواقع الاجتماعي فتغيير وسائل الإنتاج ، ينتج عنه تغيير في العلاقات ، الدين والأفكار والأخلاق ، وأن العلاقات الاقتصادية هي التي تخلق الصراعات المختلفة ، بين طبقات المجتمع (الملاك ، والعمال) ، وأن التاريخ سجل للصراع الجماعي ، في شكل الطبقات المختلفة ، وأن الإنسان منذ أن وجد على الأرض يجاهد من أجل أن يحيا ضد الطبيعة ، وضد أخيه الإنسان ، وهو مرهون بتصرفاته لدوافع الطبيعة [(٤)] . أي أن الأوضاع المادية والاقتصادية ، التي أوجدتها الطبيعة هي التي تشكل أفكاره

---

(١) أحمد عطية رمضان : المرجع السابق ، ص١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٣) محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة ، ص٢١٨ .وكذا عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص٢١٠ .

(٤) أحمد عطية رمضان : المرجع السابق ، ص١٨٦ - ١٩٤،١٩٥ .

وعقائده ، وأنماطه وسلوكياته ، وذلك من خلال الصراعات المختلفة ، بين الإنسان والطبيعة ، في شكل أطوار حتمية ، لا اختيار للإنسان فيها ، ولا قبل له بالخروج منها ، ولا يتقدمها ولا يتأخر عنها [1] . ووصف حياة الإنسان على الأرض بمراحل . أطلق على المرحلة الأولى : مرحلة المشاعية الأولى ، التي لم تعرف ملكية فردية ، وأن الحياة فيها تتركز على الملكية الجماعية ، حيث عاش فيها الإنسان سعيداً متعاوناً ، يسير حياته بكل هدوء واستقرار ، ومع ظهور الأسرة بدأ الوضع ينقلب رأساً على عقب خاصة وأنه توصل للزراعة ، فأصبح الأب هو سيد الموقف والمتسلط على مجريات حياة أبنائه وزوجاته ، والمتصرف الأوحد في أملاكه ، فظهرت الملكية الفردية ، ومع انتشار ظهور الزراعة ظهرت قبائل قوية ، أخضعت قبائل أخرى ضعيفة واستعبدتها لنفسها، عن طريق الدَّين أو الحرب بالقوة والغلبة [2] . وعندما توصل الإنسان للمحراث ، بدأ عصر جديد يسمى بعصر الإقطاع ، حيث زادت مساحة الأرض الزراعية وزاد بروز الملكية الفردية بالتوسع في الأرض الزراعية ، التي تحتاج إلى الرجال لخدمتها ، فزادت طبقة العبيد ، فنشأ نظام الإقطاع ، ثم كان ظهور الآلة ، فظهرت الرأسمالية ، فتحول الإقطاع الزراعي إلى رأسمالي ، فأصبح من يملك المال يملك النفود والبطش، والتجبر على الأرض .

وخاتمة المطاف في نظرة المشاعية الثانية والأخيرة ، والتي تشكل نتيجة حتمية للصراع ، الذي نشب بين أصحاب رؤوس الأموال والعمال ، وأسفر عن إنتاج مشترك بين الاثنين . وبالنسبة للدين فقد رأى ماركس أن الدين من صنع الإنسان حيث أن الحياة الاجتماعية في عهد المشاعية الأولى والرق

---

(١) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، ص١٢ .

(٢) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص٢٨٧ .

والإقطاع تعتمد على الاقتصاد الزراعي ، وحيث إن الإنسان خلال تلك العصور، لا يملك إلا أن يضع البذور ، والانتظار ، لأنه لا يملك التحكم في إنمائها وحمايتها من الآفات ، وعوارض الجو، وبناء على ذلك افترض وجود قوة خفية غيبية ، نسب إليها القدرة لحماية نباته ، ومن هنا بدأت حالة التعبد لتلك القوة الخفية ، وقدم إليها القرابين . أما في الرأسمالية والمشاعية الثانية فقد نسي الدين ؛ لأن اقتصاده ارتبط بالآلة ، التي تحدد مكسبه وخسارته ، وتمكنه من تحديد إنتاجه [1].

ولا تعترف الماركسية بوجود معبود خالق، ولا بوصفه غاية تسير إليه أمور الإنسان [2] . والمادية التاريخية التي فسر ماركس عليها نظريته تجعل من المادة محور الدراسة التاريخية بكونها المنتجة لما في الكون ، وهي الخالقة له ، بدءاً من خلق الإنسان وحياته وفكره ، وأنها تحكمه بقوانينها ، وتكيفه بوضعها الاقتصادي ، وهي صاحبه القرار في نقله من طور إلى آخر وهي التي تهيئ له مشاعره ، وأنظمة حياته [3] وأن الإنسان في نظره من صنع المادة حيث استمد ماركس نظريته من نظرية دارون في التطور [4] والتي تتلخص في أن الطبيعة تخلق كل شيء ، ولا حدّ لقدرتها على الخلق ، رغم أنها أي الطبيعة تتخبط تخبطاً عشوائياً ، دون أي غاية، أو هدف بهذا الخلق ، الذي تحيط به ظروف مادية عدة تتحكم في حياته ، وتؤثر فيه ، دون أي حرية أو مقاومة منه ، في اختيار طريقة المفروض عليه من خارج كيانه ، وأن الإنسان أو الحيوان مخلوق من كائن وحيد الخلية ، وأن خلقه لم يكن خلقا قائما بذاته ، بل هو نهاية سلسلة طويلة من التطور الحيواني ، المحكوم بالظروف المحيطة به ، وأن الإنسان ينتقل من مرحلة إلى مرحلة ، بحتمية مادية ،

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٣٢٤ - ٣٢٦ .

(٢) أحمد عطية رمضان : المرجع السابق ، ص١٩٨ .

(٣) محمد قطب : المرجع السابق ، ص٢٨١ .

(٤) أحمد عطية رمضان : المرجع السابق ، ص١٨٧ .

لا إرادة له فيها ، مقهورا مغلوباً على أمره ، لا حول له ولا قوة [1] ، ولا أثـر في حياته للجانب الروحي [2] .

وهكذا فالتصور العام للنظرية المادية هو إنكار الخالق ، وحيوانية الإنسان ، وإنكار دور الأنبياء والرسل، وإهمال السنن الكونية التي تحكم المسيرة البشرية،وأن الإنسان في صراع أبدي بينه وبين الطبيعة،التي تسيره بحتمية مادية،لا إرادة له فيها

أمَّا ما يعرف بالتفسير الحضاري للتاريخ ، أو نظرية التحدي والاستجابة ، والتي تنسب إلى أرنولد توينبي Arnold Toynbeae (١٨٨٩-١٩٧٥م)الذي جعل من البناء الحضاري محوراً لتفسير التاريخ [3] ، حيث جعل توينبي من التحـــــدي

---

(١) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٦٩، ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص٣٩٣ .

(٣) لم يكن توينبي أول من جعل الحضارة محوراً في تفسير التاريخ فقد سبقه ازوالدشـــبنجلر Oswald ShPengler الذي جعل تاريخ الحضارة كتاريخ أي كائن حي ، أي أن لكل حضـــارة دورة نمـــو وشباب ونضج ثم شيخوخة يعقبها فناء،وأن كل حضارة لها سماتهـــا الـــتي لا تتعداهـــا إلى حضـــارة أخرى،وإذا ما صادف ذلك فأنها سوف تتطبعها بطابعها مثل البوذية في الهند عندما وجدت في الصـين اتخذت طابعاً صينياً مغايراً تماما للبوذية في الهند، وكذا كانت حضارة الفرس عندما اعتنـــق الفـــرس الإسلام، وركز شبنجر على أن كل حضارة تعتبر وحده تاريخيـــة منفصلـــة متبلـــورة في مظاهرهـــا الحضارية ، من فن ودين وفلسفه وسياسة ،وعلى ضوئه تشكل شخصيتها وتسمى بهـــا، فالحضـــارة الإسلامية (أسماها العربية الإيرانية) تجاوز فيها المسلم ما هو محسوس إلى ما هو مجرد، لأن الله في نظـــر المسلم مجرد من التجسيم كما في اليونانية وغيرها، فجرد فنه وثقافته من تلك المجسمات وانعكســت في فنه بالخطوط بدل المجسمات وأيضا على أنظمته السياسية والفكرية فآمن بالإجماع الذي يحول بينـــه وبين الضلال . وأن كل حضارة مغلقة حول نفسها بخصائصها الذاتية وأن حياتها محدودة ولابد مـــن أن تنتهي ، وأن التاريخ العام للبشرية ما هو إلا ترجمة لحياة الحضارات،وإن تفـــهم كـــل حضـــارة باستقلال تام عن أي حضارة أخرى ثم بوضعها معاً يمكن تفســـير العـــالم،كمـــا أنـــه لا ديمومـــة للحضارات،وإن سقوطها واقع لا مفر منه حضارة تلو حضارة . انظر
أحمد محمود صبحي : المرجع السابق ، ص٢٤٦-٢٤٧،٢٤٩-٢٥١ .

والاستجابة سبباً في نشوء الحضارات ، واستخلص ذلك ، من دراسته لإحدى وعشرين حضارة عاشها العالم ، اندثر معظمها ، و لم يبق منها إلا المسيحية الغربية (أوربا - أمريكا) . الحضارة المسيحية الشرقية "الأرثوذكسية " (روسيا ودول البلقان).والحضارة الإسلامية ، والحضارة الهندية . وحضارة الشرق الأقصى [1]. وقد جزم توينبي بأن كل الحضارات مصيرها الزوال ، باستثناء الحضارة الغربية ، ويرى أن الظروف الصعبة هي التي تدفع بالإنسان إلى بناء حضارته ، وتعطي الثمرة الناجمة من تحديه ، إذ أن الشدائد وحدها هي التي تثير الهمم، والظروف الصعبة هي التي تستحث الإنسان إلى البناء الحضاري ، وأن الظروف السهلة قد تدفع بالإنسان إلى الركود والسكون ، وتحول دون قيام حضارته ، فقد يكون التحدي من قبل الطبيعة ، ومثل ذلك الإنسان المصري القديم ، حيث تحدى الطبيعة في الأرض الواقعة حول النيل ، المليئة بالأحراش ، والغابات والمستنقعات ، فتخلص منها ، وأقام عليها حضاراته ، وقد يكون التحدي من الوسط البشري نفسه ، في شكل عدوان خارجي ، من دول أو جماعات ، تدفع بالإنسان إلى التحالف والتوحد ، لرد هذا العدوان ، ويكون حافزا لقيام حضارة جديدة ، أو إعادة أمجاد حضارة قديمة [2] . فبقدر مواجهة الإنسان لتلك الظروف تكون استجابته لها ، وعلى ضوئه يقدر النجاح أو الفشل،

---

(١) وهي كالتالي :-
١) المصرية ٢) السومرية ٣) البابلية ٤) الآشورية ٥) الحيثية ٦) السريانية ٧) المانوية ٨) الهلينية ٩) الإيرانية ١٠) العربية ١١) الهندوكية ١٢) البوذية ١٣) الهندية ١٤)الصينية الشرق الأقصى (الكورية واليابانية) ١٥)الإنديانية ١٦)اليونانيفية ١٧) المايانية ١٨) المكسيكية ١٩)الأرثوذكسية البيزنطية ٢٠) الارثوذكسية الروسية ٢١) الحضارة الغربية. انظر أحمد محمود صبحي : المرجع السابق ، ، ص٢٦٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص٢٦٩ - ٢٧٠ .

بقسميها : البيئي والطبيعي ، أو البشري ، ومثال ذلك الصراع الذي نشب بين المسيحية والدولة الرومانية ، وأسفر في نهاية الأمر إلى تربع المسيحية على عرش الإمبراطورية الرومانية [1]. وهكذا تولد الاستجابة القابلة للتغير فيتم ذلك التبديل الحضاري " فإن أي تحد يثير استجابة ناجحة تولد تحديا جديدا يبعث استجابة ناجحة أخرى وهكذا دواليك " [2] ذلك بالإضافة إلى تفاسير أخرى ، منها من جعل من العامل الجنسي محركا للنشاط البشري ، عبر التاريخ ، وكذلك من جعل الروح القومية محورا للتفسير ، والذي يقوم على دراسة العناصر البشرية بوحدة العرق أو اللغة [3] .

وهكذا نجد النظريات الوضعية في تفسيرها للحياة البشرية ، تجمع على إخفاء خالق الكون ، وتقلل من شأن الإنسان الذي يحيا على الأرض في نظرها ، بحتمية مقننة ، تفرضها عليه الطبيعة ، بالروح التي يفرضها الفرد ، وجعلت من التاريخ أحداثا ، تتلاطم مع بعضها البعض ، فجعلت سيرة الإنسان ناتجة عن المصادفات، دون دور لله في خلقه ، ولا للإنسان في صياغة تاريخه ، لأنه حيوان ، ولكن حيوان ناطق ، وهو مسير في عجلة التاريخ بحتمية لا إرادة له فيها ، ينتقل من طبقة إلى طبقة ، إما بواسطة أفراد كما في المثالية ، أو بشكل جماعي ، كما في التفسير المادي والحضاري ، وأن الإنسان مرتبط في مسيرته التاريخية بدوافعه ، وغرائزه وشهواته التي تدفعه إلى التغير ، وهكذا صورت تلك النظريات الإنسان والكون من حوله ، في صراع دائم مع ما حوله في شكل عشوائي ، وحتمية لا إرادة له فيها .

---

(١) أحمد عطية رمضان : المرجع السابق ، ص٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص٢١٠ - ٢١١ .

(٣) محمد بن صامل السلمي : المرجع السابق ، ص١٦٠ .

تمهيد

المراحل المبكرة للعلاقات بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

أولاً

تحديد مدلول منطقتي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والموقع الجغرافي لكل منهما

اقتصرت معرفة شعوب العالم القديم للعرب وشبه جزيرتهم ، من منطلق علاقاتهم السياسية والاقتصادية معهم ، كما دلت على ذلك المصادر الإنسانية ، التي خلفتها تلك الأمم [١] ، فأقدم ما وصلنا عن العرب وبلاد العرب (سكان شمال شبه الجزيرة العربية) لا يرتقي إلى أبعد من القرن التاسع ق.م، وفي شكل مشوش لا ينبئ عن وضع سياسي وجغرافي محدد ، ومن الملاحظ أن الدراسات والبحوث [٢] العربية منها ، بشكل خاص ، والتي تناولت تاريخ العرب القديم لا تتعدى إشارات سريعة ، وغير كاملة ، عن العرب في ضوء المصادر المسمارية ، حيث تقتصر معظم تلك الدراسات إن لم تكن جميعها بالإشارة إلى ورود كلمة " عرب " في النصوص الآشورية والبابلية الكلدانية ، وفي الوقت الذي يتم فيه التركيز على قدم هذه الإشارة من الناحية الزمنية يُهْمَلُ الالتفاف إلى الكثير من المعلومات التفصيلية والجانبية، التي وردت بمعية لفظة "عرب" في تلك النصوص. فقد وردت كلمة "عرب" كاسم علم على بلاد العرب في تلك النصوص بالصيغ التالية:-

Mat Arbi " عربي " (بلاد العرب) من نص الملك الآشوري شلمنصر

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٩٦ .

(٢) خالد العسلي : " الإعراب في النقوش العربية الجنوبية " ، مجلة العرب ،الجزء الخامس ، كانون الثاني، ١٩٧١م ، ص ٢٦ . وكذا زهير أحمد القيسي : " أقدم ذكر العرب في مدونات ما بين النهرين " ، مجلة ما بين النهرين ، العدد ١٦ ، ١٩٧٦م ، ص ٣١١-٣١٦ . وكذا جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص١٣-١٨. والذي يضيف أن المصادر اختلفت في كيفية النطق بها ، فقرئت بـ : (Aribi) و(Arubu) و(Aribu) و(Arub) و(Arabi) و(Urbi) و(Arbi) . وإلى غير ذلك من قراءات نظراً لأن الكتابات الآشورية لا تحرك المقاطع . انظر نفس المرجع ، ص١٦ .

الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م). و Mat Aribi " عريبي " و Mat Aribu "عريبو "
أي (بلاد العرب) من نصوص الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) . وبـ Mat-Ar-ba-a-a " عربايا " (بلاد العرب) من نصوص الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١ — ٧٠٥ ق.م) . وبـ Mat Aribi " عريبي " (بلاد العرب) من نص الملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) . وبـ Mat Aribi "عريبي" و Mat Aribu "عريبو" من نصوص الملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) . وبـ Mat Ariabi "عرابي" (بلاد العرب) من نصوص الملك نبونيد في حران (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) . وكما هو ملاحظ فإن معظم ما ورد من صيغ لكلمة عرب في النصوص المسمارية جاءت مسبوقة دائماً بكلمة Mat الدالة على " أرض" أو "بلاد" في الكتابة المسمارية ، مما يؤكد الترجمة العربية ، التي تثبتها وهي بلاد العرب أو البلاد العربية (١) .

كما أن المصادر المصرية لم تشر إلى مسمى خاص بالجزيرة العربية فيما وصلنا من نصوص مصرية قديمة ، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك بعض المسميات التي تشير ضمنياً إلى شبه الجزيرة العربية ، كرسم تا-نتر (أرض المعبود) . وبونت وتقع على سواحل البحر الأحمر و(جنبتيو) ، الذي ربما يقصد بها

---

(١) رضا جواد الهاشمي :" العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م ، ص٦٣٩-٦٨٣. وكذا فيصل الوائلي :" تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية (٨٥٣-٦٣٠ ق.م) " ، جامعة الكويت،الذكر والتاريخ ، أبحاث تاريخية مهداة من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ إلى جامعة الكويت بمناسبة عيدها العاشر ، ١٩٧٨م، ص٨٨-٩٨ . وكذا

Ebeling , E. und Meissner , B: , Reallexikon der Assyriologie , Erster Band., Berlin und Leipzig , 1928 , p.125 ; Dougherty. R. p. , The Sealand of Ancient Arabia , London , 1932 , pp.68-71.

القتباتيين . أما بالنسبة للقصص الشعبي المصري القديم ، وخاصة تلك التي دونت مع نهاية العصر الفارسي ، فقد عثر على ألفاظ تشبه الجذر الثلاثي لكلمة عرب أو أربي ، والتي كانت شائعة لدى الآشوريين عن بلاد العرب ،كما جاءت من عهد الفرعون المصري (بيدي باست) أحد فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين في حوالي سنة ٧٧٥ ق.م حين وردت كلمة (أرب) ، (أربي) مسبوقة بتعريف كلمة أرض المصرية ، وفي عهد الفرعون المصري أمازيس (أحمس الثاني) أحد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين في حوالي عام ٥٥٠ ق.م ووردت بلفظة عرب أي استبدال حرف الألف السابقة بالحرف (ع) العربي (١).

أما المصادر العبرانية ، فإن معرفة العبرانيين بالعرب تتزامن مع تلك الاتصالات ، التي تذهب إليها المصادر الإسلامية والعبرانية عن علاقة سيدنا سليمان عليه السلام بمملكة سبأ ، والتي ترجع إلى حوالي القرن العاشر ق.م (٩٦٠-٩٢٢ ق.م) (٢) ، والتي اتضحت أكثر فيما بين القرنين الثامن والثاني ق.م (٣) ، حيث وصفت المصادر العبرانية أرض العرب بالبادية ، التي يقطنها أبناء

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، الكتاب الأول ، الجزء الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص٣٩-٤٤ .

(٢) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض، ١٣٩٧ هـ ، ص٢٦٧-٢٧٠ .

(٣) صالح موسى درادكه : بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار شيرين ، عمان ، ١٤٠٨ هـ، ص٤٧-٤٨.

عمومتهم الإسماعيليون والقطوريون [1] ، والمنتشرون في منطقة شمال بلاد العرب وفي أقسامها المختلفة [2] . حيث جاء ذكر العرب في سفر أشعيا : " لا يخيم هناك أعرابي ولا يربض هناك رعاة " [3] ، وفي سفر أشعيا أيضاً : " وحي من جهة بلاد العرب في بلاد الوعر في بلاد العرب " [4] . ويرى بعض الباحثين [5] ، أن المقصود من بلاد العرب في هذين النصين هي البادية الواقعة بين العراق والشام. ولا شك أن أطرافاً منها تمتد في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

أما بالنسبة للمصادر الفارسية ، وخاصة خلال فترة توسعاتهم في المنطقة فيما بين القرنين السادس و الخامس ق.م ، فلم تتعدَّ معرفتهم عن شمال شبه الجزيرة العربية ما تصوره الآشوريون عنها من كونها منطقة عبور ما بين بلاد الرافدين وسوريا ، وربما توسع مدلولها بعض الشيء في توسعات الملك الفارسي "قورش" (٤٨٥-٤٦٥ ق.م) خلال توسعاته في مناطق الشرق الأدنى القديم غرباً [6] .

وبالنسبة للمصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية والمُتَمَثِّلَة في تلك الكتابات التي تركها الكتاب اليونان ، والرومان ، من مؤرخين ، أو رحالة ، أو جغرافيين ، أو من فروع أخرى مختلفة من فروع العلم ، فإنها تشكل أول تحقيقات مفصلة وموضوعية عن أحوال الجزيرة العربية ، وهي بذلك تختلف عما

---

(١) (القطوريون) نسبة إلى (قطوره) زوج إبراهيم الخليل عليه السلام الثالثة بعد سارة وهاجر .انظر محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء السابع ، إسرائيل ، الإسكندرية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص٢١٣-٢١٤ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

(٣) الإصحاح ١٣ نص : ٢٥ .

(٤) الإصحاح ٢١ نص : ١٣ .

(٥) جواد علي : المرجع السابق ، ص ١٨-١٩ .

(٦) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٦٦٦ .

ورد في المصادر الأخرى ، كالآشورية والبابلية أو العبرانية التي اكتفت بإشارات عابرة ، ولا تدل على نقاط أخرى تفصيلية ، وقد يرجع ذلك إلى أن الأهتمام الجزئي بالعرب ، وجزيرتهم لدى الكتاب الكلاسيكيين كان نابعاً من بروز قوتهم الجديدة على مسرح الأحداث التاريخية من الغرب ، في مقابل القوة الشرقية القديمة البارزة في المنطقة . ويرجع بداية تاريخ ذلك الاهتمام إلى حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ؛ حيث وردت إشارات ضئيلة ، لا تتعدى في مجموعها خمس إشارات، عن العرب وشبه جزيرتهم . اثنتان منها تردان في ملحمة الأوديسة المنسوبة إلى هوميروس (Homeros) ، والأخرى في شعر هزيودوس (Hesiodos) في حوالي منتصف القرن الثامن ق.م ، واثنتان في مسرحيتين للشاعر المؤرخ ايسخيلوس (Aeschylos) وترجعان إلى العقود الأولى من القرن الخامس ق.م ، مع الأخذ في الاعتبار أن معظم تلك الإشارات التي وصلت إما مبتورة أو غير ثابتة، وهي في مجملها تشير إلى معرفة غامضة ، أو شبه أسطورية ، عن العرب وبلادهم في تلك الآونة . ويعد المؤرخ اليوناني هيرودوتوس (Herodotus) (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) أول المؤرخين اليونان الذي أظهر أول اهتمام للغرب بالمنطقة، بل وأظهر أول تغييرات في كتابات اليونانيين عن جغرافية جزيرة العرب خاصة ، ولم تقتصر دراسته على حدود الجزيرة الحالية فقط، بل أدخل فيها الأجزاء الداخلية من سوريا ، وشبه جزيرة سيناء ، والصحراء الشرقية لمصر والتي تقع ما بين وادي النيل وبحر القلزم (البحر الأحمر) [1] . ومهما يكن من

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : " الجزيرة العربية من المصادر الكلاسيكية " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، الكتاب الأول، الجزء الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م ، ص٥٥-٥٦ .

البحر الأحمر أو (بحر القلزم) وقد عرف في المصادر الكلاسيكية بـ الخليج العربي (Sinus Arabicus) وفي المصادر العبرانية بـ (هـ-يم) " الْيَـمّ " ويرى المفسرون

=

أمر فإن الكتب الكلاسيكية اليونانية والرومانية قد أجمعت على تقسيم بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية [1] :

أولاً ما أطلق عليه اسم بلاد العرب الصخرية (الحجرية) (Arabia Petreae) [2] ، وحدودها غير ثابتة ، بين التوسع والانكماش بحسب ظروفها السياسية ، وهي أشبه بمثلث منحصر بين خليجي البحر الأحمر ـــ العقبة والسويس ، متضمنة شبه جزيرة سيناء والمنطقة التي تليها في الشرق والشمال

= المسلمون أنه هو المقصود "باليمّ" المذكور في القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام من قوله تعالى : " فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ " سورة القصص آية ٤٠ . وعلى أية حال فقد عرف عند العرب ببحر القلزم وبحر فارس والخليج الفارسي ، وقد يتعدى الاسم ليشمل الخليج العربي الحالي والبحر الأحمر . وقد يطلق على الجزء القريب من السواحل اليمنية اسم " بحر الحبشة " كما أطلقت عليه في بعض المصادر الأخرى ببحر أدوم نسبة إلى الأدم الأحمر وترجم بالأحمر ، وأنه سمي بذلك للونه القاتم المائل للحمرة الناجمة من انعكاس الشمس العامودي عليه أو انعكاس الجبال المحيطة به ، وهي ذات لون أحمر ولأن المحير لفحها وصهرها . انظر ابن حوقل : صورة الأرض / ٢٩-٣٠ . وكذا القرطبي التفسير ٧/ ٥١٧٥ .وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص١٤١ . وكذا الشريف الإدريسي : " جزيرة العرب من نزهة المشتاق " ، تحقيق إبراهيم شوكة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي والعشرون ، ١٣٩١ هـ ، ص٣١. وكذا عبد المحسن الحسيني: "الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ، المجلدان ٦/ ٧ ، ١٩٥٢م ، ص١٠٣-١٠٤، ١٢٦-١٢٧ . وكذا جبرا إبراهيم جبرا : "بلاد العرب من جغرافية سترابون"، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، ١٣٧١ هـ ، ص٢٦٢ .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص ١٦٣-١٦٦ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٩٥-٩٦ ، ١٠٠ . وكذا صلاح عبد القادر البكري : جغرافية البلاد العربية ، الطبعة الثانية ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٣٧٥ هـ ، ص٦ . وكذا لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) سميت كذلك إما لمسمى عاصمتها البتراء أو لطبيعة أرضها الصخرية . انظر محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

الشرقي ، أي جنوب فلسطين والأردن .

ثانياً : بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta) وعرفت أيضاً بـ (Arabia Eremos) وتشمل بادية الشام حالياً ، وجزءاً من شمال شبه الجزيرة العربية ، وتمتد من حدود الفرات شرقاً وحتى الأقاليم الخصبة في سوريا . أي أنها تشكل معظم البلاد الواسعة الفاصلة (بلاد الرافدين وسوريا) ، أي العراق و الشام بالإضافة إلى بادية السماوة ، وحدودها غير ثابتة وخاصة الشمالية منها ؛ حيث تعتمد على الوضع السياسي لها ، خاصة وأن الرومان قصدوا بها البلاد البعيدة عن تحركات جيوشهم في الشرق .

ثالثاً : بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix) وعرفت أيضاً بـ (Arabia Beata) و بـ (Arabia Eudaiman) . وتعتبر أكبر الأقسام الثلاثة مساحة ، وتمتد جنوب بلاد العرب الصحراوية من حدود غير ثابتة ، وتتحدد تبعاً للأحوال السياسية التي عليها في كل عصر و زمان . وهي تتضمن معظم أراضي شبه الجزيرة العربية الحالية . وعلى كلٍّ فإن معرفة تلك الشعوب ببلاد العرب قديماً تحدده مدى علاقة تلك الشعوب بالعرب ، والتي على ضوئها يتم تحديد موقعهم ، وخاصة في الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، وكذلك الحال بالنسبة للحد الجنوبي لبلاد العرب ، فإن ذلك غير معروف ، ويتوقف على مدى توغل تلك الشعوب في علاقاتهم المختلفة مع العرب القاطنين في تلك الأطراف [1]. وبالنسبة للمصادر العربية الإسلامية وحول تحديدها لبلاد العرب ، فهناك اختلافات واضحة بينها ، ويرجع ذلك إلى تباين المناهج التي اتبعتها في تناول الموضوع ، ومعالجته .

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٤.

وكما يذهب عبد المحسن الحسيني [1] فإنّ المصادر العربية قد اتجهت إلى أربعة آراء رئيسية في هذا الموضوع .

أولها :- رأي يعتمد على آراء الفقهاء ، (تحديد أداري) وينبع ذلك من تقسيماتهم الإدارية للدولة الإسلامية ، وهو أصلاً تقسيم عمل به عند إنشاء ديوان الخراج في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث جعل بلاد العرب هي مكة والمدينة واليمن وخلال الدولة الأموية أضافوا إلى الثلاثة السابقة (اليمامة = نجدا) حيث جعلوها ولاية تابعة لأعمال المدينة ، أو ولاية قائمة بذاتها. أما في عهد الدولة العباسية فقد جعلوا من اليمامة وعُمان والبحرين عملاً واحداً تابعاً للعراق . [2].

أما الرأي الثاني فهو يحدد رقعة بلاد العرب تحديداً جغرافياً لا أدارياً ، حيث جعل البحر حدها الغربي ، والجنوبي ، والشرقي ، ويكمل الحد من ناحية الشرق بنهر الفرات الذي ينعطف غرباً في سوريا ، ثم يتجه الحد جنوباً حتى خليج العقبة ، ولا يتصل من ناحية الغرب بالبحر المتوسط (بحر الروم) . وهذا – كما يقول عنه عبد المحسن الحسيني – لا يتفق مع ما تطلقه العرب على أرضهم بأنها أرض الجزيرة ، كذلك أخرجوا من هذا الرأي شبه جزيرة سيناء ، بالإضافة إلى مناطق الساحل السوري المطل على البحر المتوسط كلها تقريباً [3] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠١- ١٠٦.

(٢) البكري معجم ما استعجم ١ / ٥ - ١٢ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض / ٢٧-٢٨ والذي جاء فيه :- " فابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم ، والذي يحيط بها بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر ، فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ثم =

أما الرأي الثالث : فهو يوفق بين الرأيين السابقين ، فيأخذ بالاعتبارات الإدارية ، وكذا بالنواحي الجغرافية ، فالواقع أنه لاخلاف بين الرأيين لاختلاف وجة التحديد فكون اليمامه وعمان تابعة للعراق أدارياً لايجعلها من العراق جغرافياً ، حيث يجمع المقدسي [1] الذي يعتبر خير من عبر عن هذا الرأي في زمنه حيث جمع بين أقسام جزيرة العرب الإدارية في الرأي الأول مع عمان واليمامة ويجعلها من بلاد العرب و لم يذهب كما ذهب أصحاب الرأي الأول من اعتبارها من أعمال العراق ، كما أنه يجعل حدود بلاد العرب هي أشبه بخط مستقيم ،

= يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي إلى أيلة ، ثم قد انتهى حينئذٍ حد ديار العرب من هذا البحر وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم ، والقلزم مدينة على طرفه وسِيفه فإذا استمر على تاران وجيلان وصل إلى القلزم وينقطع حينئذٍ ، وهو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء من غربيها . ثم يمتد عليها عن أيلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التي تعرف ببحيرة زغر إلى الشراة والبلقاء ، وهي من عمل فلسطين وأدرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك ، وهي من عمل دمشق وتدمر وسَلَمْية ، وهما من عمل حمص ثم إلى الخناصرة وبالس وهما من عمل قنسرين . وقد انتهى الحد إلى الفرات ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح . ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة و الحيرة على الخورنق ، وعلى سواد الكوفة إلى حد واسط فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواد البصرة وبطائحها حتى تنتهي إلى عبادان .وهذا الذي يحيط بديار العرب فما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب ، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي وما بقي من الحد الغربي من أيلة إلى بالس فمن الشام ، وما كان من بالس إلى عبادان فهو الحد الشمالي ومن بالس إلى أن تجاوز الأنبار فمن حد الجزيرة ، ومن الأنبار عبادان فمن حد العراق . ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة بريةٌ تعرف بتيه بني إسرائيل وهي برية وإن كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وإنما كانت برية بين أرض العمالقة واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء و لا مرعى فلذلك لا تدخل في ديارهم ".

(١) أحسن التقاسيم / ٦٨ .

يمتد بين خليج العقبة والخليج العربي ، وفصل عنها أرض الشام، وجعلها إقليماً مستقلاً بذاته .

أما الرأي الرابع : والذي جعل من الماء يحيط ببلاد العرب من كافة الاتجاهات وعليه سموا العرب بلادهم بالجزيرة ؛ لأنها في نظرهم تحيط بها البحار والأنهار من كل جانب [1] ، وهكذا وكما ورد في المصادر الإسلامية ، فهي

---

(١) إنما سميت بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها و أطوارها ، وصارو منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين ثم الخط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان . وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرِّباً مطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقعر عمان والشحر ومال عنه إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن وبلاد فرسان وحكم الأشعريين وعك ، ومضى إلى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ، وبساحل الطور وخليج أيلة ، وساحل راية – كورة من كور مصر البحرية – حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى السودان مستقبلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين ، فمر بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص و سواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنسرين و الجزيرة وسواد العراق ... انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب / ٨٤–٨٥ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ٢/ ١٣٧ .

محاطة ببحر القلزم (البحر الأحمر) من الغرب.وبحر فارس (الخليج العربي) [١] من الشرق ، وبحر الهند (بحر العرب) من الجنوب . والفرات من الشمال [٢] .

ويذهب بعض الباحثين[٣] إلى القول بأن المصادر الإسلامية قد تجاوزت في تحديدها جزيرة العرب المدلول الجغرافي الصحيح ، وخاصة من طرفها الشمالي ؛ حيث جعلت من نهر الفرات الذي يصب في اتجاهين : شمالي شرقي نحو بلاد الرافدين ، وشمالي غربي نحو البحر المتوسط – بعد أن يتصل بنهر العاصي – حداً شمالياً لها . وفي الواقع إن الطبيعة الجغرافية لتلك المنطقة تدفع إلى التريث في اتخاذ قرار حاسم بشأن حدها الشمالي ؛ حيث لازالت محاولات تخطيط الحد الفاصل بين شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام مستمرة ، مع الأخذ في الاعتبار أن النصوص العربية القديمة تعتبر عنصراً أساسياً في هذا التخطيط .

وأول هذه المحاولات محاولة لامانس Lummens.H [٤] . وانتهى فيها إلى وضع الحدود بين سوريا والحجاز ، في المنطقة الواقعة قريباً من واحة العلا ، وإلى الجنوب منها. وهذه الفكرة يراها صاحب المحاولة الثانية وهو الويس ا. موسيل

---

(١) بحر فارس : الخليج العربي حالياً ، وعرف في مصادر بلاد الرافدين بالبحر الجنوبي والبحر الأسفل والبحر التحتاني والبحر الذي تشرق منه الشمس وبحر الشروق و البحر المر والبحر المالح ، والنهر المر وعرف عند الإغريق واللاتينيين بـ الخليج الفارسي (Sinus Persicus) . انظر سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني و الأول ق.م ، الكويت ، ١٩٧٦م ، ص ٤٧ ، هامش ٦ ، ص ١٠٠-١٠١ . وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص١٤٠-١٤١ . وكذا لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٩٠ .

(٢) الألوسي بلوغ الأرب ١ / ١٨٧ .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٩٤ . وكذا عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ م ، ص ٢٦ .

(4) Lummens. H.," L'ancienne Frontiere entre La Syrie et Le Hidjaz ", B I F A O , vol. XV ,1902, p. 67.

(Musil.A) [1] فكرة لامعة لمن ينظر إليها نظرة سطحية ، ولكنها إذا بحثت على ضوء التفاصيل وجدت غير صحيحة من وجهة النظر العلمية ، فصاحبها لم يميز بين الحدود الإدارية والحدود الجغرافية ، كما أنه لم يعر النصوص اللاتينية واليونانية أي اهتمام ، كما أنه لم يشرح النصوص العربية بأمانة . ويذهب ا. موسيل بعد ذلك إلى وضع الحدود الشمالية للحجاز عند السفح الجنوبي لجبال الشراه ، حيث وضع بطليموس الحد الشمالي لبلاد العرب السعيدة . ويرى ا. موسيل بعد ذلك أن النصوص العربية رغم ما بينها من اختلافات نتجت عن تغير الحدود الإدارية في بعض العصور ؛ فإنه يستخلص منها جميعاً أن الحد الجغرافي للحجاز من ناحية الشمال هو المنحدر الجنوبي لسفح جبل الشراة ، كما حدده بطليموس من قبل ، ويبدو أنه قد كان للحجاز أكثر من حد واحد . أو بعبارة أخرى أن حدود الحجاز تنطلق من ثلاث نقاط ، تقع كل واحدة منهم على رأس منطقة من مناطق ثلاثة تصل بين الحجاز والشام ، وأولى هذه المناطق ممتده على ساحل البحر الاحمر ، وهي الشعبة الغربية . والثانية تسير في المنخفض الرئيسي بين المدينة والعلا إلى تبوك ومعان . وهي المنطقة الوسطى ، والمنطقة الثالثة تسير مع الطريق الواصل من سلسلة الواحات التي تكونها خيبر وفدك إلى تيماء ثم دومة الجندل ، وهي المنطقة الشرقية [٢].

وفي الواقع إن تحديد الحد الشمالي لشبه الجزيرة العربية بخط وهمي يمتد من خليج العقبة غرباً حتى مصب شط العرب على رأس الخليج العربي شرقاً ، كما يرى أحد الباحثين [٣] أمر غير مقبول من الناحية الطبيعية (الجيولوجية) ؛ نظراً لتطابق مظاهر السطح بين الأجزاء الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، والأطراف

---

(1) Musil.A. ,The Northern Higaze , New York , 1926 , p. 257 .

(٢) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١٢٠-١٢١.

(٣) جواد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٣-١٤٤.

الجنوبية لكل من بلاد الرافدين وسوريا ، وأن بادية السماوة ، وبادية الشام ، هي في الحقيقة امتداد طبيعي لمناطق شمال شبه الجزيرة العربية [1] . حتى أن ذلك التشابه والتطابق دفع بعض الباحثين [2] على إطلاق مسمى الهلال الخصيب على معظم أجزاء تلك المنطقة ، والتي تشتمل على بلاد الرافدين ، وسوريا ، وكذا شمال شبه الجزيرة العربية ، بل وأبعد من ذلك ، فهي تكمل بعضها البعض، من حيث طبيعتها الصحراوية ، وخواصها البيئية مع شبه الجزيرة العربية كما أن الامتداد الطبيعي للعناصر العربية ، والمنتشرين في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، وكذا جنوب وغرب بلاد الرافدين ، وبادية الشام وفلسطين، وطور سيناء كما دلت على ذلك مدونات الشعوب التي كانت تستوطن تلك الأراضي، وذكرت العرب في كتاباتهم المختلفة كساكنين معهم ، أو مجاورين لهم ، وواصفةً علاقاتهم المختلفة معهم [3] ، لتؤكد بأن شبه الجزيرة العربية لم تكن وحدها مسكن العرب ، بل أن العرب كانوا متواجدين في مناطق مختلفة حولها [4]، ومهما يكن فإن جزيرة العرب تحدد اليوم بين خطي عرض ١٢ ً٣٢,ْ شمالاً

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٨٩-٩٢ .

(٢) الهلال الخصيب :- يعتبر جيمس هنري برستد أول من أطلق مسمى الهلال الخصيب في عام ١٩١٦م على منطقة غرب آسيا ، والتي تحدها من الشمال هضبة الأناضول ومن الشمال الشرقي والشرق الهضبة الإيرانية وجبال زاجرس وتمتد جنوباً حتى الخليج العربي ويشكل الجزء الشمالي لشبه الجزيرة العربية القوس الجنوبي لهذا الهلال ، وطرفه الغربي يمتد مع الحد الجنوبي الشرقي وشرق البحر المتوسط ، ولقد أثنى كثير من الباحثين على هذه التسمية وأخذ بها . انظر جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ترجمة أحمد فخري، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص١٥١ . وكذا جورج سارتون : تاريخ العالم ، ترجمة طه باقر، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص١٤٠.

(٣) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٨.

و ٣٠ً ,١٢ْ جنوباً . أي بامتداد ٢٠ درجة عرضاً . وما بين خطي طول ٤٠ً ,٣٤ْ غرباً و ٤٠ً ,٥٨ْ شرقاً . أي بامتداد طولي بين الغرب والشرق بحوالي ٢٤ْ . وهي على شكل مستطيل مساحته حوالي أكثر من مليون ميل مربع ؛ حيث تعتبر من أكبر أشباه الجزر في العالم [١] . ورغم أن البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، فإن الأبخرة المتصاعدة منها لم تخفف من حدة حرارتها ، والتغلب على جفافها ، حيث تقع ضمن نطاق الأقاليم الصحراوية الجافة [٢] .

وأراضيها إما عبارة عن سهول وبوادي صالحة للزراعة إلا أنها نادرة المياه ، وإما صحاري واسعة غير صالحة للزراعة وخالية من الماء . بالإضافة إلى النجود والجبال المتعددة ، في شكل سلاسل ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، خاصة في أطرافها الغربية، وتكسو معظم أراضيها الغربية مخلفات حجرية بركانية تعرف بـ الحرات، بالإضافة إلى مئات الأودية التي تقطعها من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب نحو الشرق ، أو من الجنوب نحو الشمال ، أو من الشمال نحو الجنوب، وتتضمن أرضيها أيضاً بعض الواحات المنتشرة في مناطق مختلفة من أقاليمها [٣] . ولقد قسم العرب جزيرتهم إلى أقسام مختلفة :

فهناك من قسمها إلى خمسة أقسام كما ورد في أشعارهم وهي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن .

---

(١) يبلغ طول ساحلها الغربي من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن ١٤٠٠ ميلاً وطول ساحلها الشرقي من رأس الخليج العربي حتى رأس الحد لخليج عمان حوالي ١٥٠٠ ميلاً .وأضيق نطاق لحدودها ما بين البحر الأحمر والخليج العربي فهو ٧٥٠ ميلاً ، وأوسع نطاق لحدودها ما بين البحر الأحمر و خليج عمان يصل إلى ١٢٠٠ ميلاً . انظر
محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٧٥ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٤٠ .

(٣) عمر فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م، ص٢٦ .

ومنهم من جعلها أربعة أقسام هي اليمن و نجد والحجاز والغور (تهامة)[1].

على أن هناك من قسمها إلى ثلاث مناطق مكة والمدينة واليمن ، وربما أضافوا إليها اليمامة [2] . ويضيف ابن حوقل [3] إليها بادية الشام وبادية العراق والجزيرة .

وهناك أيضاً من يذهب إلى تقسيمها إلى قسمين اثنين : الأول اليمن والحجاز . والثاني تهامة ونجد واليمامة [4] . ومن الملاحظ أن معظم هذه التقسيمات العربية لا تتعدى في حدودها ما يعرف اليوم بشبه الجزيرة العربية ، وهو القسم الذي عرف في المصادر الكلاسيكية بالعربية السعيدة تقريباً [5] . وهذه التقسيمات تفردت بها المصادر الإسلامية دون غيرها ، وتعتمد على أساسين :

---

(١) حيث جعلوا من جبال السراة (الحجاز) و المقبله من أسفل اليمن، وحتى أطراف الشام حاجزاً بين مشرقها و مغربها ، وحداً لشمالها وجنوبها فجعلت ما خلفه ذلك الجبل غرباً إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعلك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور - غور تهامة - وتهامة تجمع ذلك كله . وما دون ذلك الجبل شرقاً من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك كله . أما الجبل نفسه وحراته هو الحجاز وصار ما احتجزه في شرقية من جبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة راجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونهما إلى ناحية فيد حجازاً . وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما ولاها وما فيها من نجد وغور لقربها من البحر وما انخفض من موقعها ومسايل أوديتها والعروض تجمع ذلك كله وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما ولاها إلى حضرموت والشحر وعمان وما يليها، اليمن.وما فيها التهائم والنجاد واليمن تجمع ذلك كله . انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب / ٨٤ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ٢/ ١٣٧

(٢) البكري معجم ما استعجم ١ / ٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض / ٢٩ .

(٤) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٢ م ، ص١٨ .

(٥) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

فبالنسبة للأساس الأول : فهو جعل إقليم الحجاز و جباله محوراً لهـــــذا التقسيم ولقد شاركت اللغة العربية في جعل هذا الأســـاس أكـــثر رســـوخاً في الأذهـــان ، وإليه ذهب الجغرافيون المسلمون .

أما الأساس الثاني : فإنه يدع قلب الجزيرة وما تحويه جانباً . ويتخذ مـــن البحار المحيطة بها قاعدة لتقسيم الجزيرة ، وإن من الجدير بالذكر هنا هو أن هـــذه التقسيمات التي أجمعت عليها المصادر الإسلامية ، لا تتسق مع ما وصف به بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين جزيرتهم ، والتي ضمت مناطق شاسعة من ســـوريا و فلسطين وشبه جزيرة سيناء .

حيث يُعد الحجاز أحد أبرز معالم أقاليم شبه الجزيرة العربية ، ويقـــع في طرفها الغربي . ولقد اختلف في أصل تسميته : فهناك من ذهب إلى أنه يســـمى بذلك ؛ لأنه حجز بين نجد والغور. وقال عنه الأصمعي : لأنه احتجز بـــالحرار الخمس . ومنها حرة بني سليم وحرة واقمْ . وربما أتت الكلمة من احتجز الرجل إزاره أي شـــده على وسطه . أومن الحبل الذي يوثق به البعير فيقال احجـــزه حجزاً . ومنها احتجز القوم أي أتوا الحجاز . وبنفس المعنى انحجزوا [1] .

وفي الحجاز وجهان : إما أن يكون مأخوذاً من قول العرب حجز الرجـــل بعيره يحجزه إذا شـــده شـــداً يقيده به . أو لأنه يحتجـــز بالحبـــال . أو مـــن احتجزت المرأة، أي شدت ثيابها على وسطها وأتزرت به ، وعلى أية حال فـــإن الحجاز من حجزه حجزاً أي منعه ، والحجاز جبل يمتد بين " الغور " غور تهامة ونجد ، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما وفي قول آخر : إن الحجاز يسمى حجازاً لأنه يحجز (يفصل) بين الغور (تهامة) والشـــام ، وبين السراة ونجد . وقيل : إن التسمية أتت من تسمية طسم بن أرم بن نـــوح ،

---

(١) الجوهر الصحاح ٣ / ٨٧٢ .

عندما مر بأرض الحجاز فسماها بذلك؛ لأنها حجزته عن تتبع إخوانه من بني أرم، لطيبها في ذلك الزمان وكثرة خيراتها [1] وتسمي العرب الحجاز نجداً ، وجلسدً ، وحجازاً ، والحجاز يجمع ذلك كله .

وربما عرف أيضاً بالجر [2] . قال قيس بن الحطيم :

سَلِ المَرْءَ عبدَ اللهِ بالجَرِّ هَلْ رَأَى
كَتَائِبَنَا في الحَرْبِ كيفَ مَصَاعُهَا

ولقد ردد العرب كلمة الحجاز في كثير من أشعارهم ، للدلالة على المكان الذي يعنى به العرب جبال السراة من أقصى اليمن وحتى أطراف الشام [3] . ومن ذلك ما قاله أمية بن أبي عائذ الهذلي :

هُذَيلٌ حَمَوْا قَلْبَ الحِجَازِ وإنَّمَا
حِجَازٌ هُذَيْلٌ يَفْرُغُ النَّاسُ مِنْ عَلِ

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر :

مُرِّيَّةٌ حلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَت
أَهْلَ الحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

وقال هبيرة بن عمرو النهدي :

وَكِنْدَةُ تَهْذِي بِالْوَعِيدِ وَمِذْحَجٌ
وَشَهْرَانُ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ وَوَاهِبُ

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢١٨-٢١٩، وقال عنه المسعودي :- لأنه حجز بين الشام واليمن نحو ما أخبر الله عز وجل عن البرزخ الذي بين بحر القلزم وبحر الروم "وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا" . انظر المسعودي : مروج ٢/ ٦٩ .

(٢) ربما قصد بالجّر جبل عند سفح أحد . انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب / ٨٥ .

(٣) نفس المصدر / ٨٧-٨٨ .

وقال بعض الأعراب كما ذكر ذلك ياقوت الحموي [1] :

تَطَاوَلَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَكُنْ
عَلَيَّ بأكْنَافِ الْحِجَازِ يَطُولُ
فَهَلْ لِي إِلَى أَرْضِ الحِجَازِ وَمَنْ بِهِ
بِعَاقِبَةٍ ، قَبْلَ الْفُوَاتِ ، سَبِيلُ ؟

وقال آخر :

سَرَى الْبَرْقُ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ فَشَاقَنِي
وَكُلُّ حِجَازِيٍّ لَهُ الْبَرْقُ شَائِقُ
فَوَا كَبِدِي مِمَّا أُلاَقِي مِنَ الْهَوَى
إِذَا حَنَّ إِلْفٌ أَوْ تَأَلَّقَ بَارِقُ !

وعلى كلٍ فالحجاز لغة الحاجز: وهو ما يشد به الوسط ؛ لتشمير الثياب . وقيل : عقال الدابة . واصطلاحاً ما يطلق على بلاد العرب ما بين تهامة ونجد ومنها أحجز أي أتى الحجاز [2] ، فبلاد الحجاز قد احتزمت بالجبال أو البحار فسميت حجازاً . أو قد احتجزت جبالها أو حرارها بين نجد و السراة ، أو بين نجد واليمن أو بين نجد وتهامة أو بين الشام و الغور ، فسميت بذلك حجازاً [3] . لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه رغم اهتمام الكتاب المسلمين بالحجاز لارتباطه بأفئدتهم منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم وحتى وقتنا الحاضر ، لأن على أرضه عاشت الملحمة الفذة التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع دعوته الخالدة ، وعاش مع أصحابه الكرام ، رضوان الله

(١) ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٢٠ .
(٢) المعجم الوسيط ١/ ١٦٤.
(٣) عبد المحسن الحسيني : المرجع السابق ، ص١١٤-١١٥ .

عليهم أجمعين انبثاق نور الدين الإسلامي المجيد [1] ، فإن ما دونته المصادر الإسلامية يولي اهتماماً خاصاً بتعريف الحجاز من الناحية اللغوية . في حين لا يولي اهتماماً جاداً بتعريف الحجاز من الناحية الجغرافية [2] . ومع ذلك فقد حددت بعض المصادر الإسلامية [3] الحجاز ، من الشرق بفيد وجبلي طيء إلى المدينة المنورة ، وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونهما إلى ناحية فيد ، حجازاً . وقال ياقوت الحموي [4] عن الأصمعي :- الحجاز اثنا عشر داراً : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وذي المروة ، ودار أبلي ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ونفر من هوازن ، وجل مسلم ، وجل هلال ، وظهر حرة ليلى ، وشغب ، وبدا ، وأن الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام . وسمي كذلك لأنه حجز بين تهامة ونجد ؛ فمكة تهامية ، والمدينة حجازية .

أما إبراهيم الحربي [5] فيرى أن تبوك وفلسطين من أرض الحجاز . في حين حدده ابن حوقل [6] : الحجاز من حد سرين .

---

(١) محمود شاكر : شبه الجزيرة العربية (الحجاز) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص٥ .

(٢) عمر الفاروق السيد رجب: الحجاز ، المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، أرضه وسكانه ، دراسات ايكولوجية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩هـ ، ص٣٧،٤٣-٤٤ .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب / ٨٥ ، ويرى أن فيد منحدر في جنوب جبل سلمى في اتجاه الشرق ومذحج من التثليث وحتى نجران جنوباً . انظر نفس المصدر ، ص٨٥ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢١٩ .

(٥) ويضيف في حد الحجاز أنه من معدن النقرة إلى المدينة ، فنصف المدينة حجازي ونصفها الآخر تهامي وبطن نخلة حجازي . انظر نفس المصدر ٢/ ٢١٨-٢١٩ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض / ٢٩ .

على بحر فارس (البحر الأحمر) إلى قرب مدين راجعاً في اتجاه المشرق إلى الحجر وحتى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس (الخليج العربي) .

هذا وقد قسم البكري [1] الحجاز إلى قسمين : الحجاز الأسود وحجاز المدينة ، وربما قصد بذلك التفريق بين الحجاز الجنوبي (جبال السراة الجنوبية) وبين (جبال الحجاز الشمالية) [2] .

وبالنسبة للمراجع الحديثة فقد وضع عاتق غيث البلادي [3] حدود الحجاز من العقبة (سراغ) شمالاً،وحتى الليث على البحر الأحمر جنوباً،ويمتد شرقاً من الخرمة والمويه ، وحتى حرة كشب في شرق تيماء . وجعل بعض الباحثين المحدثين[4] سكاكا ودومة الجندل (الجوف) من مدن الحجاز ، ويضع ا. موسيل[5] الحد الشمالي للحجاز عند سفوح جبال الشراة [6] الجنوبية عبر خط يمتد من

---

(١) البكري معجم ما استعجم ١ / ١٣ .

(٢) عبد الله يوسف الغنيم : " أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة" ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٤٠١ هـ ، ص٣٦ .

(٣) معجم معالم الحجاز ، الطبعة الأولى ، نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ ، ص٥-٦ .

(٤) عدنان الحديدي : " الحاجة إلى مسح شامل في مناطق شمال الجزيرة العربية "، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٥ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٨٣ .

(٥) شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني ، مطابع رمسيس ، الإسكندرية ، ١٩٥٢م ، ص٢٩.

(٦) جبال الشراة هي النصف الجنوبي من المنطقة المعروفة باسم سعير الواردة ذكرها في التوراة ، والتي تقع في الجنوب والجنوب الشرقي من البحر الميت جنوب فلسطين وتمتد إلى البتراء ، ويرى حمد الجاسر أن الشراة هي السراة وأن الكلمة امتداد لها لفظاً ومعنىً وأن السين كثيراً ما تنطق شينا معجمة وخاصة في العبرية . انظر
حمد الجاسر:في شمال غرب الجزيرة،الطبعة الثانية،دار اليمامة،الرياض،١٤٠١هـ،ص٦٦.وكذا.
ا.موسيل : المرجع السابق ، ص٢٩ .

البحر الأحمر عبر جبال أرام مع السفوح الجنوبية للشراة . وعلى أية حال فإن الحجاز لا تشمل السلسلة الجبلية كلها الممتدة من الشمال إلى الجنوب ، حيث تنتهي حدوده الجنوبية عند خط يمتد من جنوب الطائف ، إلى نقطة غرباً على شاطئ البحر الأحمر، عند الليث مشتملاً على السهل الساحلي برمته ، كجزء من مكوناته المكانية ، وأن حدوده الشرقية تمتد غرب الهضبة النجدية مع الأطراف الشرقية لسلسلة جبال السروات ، أما من جهة الشمال فإن حدوده تتلاشى كظاهرة طبيعية تدريجياً في الصحراء في ما يعرف ببادية الشام ، وقد تمتد إلى جنوب فلسطين غرباً [(١)] . وإذا ما أردنا تحديداً أدقّ للمنطقة ، فإن حمود بن ضاوي القثامي [(٢)] جعلها من شمال خيبر وتيماء وتبوك والعلا ، وحتى جنوب حقل والعقبة والبتراء والكرك ، وقد تدخل أيضاً البتراء والعقبة فيها ، وكذا أرض الغور بالأردن ، وأطراف فلسطين الجنوبية . ويضيف عدنان الحديدي [(٣)] : إن سكاكا في الشرق ، والعقبة في الغرب ، وتبوك ، تشكل جزءاً من أرض مدين . وعرف جواد علي [(٤)] المنطقة بأرض حسمي (ما بين جبال أرام) وبأرض مدين، وهي الأرض التي جعلتها المصادر الإسلامية مطلة على بحر القلزم (البحر الأحمر) ومحاذية لتبوك ، وبها البئر التي استسقى منها سيدنا موسى عليه السلام [(٥)] . وقيل إنها من أعمال طبرية [(٦)] وهي كفرة ومنده ، وقيل أنها اسم قرية نسبوا إليها من

---

(١) عمر الفاروق السيد رجب : المرجع السابق ، ص٣٧ ، ٦٢-٦٣. وكذا جواد علي : المرجع السابق، ص١٦٨ .

(٢) شمال الحجاز ، الجزء الأول ، الآثار ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٤٠٥هـ ، ص٢٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص٥ .

(٤) نفسه ، ص١٦٨ .

(٥) ابن الحوقل صورة الأرض / ٤٠ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ٥/ ٧٨ .

قرى معان [١] . وقد أجمع بعض المؤرخين على أن أرض مدين تشـــمل معظـــم أراضي شمال غرب شبه الجزيرة العربية ما بين إقليم حسمي في الشمال ، وخليـــج العقبة من الغرب ، وواحة العلا (ديدان) جنوباً [٢] ، وربما توسع المؤرخـــون في تحديد مدين حيث تمتد شمالاً حتى غزة ، فتضم إلى أراضيها مناطق مـــؤاب ، وأدوم ، وجزءاً من أراضي الأموريين في ســـوريا . وتمتد غرباً لتشمل شبه جزيرة سيناء . وجنوباً تشمل معظم أراضي الأنباط ، وذلك وفقاً لما ذكرتـــه نصـــوص التوراة [٣] . وقد جعل ا. موسيل [٤] مساكنهم عند الحوراء الحالية ، والتي عرفت في المصادر الكلاسيكية بـــ لويكة كومة [٥] أي (القرية البيضاء) [٦] ، في حـــين جعل حمود بن ضاوي القثامي [٧] أن موقع مدينة البدع ، والمنطقة التي تمتد مـــن العلا جنوباً ، وحتى أيلة إيـــلات شمـــالاً ، ومن تبوك شرقاً حتى رأس الشـــيخ حميد غرباً ، حتى وادي عقال هي منطقة مدين (شمـــال الحجـــاز) ، وتضـــم في أراضيها ما يعرف اليوم بمغاير شعيب ، وبئر تعرف ببئر موسى الذي سقى منـــها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١/ ١٨٤.

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٥٥-٤٥٦ . وكذا عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربيـــة في عصورها القديمة ، مكتبة الأنجلـــو المصريـــة ، القـــاهرة ، بـــدون تـــاريخ ، ص١٥٣ . وكـــذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٦٩-٧٠ .

(٣) رشيد سالم الناضوري : " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التـــاريخي المبكـــر " ، الندوة العالمية الثانية لدراســـات تـــاريخ الجزيـــرة العربيـــة ، الجزيـــرة العربيـــة قبـــل الإســـلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٧٣ .

(٤) نفس المرجع ، ص٦٩ .

(٥) إن كلمة لويكة كومة ، قريبة لما ورد في الذكر الحكيم بتعريف أهل مدين بأصحاب الأيْكة ، الـــتي حرفت من العربية إلى اللاتينية بـــ كلمة " Leuke " . انظـــر عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص١٥٤ .

(٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٧) نفس المرجع ، ص٧٧ ، ٣٢٤-٣٥٢ .

سيدنا موسى عليه السلام لبنات شعيب كاهن مدين ، وهو ما أشـــارت إليـــه المصادر الإسلامية ، ومهما يكن من أمر فإن الحدود الجنوبية لشمال غرب شـــبه الجزيرة العربية قد تمتد جنوباً حتى المدينة المنـــورة [1] ، على اعتبـــار أن المدينـــة المنورة تقع وسط منطقة الحجاز ، وهكذا تكون المنطقة موضع البحث محـــدودة شمالاً ما بين العقبة غرباً . وسكاكا أو منطقة الجوف شرقاً عبر خط وهمي ، ممتـد مع وادي السرحان . وتمتد شرقاً من جنوب الجوف لتمرّ بمحاذاة شرق تيمـــاء وحتى المدينة المنورة جنوباً تقريباً ، أما غرباً فإن حدودها تمتد على ساحل البحـــر الأحمر الشرقي بنقطة موازية لموقع المدينة المنورة ، أو بارتفاع بعض الشيء شمـــالاً من عند أملج وحتى العقبة شمالاً تقريباً [2] . كما يستنتج ذلك من جمـــع الآراء السابقة .

أما من حيث تضاريسه فتعتبر سلسلة جبال السروات (السراة) من أبـــرز التشكيلات التضاريسية في المنطقة خاصة ، وفي شبه الجزيرة العربية عامة ، حيـث تشكل تلك المرتفعات سلسلة جبلية موازية لساحل البحر الأحمر ، وهي عبـــارة عن كتلة صخرية ، تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ١٨٠٠ كـــم تقريبـــاً ، واتساعها ما بين ١٢٠-٢٠٠ كم تقريباً ، ويبلغ متوسط ارتفاعـــها مـــا بـــين (٤٠٠٠ قدم) ما بين العقبة ومكة المكرمة وتصل إلى (١٠٠٠٠ قدم) في جنـــوب المملكة العربية السعودية عند عسير . وتنقسم إلى قسمين:-

١- الساحلية وهي متوسطة الارتفاع مـــا بـــين ١٨٠٠-٢٤٠٠ قـــدم وعرضها ما بين ٦٠-٧٠ كم ، تنحدر بشدة نحو البحر الأحمر مباشرة ، وقـــد

---

(١) نفسه ، ص١٦٧-١٦٨ .

(٢) انظر خريطة رقم (٢) .

تشكل حدودها الغربية إلى ملامسة شاطئ البحر الأحمر ، وتنحدر منها عده أودية قصيرة ، وعميقة المجاري .

٢- والمرتفعات الداخلية وهي عالية الارتفاع ، تشقها بعض الأودية التي تتجه نحو الشرق إلى الهضبة الداخلية ، وبعضها نحو البحر الأحمر ، كأودية تيماء وخيبر والمدينة المنورة ، ثم هناك السهول الساحلية والتي تجاور سلسلة جبال السروات غرباً ، وتمتد هذه السهول في شكل سهل رملي منخفض ، يبلغ أقصى اتساع له حوالي ٢٥كم تقريباً ، وقد ينحسر هذا الساحل حتى تلامس جبال السروات مياه البحر ، كما عند رأس الشيخ حميد ، ويطلق عليها التهائم (١) ، وقد يقرن اسمها مع ما جاورها ، فتسمى تهامة عسير ، وتهامة الحجاز (٢) . وتشمل المنطقة أيضاً على عدة هضاب ، كهضبة حسمي بين جبال السراة ووادي السرحان ، وارتفاعها ما بين ٢٨٠٠-٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وهضبة الحجاز جنوب هضبة الحسمي ، وارتفاعها ما بين ٣٠٠٠ قدم إلى ٣٩٠٠ قدم .وتصل بين حرة خيبر ، وبين المرتفعات الداخلية والنفّود الكبير . وكذلك هناك الهضاب الشمالية ، وتمتد ما بين وادي السرحان والحدود العراقية والكويتية، كهضبة الحماد التي يخترقها وادي السرحان وحرة الحرة وهضبة

---

(١) حسين حمزة بندقجي : جغرافية المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ، جدة ، ١٤٠١هـ ، ص٢٩-٨٢ .

(٢) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، الجزء الثاني ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٦٢-٦٤ .
سميت تهامة لشدة حرها وركود هوائها وهو من التهم أي شدة الحر وركود الهواء ، يقال تهم الحر أي اشتد وقيل هي من التغير وتغير هوائها فيقال تهم الدهن أي تغير ريحه . انظر ياقوت : معجم البلدان ٥/ ٦٣-٦٤ .

الحجرة التي تنحدر ودياها مع الحدود العراقيـــة نحو الفرات [1] . بالإضافـــة إلى الحرات الأخرى التي تنتشر من الشمال إلى الجنوب ، موازية لسفوح المرتفعـــات الغربية شرقاً ، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ قدم فوق ســـــطح البحر ، كحرة العويرض وتتصل بها حرة الرحا ، وحرة خيبر ، وحرة اثنـــين في شمالهم ، وحرة كرما جنوبهم ، وحرة رهاط وحرة كشب [2] .ومـــن الناحيـــة الجيولوجية فإن المنطقـــة تقـــع ضمـــن مـــا يعـــرف بـــالدرع العـــربي [3] ، ويتأثر مناخها بموقعها الجغرافي ؛ حيث تقع فيما يعرف اليوم بالنطاق الصحـــراوي الممتـــد بين قارتي آسيا وأفريقيـــا (عبر الصحراء الكبرى والعربيـــة والهضبـــة الإيرانية) وهو الإقليم الحار الجاف [4] .

---

(١) عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار المريـــخ ، الريـــاض ، ١٤٠٧ هـــ ، ص٥٠-٥١ ، ٥٥ - ٥٦ .

(٢) محمود طه أبو العلا : المرجع السابق ، ص٤٤ .

الحرات هي الأراضي التي تغطيها الحجارة السوداء وتكون منتشرة على أفواه البراكين وقد تكون مـــن قذف تلك البراكين . انظر لطفـــي عبد الوهـــاب يحيى : المرجع السابق ، ص٩٥ .

(٣) تنقسم أرض شبه الجزيرة العربية من الناحية الجيولوجية إلى قسمين :-

أولاً:- الدرع العربي ويقع غرب شبه الجزيرة العربية ويتكون من صخور نارية صلبة متحولة وبركانية وتقع عليه سلسلة جبال السروات ، ويمتد ما بين خليج العقبة شمالاً وحتى باب المندب جنوباً بعرضـــين مختلفين فعند رأس الشيخ حميد يصل إلى حوالي ٨ كم في حين يصل ما بين الدوادمى والبحر الأحمـــر إلى حوالي ٧٠٠ كم بمساحة إجمالية قدرها حوالي (٦١٠٠٠٠ كم٢) .

= ثانياً:- يعرف بمنطقة الرف العربي أو إقليم الصخور الرسوبية ويقع في الشـــرق من الإقليم الســـابق ويمتد مع الخليج العربي شمالاً وحتى الحدود العراقيـــة الأردنيـــة وحتى عُمـــان جنوبـــاً . انظـــر عبد الرحمـــن صادق الشريف : المرجع السابق ، ص٣٢ .

(٤) عمر الفاروق السيد رجب : المرجع السابق ، ص١١٩-١٢٠ .

وإذا ما انتقل الدارس إلى التعريف ببلاد الرافدين فإن هذا المسمى هو أحد مصطلحين ترجم بهما العرب :

مصطلح إغريقي للدلالة على بلاد العراق الحالية الذي هو ميزوبوتاميا (Mesopotamia) ، ذلك بالإضافة إلى ترجمة أخرى هي (بلاد النهرين) أو (ما بين النهرين)، وفي الحقيقة فإن أقدم اصطلاح جغرافي أطلق على تلك الأرضين هو ما ورد إلينا في مصادر تلك البلاد النصية والأثرية ، حيث تشير أنه منذ حوالي الألف الثالثة ق.م كانت تلك البلاد تحكم بواسطة الدولة المدينة (City.State)، وظهر خلالها استخدام مصطلحين جغرافيين للدلالة على تلك المناطق : أولاهما والذي دون بالخط المسماري ويعرف بـ (Ki-en-gi) أي (أرض الاحراش الاهوار) كما ترجم في الكتابات السامية (الأكادية) بـ (مات شومريم) (بلاد السومريين) أو (سومر) أو (شومر) ويقصد به الأطراف ، أو الأجزاء الجنوبية من السهل الرسوبي للعراق .

أما المسمى الثاني أو المصطلح الثاني في النصوص المسمارية هو (Ki-uri) والذي ترجم بالمسماري بـ (مات أكديم) كما عرفت بـ " بلاد أكاد " بلاد الأكاديين في السامية الأكادية ، وكان يقصد بها الأقسام الوسطى من تلك الأرضين من أطراف بغداد الشمالية وحتى أطراف مدينة الحلة الجنوبية شمالاً ، أي ما دون بغداد جنوباً يعُد من السهل الرسوبي أو بلاد سومر [١] ، كذلك عرفت الأجزاء الشمالية في بلاد الرافدين بمسميات أخرى : منها سوبارو أو سوبارتو ، وهو نسبة لبعض العناصر الجبلية التي كانت تستوطن تلك الأجزاء في زمن معاصر للسومريين في الجنوب . وخلال الألف

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الوجيز من حضارات وادي الرافدين ، الطبعة الثانية ، دار الشؤون العامة ، بغداد ١٩٨٦ م ، ص١٠-١١ .

الثاني ق.م عرف ذلك الجزء أيضاً باسم (آشور) ، في حين عرف الجزء الجنـوبي بأسم (كاردينيش) الذي أطلقه الكاشيون حكام بابل عليه في منتصف الألـــف الثاني ق.م وهو منسوب إلى أحد آلهتهم المدعو (ديناش) وكاردينيش تعني بـلاد " دينـــــاش " كما أطلق الآخمينيون لفظة (عبر ناري) (Ibr nari) على بلاد الرافدين خاصة على الأطراف الشرقيـــة منه والتي تحدهم من الغرب [(١)] .

أما في المصادر الكلاســـيكية فيعـــد المـــؤرخ الأغريقـــي هـــيرودوتس (Herodotus) (٤٨٠ -٤٢٥ ق.م) أول من كتب عن بلاد الرافدين بشـــيء من الإطالة والتفصيل إلا أنه قد فصل كثيراً في كل ما كتب . ولذلك يجب أخـذ الحيطة فيما ذكر . وأهم ما يهمنا مما ذكره عن جغرافية تلك المنطقة هو إطلاقـه لفظتي بلاد آشور وبابل كمسمى لمنطقة واحدة ، وجَعْلُه بابل مدينـــة تابـــعة لآشور [(٢)] . ومهما يكن من أمر فإنه خلال القرنين الرابع والثاني ق.م ، شـــاع أستخدام مصطلح ميزوبوتاميا على بلاد الرافدين . ٠كما يـــرى ذلـــك بعـض الباحثين [(٣)] أن ذلك يرجع إلى عهد الإســـكندر الكبير، إلا أن أشهر من تنـاول هذه اللفظة هو المؤرخ الإغريقي بوليبيوس [(٤)] (Polybius) (٢٠٢-١٢٠ ق.م)

---

(١) سامي سعيد الأحمد : السومريون وتراثهم الحضاري ، مطبعة جامعة بغـــداد ، بغـداد ، ١٩٧٥ م ، ص٣ .

(٢) سامي سعيد الأحمد : " العراق في كتابات اليونان و الرومان " ، مجلة ســـومر ، ج١-٢ ، المجلـــد ٢٦، بغـــــداد ، ١٩٧٠م ، ص١١٣ .

(٣) طه باقر : المرجع السابق ، ص١٣ .

(٤) قسم هذا المؤرخ بلاد الرافدين (العراق) إلى مناطق مختلفة وذلك بحسب طبيعتها فأطلق على المنـاطق التي تقع إلى الشرق من دجلة وإلى الجنوب من بابل اسم " باربوتاميا " (Para Patamia) أي ما وراء النهر وجعل إلى الشمال منها ما بين دجلة وجبال زاغروس (فارس) وحـــتى أطـــراف بغـــداد الشمالية اسم " أبولونيا " (Apollonia) وجعل من وسط بلاد النـــهرين أو المنطقـــة الواقعـــة بـــين النهرين منطقة أطلق عليها اسم ميزوبوتاميا في حين عرف الأجزاء الغربية بالمناطق الصحراوية

=

حيث جعل منها دلالة تعريف على معظم المناطق الواقعة ما بين نهري دجلة والفرات ، هذا وقد استعمل هذه اللفظة المؤرخ (سترابو) (Strabo) (٦٤- ١٩ ق.م) للدلالة على الأجزاء الشمالية لبلاد الرافدين ، وخاصة الجزء المحصور ما بين نهري دجلة والفرات ، كما استعمل مسمى بابل (Babylonia) على الأجزاء الجنوبية منه . أما المؤرخ الروماني بليني (Pliny) فقد عمم اللفظة لتشمل معظم أراضي العراق الحالية وحتى رأس الخليج العربي [١] . وتجدر الإشارة على أن بعض الباحثين [٢] يرَى أن اشتهار هذه اللفظة إنما جاء بعد ترجمة النصوص التوراتية إلى اليونانية ؛ حيث كانت المصادر العبرانية تطلق مسمى (آرام نهريم) (آرام النهرين) على الإقليم الشمالي منه والمحصور ما بين الفرات والخابور ، أو البليخ كما ورد ذلك في سفر التكوين [٣] ، فعندما ترجمت التوراة إلى اللاتينية أخذت لفظة ميزوبوتاميا معنى آخر فقد عبر بها عن بلاد الرافدين، وأصبحت علماً على معظم تلك الأراضي ، وبهذا اشتهرت اللفظة . وهكذا فقد عرفت الأجزاء الشمالية لبلاد الرافدين خاصة الواقعة بين دجلة

= ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن لفظة باربوتاميا التي ترجمها بعض المؤرخين ببلاد ما بين النهرين ورأوا أنها لفظة أشمل من ميزوبوتاميا للدلالة على بلاد الرافدين، ولكنها وكما هو واضح من تعريف بوليبيوس أنه كان يقصد بها الأجزاء الشرقية لنهر دجلة فقط . انظر سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص١٢٧ . وكذا عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص٣٧٢

(١) سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ترجمة محمد طلب، الطبعة الأولى ، دار دمشق ، ١٩٩٢- ١٩٩٣ م ، ص١٥ ، مع الأخذ في الاعتبار أن طه باقر يحدد طرفها الشمالي ببغداد الحالية . انظر طه باقر : المرجع السابق ، ص١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص١٢-١٤ .

(٣) الإصحاح ٢٤ ، نص : ١٠ .

والفرات الأكبر والأصغر باسم آشور ، وعرفت الأجزاء الجنوبية والوسطى باسم بابل ، ومنها جاءت التسميات الأوروبية للمنطقتين " بابيلونيا " (Babylania) و"أسريا" (Assyria) ، كما أطلقوا على بلاد الرافدين مسمى " كلدية " نسبة إلى دولة بابل الكلدانية التي تأسست فيما بين القرنين السابع والسادس ق.م. ومع كلٍ فإن ترجمة المراجع العربية لتلك اللفظة ببلاد الرافدين تجد من قِبَل بعض المؤرخين [1] بعض التحفظات ؛ لكون الرافد أقل من النهر ويفضل استعمال بلاد النهرين ؛ لكون المسمى أشمل وأدق في وصف تلك الأرضين ، خاصة وأن معظم حضارات بلاد الرافدين لم تكن محصورة داخل الجزيرة بين دجلة والفرات ، بل إن معظم حضاراته قامت على ضفتي النهرين ، أو حولهما ، مثل : حضارة العُبيد وأريدو وماري في غرب الفرات ، أو أشنونا وتل أسمر ، شرق دجلة ، ومع كل ذلك فإن بعض الباحثين [2] يرى أن لفظة ميزوبوتاميا تعني بلاد الرافدين ، أو ما بين الرافدين ، أو بلاد النهرين ، أو ما بين النهرين ، وأن التسمية قد تتعدى حدودها الحالية العراق الحالي إلى منابع النهرين في شرق الأناضول . كما يرى آخر [3] أن لفظة بلاد الرافدين ذات مدلول تاريخي أكثر منْ أن تكون ذات مدلول جغرافي ، لمنطقة واضحة المعالم .

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ . وكذا محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء العاشر ، تاريخ العراق القديم ، الإسكندرية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٥ ، هامش (١) .

(٢) توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م، الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام ، الطبعة الأولى ، دار دمشق ، دمشق، ١٩٨٥م، ص٩٦ .

(٣) سيتون لويد : المرجع السابق ، ص ١٥ .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن لفظة بلاد الرافدين التي ترجم بها المؤرخون العرب لفظة ميزوبوتاميا ، ربما استخدمها المؤرخون العرب بناءاً على ما ذكر في بعض أشعار العرب [1] من تسمية العرب لنهري دجلة والفرات بالرافدين يقول الشاعر الفرزدق :

فَأَوْلَيْتَ العِراقَ ورَافِدَيْهِ
فَزَارِيّاً أَحَذَّ يَدِ العَمِيصِ

وربما شاعت الكلمة على أرض العراق كلها .

هذا وقد أطلق العرب على بلاد الرافدين تسميات عدة ، فأطلقوا على الجزء الشمالي منه اسم الجزيرة ، وعلى الجزء الجنوبي اسم السواد ؛ لكثرة أشجاره ونخيله ؛ حيث كانت العرب تسمي في بعض الأحيان الأخضر أسودَ . كذلك عرف بإقليم أو أرض بابل [2] ، بالإضافة إلى مسمى العراق الذي حددت حدوده ما بين الموصل شمالاً إلى عبدان جنوباً ، ومن القادسية غرباً إلى حلوان شرقاً [3] ، وهو المصطلح الذي اشتهر ذكره في المصادر العربية ، وغيرها ، واستمر ذلك شائعاً حديثاً ، ولقد اختلف في أصل تلك اللفظة ، فهناك من ذهب إلى أنها عربية ، أو أنها معربة من أصل فارسي، أو أنها ترجع في أصلها إلى تراث لغوي عراقي قديم .

وتفصيل ذلك أن العراق سمي عراقاً من مصب المياه إليه كدجلة والفرات أو أنهار أخرى . وقيل من عراق الدلو أو عراق القربة [4] ، وهو الحرز المثني في

(١) الجوهري : الصحاح ٢ / ٤٧٦ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٣٤ .وكذا ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٢٣٢ .وكذا ياقوت : معجم البلدان ١/ ٣٠٩-٣١١ .

(٣) القرماني : أخبار الدول / ٤٦ .

(٤) المسعودي : مروج ٢/ ٦٩ .

أسفل القربة ، وقيل سمي عراقاً لأنه أسفل بلاد العرب ، ولقربه من مياه البحـــر . أو أن الاسم مأخوذ من تسمية بعض أنواع طيـــور العـــرب ، الـــذي يعـــرف بـــ "العرقي" . أو ربما جاءت التسمية من معنى الشاطئ ؛ وذلـــك لاحتضـــان أراضيه بنهري دجلة والفرات ، فأصبحت أرضه شاطئا لهذين النهرين . وهنـــاك من يذهب إلى أن اللفظة أتت من التعريق ، أي عروق الشجر الملتف حول بعضه البعض ، ويرى آخرون أنها أتت من لغة أهل الحجاز ، الذين كانوا يسمون كـــل ما قرب من الماء عراقاً . وهناك من ذهب على أن الكلمة ذات أصل فارسي ، من لفظة (إيراه) التي تعني الساحل، فعَرَّب العرب الكلمة بتعديل آخره قافا فأصبحت (ايراق)، وقيل من تعريب كلمة إيراف الفارسية، والتي تعني مغيض الماء أو حدود الماء [1]. وقيل إنها محرفـــة من (إيراك) البهلوية التي تعني الأرض المنخفضة .

ومهما يكن من أمر فإن أقدم تاريخ لاستخدام لفظـــة (عراق) الاراميـــة يرجع إلى حوالي القرن الخامس ق.م ، حيث تشمل مقـــاطعتين لهمـــا همـــا : (سورستان) و(خورستان) . وقد تكون اللفظة مشتقة من كلمة عرقا . والـــتي تعني في معظم اللغات السامية الجرف أو الساحل أو الجسر [2] . أما عن كونهـــا مشتقة من تراث لغوي لبلاد الرافدين ، فهناك من يذهـــب أن أصلهـــا مـــن لفظـــة اوراك (Urak) أو أنوك (Unag) وهـــي تســـمية مدينـــة الوركـــاء السومرية، أو ربما جاءت من اسم المدينة السومرية " أور " أو مدينة " لارسا". وعلى كلٍ ، فأوضح استعمال للفظة (العراق) يرجع إلى حوالي القرن الخـــامس والسادس الميلادي ؛ حيث شاع استعمالهـــا عند العرب ، وظهرت في شـــعرهم الجاهلي [3] .

(١) ياقوت : معجم البلدان ٤/ ٩٣-٩٤ .

(٢) سامي سعيد الأحمد : السومريون وتراثهم الحضاري ، ص٣ .

(٣) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٩-١٠ .وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص٣-٤ .

وبالنسبة لتضاريس بلاد الرافدين فيتميز سطحها بثلاث ظواهر رئيسية :-

أولاً :- المنطقة الجبلية العالية ، وتشمل حوالي ٢٠ % من مساحة بلاد الرافدين ، وتمتد من النواحي الشمالية ، والشمالية الشرقية لبلاد الرافدين ، وتنتهي عند حدود السهل الرسوبي في الجنوب ، والهضبة الصحراوية في الغرب ، ويتراوح ارتفاع جبالها ما بين ١٠٠٠ م – ٣٦٠٠ م فوق سطح البحر ، وتتكون من صخور نارية ، ومتحولة ، ورسوبية ، وتنساب منها روافد نهر دجلة ، تتخللها بعض السهول كلما اتجهنا نحو الجنوب ، والجنوب الغربي ، كسهل كركوك ، وأربيل .

ثانياً :- الهضبة الصحراوية ، وتشمل حوالي ٦٠ % من مساحة بلاد الرافدين ، ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠-١٠٠٠ م فوق سطح البحر ، تتخللها عدة أودية، وتنقسم إلى قسمين :-

القسم الأول : هضبة الجزيرة – وهي التي عرفت عند العرب بالجزيرة – وتمتد في الشمال من نهاية المنطقة الجبلية ، وحتى السهل الرسوبي جنوباً ، ويجري بها نهر الفرات ، موازياً للحدود السورية غرباً . وأرضها منبسطة ، تتخللها هضاب وروابي وكثبان رملية ، وبحيرات ، وأودية ، ومنخفضات ، كمنخفض الثرثار الذي يبلغ طوله حوالي ٣٠٠ كم ، وعرضه حوالي ٤٥ كم ، ويُعد مركز الهضبة حلقة اتصال بين مختلف أقطار الشرق الأدنى القديم ، وبلاد الرافدين .

القسم الثاني :- هضبة البادية الغربية وتمتد بمحاذاة نهر الفرات على شطه الغربي ، وتشترك مع بادية الشام ، تتخللها بعض الأودية ، وأرضها رملية منبسطة، بالإضافة إلى بعض المنخفضات ، وكانت أرضها معبراً لهجرات الساميين، القادمين لبلاد الرافدين ، من بلاد سوريا والجزيرة العربية .

ثالثاً :-السهل الرسوبي الجنوبي ، ويشكل حوالي ٢٠ % من مساحة بلاد الرافدين، ويبلغ طوله حوالي ٦٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب ، وعرضه

حوالي ٢٥٠ كم ما بين مدينتي سامراء على دجلة ، وهيت على الفرات شمالاً ، وشرقاً مع الحدود العراقية الإيرانية ، وجنوباً حتى الخليج العربي والبادية العربية ، وغرباً مع حدود الهضبة الصحراوية ، وارتفاعه عن سطح البحر ما بين ١٠٠- ٣٢ م عند بغداد.وقد يكون ذلك السهل من رواسب نهري دجلة والفرات ، حيث يرى كثير من الباحثين أن موقعه كان مغموراً بالمياه ، في عصور ما قبل التاريخ . وأهم ما يميز سطحه ظاهرة الأهوار ، والمنخفضات المائية ، والتي تشغل مساحة حوالي ١٥٠٠٠ كم٢ من مساحة السهل الرسوبي . ومن أشهر تلك الأهوارات الأهوار الشرقية في منطقه دجلة ومن أكبرها الحويزة وشويجة ، والأوسط في منطقة الفرات ومنها الحبانية وأبو دبس ، والجنوبية وأكبرها هور الحمار ما بين الناصرية والبصرة (١) . ويمثل نهرا دجلة والفرات أهم صفة طبوغرافية لبلاد الرافدين ؛ فعلى ضفافهما قامت أشهر حضارات بلاد الرافدين (٢) : فنهر دجلة معرب من اللفظة الأكادية ؛ حيث كان يطلق عليه اسم إيديجلاتم (Idiglatym) أو إيديجلات (Idiglat) وعرف في النصوص السومرية بـ أدكنا (Idigna) (٣) . كما عرف في المصادر العبرية بـ حداقل وأرنزاح . وفي الحوريه ، وتيركاه بالبهلوية ، ومنها أخذت التسمية الغربية له بـ تيكرس (تيجرس) (Tigrees) ، أي السهم لسرعة سيره . ويرى بعض الباحثين أن مجراه قد تغير عدة مرات ، قبل أن يستقر على حاله الحالي، منذ القرن السابع ق.م . وتقدر مساحة حوض دجلة بـ ٣٤٠٠٠ كم٢

(١) تقي الدين الدباغ : العراق في التاريخ ، العراق في عصور ما قبل التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص٢٥-٣٠ .

(٢) ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيض عبد الرزاق ، الطبعة الثانية ، وزارة الثقافة والأعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٥١-٥٢ .

(٣) تقي الدين الدباغ : المرجع السابق ، ص٣٦ .

تقريباً . ومن أشهر روافده الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، وردانو وديالي [1] .

وينبع نهر دجلة من بحيرة هازار غولو (Hazar Cölü) على بعد ١٦٠ كم٢ تقريباً غرب بحيرة فان (Lake Van) في شرق تركيا . ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي ١١٥٠ ميلاً (١٨٥٠ كم) ، ليصب في شط العرب [2] . حيث يشق طريقه وسط جبال وعرة ، وهضاب عالية ، في مجرى عميق وضيق ، وتنحصر فيضاناته داخل مجراه العميق ، فيكون سبباً في سرعة تدفقه واندفاعه نحو الخليج العربي [3] . أما نهر الفرات فقد عرف في المصادر السومرية بالخط المسماري بـ بورانن (Buranun) وبـ بورونننا (Burununa) ، وفي الأكادية بـ بوراتي (Purati) أو بوراتوم (Puratum) ، ومنها ربما جاءت التسمية العربية (فرات)، والتي تعني الماء العذب [4] .

ولقد اختلف كثيراً في تحديد مجراه القديم ، الذي لا يستبعد كثير من الباحثين عن تغيره من وضعه الحالي [5] . وطوله يبلغ حوالي ١٧٨٠ ميلاً (٢٦٠٠ كم) تقريباً . وله مصدران بحيرة فان (Lake Van) ، وأرزيروم (Erzerim) ؛ حيث يجري منهما فرعان غرباً ، حتى يتحدا في الأزيغ (Elazig) في شكل بحيرة ضخمة ، عند سد كيبان شرق تركيا ، ليجري النهر الرئيسي في مجري متعرج نحو الجنوب ، حيث يجتاز الحدود التركية ، إلى سوريا عند كركميش، ومنها إلى بلاد الرافدين ، ويسير في اتجاه مواز لنهر دجلة جنوباً ، وينفصل عنه عند بداية دخوله أرض الرافدين ، بمسافة تقرب من ٤٠٠ كم٢

---

(١) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص٢٠-٢١ .

(٢) سيتون لويد : المرجع السابق ، ص١٩ .

(٣) توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص٥٧ .

(٤) تقي الدين الدباغ : المرجع السابق ، ص٣٨ .

(٥) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص٢٢ .

تقريباً، ثم يقترب منه قرب بغداد ، ثم يبتعدان ليتجها معاً جنوباً حتى يصبا في شط العرب [١] . وتستمر فيضاناته زمناً أطول من دجلة ، رغم قلتها . وقد تندفع خارج مجراه ، ويُعد مجراه أوسع من مجرى نهر دجلة [٢] .

ومن خلال التعرف على مدلول منطقتي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، و بلاد الرافدين ، وموقعهما الجغرافي ، يتضح لنا أن مناطق شمال شبه الجزيرة العربية تكاد تكون امتداداً طبيعياً لمناطق جنوب بلاد الرافدين، وأن وجود مثل هذه المظاهر الطبيعية ، ساعده في تكوين حلقات الاتصال بين بلاد الرافدين، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية كما شكلت المنطقة الواقعة بين كلٍ من صحراء الدهناء ، والنفود ممراً طبيعياً بين منطقتي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين ، من خلال انحسارهما الشديد ، عند اقترابهما معاً ، ساعد على وجود ذلك الاتصال ، كما أن بعض المصادر التاريخية تذهب إلى القول بأن معظم أودية شبه الجزيرة العربية كانت تصب في بلاد الرافدين ، خلال فترات تاريخية ترجع إلى فترات مختلفة ، من العصور الجيولوجية المتتابعة ، وكان لها أثرها الكبير في بناء السهل الفيضي الجنوبي لبلاد الرافدين ، حيث كانت معظم تلك الأودية أشبه بأنهار جارية ، خلال العصور المطيرة ، قادمة من شبه الجزيرة نحو بلاد الرافدين ، حاملة في فيضاناتها الكثير من الرواسب التي ساعدت على بنائه ، وعلى سبيل المثال وادي الرمة أو " وادي الباطن " الذي يشكل حزاماً طبيعياً ، يربط شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية بأرض بلاد الرافدين ، لدرجة أنه استغل كطريق بري ، يربط بين المنطقتين [٣] . هذا بالإضافة إلى بعض الهضاب

(١) سيتون لويد : المرجع السابق ، ص١٩-٢٠ .

(٢) توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص٩٧ . وكذا خريطة رقم (١) .

(٣) يعد وادي الباطن (الرمة) من أهم وأشهر أودية شبه الجزيرة العربية فهو يمتد من السفوح الشرقية لجبال المدينة المنورة ، ومن حول الحرات القريبة منها ، ويتجه شمالاً شرقياً ليستقبل أثناء =

والتي تشكل مسطحات شاسعة ، ترتبط في اتصالها ومجاوراتها مع بلاد الرافدين ، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، مثل هضبة الحماد، وهضبة الحرة ، وهضبة الدبدبة [١] ، وهذا التشابه الكبير في تضاريس وجغرافية المنطقتين ، دفع بالمؤرخين إلى إطلاق اسم الهلال الخصيب على كل تلك الأرضين التي شكلت منطقة شمال شبه الجزيرة العربية البوابة التاريخية له [٢] وعلى ما يبدو أن سهولة الاتصال بين المنطقتين كانت ميسرة . كما يستدل على ذلك من أشعار العرب ، التي ذكرت بلاد الرافدين ، والحجاز ، (شمال غرب شبه الجزيرة العربية)[٣] .

يقول الشاعر :

تَطَاولَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ
عَلَيَّ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ يَطُولُ

=سيره حوالي ٣٠٠ رافد ليصبوا فيه حتى يصل إلى حائل ما بين جبلي أجا وسلمي اللذان يفصلهما سهل منخفض لا يزيد اتساعه عن ٢٠ ميلاً يمر به ثم يتجه جنوباً نحو القصيم حيث تختفي معالمه ليظهر ثانية بعد الدهناء بمسمى جديد يعرف بالباطن فيتجه شمالاً ليعبر مدينة الحفر (حفر الباطن) ، يستمر تقدمه في المنطقة المحايدة السعودية العراقية الكويتية ثم يسير بمحاذاة الحدود الكويتية العراقية حتى يصل إلى مدينة الزبير في العراق ومنها ليصب في شط العرب بطول حوالي ١٢٢٥ كم تقريباً . انظر عبد الرحمن صادق الشريف: المرجع السابق ، ص٨٧ . وكذا فؤاد حمزة :قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض ، ١٣٨٨ هـ ، ص٢٢.وكذا الخريطة رقم (١) .

(١) عبد الرحمن صادق الشريف : المرجع السابق ، ص ٥٥-٥٦ .

(٢) محمد السيد غلاب : " التجارة في عصر ما قبل الإسلام " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص١٩١ . انظر خريطة رقم (١) .

(٣) محمد بن ضاوي القثامي : المرجع السابق ، ص٢١ .

ثانياً

العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الأسرات وحتى نهاية الألف الثاني ق.م

لا يستبعد أنه ثمة بعض الدلائل ، التي تشير إلى وجود أسبقية اتصال تاريخي، وحضاري ، بين بلاد الرافدين ، وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، منذ عصور ما قبل التاريخ ، وقد يُستنتج ذلك من واقع بعض الدلائل الأثرية التي عثر عليها الباحثون في مصر ، من مظاهر حضارية تنسب إلى عصر ما قبل الأسرات المتأخر في مصر في الفترة ما بين ٣٤٠٠-٣٢٠٠ ق.م [١] والتي تشبه في طرزها أدوات ، عثر عليها في بلاد الرافدين، وتنتمي إلى نفس تلك الفترة تقريباً ، وهي مرحلة ما يعرف بعصر ما قبل الكتابة ، كما في حضارة كلٍ من العُبيد ، والوركاء ،وجمدة نصر [٢] . كما عثر على بعض المؤثرات الفنية ، ذات المظاهر

---

(١) تأثرت صناعة الفخار في مصر بالمؤثرات الرافدية في هذا العصر ، حيث عثر الباحثون على أواني فخارية ذات الصنابير المائلة ، وكذلك بعض الأواني ذات الآذان المثلثة في منطقة " مستجدة " و" البداري " والتي تنسب في طرزها إلى عصر حضارة جمدة نصر ، وكذلك بعض الأواني الفخارية التي صنعت في أشكال بعض الحيوانات كالطيور وهي تشبه ما عثر عليه منسوباً إلى حضارة جمدة نصر في بلاد الرافدين ، وكذلك عثر على عدد من الأختام الأسطوانية التي تنتمي إلى نفس العصر وعصر الوركاء في كلٍ من جرزة ونجع الدير ، وكذلك عثر على بعض مظاهر العمارة الرافدية في نظام الفجوات المتقطعة والدخلات والخزفيات والتي تنسب إلى حضارة العُبيد كما يظهر ذلك في مقبرة الملكة " نيت حتب " في نقادة . انظر رشيد سالم الناضوري : جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا ، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث وحتى نهاية الألف الثالثة ق.م الكتاب الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٢٠٧ ، ٢١٠ - ٢١٣ . وكذا محمود عبد الحميد أحمد : الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية و بلاد الرافدين والشام إلى مصر ، الطبعة الأولى ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨م ، ص٧١-٧٢ . وكذا شفيق علام : " بعض العوامل الحضارية التي وصلت مصر من البلاد الشرقية في عصر فجر التاريخ " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٣٣٦-٣٣٩ .

(٢) يرى محمد عبد اللطيف محمد علي،أن من الصعوبة بمكان أن تنسب هذه الحضارات التي قامت في جنوب بلاد الرافدين إلى المصطلحات الدولية التي تطلق على الفترات الواقعة في عصور ما قبل =

الفنية السومرية ، والتي وجدت منقوشة على بعض مقابض (أيادي) السكاكين التي عثر عليها في مصر ، وخاصة ما يعرف بسكين جبل العركي [1] ، حيث يذهب محمد عبد القادر محمد [2] إلى أن منظر الأشخاص في الفن المصري ، تعتبر جديدة، وحيث أن الرسوم على أحد وجهي السكين تمثل صورة لرجل

= التاريخ كالعصر الحجري الحديث وعصر الحجر والنحاس وعصور ما قبل الأسرات ، ويرى أن حضارات كلٍ من العُبيد والوركاء وجمدة نصر بمراحلهم المختلفة وما اشتملت عليه حضاراتهم المختلفة يجب أن يعرف عصرهم ذلك بعصر ما قبل الكتابة (Prolotiterate Period) لأن خلال عصر الوركاء الأخير بدأت مراحل ظهور الكتابة . انظر محمد عبد اللطيف محمد علي : تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالثة ق. م ، الإسكندرية ، ١٩٧٧م ، ص٧٣-٧٥ ، ١٧٢ .

(١) رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ .
نقشت مناظر على يد " سكين جبل العركي " تصور وصول أقوام جديدة لأرض مصر ، جاء على أحد وجهي المقبض منظر معركة استخدمت فيها العصا وفي النصف الأسفل منها منظر مراكب مختلفة تمتاز بارتفاع مقدمتها ومؤخرتها وكذلك مراكب أصغر حجماً ، وصور على الوجه الآخر من مقبض السكين صورة لرجل واقف بين أسدين ، وكذلك صور لبعض الحيوانات ، وإن الدراسة التي جرت على النقوش تؤكد أن المراكب تشبه رسوم المراكب السومرية ، حيث عثر على نقوش تشبه تلك النقوش في سومر بأرض بلاد الرافدين ، ومن الملاحظ أن معظم تلك المخلفات الأثرية التي عثر عليها في مصر وجدت ما بين القصير على البحر الأحمر ووادي النيل عند مدينة قفط . الأمر الذي جعل الباحثين يذهبون إلى أن ذلك الاتصال تم عن طريق وادي الحمامات الموصل بين قفط والقصير أو عن طريق وادي الطميلات الموصل بين جنوب شرقي الدلتا والبحر الأحمر . انظر نفس المرجع ، ص٢١٣ . وكذا محمد عبد القادر محمد : " العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، الجزء الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م ، ص١٥-١٨ . وكذا شكل رقم (١) . وكذا أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر ــ العراق ــ سوريا ــ اليمن ــ إيران) ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١٣٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص١٨ .

واقف بين أسدين في منطقة صحراوية ، لم يظهر فيها رسام النقش أي نوع من أنواع الأشجار التي عادة ما تتصف بها نقوش بلاد الرافدين ، كذلك شكل الرجل ، وزيه ، الذي صوره النقش وهو مُلْتَحٍ ، وقد وضع فوق رأسه (غطرة) مثبتة بعقال دافعاً بشعره الطويل للخلف ، ومتلحف بإزار يغطى أسفل جسده حتى ركبتيه ، وهذه الأوصاف جميعها ، قد لا تنطبق على أن يكون الرجل من أهل بلاد الرافدين ، وتدفع إلى القول بأن الرجل إن لم يكن من سكان بلاد الرافدين ، فإنه عربي من سكان الصحراء ، المتاخمة لبلاد الرافدين ، والممتدة إلى الحدود المصرية ؛ وذلك لخلو النقش من أي إشارة إلى الزراعة التي اشتهرت بها بلاد الرافدين ، وكذلك تصوير النقش له واقفاً في وسط الصحراء ، بالإضافة إلى أن شكل الرجل ، وهيبته ، وإزاره ، يؤكدان عروبته ، وأنه من سكان تلك البادية الفسيحة ، الواقعة بين بلاد الرافدين ومصر ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك ما ذهبت إليه الدراسات الأنثروبولوجية ، على بعض تلك العناصر التي خلفت تلك الآثار ، من أنهم لا ينتمون إلى العناصر السكانية للمجتمع المصري آنذاك ، بل هم من العناصر الشرقية الذين عثر على بقاياهم منتشرين في مناطق مختلفة ، من الشرق الأدنى القديم ، والذين يرى فيهم أحد الباحثين [1] أنهم كانوا يشكلون حلقة وصل ، بين مصر ، والشعوب الشرقية ، منذ فجر التاريخ . نتيجه دراسته لبعض الظواهر الدينية ، واللغوية، لتلك العناصر بالإضافة إلى الأنثروبولوجية ، ومقارنتها ببعض الظواهر الأخرى في المنطقة ، واتضح منها أن تلك العناصر كانت أقرب إلى سكان شبه الجزيرة العربية ، لا إلى سكان بلاد الرافدين .

وعلى ذلك ، فإن الذين قاموا بنقل هذه الحضارة الرافدية إلى مصر ، كانوا من القبائل العربية القاطنة في شمال الجزيرة العربية ، والتي اتخذت طريقها إلى مصر

---

(١) شفيق علام : المرجع السابق ، ص٣٣٢ – ٣٣٥ .

وهي تحمل تلك المؤثرات الحضارية ، من بلاد الرافدين لمصر ، إمـــا في شـــكل هجرات بشرية [1] ، أو في شكل تجار يتنقلون بين بلاد الرافدين ، ومصر ، وذلك عبر طريقين بري ، وبحري ، فكان الطريق البري عبر شبه جزيرة سيناء ، الـــتي لم يقم فيها في يوم من الأيام حاجز طبيعي يفصل بينها ، وبين منطقة شمـــال شـــبه الجزيرة العربية [2] ، أما البحري فهو عن طريق البحر الأحمر إلى مصر ، عن طريق القصير ، ووادي الحمامات ، ومنها إلى الداخل [3] . حيث عثر على بعض طـرز المراكب التي عثر عليها منقوشة في بعض الآثار المصرية ، كما في المقبرة الملونة في هيراكونبوليـــس (Hieraconpolis) ، وعلى سكين جبل العركي [4] ، وهـي من طراز السفن الغير معتادة في النقوش المصرية ، وتشبه إلى حدٍ بعيـــدٍ سـفنا مشابهة لها، عثر عليها في بلاد الرافدين ، والتي تتسم بهيكلها المقوس، وارتفـــاع مقدمتها ومؤخرتها ، بشكل عامودي [5] . والتي استخدمها بعض المؤرخين دليـلاً على قدم الصلات بين بلاد الرافدين ، ومصر ، منذ عصور ما قبل الأســـرات ، وبالأخص إلى حضارة الوركاء ، وجمدة نصر [6] . ولعل مـــن الأهميـــة بمكـــان

---

(١) محمود عبد الحميد أحمد : المرجع السابق ، ص٧١-٧٢ .

(٢) أحمد فخري : المرجع السابق ، ص١٣٧ .

(٣) من المشهور لدى الباحثين أن الاتصال الذي قد يكون بين جنوب العراق ومصر كان عـــن طريـــق الخليج العربي ومنه إلى البحر الأحمر فمصـــر . انظـــر رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص٢١٥ . وكذا محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القـديم، ص ٤٨-٤٩ .

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٦٣ .

(٥) جورج فضلو حوران: العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة يعقوب بكر، مراجعة يحيى الخشـاب، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٢٩ .

(٦) رشيد سالم الناضوري: المرجع السابق ، ص٢١٥. وكذا عبد العزيـــز صالح : المرجـــع الســـابق ، ص٦٣-٦٤ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٨-٤٩ .

الإشارة إلى ما ذهب إليه رشيد سالم الناضوري – رحمه الله – [1] من أن الآراء الحديثة التي توصل إليها الباحثون ومن واقع المسح الأثري، في مناطق متفرقة ، من شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة عند وادي شرمة، وقرب عينونة [2] ، تتجه إلى القول بأن هذه المنطقة كانت حلقة الوصل الاقتصادي ، والحضاري ، بين بلاد الرافدين ومصر ، بما عثر عليه من دلائل أثرية تشير إلى المنطقة . ربما استعملت كمحطة تجارية ، يعبرها طريق بري قادم من بلاد الرافدين ، نحو الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، ومنه نحو الساحل الغربي للبحر الأحمر ، في مصر عند القصير . ولا يستبعد عبد العزيز صالح [3] أن يتم مثل هذا الاتصال الحضاري بين بلاد الرافدين ، ومصر ، ويرى أنه ليس بالضروري أن يكون ذلك الاتصال بواسطة السكان الأصليين ، أي بطريق مباشر بين سكان بلاد الرافدين ، ومصر، بل من المحتمل أن يتم مثل هذا الاتصال بطريق غير مباشر، أو بواسطة وسطاء تلقائيين، كانوا ينتقلون بين المنطقتين ، ويرجح أن يكونوا من سكان شمال شبه الجزيرة العربية أو حتى من جنوبها . وإذ ما قمنا بالربط بين ما ذهب إليه محمد عبد القادر محمد حول سكين جبل العركي ، من أن صورة الرجل المنقوشة على مقبضها عليه إنما تصور رجلاً عربياً ، من سكان الصحراء العربية ، وبين ما ذهب إليه رشيد سالم الناضوري من كون منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية كانت ممراً برياً ، استعمل للربط بين بلاد الرافدين، ومصر عن طريق البحر الأحمر. وأيضاً ما أشارت إليه سكين جبل

---

(١) " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر "، ص٧٣ . وكذا خريطة رقم (٣) .

(٢) وادي شرمة إلى الشمال من المويلح المطلة على البحر الأحمر بجوار عينونة . انظر محمود طه أبو العلا : المرجع السابق ، ص٦٧ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨ .

العركي ، في رسومها على أحد وجهيهـــا ، لسفن سومرية، فهي بذلك جمعـــت بين الشخص العربي والسفينة السومرية ، وبذلك يمكن الاستدلال على تـــأكيد وجود صلات مبكرة بين العرب القاطنين في شمال وشمال غرب شـــبه الجزيـــرة العربية ، وبين بلاد الرافدين، منذ عصور ما قبل الأسرات على أرجح التقديـــرات – إن صح لنا ذلك – خاصة إذا ما عرفنا أن الدلائل الأثرية للمنطقة ، تشـــير إلى أن المنطقة كانت مشغولة بالسكان خلال الألفين الرابـــع ، والثـــالث ق.م ، أي خلال – عصري الحجر والنحاس وبداية العصر البرونزي – كما يـــرى ذلـــك بعض الباحثين [1] . وإن كانت حياتهم تتصف بأشباه البدو الرحـــل الذيـــن لا يعرفون الاستقرار ، كما استُدِلّ على ذلك من بقايا أفران حجريـــة ، ودوائـــر حجرية غير متبلورة ، والمنتشرة في مواقع مختلفة من المنطقة ، وذلك بعد مقارنتـها بأشباهها في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم ، توافق زمنها مع قرابتـــها في تلك النواحي ، ومع ذلك فإن هذا الاحتمال مبني على الفرضيات ، ولا يمكـــن تأكيده في الوقت الحاضر لأن ما عثر عليه في تلك النواحي من الشـــرق الأدنى، عادة ما يكون مصاحباً لتواجد نماذج فخارية ، في حين ما عثر عليه في منطقـــة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وجد خالياً من الفخار إلى بعض النقوش، والتي يرجح أن تكون شواهد لهذه الأطلال . كما إن الدلائل تشـــير أيضـــاً إلى وجود بعض المخلفات الأثرية حول تلك المواقع ، تشـــبه في صناعاتها تقـــاليد صناعات عصر الحجر والنحاس ، في بلاد الرافدين ، والتي تتميز بجانبها المصقـــول

(1) Parr.p. J., " Archaeological Sources for The Early History of North West Arabia in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia " , 1977/1397 , Riyadh , vol. I , Part I , 1979/1399 , p. 38 .

من حجر الصوان ، كأطراف المكاشط والمخازر والسواتير والمفارم [١] . كما يتجه رأى إلى أن المنطقة عاشت في ذلك الوقت أيضاً بناءاً اجتماعياً لا بأس به ، كما يشار إلى ذلك من واقع دراسة الباحثين لموقع يعرف بالرجاجيل [٢] في شمال شبه الجزيرة العربية ، حيث يذهب الباحثون إلى أن هذا الموقع شارك مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم، في مجال الصناعات الحجرية والفخارية المختلفة ، وخاصة في كلٍ من الأردن ، وشبه جزيرة سيناء ، وصحراء النقب ، وكذا الساحل الفلسطيني ، والأطراف الغربية لبلاد الرافدين [٣].كما يستدل بعض الباحثين [٤] من واقع ظاهرة انتشار النقوش [٥] ، والرسوم ، في أماكن متفرقة من مناطق شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وبأشكال وأحجام مختلفة

---

(١) بيتر بار وآخرون : " التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية " ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، أطلال ، العدد الثاني ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م ، ص٤٢ .

(٢) الرجاجيل على بعد ٦٠ كم جنوب سكاكا . انظر روبرت أدامز وآخرون : " الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل مقدمة لمسح المنطقة الشمالية والشرقية " ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، أطلال، العدد الأول، الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص٤٣. وكذا الخريطة رقم (٢) وشكل رقم (٢).

(٣) يوريس زارينس: " الرجاجيل موقع فريد من الألف الرابع ق.م " ، أطلال ، العدد الثالث ، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص٨٥-٨٦ .

(٤) روبرت أدامز وآخرون : المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٥) يعتبر النقر في النقش (الحفر) الأكثر شيوعاً فيما عثر عليه من نقوش مختلفة في شبه الجزيرة العربية حيث تمثل هذه الطريقة حوالي ٩٨ % مما عثر عليه من نقوش وخاصة على الحجر الرملي بالإضافة إلى طريقة الخدش في المناطق البازلتية وطريقة إبراز النقش بحفر و نحت ما حوله . انظر عبد الرحمن الكباوي وآخرون : " تقرير مبدئي من المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م " ، أطلال ، العدد العاشر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص١٠٥ .

– خاصة حول تبوك – دليلاً واضحاً على أن هذه المنطقة قد شهدت بالفعل مرحلة استيطان بشري مبكر . ورغم الاختلاف في تحديد زمنها إلا أنه من المرجح أن معظمها يعود تاريخه إلى الألف الرابع ق.م ، وذلك من واقع دراسة الظواهر الأثرية الأخرى المحيطة بها وحولها [1] . وفي ضوء هذا كله فإن أمر الاتصال المبكر بين بلاد الرافدين ، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، يعد أمراً غير مستحيل ، خاصة وأن من الظواهر الهامة في تاريخ الإنسانية ظاهرة التحركات البشرية المحدودة ، واللامحدودة ، في شكل تحركات وهجرات جماعية، أو في شكل غارات مفاجئة ، بين منطقة و أخرى ، خاصة منطقة الشرق الأدنى القديم ؛ حيث حظيت بشكل كبير من هذه التحركات ، وبالأخص منطقة شبه الجزيرة العربية ، وكما يذهب الباحثون بأنها حظيت بنصيب أوفر من تلك التحركات الجماعية داخلياً وخارجياً [2] ، وكان النصيب الأوفر من تلك

---

(١) اليستر ليفجستون وآخرون : " حصر وتسجيل النقوش الصخرية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م " ، أطلال، العدد التاسع ، الرياض ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص١٤٥ . وكذا برينتس ديجوس وآخرون: " تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م " ، أطلال ، العدد السادس، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٦٤ .

(٢) إن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت أشبه بمستودع بشري ضخم دفع بكثير من الهجرات البشرية الكبرى التي كونت معظم مجتمعات الشرق الأدنى القديم ويرجع ذلك إلى ثلاثة مسببات كما يوضح ذلك عبد العزيز صالح :-

١- بسبب تتابع الفترات المناخية المختلفة ، وما تبعها من حالات جفاف وخصوبة دفع بشعوبها إلى الخارج للبحث عن موارد للعيش في شكل هجرات جماعية كثيفة متتابعة تفصل بينهم فترات زمنية متباعدة قد تصل إلى الألف عام .

٢- ضعف الحالة السياسية في شبه الجزيرة العربية التي لم تعرف وحدة سياسية وقوة سياسية تجمع شتاتها وتحمي نفسها وأتباعها وتبحث عن تنمية مواردها الاقتصادية فعاش أهل الجزيرة العربية حالة من التفرقة والتمزق السياسي ، مع الأخذ في الاعتبار وجود وحدات سياسية صغيرة ارتبطت في نمائها على الناحية الاقتصادية وخاصة في منطقة شريان التجارة وممر القوافل القديمة

=

الهجرات والتحركات باتجاه بلاد الرافدين . إما بطريق مباشر ، أو بطريق غير مباشر ، عبر الأراضي السورية ، أو بوادي الشام ، وكذا البوادي المحيطة به من جهة الغرب ، خاصة وأن الجهات الجنوبية الغربية منه تشكل امتداداً طبيعياً لشمال شبه الجزيرة العربية [1] ، ومن تلك الأقوام المهاجرة – التي عرفتها منطقة الهلال الخصيب، قادمة من شمال

= فتتسع و تزول حسب نمائها الاقتصادي وكان ذلك في سبب هجرات أهلها نحو الخارج بحثاً عن موارد رزقها .

٣- رأي ثالث يجمع الرأيين السابقين ، حيث جعلوا فيه من السبب الأول مباشرا ومن السبب الثاني أصلاً وهو الرأي الذي يؤيده عبد العزيز صالح و يضيف أن تلك الهجرات ربما لم تكن بشكل كثيف لأن ذلك يعني وجود أمة من الناس لها مواردها التي تساعد على قيام هذه الكثافة وشبه الجزيرة العربية ليست بتلك التي تسمح بقيام كثافة سكانية ، ويرى أن الهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية لابد وأنها اتخذت مرحلتين بدءاً من العوامل السابقة في شكل هجرات بطيئة ومتقطعة من شبه الجزيرة العربية إلى بوادي الشام والعراق وفي الأماكن القريبة منهما فاختلطوا بالسكان الأصليين وتعايشوا معهم سلماً أو قسراً وتبعتها هجرات أخرى كررت فعلتها لتبدأ مرحلة جديدة بعد أن استقر أولئك المهاجرون الجدد في مواطنهم الجديدة وأخذوا يتطلعون إلى التدفق نحو بلاد الرافدين أو بلاد الشام بعد أن زاد عددهم وسمعوا بخيرات تلك الأراضي ، وهيئوا أنفسهم لهذه النقلة الجديدة من أقوام رعوية إلى أقوام مستقرة فكانت المرحلة الثالثة و الأخيرة فمن خلال المرحلتين السابقتين تعرفوا على مناطق الضعف و القوة في تلك الدول التي تحكم في تلك الأرضين حتى إذا ما تفككت تلك الدول انهارت قواها قدموا إليها في قبائل أو جيوش أو في شكل أُسَر و عشائر فشاركوا أهلها معايشهم ومع الوقت تمكنوا من السيطرة على أهلها وغلبوهم على أرضهم بل وحكموهم وأصبحوا هم أصحاب السيادة والتاريخ مليء بهم ، ومنهم قبائل الأموريين . انظر

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩-١٣ . وكذا

Caetani. L., Arabia. Preistoriea Epessi Camento Della Terra " Studi Distaria Aariental E. I Milan , 1911 , p.p. 51 , 289 ; Musil.A., Northern Nagd, New York , 1928 , pp.304 -311 .

(١) رشيد سالم الناضوري : جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا ، ص ٢٧٨ .

غرب شبه الجزيرة، نحو سوريا ومنها إلى بلاد الرافدين - الأموريون [1] . وهم من جملة الشعوب التي اصطلح على تسميتهم بالشعوب السامية [2] ،

---

(١) ذكرهم المصادر السومرية بلفظة (Mar.Tu) وكذلك عند الأكاديين بلفظه أمورو (Amurru) ويرجع أقدم ذكر لاسمهم إلى عهد الملك الأكادي سرجون الأول في نصوصه التي ترجع إلى عام ٢٢٥٠ ق.م ويذهب بعض الباحثون أن مدلول اللفظة عند أهل الرافدين يعني مصطلحاً جغرافياً بمعنى الغرب أو بلاد سوريا كما استعمل أهل بلاد الرافدين لفظة (Marto) للدلالة على إله الأموريين وقد يرى البعض أن المسمى كان يطلق على قبيلة أو مشيخة صغيرة تسكن في أطراف بوادي بلاد الرافدين ثم اتسع هذا المدلول ليصبح علماً على كل البدو القاطنين في سوريا ولقد عرف الأموريون في بعض المراجع العربية الحديثة بالعموريين وفي العهد القديم بـ أموري . انظر فيليب حتي : تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافق، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص٧١-٧٢.وكذا محمد عبد القادر محمد : الساميون في عصورهم القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص١١٠ . وكذا طه باقر :المرجع السابق ، ص٤٠٧. وكذا سبتينو موسكاتي :الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٢٥٢ ، هامش١٣ . وكذا حسن حده : الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب - العموريين - ، الطبعة الثانية ، مطبعة اليازجي ، دمشق ، ١٩٩٦م ، ص٢٧ .

(٢) السامية أو الساميون لفظة أطلقها أوغست لوديك شلوزر في عام ١٧٨١م على مجموع شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم من واقع دراسة قام بها الباحث للغات المنطقة حيث نتج عن دراسته القول بتواجد وحدة عنصرية مشتركة تجمع شعوب المنطقة وذلك من خلال تعرفه على أن معظم شعوب المنطقة تجمعهم لغة واحدة أطلق عليها اللغة السامية وعرفوا بالساميين و بـ (الرس السامي) و (الجنس السامي) أو السامية (Semites) ، وعلى كلٍ فإن تلك اللفظة وكما يرى كثير من الباحثين اتخذت من التوراة التي سَمَّتْ أحد أبناء نوح عليه السلام - بسام - يقول الإصحاح العاشر من سفر التكوين "...وهؤلاء مواليد بني نوح سام و حام ويافث والذين منهم تفرقت الأمم ..." ، وقد واجه النظرية انتقادات عدة لكونها اصطلاحاً مجرداً للتعبير عن الروابط الظاهرة لتلك الشعوب والتي تتعلق بالنواحي الثقافية .و أنها مبنية على خرافة يهودية بتأويل الإصحاح العاشر لخدمة المصالح العنصرية ، حيث قسموا شعوب العالم إلى عناصر ثلاثة سامي وهو عنصر الخير وحامي وهو عنصر الشر ويافثي والغير معروف. واخيراً أن تواجد صفاء عنصري لأمة من الناس

=

= أمر مستحيلٌ لأن الإنسان ومنذ استقراره على الأرض وهو في حالة مـــن التحركـــات والهجـــرات المستمرة بفعل قانون الطرد والجذب الطبيعي بحثاً عن مصالحه ، فيندفع من مناطق القحط والشـــدة إلى مناطق الرخاء والسعي ومن أماكن الخطر إلى أماكن الأمان كما أن الإنسان بطبيعته سريع التفاعل مـــع اللغات المختلفة لخدمة مصالحة و أهدافه وعلى ذلك فاللغة وحدها تكفي لاتخاذ مثل هـــذا الأمـــر ، وكما اختلف الباحثون حول السامية ومدلولها اختلفوا أيضاً حول موطنها الأصلي ومن أرجـــح مـــا ذهبوا إليه والأخذ به هو أن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لهذه الشعوب وأول من أطلق هذه الفكرة (Asprengr) وتبعه كثيرون منهم سايس وإبرهود شرادر ودي كويه ، وهوبرت كومـــه ، وكارل بروكلمان وديتلف نيلسن ، وونكر وهومل وسبتينو موسكاتي وعبد الله فلبي، فمنطقة الشـــرق الأدنى القديم كانت موطناً تاريخياً لهذه الشعوب ، وأنه لا يمكن تحديد موطن أصلى لهم في موقع محـــدد من أرض الشرق الأدنى القديم فهي في نظر بعض الباحثين عناصر كانت تسكن المنطقة في شكل بـــؤر بشرية متوزعة وكانت تحركاتهم تحركات داخلية بحثاً عن الأراضي الخصبة داخل جغرافية المنطقـــة ، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعض المراجع الحديثة سمت تلك العناصر بالعناصر الجزرية نســـبة إلى شبه الجزيرة العربية .ويقف الدارس هنا أمام قول الله سبحانـــه وتعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـــوا رَبَّكُـــمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّـــذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ " سورة النساء آية (١) وقال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " سورة الحجـــرات آية (١٣) ، وجاء عند ابن تيمية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أيها الناس إن الـــربٌ ربٌ واحد والأب أب واحد والدين دين واحد وأن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم – إنما هـــي اللسان – فمن تكلم بالعربية فهو عربي..." . انظر

ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تـــاريخ، ص٥٢ . وكذا جواد علي:المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٢٢٣-٢٢٦ ، ٣٣١-٣٣٣ . وكـــذا نسيب وهيبة الخازن: من الساميين إلى العرب ، دار مكتبة الحياة ، بـــيروت ، ١٩٧٩م ،ص٩-١٠. وكذا لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٤٤-٤٦ . وكذا حسن ظاظا : اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشـــق ، ١٤١٠هـــ، ص١٥٣،١٥٩-١٦٠. وكذا فاضل عبد الواحد علي: السومريون والأكاديون ، العـــراق في التـــاريخ، بغـــداد ، ١٩٨٣م ، ص٧٣.وكذا توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص٨١-٨٢،٨٦ . وكذا طه باقر:المرجع الســـابق ، ص٦٧-٦٨. وكذا محمود عبد الحميد أحمد : المرجع السابق ، ص٢١.وكذا محمد بيومي مـــهران:" الساميون والآراء التي ذكرت حول موطنهم الأصلي"، مجلة كلية اللغة العربية،جامعة الأمـــام محمـــد =

والتي هاجرت من شبه الجزيرة العربية نحو سوريا ، واستطاعوا أن يُكونـــوا أول الشعوب السامية التي استوطنت الأراضي السورية ، وخاصة أطرافها الشـــمالية ، والتي أطلق عليهم جيرانهم في الشرق السومريون اسم الأموريين ؛ حيث بدءوا في الظهور بالتدريج في سوريا ، ولبنان ، وحتى جنـــوب فلســـطين (١) ، وعرفـــوا بالساميين الغربيين (٢) ، تمييزاً لهم عن الشعبة السامية الشرقية، التي اتجهت مباشـرة من شمال شرق شبه الجزيرة العربية ، نحو بلاد الرافدين وعرفوا بالأكاديين . حيث اتخذت تلك الشعبة السامية الغربية الطريق الشمالي الغربي مـــن شـــبه الجزيـــرة العربيـــة ، نحو بلاد سوريا، وفلسطين، وربما عبر الطريق التجاري العظيم ، الذي يمتد بين جنوب غرب شبه الجزيرة العربية،وبلاد سوريا،وفلسطين، عـــن طريـــق شمال غرب شبه الجزيرة العربية،كما يذهب إلى ذلك رشيد سالم النـــاضوري (٣) من أن المهاجرين الأموريين ساروا وسط أرض مدين في تحركاتهم وهجرتهم نحـــو بلاد سوريا . والتي منها – كما يذهب طه باقر (٤) – تقدموا نحو بلاد الرافدين ، بعد أن كانوا قد انتشروا على أطرافه الغربية حول الخابور والبليخ والفرات ، ومن ثمة توغلوا فيه .

=بـــن ســـعود ، العـــدد الرابـــع ، الريـــاض ، ١٣٩٥هــــ/١٩٧٥م ، ص٢٦٥-٢٦٣. وكـــذا سبتينوموسكاتي: المرجع السابق ، ص١٣٩ ، هامش ٤٣.

(١) فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٧٠ .

(٢) رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص٢٧٩،٣٣١.وكذا مصطفى أبو ضيف أحمد : دراســـات في تاريخ العرب منذ ما قبل الإسلام إلى ظهور الأمويين ، مؤسسة شباب الجامعـــة ، الإســـكندرية ، ١٩٨٣م ، ص١٧ . وكذا طه باقر : المرجع الســـابق ، ص٧٣ . وكذا إسرائيل ولفستون : تـــاريخ اللغـــات السامية ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٢٣. وكذا فيليب حـــتي : المرجع السابق ، ص٦٧-٦٨ .

(٣) " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر "، ص٧٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٦٨ .

وكما يجمع كثير من الآراء على أن هجرة أولئك الساميين الغربيين من شبه الجزيرة العربية نحو بلاد سوريا كانت في منتصف الألف الثالثة ق.م [١] . أما من حيث تقدمهم نحو بلاد الرافدين فقد اتخذ أولئك الأموريون طريقهم إلى بلاد الرافدين ، في شكل موجات متتالية ، بدءاً مع نهاية الألف الثالث ق.م وبداية الألف الثاني ق.م ، وذلك في عصر واكب نهاية (أسرة أور) الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) ، حيث أشارت مصادر تلك الأسرة إلى أنه في عهد الملك شو-سين (٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق.م) ظهر ازدياد خطر الأموريين في عهده ، مما اضطره للتفرغ لمقاومتهم ، وبناء حائط على مقربة من بغداد الحالية فيما بين دجلة والفرات ؛ ليحد من توغلات الأموريين ، إلا أن الأوضاع بصفة عامة قد تردت في عهد خليفته وابنه إيبي- سين (٢٠٢٩-٢٠٠٦ ق.م) ؛ حيث تمكن الأموريون في الغرب ، والعيلاميون في الشرق ، من التقدم إلى داخل بلاد الرافدين ، والتمكن في نهاية الأمر إلى سقوط أسرة أور الثالثة ، وأسر آخر ملوك أسرة أور الأولى ، وهو الملك إيبي سين نفسه على يد العيلاميين [٢] . ومع نهاية العقد العشرين من الألف الثاني ق.م ، تقدمت موجة جديدة من الأموريين ، نحو الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين ، واستطاعت هذه الموجة من تأسيس دولة جديدة في بلاد الرافدين، وتكوين وحدة سياسية كبيرة شملت معظم أراضي بلاد الرافدين ، والتي عرفت في التاريخ بدولة

---

(١) فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٦٣ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور وحتى مجيء الأسكندر ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٣ ، ١٤ .

(٢) فاضل عبد الواحد علي : المرجع السابق ، ص ٨٢ . وكذا
Gadd. C.J., " The Last Kings of Akad and The Gutian Supremacy , CAH , vol. I , Part 2 , p. 609 .

بابل الأولى [1] . وهكذا أثّر دخول الأموريين في بلاد الرافدين تأثيراً واضحاً ، واستطاعوا أن يبسطوا نفوذهم ، وأن يسيطروا على مجرى الأمور السياسية حتى أصبحوا بعد فترة وجيزة على رأس السلطة السياسية الحاكمة فيه [2] .

هذا ولقد اتفق على تسمية تلك الحقبة التاريخية من عهود بلاد الرافدين باسم العهد البابلي القديم ، أو العصر البابلي القديم ، حيث اشتهر هذا العهد بقيام عدة دول ترجع في أصولها إلى الأموريين ، مثل دولة لارسا ، وايسين، واشنونا، وماري، بالإضافة إلى أسرة بابل الأولى [3] . وقد يضاف إليهم

---

(١) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٣٩١-٣٩٤ ، ٤٠٩ .
ويرى رشيد سالم الناضوري ، أن تقدم الأموريين نحو بلاد الرافدين لم يكن في شكل تسللات بل هو أقرب إلى هجوم مباشر وإن دخولهم إلى بلاد الرافدين أدى إلى اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية حتى تمكنوا من بسط نفوذهم . انظر
رشيد سالم الناضوري : جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا ، ص٢٧٩ .

(٢) سامي سعيد الأحمد : العصر البابلي القديم العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص ٨٣ .

(٣) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٩٣ . وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق، ص٨٤ -٨٩.وكذا محمد أبو المحاسن عصفور:المرجع السابق، ص٣٦٣.وكذا سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص ٦٨. وكذا طه باقر ، الذي ذهب إلى أن تلك الدويلات ، التي قامت في بلاد الرافدين وتنسب إلى الرومة الأمورية كالتالي :-

١- سلالة " إيسن " ومؤسسها " أشبي- إيرا " (٢٠١٧ - ١٧٩٤ ق.م) .
٢- سلالة " لارسا " ومؤسسها " ينلام " (٢٠٢٥ - ١٧٦٣ ق.م) .
٣- سلالة " اشنونا " (٢٠٠٠ ؟ - ١٧٦١ ق.م) .
٤- بلاد آشور (٢٠٠٠ ؟ - ١٧٦٠ ق.م) .
٥- سلالة " ماري " (١٨٥٠ ؟ - ١٧٦١ ق.م) .
٦- سلالة " بابل الأولى " ومؤسسها " سومو-إيم " (١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م) .
٧- سلالة " الوركاء " ومؤسسها " سين كاشد " (١٨٦٠ - ؟ ق.م) .
٨- سلالة " دير ".
٩- سلالة " ملكيم ".

=

الآشوريون في عصرهم القديم في الفترة الواقعة ما بين عامي (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م) ، حيث تولى حكام منهم ينتمون إلى العناصر الأمورية ، التي قدمت واستوطنت بلاد الرافدين [١]، وجعلوا تاريخ ذلك العهد البابلي ما بين عامي (٢٠٠٤)-(٢٠٠٦) وحتى ١٥٩٥ ق.م تقريباً ، أي قدروا نهايته بنهاية أسرة دولة بابل الأولى [٢] . ومهما يكن من أمر فإن الشاهد هنا هو الاستدلال من واقع هجرات الأموريين عبر منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، نحو سوريا ومنها نحو بلاد الرافدين ، وإلى وجود صلات حضارية ، أو اتصالات بشرية بين المنطقتين ، خلال تلك الحقبة التاريخية ، والتي تعرف بالعهد البابلي القديم ، بل وأبعد من ذلك حيث تتجه بعض الآراء إلى القول بأن ملوخا (Melakhah) ، وماجان (Magan) ، اللتين وردتا في مصادر بلاد الرافدين ، منذ الألف الثالث وحتى النصف الأول من الألف الأول ق.م ، منطقتان [٣] تقعان في شمال وشمال

= ١٠ - سلالة " يموت بعل " .
١١- سلالة مدينة " سبار " وغيرها ... . انظر نفس المرجع ، ص٤١١ - ٤١٢ .

(١) عامر سليمان : العصر الآشوري ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص١٢٧ .

(٢) طه باقر : المرجع السابق ، ص٤٠٦ . وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٣) تعددت الآراء حول موقع المنطقتين حيث تجمع معظم الآراء على أن موقع المنطقتين هو الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية حيث حدد أحمد محمود صابون موقع ماجان بعُمان الحالية ووضع ملوخا على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية وعلى طول امتداد الساحل المقابل للبحرين الحالية وحتى حدود عُمان جنوباً ، في حين ذهب سليمان سعدون البدر إلى أن موقع المنطقتين بعيداً عن شبه الجزيرة العربية ، حيث وضع ماجان على الساحل الشرقي للخليج العربي وتمتد في منطقة شاسعة من تلك الأرضين لا يمكن لأي مؤرخ تحديدها ، في حين وضع أيضاً ملوخا في وادي السند بدءاً من بلوخستان الشرقية شمالاً وعلى طول الساحل الشرقي للبحر العربي وقد تمتد لتشمل بعض المواقع في وادي السند ، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعض مصادر بلاد الرافدين والتي ترجع إلى الألف الأول ق.م قد أشارت إلى أن موقعي ماجان وملوخا يعنيان مصر وأثيوبيا ، ويعلق =

غرب شبه الجزيرة العربية ، وإليهما اتجه السومريون وكذا الأكاديون والآشوريون لجلب المواد الخام منهما ، والذي يأتي على رأسها النحاس، والخشب ، فهناك من يري [١] أن ملوخا تقع في وسط ، أو شمال غرب شبه الجزيرة . وكذلك كيتاني [٢] الذي جعل من ماجان الواردة في النصوص بلاد الرافدين أرض مدين ، وذهب إلى القول بأنها كانت خلال الألف الخامس ق.م وما بعدها غنية بمياهها ، وكثافة أشجارها ؛ لذلك قدم إليها السومريون والأكاديون والآشوريون لأخذ الأخشاب والنحاس والذهب منها . وقد عارض ا. موسيل [٣] هذا الرأي ، ورأى أنه من الصعب تصور نقل السومريين والأكاديين للأخشاب ، والصخور الثقيلة ، من أرض مدين على ظهور الإبل إلى بلادهم ، مع اتساع الشقة وبعد الطريق بينهما ، ورأى أنه من الصعب أيضاً تصور نقلها عبر البحر الأحمر ؛ فالبحر العربي فالخليج العربي ومنها إلى بلاد الرافدين ، فإن ذلك يستدعي زمناً طويلاً ،

سليمان سعدون البدر على ذلك بأنه تفسير بعيد بعض الشيء ويرى أن ذلك التفسير قد انتهجه مؤرخو تلك الفترة أو كتاب النصوص الذين كانوا حريصين على تدوين أخبارهم بالاستعانة بتراثهم القديم وأساطيرهم وخاصة في ما يتعلق بأسماء المواقع ليكونوا بذلك مرتبطين بعظمة تاريخهم ولمزيد من التفصيل انظر

سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م ، الكويت ، ١٩٧٤م ، ص١٠١ ، ١٢٩ . وكذا أحمد محمود صابون : دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعي ماجان وملوخا، مركز بحوث الشرق الأوسط ، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، العدد ١٦٧، جامعة عين شمس ، ١٩٩٤م ، ص٣٦-٥٤ . وكذا جورج فضلو حوران : المرجع السابق ، ص٢٧-٢٨ .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٥٨ .

(2) Caetani. L. , Studi Della Historia , Orientale , vol. 1,.Milano , 1911, p.p. 64, 80, 243 .

(3) Musil. A., op.cit. , p. 306 .

ومتاعب كثيرة ، ثم إن النصوص لم تشر إلى ذلـــك ، وأن ذكرهـــا لا يـــرد في النصوص على شكل وتيرة واحدة بل بصيغ وأزمان مختلفة .

إن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن نظرة ا. موسيل عن عدم قدرة الجمـــل على حمل تلك الأثقال ، فهذا ليس بالضرورة أن يكون صحيحـــاً ؛ فلقـــد زود الباري عز وجل الإبل بمهارات تجعلها قادرةً على تحمـــل تلـــك الظـــروف [١] ويكفـــي قول الله عز وجل :{ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَـــتْ } [٢] . كما إن الأبحاث الأثرية في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية دلـــت على وجود بقايا مناجم لاستخراج الذهب في مواقع مختلفة منه [٣] . وإن احتمالية معرفة سكانها بصناعة النحاس أمر غير مستبعد ، حتى وإن كان ذلك على نطـــاق ضيق ، بحكم مجاورتهم لشبه جزيرة سينـــاء،المصدر الرئيسي لمعدن النحـــاس في

---

(١) من الجدير بالذكر أن ما يتميز به الجمل العربي هو تحمله أضعاف ما يحمله البغل وقد تصل قدرته على حمل حوالي ٥٠٠ كغم ، وكانت تسير في رحلتها التجارية في شكل قوافـــل قد يصل عددها ١٠٠٠ بعير أحياناً ، يقطع فيها خلال ٢٤ ساعة حوالي ١٣٠ كم وقد يتحمل العطش فترة تتراوح ما بـــين يوم إلى عشرة ، حيث يحتفظ بالمياه داخل جيوب حول معدته يُمون بها جسمه عند عبـــوره منـــاطق خاليـــة من الماء حيث إن الجمل يستطيع أن يشرب خلال عشر دقائق ما مقداره ٢٥ جالوناً من المـــاء أي حوالي ١٠٠ لتر تقريبـــاً . انظـــر
رضا جواد الهاشمي : " تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمـــة " ، مجلـــة كليـــة الآداب ، جامعة بغـــداد ، ملحق العدد الثـــالث والعشـــرين ، ١٩٧٨م ، ص١٩٣ . وكـــذا ي.ا. بليايف : العرب والإسلام والخلافة العربية ، ترجمة أنيس فريحـــة ، الدار المتحدة للنشـــر، بـــيروت، ١٩٧٣م ،ص٨٧. وكذا
The Encyclopedia. Americana , vol. 5 , New York, 1948 , p. 257 ; The New Encyclopedia . Britanica , vol. II , Chicago , 1973 , p. 480 .

(٢) سورة الغاشية ، آية : ١٧ .

(٣) أحمد كسناوي وآخرون : " تقرير مبدئي عن مســـح منـــاطق التعديـــن القديمـــة (شمـــال غـــرب الحجاز) ، ١٤٠٢ هـــ/ ١٩٨٢م " ،أطلال، العدد السابع ، الريـــاض ، ١٤٠٣ هـــ/ ١٩٨٣م، ص٥٩ .

مصر [١] . حيث اهتم المديانيون ، وأبناء عمومتهم الأقربون الكنعانيون ، منذ القدم بالتعدين [٢] . وفي الحقيقة أن مشكلة التحديد الجغرافي لموقع ماجان ، قد واجهت صعوبات كثيرة ، فقد أثارت جدلاً طويلاً بين الباحثين حول المنطقة الجغرافية التي تبوأتها ماجان [٣] فمنهم من يرى [٤] أنه من المحتمل أن تكون لفظ ماجان في الأصل " معان " الأردنية في أقصى شمال غرب شبه الجزيرة ، وأن اتخاذ هذا الرأي لم يتأكد لقربه من بلاد الرافدين ، بل إن الذي يدعو إلى ترجيح هذه الفكرة هو ورود اسم " مانيوم " [٥] حاكم ماجان الذي يبدو أنه نطق آشوري للاسم العربي " مُعْنٌ " (بالضم والتنوين) ، وهو شائع في أسماء عرب الشمال ، كما وجدت بكثرة في الشعر العربي الجاهلي ، وفي النقوش العربية القديمة ، التي عثر عليها في شمال شبه الجزيرة كالنقوش الصفوية مثلاً . غير أن هناك من يرى [٦] عدم الخلط بين ماجان ومعان الواقعة في المملكة

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٨ .

تشير النصوص المصرية القديمة إلى أن شبه جزيرة سيناء كانت محط أنظار الفراعنة ، فبالإضافة إلى كونها بوابة الشرق ، فقد اكتسبت أهميتها الخاصة من وجود مناجم النحاس الكبيرة في مواقع مختلفة منها. انظر

عبد المنعم عبد الحليم سيد :" الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م ، ص٣٥٣ .

(٢) أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٤٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص٣٦ - ٥٤ .

(٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ،١٩٧١م ، ص١٢٦ — ١٢٧ .

(٥) هناك قراءة أخرى للاسم :- مانئوم ، مانوم ، مانو ، دانو . انظر

Driotn , E . Vandier , J . , L' Egypte , Paris , 1946 , p. 162 .

(٦) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص١٣٢ .

الأردنية الهاشمية حالياً ، ومن الجدير بالذكر أن بعض الآراء [1] اتجهت إلى القول بأنهما بلدتان أنشأهما عرب الجنوب ، كمحطتين تجاريتين في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وذلك على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب غرب شبه الجزيرة وشمالها الغربي .

فإذا ما أخذنا بما ذهب إليه رشيد سالم الناضوري عن إمكانية وجود محطات تجارية ، في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، تمر بها قوافل بلاد الرافدين ، وكذلك ما دلت عليه الأبحاث الأثرية عن وجود دلائل تشير إلى وجود استيطان بشري مبكر في المنطقة ، بالإضافة إلى ما ذهب إليه أحمد محمود صابون [2] من أن المصادر أشارت إلى المنطقتين بشكل معروف ، ومتميز لمنطقتين ذواتي طبيعة جغرافية محددة ، ومعروفة لدى سكان بلاد الرافدين ، كما أن ذكرهم جاء مصاحباً لأخبار تدل على وجود علاقات تجارية ، ومعالم مشتركة تربط بين سكان تلك المناطق ، وبين حكام بلاد الرافدين ، مما يوحي بأن سكان المنطقتين لم يكونوا بالمجهولين مكاناً ، بل قد يكونون شعباً له حضارته ، ونشاطه الاقتصادي والسياسي . وعلى ضوئه كان تعامل سكان تلك المنطقتين مع حكام بلاد الرافدين ، ومن الجدير بالذكر أن ذكر الموقعين جاء في بعض المصادر مصاحباً لموقعي بلدين مشهورين هما : مصر ، وأثيوبيا . وكلاهما قريب من منطقة الحجاز. الأمر الذي يدفع إلى عدم استبعاد أن المنطقتين ربما كانتا تقعان في شمال غرب شبه الجزيرة العربية [3] . وبرغم ذلك كله فإنه لم يتأكد بعد من أن ماجان وملوخا تقعان في المنطقة ، كما أنه ليس هناك من ينفي ذلك كلياً ، فالأمر أصبح من السابق لأوانه في تحديد موقعهما الفعلي ، ومع ذلك فإنه ليس

---

(١) أحمد فخري : المرجع السابق ، ص١٣٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص٣٥ - ٣٦ .

(٣) سليمان سعدون البدر: المرجع السابق ، ص١١٧-١٢٣ ، ١٣٣-١٣٤ .

من المستبعد أن يكون زمن ورود أسم المنطقتين في النصوص المتأخرة،يشير إلى أن المنطقتين كانتا تقعان في موضع ما في شمال غرب شبه الجزيرة العربية. مع الأخذ في الأعتبار أن ارجح الآراء تذهب على ان ماجان هي عُمان الحالية،وملوخا ما بين عُمان ومقابل البحرين على الساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية.[1]

ومما سبق قد يتضح للباحث احتمالية وجود علاقات مبكرة تربط بين بلاد الرافدين ، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، خاصة وأن افتراض انشغال إنسان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في تلك العصور بالتجارة ، في شكل وسطاء بين مصر ، وبلاد الرافدين ، احتمال أكثر تأكيداً من غيره حيث إن منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية منطقة ذاع صيتها في العصور التاريخية المتأخرة ، بنشاطها التجاري كمركز للقوافل القادمة والذاهبة ما بين الشمال والجنوب ، في الجناح الغربي من شبه الجزيرة العربية [2] ، وأن تأكيد ذلك الاحتمال لا يجب الفصل فيه في الوقت الحاضر ، خاصة وأن الأبحاث التي تجري في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية تجري على قدم وساق ، من أجل الكشف عن دلائل أثرية جديدة تعيد صياغة تاريخ المنطقة ، وثقلها الحضاري القديم ، حيث حظيت المنطقة بمكانة اقتصادية مرموقة ، خاصة التجارية ، التي لعبت دوراً هاماً في حياة سكان شبه الجزيرة العربية ، وكان لها أثرها في نشأة المدن، والممالك من شتى أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية والجنوبية والشرقية.

---

(1) احمد محمود صابون ، المرجع السابق ، ص ٦٧.

(٢) بالإضافة إلى الأطراف الشمالية الشرقية والغربية التي كانت معبراً للباحثين والطامعين في الحصول على المواد الخام . انظر

روبرت أدامز : " الاستكشاف الأثري للملكة العربية السعودية ، تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل ، مقدمة لمسح المنطقة الشمالية والشرقية ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م " ، أطلال ، العدد الأول ، الرياض ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص ٢٢ ، ٢٨-٢٩ .

وذلك على طول طرقها البريـــة التي أمكن التعرف عليها من خلال أسماء المدن التي ارتبط تاريخها بطريقها التجاري ، هذا بالإضافة إلى تلك النقوش والكتابــات المتعددة ، التي تركها الإنسان في تلك الطرق، وفي مواقع مختلفة من شبه الجزيــرة العربية على الآكام ، وعلى الأبنية المعمارية ، وفي قرب الأودية ، وحيث أمــاكن تجمع المياه ، التي أحيطت باستراحات مختلفة ، لخدمة قوافل التجارة [1] ، وأن من أهم تلك الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية :-

الطريق الجنوبي الشمالي من " مأرب إلى البتراء " بدءاً من عدن وقنــا في أقصى جنوب بلاد اليمن ، وحضرموت ثم مأرب (شرق صنعاء) إلى نجـــران ، فالطائف فمكة المكرمة ، ثم يثرب وخيبر ، فالعلا " مدائن صالح " ، ثم يتفـــرع إلى فرعين أحدهما إلى تيماء ، ومنها إلى بلاد الرافدين ، والآخر إلى البتراء ، ومنها إلى غزة فالشام أو مصر.

أما الطريق الثاني : من مأرب إلى جرها على ساحل الخليج العربي مـــروراً بنجران ماراً بقرية الفاو ، على وادي الدواسر ، ثم الأفلاج ، فاليمامة ، فجرهـا، أو عن طريق اليمامة ، وواحة يبرين ، فالهفوف ، فجرها على ساحل الخليج .

أما الطريق الثالث : جرها البتراء ، مروراً بالهفوف ، إلى بريدة ، فحـائل ، ومنها إلى تيماء ، وأخيراً إلى البتراء – يمر موازياً لجبال طويق الواقعة مـــا بـــين اليمامة والرس .

أما الطريق الرابع : يمر موازياً لبحر العرب (المحيط الهندي) ثم الأطـــراف الشرقية لنجد والغربية لساحل الخليج موازياً له في سيره ذلك نحو الشمال في اتجاه بلاد الرافدين ، أو الشام .

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري : "لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية" ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٧٥ - ٧٦ .

أما الطريق الخامس : وينطلق من حضرموت ، وعمان مع الحواف الشرقية للربع الخالي ، نحو اليمامة ، ومنها إلى بلاد الرافدين ، أو بلاد الشام [1] . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطرق تتأثر بالوضع السياسي ، الذي كانت عليه أقاليم شبه الجزيرة العربية من حيث الازدهار ، أو الانحسار ، كما إنها تتأثر بالوضع الاقتصادي والقوة الشرائية ، في الهضبة الإيرانية الشرقية ، وفي موانئ البحر المتوسط . كما إنها تتأثر بين حين وآخر بتحركات القبائل ، في منطقة الهلال الخصيب [2] ، ولقد كانت منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية من أهم المناطق التي ازدهرت فيها التجارة العربية ، القادمة أساساً من اليمن نحو بلاد سوريا ، وسواحل البحر المتوسط . وعلى الرغم من وعورة هذه المنطقة وسمتها الجبلية والصخرية فقد تمكنت من إبراز أهميتها القصوى في مجال التجارة الدولية آنذاك بحكم تواجد بعض الواحات والمحطات التجارية فيها وعلى طول طريق تلك القوافل التجارية . ولقد أبرز القرآن الكريم الوضع الاقتصادي للمنطقة كما في قصة مدين ، وكذا فيما ذكره عن قريش ورحلاتها التجارية ، بين الشمال والجنوب في رحلتي الشتاء والصيف في وقت متأخر، قال تعالى :{ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [3]، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى الجمل [4] الذي ساهم وبشكل فعال في إنماء هذه التجارة العربية ، وكذلك كان

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٥ – ١٣٦ . انظر خريطة رقم (٤) .

(٢) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٤ .

(٣) سورة قريش ، الآيات : ١-٤ .

(٤) الإبل أو الجمل من الحيوانات الثديية (المجترة) ويشكل مع حيوان اللاما الأمريكية (Auchenia Liama) عائله تعرف بـ (Gamelidoe) ، والجمل أو الإبل ينقسم بدوره إلى نوعين أحدهما ذو السنام الواحد ويعرف بالجمل العربي (Dromedry - Dromedarius Camelus)

=

أثره على حركة التجارة العالمية ، وخاصة مع بلاد الرافدين عند دخوله إليها ، حيث لعب الجمل دوراً بارزاً ، في عهود الدولة الآشورية والبابلية الكلدانية ، وبشكل واضح وبرز في حياتها منذ الألف الأول ق.م . [1]. وإن هذا النوع من الإبل الذي عرف في بلاد الرافدين من النوع المهجن [2] ، وهو القادم من شبه

=والآخر ذو السنامين ويعرف بالجمل البكتري (Camelus Bactrianus Or Bactrian Camel) وأصول هذين النوعين من الجمال ترجع في جذورها إلى أمريكا الشمالية ، ومنها خرجت إلى القارات الأخرى مستغلةً قدراته الفائقة على تحمل الأحوال المناخية المختلفة والتكيف معها ، ويرجع ذلك إلى فترات الزحف الجليدي حيث عبروا المضايق الصغيرة التي تفصل قارتي أمريكا وآسيا وعلى وجه الخصوص مضيق (بورنغ) الذي كان مغطى بطبقة من الجليد في تلك الفترة ، حيث انتشر في مناطق آسيا الوسطى وانفصلا هناك فالبكتري استقر في المناطق الباردة وتكيف عليها ، أما الآخر فاندفع إلى المناطق الصحراوية الواقعة في جنوب غرب آسيا وعلى امتدادها في شمال أفريقيا ، ومن نتائج الدراسات المشيرة إلى هذا الحيوان وخاصة فيما يعرف بالجمل العربي ، تتجه الآراء إلى جعل شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لتهجين هذا الجمل وبلورة صفاته الجسمانية . انظر رضا جواد الهاشمي :"تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة" ، ص١٩٠. وكذا كمال الدين الدميري : حياة الحيوان ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ١٥ . وكذا حسين يوسف موه وعبد الفتاح الصعيدي : الإفصاح في فقه اللغة ، الجزء الثاني ، باب الإبل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص٧٠٦-٧٧٤ . وكذا

Forbes R.J., Studies In Ancient Technology, vol. II, Leiden, 1955 , p. 187.

(١) جورج كونتينو : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الطبعة الثانية ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص١١١ .

(٢) لازال الخلاف قائماً بين الباحثين حول الزمن الفعلي الذي تحول فيه الجمل من حال التوحش إلى حال الاستئناس حيث ذهب بعض الباحثين إلى أن ذلك تم على أربع مراحل :-

المرحلة الأولى :- استخدم الجمل كمصدرغذائي ، ونادراً ما استخدم كدابة للنقل أو الركوب ويرجع ذلك إلى الألف الرابع ق.م في الأجزاء الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية حيث شاع فيها ومنها إلى جنوبها الغربي فأفريقيا .

=

الجزيرة العربية من جانبها الشمالي الشرقي كما دلت الدراسات التاريخية ، وتجدر الإشارة إلى أن ما عرف من إبل في بلاد الرافدين قبل الألف الثاني ق.م هو من نوع الإبل المتوحشة [1] ، ومنذ الألف الثاني ق.م عرفت بلاد الرافدين الإبل

= المرحلة الثانية :- وترجع إلى حوالي الألف الثاني ق.م حيث استخدم الجمل كدابة للحمل في الطريق التجاري الهام الواقع في غرب شبه الجزيرة العربية حيث استخدم الجمل في نقل العطور والبخور كما استنتج ذلك الباحثين من طريق السروج التي كانت توضع على الجمال في ذلك الوقت لحمل مثل تلك السلعة البسيطة .

المرحلة الثالثة :- ويرجع تاريخها إلى ما بين نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأول ق.م حيث استخدم الجمل فيها لإغراض حربية كما يدل على ذلك نوع السروج ووسائدها التي تجعل براكبها الراحة التامة في استخدام السهم والقوس ، كما يظهر من فحوى النقوش الآشورية التي صورت العرب وجمالهم أثناء حروبهم المختلفة وخاصة تلك التي نشبت بين العرب وبين الملك الآشوري شلمنصر الثالث .

المرحلة الرابعة والأخيرة :- ما بين (٥٠٠ - ٢٠٠ ق.م) حيث استخدم الجمل استخداماً بارزاً في معارك العرب تمكن فيه لراكبه من استخدام الحربة والسيف مع الأخذ في الاعتبار أن هناك من يرجح اقدم هجين للجمل كان في الألف الثالثة ق.م وفي شرق الجزيرة العربية وهناك أيضاً من يرجع ذلك إلى الألف الثانية ق.م . انظر

Knauf. A., Ernst , " Midianites and Isimaelites ", In Midian , Moab and Edom (eds), 1983 , pp.149 – 150 ; Dostal. W. , The Development of Bedouni Life in Arabia . Seen From The Archacolgical Material in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia,1977/1397,Riyadh,vol.I, Part I, 1979/1399 ,pp.125-144 .

(١) إن اقدم ذكر للجمل في بلاد الرافدين يرجع إلى عصر الوركاء حيث عثر على دمية من الفخار رسمت على شكل رأس الجمل من المرجح أنه من فصيلة الجمال العربية ويرجع زمنها إلى حوالي الألف الرابعة ق.م وكذلك على دبوس من النحاس صنع على شكل جمل عربي بارك ويرجع عهدة إلى زمن الصناعات السفلي لأور ،كما ظهرت بعض التماثيل والصور التي يرى فيها بعض الباحثين أنها تمثل جمالاً عربية ، من أسرة أور الثالثة كذلك عثر على دمية فخارية تمثل جملاً عربياً من العهد الكاشي حكام بابل خلال منتصف الألف الثاني ق.م . انظر

رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص ١٩٨ - ٢٠٢ .

المهجنة ، وأطلق على الواحد من الإبل في المصادر المسمارية اسم حمار البحر ، (أو حمار الأرض البحرية) (Anse-ab-ba) . وعرف في العهد البابلي القديم بـ (I-bi-lu) (أبلو) ، وربما أخذت منه التسمية العربية للجمل بالإبل- في العهد المواكب للهجرات الأمورية نحو بلاد الرافدين- كما أطلقت المصادر الآشورية على أنثى الجمل لفظه ناقة (Miansea-na-ga-a-telti (Anagate. بالإضافة إلى لفظة جمل أو كمل [١] . ومن الجدير بالذكر فإن الأبحاث قد أظهرت أن الجمل العربي شكل دوراً بارزاً في مجمل حياة العرب ، وخاصة نشاطاتهم الاقتصادية والتجارية بشكل خاص ، وما تبع ذلك من صلات ومؤثرات حضارية ، وشكّل الجمل محور تلك النشاطات المختلفة [٢] ، ومع أن الوطن الأصلي للجمل موضع خلاف ، ولكن ملاءمة تركيبته الجسمانية لأجواء شبه الجزيرة العربية دفع ببعض الدارسين إلى القول بأن الموطن الأصلي للجمل العربي هو بلاد العرب ، أو شبه الجزيرة العربية [٣] وإن صح ذلك القول - كما يرى بعض الباحثين [٤] - فإن دراستها بتعمق توحي إلى تفهم شامل للبيئة العربية القاطنة في شبه الجزيرة ، وعلاقاتها المختلفة مع شعوب المنطقة المجاورين لهم .

---

(١) نفس المرجع ، ص٢١٣- ٢١٥ ، ٢١٩- ٢٢٥ .

(٢) رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، ص٦٣٩ .

(3) Farbes. J. R., op.cit. , p. 188 .

(٤) رضا جواد الهاشمي :" تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة " ، ص١٩٠.

الباب الأول

العلاقات السياسية والاقتصادية بين الإمبراطورية الآشورية وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

الفصل الأول

العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم ، خلال الألف الأول ق.م ، طابعاً مميزاً من العلاقات الدولية ، المبنية على الصراعات السياسية والحربية ، وقيام إمبراطوريات شاسعة بسطت نفوذها بالقوة الحربية ، على معظم أجزائه كالإمبراطورية الآشورية والإمبراطورية البابلية الكلدانية والفارسية الأكمينية [١] وفي الوقت نفسه شهدت المنطقة قيام ممالك أخرى أصغر ، سعت من أجل تثبيت وجودها ، والحفاظ على كيانها ، كالممالك الآرامية في سوريا والعبرية في فلسطين، بالإضافة إلى العرب ، الذين ظهروا على مسرح الأحداث التاريخية ، في تلك الحقبة التاريخية، حيث تشير الدلائل المادية والنصّية ، على قيام مستوطنات مختلفة ، في أجزاء متفرقة من شمال شبه الجزيرة العربية ، وبالأخص شمالها الغربي ، والتي شهدت نموا سريعاً ، ونشاطاً ملحوظاً ، كان له أثره وتفاعله الحضاري ، مع إمبراطوريات وممالك الشرق الأدنى القديم [٢] . ويعد الآشوريون [٣] من أقوى

(١) سليمان سعدون البدر :منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م ، الكويت ، ١٩٧٦م ، ص٩٣ .

(٢) عبد الله حسن المصري : " آثار الاستيطان البشري في المملكة العربية السعودية " ، أطلال، العدد الأول ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص١٥-١٦ .

(٣) نشأت الدولة الآشورية في الجزء الشمالي من بلاد الرافدين ، وعلى جانبي نهر دجلة ما بين جبال ارمينيا شمالاً وحتى النهر العظيم جنوباً وتحدها جبال زاجروس شرقاً ، ويمتد طرفها الغربي حتى الأطراف الشمالية الشرقية لنهر الفرات ، وتتخلل أراضيها الجبال العالية والهضاب، بالإضافة إلى بعض النجود والأغوار وكذلك بعض السهول الخصبة حول أربيل وكركوك . ولقد أقام الآشوريون عاصمتهم آشور القديمة في موقع يعرف اليوم " بالقلعة " أو " قلعة الشرقاط " على بعد ٩٦ كيلاً جنوب مدينة الموصل فوق ربوة صخرية تحف بها مياه نهر دجلة ، التي شكلت حامية طبيعية لها ، وعلى الطريق الهام الواقع بين أرض سومر واكد من جهة وبين كردستان والجزيرة من جهة أخرى . ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مسمى عاصمتهم القديمة آشور (Assyr) أطلق على معظم الأقاليم التابعة لهم ، وكذا على السكان الأوائل لآشور ، كما أطلق المسمى على المعبود القومي لهم ومعبودهم الأول كعادة شعوب المنطقة القدماء من نسبة الأقوام إلى مدنهم ، وينتمي الآشوريون =

= إلى جملة الشعوب السامية (الموجة السامية الشرقية) و(السامية الغربية)، التي وصلت إلى بلاد الرافدين من شمال شبه الجزيرة العربية خلال الألفين الثالث والثاني ق.م ، حيث اندمجوا مع السكان الأصليين القاطنين في الشمال والشمال الغربي لبلاد الرافدين ، والذين يعرفوا بالسوباريين" سوبارتوا أو شوبارتوا وسوبر" ، حيث خالطوهم واندمجوا معهم ، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض الآراء تتجه إلى أن أصلهم من سكان الجبال المجاوره لبلاد الرافدين في الشرق والشمال الشرقي ، وذلك من واقع بعض الصفات الجبلية التي تميزوا بها تجاه رعاياهم في الحروب ، كما ذهب آخرون إلى أنهم خليط من الساميين والحيثيين والأكراد ، هذا و تنسبهم المصادر الإسلامية إلى شوذ بن سام بن نوح الذي ورد ذكره في التوراة على أنه أحد أبناء سام بن نوح عليه السلام، والذي يعتبره بعض المؤرخين أنه من الإسرائيليات التي انحشرت في المصادر الإسلامية . ولقد وردت لفظة آشور في النصوص المسمارية القديمة بـ أ آوسار (A-usar) واشتهرت بـ أ-شور (A-shur) وقد يسبق هذا المسمى لفظة كي (Ki) الدالة على المكان في المسماري لتعني بلاد آشور ، كما عرفت عند الأكاديين بـ كاسور (Ca-sur) أي بلاد آشور ، وقد عرف الآشوريون أنفسهم بـ إش- سور (Ash-shur) وبلاد آشور (Mat-ashur) في مصادرهم التي ترجع إلى القرن الثالث عشر ق.م ، وأطلق عليهم الإغريق مسمى (Assyria) وهي التي تمشت بها المراجع الأوروبية الحديثة . هذا وقد عرفوا في بعض المصادر العربية والآرامية بلفظة (آثور) وآفور ، أما في المصادر المصرية القديمة ، فقد عرفهم المصريون لأول مرة في القرن الخامس عشر ق.م، وأطلقوا عليهم اسم (آسور) على أيام تحوتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م) ، وقد تحدث الآشوريون لغة قريبة من الأكادية واستخدموا الخط المسماري وشاركوا من سبقوهم في حضاراتهم وفنونهم لدرجة صعب فيها على الباحثين فصلهم عن باقي العناصر التي استوطنت تلك الأرضين . انظر

الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ١٠٣ . وكذا محمد عبد القادر محمد : الساميون في عصورهم القديمة، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢١١ ، ٢١٨ . وكذا جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٤١٥-٤١٦. وكذا عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، (مصر والعراق) ، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٤٩٤ ، هامش٤ . وكذا عامر سليمان : العصر الآشوري ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص١١٩. وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، من أقدم العصور وحتى مجيء الإسكندر ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، هامش٣ . وكذا طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في حضارة وادي الرافدين) ، الطبعة الثانية ، دار الشؤون العامة .

=

الدول ، التي أثرت في التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة الشرق الأدنى القديم، خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م ، حيث مارس الآشوريون خلال ذلك العهد توسعاتهم المختلفة ، وفي اتجاهات متعددة ، كان من ضمنها منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، من أجل بسط نفوذهم ، وتأمين حدودهم ، والسيطرة على الممرات التجارية الهامة ، التي تربط بين الشرق والغرب ، والتي تشتهر بها المنطقة . حيث امتد نفوذهم في مناطق مختلفة ، من إيران شرقاً ، وحتى مصر غرباً ، ومن بلاد الأناضول شمالاً ، وحتى الخليج العربي جنوباً [1] . ولعل من الأهمية بمكان ، الإشارة إلى أن المصادر التاريخية تذهب مذاهب شتى ، في تحديد العهود التاريخية لآشور ، وخاصة في تلك الفترة الواقعة قبل عصر الإمبراطورية الحديثة ، أو العصر الآشوري الحديث ، والذي أجمع عليه كثير من المؤرخين [2] .

= بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٤٧٣-٤٧٤ . وكذا محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص٣٢٣-٣٢٨ . وكذا و.ل. ديورانت :قصه الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الطبعة الرابعة ، مطابع النحوي ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٢٦٥-٢٦٦. وكذا سوبتينوموسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الرقى ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٦٩ .

(١) فيصل الوائلي :" تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية (٨٥٣-٦٣٠ ق.م) " ، جامعة الكويت، الذكري والتاريخ ، أبحاث مهداة من اعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ إلى جامعة الكويت بمناسبة عيدها العاشر ، ١٩٧٨م ، ص٨٥ .

(٢) اختلفت الآراء في تقسيم العصور الآشورية إلى ما يأتي :- أولاً : من قسم تلك العصور إلى ثلاثة أدوار : أولاً :- مرحلة التكوين وتبدأ من حوالي ٣٠٠٠ ق.م ويطلق عليه العصر الآشوري القديم . ثانياً:- العصر الآشوري الوسيط ويبدأ من ١٧٠٠ ق.م وينتهي عند بداية القرن التاسع ق.م. ثالثاً :- العصر الآشوري الحديث أو عصر الإمبراطورية ويبدأ من ٩١١ ق.م وينتهي في سنة ٦١٢ ق.م بسقوط نينوى . انظر محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

=

- ثانياً : من قسم تلك العصور إلى أربعة أدوار :-

الدور الأول ويعرف بالعصر العتيق : ويرجع تاريخه إلى أواخر عصر بداية الأسرات السومري ، والذي شهد تأسيس آشور ،ويستمر حتى نهاية القرن ١٩ ق.م . الدور الثاني : ويعرف بالعصر الآشوري القديم ويبدأ مع نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ١٨ ق.م ، ويستمر إلى الربع الثاني من القرن ١٤ ق.م . ثم الدور الثالث : وهو العصر الآشوري الوسيط ، ويبدأ من الربع الثاني من القرن ١٤ ق.م وحتى نهاية القرن ١٠ ق.م و يتسم بتسلط الآراميين على المنطقة . وأخيراً الدور الرابع وهو ما يعرف بعصر الإمبراطورية الآشورية الحديثة والذي يبدأ منذ عام ٩١١ ق.م . ويستمر إلى سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م ، بما حفل من مراحل ضعف وقوة . انظر عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص٤٩٤ ، ٤٩٦، ٥٠٨ .

ثالثاً : من جعل التاريخ الآشوري ينقسم إلى فترتين :-

الأولى :- ما بين ٢١٠٠-٩٠٠ ق.م وهي فترة النهوض السياسي والعسكري . الثانية :- تبدأ مع نهاية الفترة الأولى وحتى سنة ٦٣٣ ق.م ، وهي الفترة التي تمكن فيها الآشوريون من تكوين إمبراطوريتهم .

رابعاً : من يذهب إلى تقسيم العهود الآشورية إلى ثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى :- مرحلة التكوين أو " العهد الآشوري القديم " ويبدأ مع فجر التاريخ الآشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى . المرحلة الثانية :- عصر المملكة الآشورية أو "العهد الآشوري الوسيط" ويبدأ مع نهاية مملكة بابل الأولى وينتهي في بداية القرن التاسع ق.م . المرحلة الثالثة :- عصر الإمبراطورية أو " العهد الآشوري الحديث " وينقسم بدوره إلى قسمين :-

أ- الإمبراطورية الآشورية الأولى من ٩١١ إلى ٧٤٥ ق.م تقريباً .

ب- الإمبراطورية الآشورية الثانية من ٧٤٥ إلى ٦١٢ ق.م تقريباً . انظر محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٣٧٣ .

خامساً : تقسيم آخر يجعل تاريخ آشور ينقسم إلى خمس مراحل :-

أولاً : عصور ما قبل التاريخ . ٢ثانياً : دور سيطرة الدولة الأكادية إلى نهاية أسرة أور الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)ويعرف بـ (بلاد آشور في العهد الأكادي وأسرة أور) . ثالثاً : العصر الآشورى القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) . رابعاً : العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ق.م).

خامساً : العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) وينقسم بدوره إلى :-

أ- الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٤ ق.م) .

ب- الإمبراطورية الآشورية الثانية (٧٤٤-٦١٢ ق.م) وهي التي تعرف بالسلالة السرجونية . انظر

=

وعلى كلٍ ، فإن الدارس يرجح إلى الأخذ بالرأي ، الـــذي يذهـــب إلى تقسيم العصور التاريخية لآشور إلى أربع مراحل [1] :-

أولاً :- ما يعرف بمرحلة التبعية السومرية أو الأكادية ، وشغلت معظـــم أحداث آشور خلال الألف الثالثة ق.م .ثانياً :- مرحلة العصر الآشوري القـــديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م) وهي تعاصر تقريباً ما يعرف بالعهد البـــابلي القـــديم (٢٠٠٦-١٥٩٥ ق.م) .

ثالثاً :- مرحلة العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م) ، والذي يبدأ من حوالي أواسط الألف الثاني ق.م ، وينتهي باستيلاء الملك الآشـــوري أداد نيرار الثاني العرش (٩١١-٨٩١ ق.م) ، ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلـــة العصر الآشوري الحديث وتبدأ منذ سنة ٩١١ ق.م وحتى سقوط نينـــوى ســـنة ٦١٢ ق.م.

والملاحظ من عدم توافق الباحثين في تقدير تاريخ موحد لآشور ، وحقيقة التكوين السياسي المبكر لها ، خاصة في تلك الفترة التي تسبق عصر الإمبراطوريـــة الحديثة ، إنما يرجع للتدخلات السياسية المختلفـــة ، الـــتي لعبـــت دوراً هامـــاً

= طه باقر : المرجع السابق ، ص٤٧٦-٤٧٧.

سادساً : من قسم التاريخ الآشوري من الناحية الحضارية والسياسية إلى ثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى :- (١٣٠٠-١١٠٠ ق.م) حاول فيها الآشوريون تأمين حدودهم السياســـية مـــع العناصر المجاورة لهم والمشاكسة لهم ، أعقبها فترة خمول آشوري استمرت قرابة قرنين مـــن الزمـــان واستمرت مع نهاية الألف الثاني ق.م وحتى مطلع القرن التاسع ق.م . ثم تـــأتي المرحلـــة الثانيـــة :- (٨٨٠-٧٦٣ ق.م) حاول فيها ملوك آشور استرجاع هيبة الدولة سياسياً وعســـكرياً ، ثم أعقبتـــها فترة ضعف بسيطة أعقبها قيام المرحلة الثالثة ، وهي ما بين (٧٤٥-٦١٢ ق.م)، والتي استطاعت فيـــها آشور من ضم معظم أراضي بلاد الرافدين بل والتوسع المطلق في منطقة الشرق الأدنى المختلفة . انظر Collier's Encyclopedia, vol. 3 , pp.427- 428 .

(١) عامر سليمان: المرجع السابق ، ص١٢٢.وكذا محمد بيومي مهران: المرجـــع الســـابق ، ص٣٣٣-٣٦١.

ورئيسياً في التشكيل السياسي والحضاري ، لبلاد آشور خلال الألفين الثالث والثاني ق.م [1] . في حين كان جمهرة المؤرخين ، يرون

---

(١) إن الدارس لتلك الحقبة التاريخية يلاحظ رضوخ آشور للتفوق السياسي والحضاري للسومريين والأكاديين خلال الألف الثالث ق.م بما عثر عليه من بقايا مخلفات مادية في كلٍ من آشور نينوى تنسب للآشوريين وهي شديدة الشبه لما عثر عليه في بلاد سومر وآكاد وكذلك إلى عهد أسرة أور الثالثة . ومن ضمن تلك المخلفات ما عثر عليه في الطبقة السادسة (من حفائر) معبد المعبود عشتار في نينوى ، حيث عثر على اسطوانات حجرية منقوش عليها كتابات يعود تاريخها إلى عهد الملك الأكادي نرام سين (٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م) ، كما عثر على رأس تمثال من النحاس المسبوك لملك = يعتقد أنه لأحد الملكين سرجون أو نرام سين نفسه ، كما عثر في آشور نفسها على بعض الكتابات القصيرة والتي تنسب إلى الملك (ما نيشتوشو) (٢٢٦٩-٢٢٥٥ ق.م) ابن سرجون ، وكذا نصوص لأخيه (ريموش) (٢٢٧٨-٢٢٧٠ ق.م) ولعل أوضح دليل يؤكد ذلك التفوق الحضاري السومري والأكادي على آشور هو اقتباس آشور الخط المسماري ، واللهجة الأكادية ، واستخدامهما طوال مراحلها السياسية المختلفة . وبالنسبة للمرحلة الثانية وهي ما يعرف بالعصر الآشوري القديم فأهم ما يميز تلك الفترة معاصرتها للعصر البابلي القديم، حيث تنتسب الأسرتان الحاكمتان فيهما إلى الأرومة الأمورية (الساميين الغربيين) ، حيث اصطبغ الكيان الآشوري في تلك الفترة بالصبغة السامية الغربية الصرفة ، كما هو واضح من بعض أسماء ملوك تلك الفترة كـ إيلوشوما ، وشمس أداد، وسمع أداد . وقد جعل بعض الباحثين تاريخ تلك الفترة ما بين (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م) بالنسبة لآشور ، والتي شهدت محاولات آشور في الوقوف والتصدي أمام الدولة البابلية الجديدة منذ بداية تأسيسها على يد سبوم أبوم (١٨٩٤-١٨٨١ ق.م) ، ولكن دون جدوى حاسمة تذكر للطرفين ، ومن تلك المحاولات ، محاولة الملك الآشوري شمس أداد (١٧٢٦-١٦٩٤ ق.م) في تحقيق كيان سياسي لآشور ينافس دولة بابل ، خاصة في عهد ملكها حمورابي الذي عاصره شمس أداد خلال العشر سنوات الأخيرة من حكمه ، واستطاع أن يُكَون علاقات وطيدة معه ، في شكل اعتراف ضمني مضطراً بحكم حمورابي البابلي على آشور ولم يستطع ابنه شمس داكان من المحافظة على تلك المكانة السياسية التي ورثها له أبوه ، مما جعل آشور تصبح تحت سيطرة الملك البابلي حمورابي رسمياً مثلها مثل سائر أقاليم بلاد الرافدين ، ومع ذلك فقد شهد ذلك العصر تقدما اقتصاديا لآشور ، حيث دلت بعض الوثائق التي عثر عليها عند (كول تبه) في شرق الأناضول على توسع تجاري آشوري، في تلك المناطق ، حيث شارك التجار الآشوريون معظم الحياة التجارية لتلك الأقطار التي تقع شمال وغرب

=

= مناطقهم ، كما شهد ذلك العصر تطلعاتهم نحو الغرب في عهد الملك شمس أداد حيث وصل الآشوريون حتى سواحل البحر المتوسط ، وخلال العصر الآشوري الوسيط استردت آشور بعض هيبتها عقب سقوط دولة بابل الأولى ، وبشكل ثانوي دام قرابة الستة قرون عاشت خلاله فترات متذبذبة ما بين ضعف وقوة وبين سيادة وتبعية ،وانحطاط وانتعاش اقتصادي ، وبين أزدهار أوجمود وركودحضاري، حيث شهدت فيه آشور تقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية مختلفة ، اكتسبت خلاله تجارب قوية دفعتها لتكون على رأس القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية المؤثرة في منطقة الشرق الأدنى القديم خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م فخلال ذلك العصر شهدت آشور أنهيار دولة بابل الأولى ، كما شهدت مولد دويلات جديدة أحاطت بها كالحوريين الذين أسسوا دولة الميتانيين في وسط بلاد الرافدين . والكاشيين الذين أنهوا دولة بابل الأولى ، والآراميين القادمين من الغرب ، بالإضافة إلى الحيثيين الذين ظهروا في الفرات الأعلى وعند الخابور ، ومن أبرز حكام آشور في تلك الفترة الملك آشور أوبلط الأول (١٣٦٥-١٣٣٨ ق.م) الذي استطاع أن يستغل الصراع الأسري في دولة الميتانيين فسعى للتخلص من سيطرتهم بل وإنهائها وكان له ذلك ، وهناك الملك الآشوري شلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) الذي استطاع أن يبسط نفوذه على منطقة أرمينيا وبلاد الحيثيين وأن يهزم ملكهم هاني جلبات ، ثم كان عهد الملك الآشوري (تكولتي نينورتا) (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) الذي تمكن من الاستيلاء على بابل وهزيمة ملكها ، وضمها إلى أملاك آشور ، ويجد بعض الباحثين أن عقب ذلك الملك انكمشت الدولة وأصابها فترة ضعف استمرت قرابة قرنٍ من الزمان ما بين (١٢٠٨-١١١٥ ق.م) ، دفع بالمؤرخين إلى تعريفها بالفترة المظلمة الأولى حتى كان عهد الملك الآشوري تجلات بلاسر الأول (١١١٥-١٠٧٧ ق.م) الذي سعى لإعادة أمجاد آشور إلا أن ذلك لم يدم طويلاً لتدخل آشور مرحلة ضعف ثانية شكلت حقبة تاريخية مظلمه لآشور خاصة وأن المصادر عن تلك الفترة غير كافية واستمرت قرابة ١٦٦ عاماً أي منذ وفاة تجلات بلاسر الأول ١٠٧٧ ق.م وحتى اعتلاء العرش الملك أدادنيراري الثاني سنة ٩١١ ق.م، حيث بدأ العصر الجديد لآشور والذي يعرف بالعصر الآشوري الحديث أو عصر الإمبراطورية الآشورية الحديثة . انظر

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٤٩٥-٤٩٦ . وكذا عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٢٢-١٢٨ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٣٧٦-٣٧٧ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٤٧٧-٤٨٠، ٤٨٣،٤٩١-٤٩٣ . وكذا م.ب. لارس.: " آشور القديمة والتجارة الدولية" ، مجلة سومر ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، العراق ، مجلد ٣٥ ، ص٣٤٤. وكذا ليو ابنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيض عبد الرزاق ، الطبعة الثانية، وزارة الثقافة =

تعريف موحد بتاريخ فترة العصر الآشوري الأخير ، والـــذي يعـــرف بـــالعصر الآشوري الحديث ، أو عصر الإمبراطورية . والذي يبدأ مع تولية الملك الآشوري أداد نيراري الثاني سنة ٩١١ ق.م وحتى سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق.م [١] . ويمتد قرابة الثلاث قرون ، وذهب بعض المؤرخين إلى تقسيمه إلى عصرين :- عصـــر الإمبراطورية الأولى ، ويشمل الفترة ما بين (٩١١-٧٤٥ ق.م) والثاني : عصر الإمبراطورية الثانية ويشمل الفترة (٧٤٥-٦١٢ ق.م) ، وأن امتد رسمياً حـــتى عام ٦٠٩ ق.م حيث تم القضاء نهائياً على الكيان الآشوري ، على يد الدولـــه البابلية الكلدانية في عهد آخر ملوك آشور المدعو " آشـــور أوبلـــط الثـــاني " (٦١١-٦٠٩ ق.م) [٢] . ويعد من أهم سمات ذلك العصر هو ازديـــاد تطلـــع الآشوريين نحو الغرب ، ومواصلة تقدمهم في أطرافه الجنوبية ، حيث تسير أهـــم طرق القوافل التجارية الهامة ، القادمة من الشرق . وفي الواقع أنه منذ أوائل القرن العاشر ق.م تقريباً اندفع التنافس الدولي للسيطرة على الممرات التجارية العالمية في المنطقة ، فسيدنا سليمان عليه السلام وحليفه الفينيقي حيرام حاولا السيطرة على الطريق البري الذي يربط بين السواحل اليمنية في أقصى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وبين ميناء إيلات (عصيون جبر / ايلـــه / العقبـــة حديثـــاً) ثم ســـعى

= العراقية ، ١٩٨٦م ، الملحق اعداد: ا. ج. برنكمان "تقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النـهرين "، ص ٤٤١-٤٦٢ .

وهو التقويم الذي اعتمد عليه الدارس في تحديد فترات حكام البحث . وكذا
Oppenhiem. A.L. , "Babylonia and Assyrian Historical Texts ", in ANET , p. 274 ; Smith. S. , Sennacherib and Esarhaddon , C A H , vol.III, p. 7,8 .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٠٧. وكذا عامر سليمان:المرجع السابق،ص١٢٢. وكذا
Luckenbill. D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia , Chicago , 1929 , vol.I , pp.355-360 ; Roux. G . , Ancient Iraq , Second edition , 1986 , p. 263 .

(٢) انظر : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٣١-٣٦١ .

من جاء بعدهم كـ يهوشلفط (٨٧٣-٨٤٩ ق.م) وامازية وابنه عزية (٧٧٩-٧٤٠ ق.م) وغيرهما من ملوك يهوذا في السيطرة على هذا الطريق العالمي. ولقد تبعتهم بعد ذلك معظم الدول ، التي قامت في المنطقة بكافة الوسائل السياسية والعسكرية ، من أجل السيطرة عليه [١] ، خاصة في ظل المنافسة القوية القائمة ، التي كانت تفرضها ممالك جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي تسيطر على ذلك الطريق القادم من أراضيهم ، من مأرب وحتى البتراء [٢] . حيث سعى السبئيون ، ومن قبلهم المعينيون ، على بسط نفوذهم على تلك الطريق ، فأقاموا المحطات التجارية الهامة ، وفي مواقع الواحات الخصبة المنتشرة على طوله ، وأقاموا جاليات تابعة لهم ، تحت زعامة مقيم دائم يمثلهم ، ويتولى الإشراف على تلك الجاليات ، وكذلك على أمراء تلك الأقاليم ، ورؤساء القبائل، والنظر في مدى ولائهم للممالك الجنوبية المعينية أو السبئية [٣] ، ومهما يكن من أمر ، فما إن وصل الآشوريون إلى تلك المناطق ، الواقعة غرب إمبراطوريتهم ، حتى شاركوا سكانها تطلعاتهم ، في السيطرة على تلك الطرق التجارية الهامة ، وكذلك محطاتها على ساحل البحر المتوسط ، وإن من الأهمية

---

(١) عبد المحسن الحسيني : " الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، المجلدان السادس والسابع ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٥٢-١٩٥٣م ، ص١٢٣ .

(٢) الذي يبدأ في الواقع من عدن قرب قنا ثم مأرب ومنها إلى نجران ويتجه شمالاً فيمر بالطائف فمكة المكرمة ، ويثرب وخيبر والعلا ومدائن صالح، ثم ينفصل الطريق هناك إلى اتجاهين فرع يتجه نحو تيماء صوب العراق ويستمر الفرع الآخر في نفس الاتجاه شمالاً حتى البتراء فغزة ثم الشام أو مصر . انظر لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٣١٤-٣١٥ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص١٣٤-١٣٥ .

(٣) ا. موسيل : شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسين ، مطابع رمسيس ، الإسكندرية ، ١٩٥٢م ، ص٢٠ .

بمكان الإشارة إلى أن الآشوريين سعوا ومنذ العهد القديم لدولتهم في التقدم نحو تلك الأرضين ، حيث يعُد الملك الآشوري شمسي أداد الأول (Shamshi-Adad I) (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) [١] أول الملوك الآشوريين اتصالاً بالغرب [٢]، حيث وصل إلى شاطيء البحر الكبير (البحر المتوسط) عند لبَنان [٣] (لا- آب - آ- ان) وأقام نصباً باسمه ، تخليداً لذكرى تقدمه ذلك ، كما ذكر ذلك في أحد نصوصه الذي جاء فيها [٤] :-

"...أنا شيدت عاموداً (منقوش) عليه اسمي الكبير في إقليم لابن (لا-اب - ا- ان) على ساحل البحر الكبير...."

وتبعه بعد ذلك بحوالي خمسة قرون الملك الآشوري تجلات بلاسر الأول (Tiglath Pileser I) (١١١٥-١٠٧٧ ق.م) الذي قام بحملة أخرى مماثلة [٥]، وصل فيها حتى سواحل البحر المتوسط عند لبنان ، ومنها اتجه جنوباً على طول السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وحتى صور ، وقد شملت حملاته تلك بعض المناطق الداخلية في سوريا [٦] ،

(١) ليو ابنهايم : المرجع السابق ، ص٤٤١-٤٦٢ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٤٩٥ .

(٣) لبنان اسم مأخوذ من الأصل السامي (لابن) والتي تعني البياض ، وهو محور من منظر جبال لبنان عندما تكسوها الثلوج فتصبح بيضاء ، وتستمر كذلك قرابة ستة أشهر . انظر محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٨٧ .

(4) Oppenhiem. A. L , op.cit. , p. 274 .

(٥) يعتقد بعض المؤرخين أنه أول ملوك آشور الذين وصلوا بجيوشهم حتى البحر المتوسط ، على اعتبار أن محاولة شمسي أداد الأول عند بعض المؤرخين لازالت في مرحلة الحدس . انظر محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، ص٣٤٧ .

(٦) سوريا أطلقها هيرودوت على القسم الشرقي من لبنان ثم لم تلبث أن تعممت تلك اللفظة حتى شملت جميع الأراضي الواقعة في سوريا الحالية والأردن ، وحتى البحر المتوسط غرباً . وربما قصد هيرودوت من لفظة سوريا تصغيراً لآشور أو تحريفاً لها ، وقد تحمس إلى هذا الرأي لفيف من الباحثين واندفعوا

=

كما جاء ذلك في النص التالي [1] :-

"...أنا ذهبت للبنان (لاب- نا- أ- ني) وقطعت (هنـاك) أخشاب الأرز لمعبد أنو وأداد الآلهة الكبرى أسيادي وحملتـها إلى آشور ثم استمريت (في سيري) نحو إقليم أمورو ، وأنـا قهرت الأقاليم الأمورية كلها...."

وكما هو معلوم فإن الأموريين كانوا ينتشرون في أطراف متفرقـة مـن سوريا ، وربما امتدت توسعاتهم حتى الأطراف الشمالية الغربية لشـبه الجزيـرة العربية عند شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ولقد كان هدف آشور كبير، في الوصول إلى تلك المناطق الغنية بالمواد الخام ، والذي تفتقر اليها أراضيـهم ، فبرغم كون بلاد الرافدين من أهم مراكز الصناعة في العالم القديم ، إلا أنها لم تكن تنتج إلا قدراً يسيراً من تلك المواد الخام ، التي تحتاجها في صناعاتها المختلفـة [2] .

= إلى القول بـه . انظـر محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق،ص٤٩٥.وكذا سامي سعيد الأحمد: العراق في كتابات اليونـان والرومان، مجلة سومر ، الجزء الأول والثاني ، المجلد السادس والعشرين، بغداد ، ١٩٧٠م ،ص١١٧.

(1) Oppenhiem. A.L., op.cit. , p.274, 275.

(٢) أحمد محمود صابون : دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعي ماجان وملوخا ، مركز بحـوث الشـرق الأوسط ، العدد ١٦٧ ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٥٢ .

وفي الحقيقه أن تضاريس بلاد الرافدين تجعل من الصعوبة بمكان تواجد موارد متنوعة للمواد الخام الـتي تحتاجها ممالك بلاد الرافدين ، مما كان له أثره الواضح على أهداف وأطماع آشور التوسـعية لسـد حاجتها من المواد الخام في الأجزاء الشمالية من بلاد الرافدين التي هي شبه جبلية شـاهقة الأرتفـاع تكسو بعضها الثلوج طوال العام بالإضافة إلى وعورة مسالكه وافتقارها للغابات والأخشاب وكـذا المعادن الهامة كالنحاس والرصاص والحديد والفضة والذهب والتي لاتتوفر في أراضيها والتي تعد مـن أهم المواد التي تحتاجها حضارات بلاد الرافدين وليس الجنوب بأوفر حظاً من شمالـه حيـث حصـر حضارته على ما تجود به أرضه حيث يشكل الطمي الكثيف العنصر المباشر في بناء حضارتـه فصنـع الطابوق (الآجر) كأهم بنية أساسية اعتمد عليها أهالي الرافديـن لتشـييد مسـاكنهم ومعـابدهم

=

ولقد كان للنقص الكبير في تلك المواد ، من المعادن والأحجار والأخشاب أثره المباشر في دفع حكامها لسد حاجتهم تلك إلى اتخاذ أحد طريقين لتأمينها ، إما سلمياً عن طريق الاستيراد [1] . وإما بالقوة والعنف ، عن طريق الحرب ، وسلب خيرات الأمم المجاورة لهم ، دون حاجة لأذون وفسوح استيراد ، بالإضافة إلى تطلعاتهم في وضع أيديهم على طرق القوافل العالمية ، المنتظمة بين الشرق والغرب، والتي كانت تشكل عصب الاقتصاد العالمي آنذاك [2] . وفيه تقع آخر محطات القوافل التجارية الهامة ، القادمة من الشرق ، ومصب تجارتها ، ولذلك فقد سعى الآشوريون بكل ثقلهم ، للحصول على مراكز دائمة لهم في تلك المواقع الهامة ، والتي تمر بها تلك الخطوط ، وخاصة المطلة على سواحل البحر المتوسط ، منذ مطلع القرن التاسع ق.م [3] ، والذي جعله بعض الباحثين [4] من أهم الأسباب المباشرة، في تطلعات الآشوريين نحو تلك المناطق . حيث زاد نفوذهم في تلك الأرضين ، ولا يستبعد تطلعهم نحو بلاد العرب ، وخاصة أطرافها الشمالية الغربية ، حيث يمر بها الخط التجاري العالمي المتجه إلى سوريا وفلسطين ، وقادماً من اليمن وحضرموت جنوباً .

= وقصورهم فخلت مبانيهم من دعائم قوية ، بالإضافة إلى خلوه من أي أنواع المعادن آنذاك . انظر سليمان سعدون البدر: المرجع السابق ، ص٤٥. وكذا جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي ، الطبعة الثانية ، وزاره الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٥١ .

(١) سليمان سعدون البدر : المرجع السابق ، ص٤٥ . وكذا أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٢) جورج كونتينو : المرجع السابق ، ص٢٥٠ .

(٣) جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبه الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ص٢١٤ .

(4) Smith. S. , op.cit. , p. 85 .

وإن من الجدير بالذكر الإشارة إلى سبب آخر وهو العقائدي ، حيث أشارت معظم نصوص الآشوريين - التي تضمنت تقدمهم في تلك الأراضي - إلى أنهم كانوا يفرضون تقديس عبادة إلههم الأكبر آشور على كل معبود آخر ، لتلك العناصر التي يفرضون عليها نفوذهم .

وفي الحقيقة ، يعتبر العصر الآشوري الحديث من أزهى فترات التاريخ الآشوري ، حيث نمت فيه قوة آشور ، وازدهرت حضارتها وامتد نفوذها ، على معظم مناطق الشرق الأدنى القديم . فمنذ اعتلاء الملك الآشوري" أداد نيراري الثاني "(Adad-Nirari II) (٩١١-٨٩١ ق.م) عرش آشور حتى بدأ عصر جديد للآشوريين ، ظهرت عليه ملامح القوة والتوسع العسكري ، والانتعاش الاقتصادي ، والازدهار الحضاري ، فسيطروا على معظم مجريات الأحداث في المنطقة ، ثم جاء بعدة ابنه توكلتي نينورتا الثاني (Tukulti-Ninurta II) (٨٩٠-٨٨٤ ق.م) الذي انتهج ، نفس سياسية أبيه (١) ، ثم كان عهد الملك آشور ناصربال الثاني (Ashur Nasirpal II) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) خليفته ، الذي تابع تلك الصحوة الازدهارية لآشور ، بتقدمه نحو الغرب ، مخترقاً الأراضي السورية في العام السابع من حكمه أي في عام ٨٧٦ ق.م تقريباً ، ووصل في تقدمه ذلك حتى سواحل البحر المتوسط بل وامتد جنوباً حتى غزة (٢)، وقد حصل من ذلك التقدم على غنائم ضخمة ، وأموال كثيرة ، كما ذكر ذلك في أحد نصوصه التي جاء فيها (٣) :-

"...وفي هذا الوقت فأنا وضعت سلطتي على اتساع
جبال لبنان ووصلت إلى البحر العظيم في بلاد أمور ،

---

(١) طه باقر : المرجع السابق ، ص٤٩٩-٥٠٢ . وكذا Smith .S. , op.cit. , pp.6- 12 .

(2) Ibid., p.15.

(3) Oppenhiem A.L., op.cit. , p.276.

وأنا غسلت أسلحتي في مياهه العميقة ، وقدمت قرابين الأغنام إلى (جميع) الآلهة وتسلمت هناك جزية ساحل البحر من سكان تيري وسيدون بايبلوس ومجالات وميزا وكيزا وأمور وأرواد [1] . التي هي جزيرة في البحر تتكون من ذهب وفضة وصفيح ونحاس وأدوات نحاسية وأردية كتانية مزخرفة بزخارف عديدة الألوان وقرود صغيرة وكبيرة وخشب أبنوس وخشب البقس وسن الفيل من أفيال البحر (وعلى هذا فإن الناب) ناتج من البحر وهذه الجزية تسلمتها وقبلوا أقدامي...."

ولقد خلفه على عرش آشور ابنه" شلمنصر الثالث "(Shalamaneser III) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) الذي استطاع الاستفادة من جهود أبيه آشور ناصربال [2] ، وقوى دولته ، فبسط سلطانه على معظم أقاليم الشرق الأدنى القديم ، من جبال أرمينيا شمالاً ، وحتى الخليج العربي جنوباً، كما وصل غرباً ، حتى سواحل البحر المتوسط، ولم يكن أقل اعتزازاً بجبروته من أبيه ، فوصفته نصوصه بأنه الأفعوان

---

(١) تيري (Tyre) ، صور ، سيدون (Sidon) ، صيدا ، أرواد (Arvad) على الساحل السوري الآن ، وقد ترجمها نجيب ميخائيل كذلك وأميزا يعتقد أنها (أميسا) حمص الحالية. انظر نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الخامس ، الإسكندرية ، ١٩٦٣م ، ص٢٥٢-٢٥٤ . وكذا فراس السواح : الحدث التوراتي والشرق الأدني القديم ، دار علاء الدين، دمشق ، بدون تاريخ ، ص٨٦،٩١،٩٨. وكذاعلي أبو عساف: الآراميون ، دار أماني ، سورية، ١٩٨٨م ، ص٥٥ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٠ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥-٦ . وكذا أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص١٥ . وكذا

Ernest. M., Die Assur Texte Salmanssars III " Die Welt des Orient ,1947 , pp.57-58 ; Luckenbill. D.D.. , op.cit. , vol.I , pp.47-48 .

الكبير ، أو التنين الكبير (أوشوم جل) [(١)] ، حيث يعد عصره منعطفاً تاريخيــــاً هاماً ، في تاريخ العلاقات بين الآشوريين والعرب عامة ، وبين بلاد الرافديـــن ، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية خاصة ، حيث يمثـــل عـــهده بدايـــة التحرشات العربية الآشورية ، خلال النصف الأول مـــن الألــف الأول ق.م ، وذلك من خلال تواجد الطرفين ، في الأقاليم السورية ، فهناك الآشوريون الذيـن يسعون إلى تثبيت نفوذهم فيها ، كما أن هناك العرب الذين يسعون ، جـلدين في الحيلولة ، دون أي توسع آشوري نحو مناطقهم الداخلية ، في شمال غرب شـــبه الجزيرة العربية ، وبأي وسيلة كانت ، نجد النصوص العدة ، التي دونهـــا الملـــك شلمنصر الثالث بمناسبة تقدمه نحو الغرب [(٢)] ، تصف أنه سعى ومنذ العـلم الأول من حكمه في التوجه نحو الغرب ، لتثبيت التواجد الآشوري فيه ، كما ذكر ذلك

---

(١) الأفعوان الكبير (التين) (أوشوم جل) (Usum-Gal) ، وهو لقب وصفت به الأرباب وأنتحله حمورابي والمولوك الآشوريين ، ولعل فيه بعض الشيء بالصل الملكي المصري القديم. انظـــر عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٠ (٦٢) . وكذا

Oppenhiem. A.L ., op.cit. , p. 276.

(٢) وعلى سبيل المثال نصوصه المدونة على مايعرف بالمسلة السوداء والتي كشف عنها سير أوستين ليـــارد (Layard,A. H.) في عام ١٨٤٦م في قصر شلمنصر في مدينة "نمرود " والمحفوظة الآن في المتحف البريطاني ، بالإضافة إلى بعض النقوش التي عثر عليها مدونة ، على البوابات البرونزية، وعلى ألـــواح طينية وحجرية ورخامية وعلى بعض التماثيل التي عثر عليها في كل من "آشور" و"كالح" . انظـــر أحمد أمين سليم : في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، العراق ، إيران ، آســيا الصغـــري ، دار النهضـــة العربية، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص١٢٢ . وكذا

Lyard. A.H. , Nineveh and Its Remains, I, 1849 , p. 181 ; Gadd. C.j., The Stones of Assyria , 1930 , p. 48 ; Cook. S.A. , Israel and The Neighbouring States , C A H ,vol.III, p.363 ; Mitchell .T .C. The Bible in The British Musem, London ,1994 , p.p. 44,46 . وانظر الشكل رقم (٣)

صراحة في النص التالي [١] :-

"...في العام الأول لحكمي أنا عبرت نهر الفرات في فيضانه ومشيت نحو البحر الغربي، وغسلت أسلحتي في ماء البحر ومقدماً (التضحية) إلى الآلهة وصعدت جبال الأمانوس وقطعت هناك أخشاب السور والصنوبر وصعدت جبل الأرز وشيدت هناك تمثالي كملك...."

وكما هو واضح من النص فإن شلمنصر الثالث لم يتوان ، ومنذ اللحظات الأولى من حكمه ، في سعيه من أجل بسط نفوذه على الغرب . ومهما يكن من أمر فإن بعض الباحثين يعلقون أهمية كبيرة على أحد نصوصه [٢] ، الذي يصف فيه معاركه مع الممالك الآرامية ، وحلفائها من اليهود والعرب ، عند موقع يقال له قرقر (Karkara) في شمال حماة الحالية [٣] ويرجع تاريخ ذلك النص إلى السنة السادسة من حكمه ، أي في عام ٨٥٣ ق.م تقريباً ، والذي يصف فيه تقدمه من نينوى عاصمته نحو الغرب ، عابراً نهر دجلة ، ومن بعدة نهر الفرات ، وكما يصف نفسه ناشراً الرعب والخوف ، في قلوب أصحاب المدن الآرمية ،

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 278 ; Luckenbill.D.D.,op.cit.,vol.I,p. 558 .

(2)Oppenhiem.A.L , op.cit. , pp. 278-79 ; Luckenbill. DD. ,op.cit. , vol.I , p.222 (610-611)

مع وجود بعض الاختلافات البسيطة في بعض المواقع تفصل في حينها ، كما قام فيصل الوائلي بترجمة مقتطفات من النص فيه بعض الترجمات الغير مدققة لأسماء بعض المواقع ، والتي أجمع عليه بعض الباحثين. انظر

فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٣) تقع قرقر (قرقارة) (Karkara Qarqar) على بعد ١١ كم جنوب بلدة الشاغورة الحالية (عند بلدة الجسر) في شمال حماة ، وعلى الضفة الغربية لنهر العاصي ، ولازال الاسم القديم لها باقيا حتى اليوم في نفس الموقع القديم ويعرف بتل قرقر أو تل قرقار . انظر

فراس السواح : المرجع السابق ، ص٩٤، ٩٨-٩٩ .

التي كانت في طريقة ، ومجبرهم على دفع الجزية له ، ويضيف في نصه أنه كسب غنائم ضخمة، ومتنوعة منهم، ووصل بتقدمه ذلك حتى حلب ، ومنها إلى مناطق متعددة في الأقاليم السورية ، حتى كانت معركته الفاصلة في قرقر عند حماة ، مع تحالف ضخم أعدة ملك دمشق وملك حماة ، كما جاء في النص التالي :-

"...ورحلت من ضفاف الفرات ووصلت إلى حلب وسكانها
كانوا خائفين من القتال وقبلوا أقدامي (في خضوع)
واستلمت الذهب والفضة كجزية وقدمت القرابين أمام أداد
اله حلب وغادرت حلب واقتربت من مدينتين
لـ " أرهوليني " بالقرب من حماة (أمات) وأسرت
(فتحت) مدن أدينوا وبرجا وأرغانا مكان إقامته الملكية
وأخذت منهم غنائم (وكذلك) أملاك (قصره) ومحتوياته
وأشعلت النار في قصره ، وتركتها تحترق ورحلت من
أروغانا ووصلت إلى قرقر مكان إقامته الملكية ، وحضر
لمساعدته ١,٢٠٠ مركبة و ١,٢٠٠ فارساً و ٢٠ ألفاً من
المشاة من قبل حدد عزر الدمشقي [1] و ٧٠٠ عجلة و ٧٠٠
من الفرسان و ١٠ الآف من المشاة من أورهوليني صاحب
حماة وكذلك ألفين من العجلات وعشر الآف من المشاة
لاخاب الإسرائيلي وكذلك ٥٠٠ جندي من (قـي) [2]

---

(١) هو المذكور في التوراة بـ (بنحدد) (بنحداد) (Ben-Hadad) أحد ملوك دمشق الآرميين وحكم ما بين (٨٤٣-٧٨٩ ق.م) . انظر جواد علي: المرجع السابق ، ص٥٧٤.وكذا محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق،ص٢٨٢.وكذا Oppenhiem .A.L. , op.cit. , p. 278 , N .8 .

(٢) (قي - قيو) (Que) مدينة قوية كانت مملكة صغيرة على ساحل البحر المتوسط تقع ما بين نهري سيحان وجيحان ، ووردت في Luckenbill بلفظة Gueans أي الجونيين =

والف جندي من موصري [1] وكذا عشرة مركبات وعشـوة
الآف جندي من أرقناتا ، وكذا ٢٠٠ جندي من متينو بعلـو

= كما ذكر ذلك فيصل الوائلي . انظـــر فراس السواح: المرجع السابق ، ص٩٨. وكذا فيصل الوائلي: المرجع السابق،ص٨٦-٨٧ . وكذا Luckenbill.D.D. ,op.cit. , vol.I , p.223 (611) .

(١) موصري (موسري) (Musri) موصرو (Musru) من المؤكد أنها ليست المقصـــــودة بمصـر الحالية مع الأخذ في الاعتبار أن الوثائق التأريخية تشير إلى قيام مصـــــر في عـــهد أوســـركون الثـــاني (الأسرة الثانية والعشرين) بالخروج بعدد رمزي من جنودها في موقعة قرقر ، حينما أدركت مصـــــر أن ظهور قوة آشور خطر يهددها ، حيث أرسلت مصر عدداً من المقاتلين (ألف جنـــدي) كمـــدد رمزي لذلك التحالف الذي كونته دويلات سوريا وفلسطين ، إلا أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه ليس المقصود هنا بكلمة " موصري " مصر أو " كمت " كما كانت تعرف حينذاك ، لأن الكلمـة عندما ظهرت لأول مرة في النقوش الآشورية إنما كانت تدل على مواقع متفرقة في آســـيا وأفريقيـــا ، فنذكر منها ثلاث مواقع :- أحدها موقع يقع جنوب آسيا الصغرى والثاني في الشمال الغربي لبـــــلاد العرب ويمتد حتى حدود مصر الشرقية ، ويضم جبل سعير ومدينة البتراء وأرض آدوم وهو الذي سمـاه الجغرافيون البابليون " مصر " أو " مصري " أو "موصري" وأما الثالث فهو مصر "وادي النيل " وقد يعني اسم موصري التخوم أو الحدود ، هذا وقد ورد اسمها لأول مرة في نصوص الملك الآشـوري شلمنصر الثالث ثم وردت أيضاً ضمن نصوص الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث ، الذي أقام عليها نائباً من قبله وحاكماً عليها عرف بـــ (Idi-Bi-Li) ادبئيل والذي يذهب عليه ا. موسيل أن ادبئيـل ورد كاسم قبيلة واسم شخص في التوراة وأن تلك القبيلة كانت تسكن جنوب البحر الميت بجوار غزة ثم ذكرها الملك الآشوري سرجون الثاني على أنها تقع عند إقليم رفح وذكر إلى جانبها اســـم الملكـة العربية شمسى وقد سبقها باسم بيرو موصري فربما يكون اسم حاكمها آنذاك ، ولفظة موصري تعـــني اسم مملكة لا يعرف عنها شيء في الوقت الحاضر ويرى عبد العزيز صالح أن اسم موصــــري يشـــكل مشكلة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ويؤكد أن هذا الاسم لايمت بأي صلة بمصر المعروفة بـــل قـــد يكون اسم منطقة ما في البادية العربية ، ويغلب الظن على أنها قريبة من البحر الأحمر وعلى الحـــدود المصرية وهذا ما ذهب إليه نبيه عاقل من أن موصري في النصوص الآشورية إنما هي أرض مدين حيـث كان يمر بها طريق البخور ولعل من الأهمية بمكان الإشارة أن موصـــري المذكـــورة في نـــص الملـــك الآشوري شلمنصر الثالث ربما تكون أحد المنـــاطق أو الأقـــاليم الثلاثـــة الـــتي تذهـــب المصـــادر الآشورية إلى ذكرها خاصة وأن اسم موصري ورد ضمن ثلاث مناطق أو أربع مناطق كلـــها تقـــع =

الأروادي وكذا ٢٠٠ جندي من أوزناتا ، وكذا ٣٠ عربة ، ... ، [؟] أدنو بعلو ألـ" شياني" وكذا ألف جمل (بقوادها) لجنديبو من بلاد العرب .....، [...] جندي لباساً إلى روخابي من عمون [1] كلهم مجتمعين اثني عشر ملكاً لهضوا أمـــامي لتقرير مصير معركة حاسمة وحاربتهم بالدعم القوي الشـديد لآشور الذي أمدني به وبالأسلحة القوية التي قدمها قـــائدي نرجال [و] حققت الهزيمة عليهم بين مدن قرقـــر وجـــيروا وذبحت أربعة عشر ألف من جنودهم بالسيف...." [2]

= على ساحل البحر المتوسط الشرقي ما بين قيو (قوية) جنوب شرق آسيا الصغرى وعرقانـــا شمـــال غرب طرابلس الحالية وكذلك أوزناتا وشياني قرب اللاذقية حالياً ، في حين جائت لفظـــة موصـــري ثانياً مقروناً بأسماء بعض مناطق تقع جنوب البحر الميت وتظهر أيضاً ثالثاً مصاحبة لأسمـــاء ملكـــات عربيات تذهب المصادر إلى أن مقر إقامتهن في أدوماتو في شمال شبه الجزيرة العربية أو ما يعرف بمنطقة مدين في نقطة ما عند خليج العقبة وهو ما يذهب إليها محمد بيومي مهران من أن موصري إنما تقـع في منطقة ما في شمال غرب بلاد العرب ولمذيد من التفصيل حول هذا الموضوع . أنظـر عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٢٠-٥٢١ . وكذا نبيه عاقل : تاريخ العرب القدم في عصر الرسول ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٥٥ . وكذا فراس الســواح : المرجـــع السابق ، ص٩٨، ١٠٧ . وكذا محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القدم ، الجزء الثـــالث ، مصر ، الطبعة الرابعة ، الإسكندرية ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص٦١٦-٦١٨ . وكذا محمد بيومـــي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، العـــدد السادس ، الرياض ، ١٩٧٦م، ص٢٨٣. وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٨٥٥ . وكذا
Oppenhiem. A.L., op.cit. , p.279-f (9) ,p. 285 , 286 .

(١) أرقناتا :- شمال شرق مدينة طرابلس اللبنانية .، أوزاناتا (اشناتوا) :- جنـــوب جبلـة الســورية شياني (سياني) :- بقرب اشناتوا جنوب جبلة السورية ، عمُون :- شرق الأردن الحاليـــة . انظـــر فراس السواح : المرجع السابق ، ص٩٨ .

(٢) أورد فيصل الوائلي ترجمة أخرى مختصرة وبها بعض الملاحظات . انظر فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٦ .

يتبين من النص السابق أحداث معركة قرقر أو قرقار الشهيرة ، والتي تعد أحد المواقع الحاسمة في تاريخ العلاقات بين الآشوريين وغرب الإمبراطورية ، التي تم خلالها اندحار الذين شاركوا في حلف مكون من اثني عشر ملكاً من ملوك الأقاليم السورية والفلسطينية ، بالإضافة إلى العرب حيث تكتل جميعهم للوقوف أمام قوات الملك الآشوري شلمنصر الثالث الذي تمكن من الانتصار عليهم وإنزال هزيمة ساحقة بهم، كما يشير النص إلى ذلك ، وأن من الجدير بالذكر – وعلى الرغم من تفاخر الملك شلمنصر الثالث بالنصر في قرقر – فإن الحقائق التاريخية تقول : إن نصره لم يكن حاسماً ، و لم يؤد أبداً إلى استسلام الممالك الآرامية بقيادة دمشق ، بل كان على الآشوريين أن ينتظروا سنين أخرى، قبل أن يتمكنوا من إخضاع دمشق لنفوذهم [1] ، فقد دلت الأحداث التاريخية التي دونتها حولياته : بأن الصراع الذي نشب بينه ، وبين الممالك الآرامية، وحلفائها، لم ينته عقب موقعة قرقر الشهيرة، التي كانت في السنة السادسة من حكمه، حيث قام بعدة حملات أخرى على نفس ذلك التحالف ، كما أشارت إلى ذلك بعض النصوص المنسوبة إليه. ولايستبعد الدارس أن يكون العرب مشاركين في تلك التحالفات. رغم أن تلك النصوص لم تشر إليهم مباشرة إلا أن ذلك لاينفي اشتراك العرب فيها كما يستنتج من تكرار جملة الحلف المؤلف "من اثني عشر ملكا" وبنفس زعامته السابقة التي هي تحت (Adad-Idri) حددعزر (بنحدد) ملك دمشق ، وأرهوليني (Irhuleni) ملك حماة . ففي نص مماثل للعام السادس من حكمه ذكر الملك شلمنصر الثالث أنه قام بحملة على نفس التحالف وعند قرقر أيضاً . واستطاع أن ينهي تلك المعركة لصالحه، حيث انتهت بمقتل حوالي

(١) خضعت دمشق نهائياً للدولة الآشورية في عهد تجلات بلاسر الثالث في عام ٧٣٢ ق.م . انظر أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

٢٥٠٠٠ جندي متدرب في حين أشار في نصه السابق أن عـــدد القتلـى هـو ١٤٠٠٠ جندي كما جاء في النص التالي [(١)] :-

"...وانطلقوا (مشـو) ضـدي للمعركـة الفاصلـة
وحاربتهم وقتلت في المعركـة ٢٥٠٠٠ مـن الجنـود
المتدربين وأخذت منهم عربـاقم وخيـول الفرسـان
ومعدات المعركة (وتشتتوا) لإنقاذ حياقم...."

ويكرر ذلك في نص ثانٍ [(٢)] حيث ذكر أنه قتل منهم ٢٠٥٠٠ جندى في نفس العام .

وجاء فيه التالي :-

"...حاربتهم وقاتلت (أوقعت) بهم الهزيمة وقد أخـذت
منهم عرباقم وخيول فرسافم ومعداقم الحربية وذبحـت
٢٠٥٠٠ جندي متدرب على القتال...."

وفي نص ثالث [(٣)] يرجع إلى السنة العاشرة من حكمه أي سـنة ٨٤٩ ق.م أنه حارب نفس التحالف المشارك مع حدد عزر (بنحداد) ، وجاء فيه :-

"...وضعوا ثقتهم في قوقم المشتركة .... وأوقعت بهـم
الهزيمة (وأخذت) عرباقم...."

وفي نص يرجع إلى السنة الحادية عشرة من حكمه [(٤)] ، يشير إلى خروجـه على رأس حملة ، جعلها التاسعة من جملة حملاته على الغرب ، أو بلاد أمـور ، حيث التقى هناك بنفس التحالف السابق ، وتحت قيادة حدد عزر ملك دمشـق ،

---

(1) Oppenhiem.A.L., op.cit. , p. 279 .

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

وأرهوليني ملك حماة أيضاً . وأنه ذبح في هذه المعركة قرابة عشرة الآف جندي ، من الجنود المدربين ، وذلك في النص الذي جاء فيه :-

"...وفي ذلك الوقت حـــدد عـــزر صـــاحب دمشـــق
وأرهوليني صاحب حماة مع ١٢ ملكا من ساحل البحـــر
اتحدوا بقوة ... أوقعت الهزيمة بهم في معركـــــة فاصلـــة
وحاربتهم . وأوقعت بهم الهزيمة عليهم وذبحت في المعركة
١٠٠٠٠ جندي متدرب وأخذت بعيداً عرباتهم وخيـول
فرسانهم ومعداتهم...."

وفي نص يرجع إلى السنة الرابعة عشرة من حكمه، أي سنة ٨٤٥ ق.م [١] يشير شلمنصر الثالث أنه عبر نهر الفرات نحو الغرب ، بجيش قوامه مائة وعشرون ألف رجل والتقى أيضاً بنفس التحالف . وجاء فيه :-

"...وفي العام الرابع عشر لحكمي أن دعوت أعداداً كبـــيرة
من (المواطنين) لإقليمي الكبير وعـــبرت نهـــر الفـــرات في
فيضانه مع جيش ١٢٠٠٠٠ (رجل) وفي نفس الوقـــــت
حدد عزر دمشق وأرهوليني حماة وكذلك ١٢ ملكا (آخر)
من ساحل البحر الأعلى والأسفل دعوا جيشاً كبيراً ونهضـوا
ضدي وحاربت ضدهم وهزمتهم وخربت عرباتهم وخيـــــل
فرسانهم...."

ورغم كل تلك المحاولات ، التي بذلها شلمنصر الثالث من أجل بسطه على الغرب ، بأنه لم يستطع أن يحقق ذلك، طوال عهد الملك حدد عزر ملك دمشق ، حيث يشير في نصوصه عن قيامه بحملة أخرى جعلـــها السادســـة عشـــرة [٢] ،

(1) Oppenhiem , A.L., op.cit. , p. 280 .
(2) Ibid.

من جملة حملاته على الغرب (بلاد أمور " سوريا ") وأشار فيها إلى مسمى ملك جديد لدمشق غير حدد عزر ، هو هازايل أو حازايل (Hazael) ، الذي اشتبك معه في معركة فاصلة ، أتبعها في السنة الثامنة عشرة من حكمه بحملة أخرى ، مشابهة ، وحالفه النصر في الاثنين ، وأوقع بـ حازايل وحلفائه هزيمة ساحقة ، أسفرت عن فراره من المعركة ، ومقتل ١٦٠٠٠ جندي متدرب بالسيف ، بالإضافة إلى غنائم ضخمة اكتسبها شلمنصر الثالث ، تتألف من حوالي ١١٢١ عربة وحوالي ٤٧٠ خيل ركوب، وكل ما في معسكره من غنائم. ثم يضيف النص بعد ذلك أنه حاصر دمشق ، وقطع حدائقها ، ودمر بساتينها ، ثم رحل عنها بعد ذلك ، ويشير أيضاً في النص السابق أنه حارب نفس ملك دمشق حزايل وقتل في تلك المعركة حوالي عشرين ألف وتسعمائة رجل ، ولقد كانت تلك المعركة في السنة الحادية والعشرين من حكمه ، أي في حوالي سنة ٨٣٥ ق.م، كما يشير النص إلى أنه حارب تحالفاً مكوناً من اثني عشر أميراً وهزمهم جميعاً ، ثم بعد ذلك دمر بساتين دمشق . ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا ، على أنه ذكر فيما بين النصين تسلمه الجزية من إقليم موصري ، فربما كان المقصود هنا إقليم موصري ، الواقع في شمال غرب شبه الجزيرة ، وكان دفعهم الجزية رداً لبطشه ، وخوفاً من توغله في أراضيهم . وليس من المستبعد مشاركة العرب للممالك الآرمية وغيرها ، من سكان سوريا وفلسطين في التصدي للتوسع الآشوري والحد من نفوذهم . وعودة إلى ذي بدأ فإن أهمية نص موقعة قرقر تنبع من كونه أول نص تظهر فيه لفظة (عربيو) أو بلاد العرب ، على مسرح الأحداث السياسة والاقتصادية في منطقة الشرق الأدنى القديم منذ مطلع القرن التاسع ق.م ، حيث يتضمن النص عبارة (ألف جمل بجمَّاليها أو (هجانتها) أو قوادها لجندب أو جنديبوا من بلاد العرب) في ذلك الحلف القوي ، الذي تألف ضد الملك الآشوري شلمنصر الثالث ، في سنة ٨٥٣ ق.م قرب حماة . وهو أول ذكر للعرب في

مصادر المنطقة التاريخية [1] . وعلى ما يبدو أن العرب في ذلك الوقت كانوا ينتشرون في مناطق مختلفة خارج أرض الجزيرة العربية ، وأن ورودها لايعني الزمن الفعلي للتواجد العربي في تلك الأراضي ، فقد يكون تواجدهم أقدم بكثير من ذلك ، خاصة وأن المنطقة هي امتداد طبيعي لشمال شبه الجزيرة العربية ، ولعل الأبحاث تظهر ما يثبت ذلك [2] . هذا وقد تتابع ظهور تلك اللفظة منذ ذلك التاريخ ، وبصيغ مختلفة في النصوص الآشورية [3] اللاحقة ، وقد ذهب أحد الباحثين [4] إلى أن مدلولها هنا لايعني أكثر من مشيخة أو إمارة (بدوية) كانت تسكن البادية الغربية، المتاخمة لحدود آشور الغربية. على أن هناك من يذهب إلى أن اللفظة لم تقتصر على أولئك الساكنين غرب الإمبراطورية بل قد تتعدى لتشمل أيضاً معظم سكان شبه الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى سكان

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٦ . وكذا Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 279.
هناك من يذهب إلى أن ظهور العرب أسبق من ذلك ويرجع إلى عهد الملك الآشوري آشورناصربال الذي حارب الممالك الآرامية وخاصة فيما يعرف بدويلة بيت زماني الآرامية ، وأن الأعراب الذين ساعدوها إنما هم من العرب . انظر
نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٤ . وكذا نسيب وهيبة الخازن : من الساميين إلى العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص١٥١ .
وقد أطلق عليه اسم (آشور بانيبال) .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٤٦ ، ٥٤٩ .

(٣) انظر دراسة جيدة عن لفظة العرب ومدلولها وتطورها التاريخي في جواد علي : المرجع السابق ، ص١٣-٣٦. وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص١٣٧-١٥٣.وكذا توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ ، ص٤٩ ، هامش١.

(٤) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٦ .

الهلال الخصيب [1] . ومهما يكن من أمر ، فإن العرب الذين شاركوا في ذلك التحالف ضد آشور في موضع ، خلاف بارز بين المؤرخين من حيث نسبهم وموقعهم فهناك من ذهب على أنهم عبارة عن مشيخة ، أو إمارة أو مملكة عربية، تقع في مكان ما جنوب دمشق ، وكان على رأسها " جندب " وأن تواجدها في تلك النواحي قد يرجع من الناحية الزمنية إلى الألف الثانية ق.م ، وشكلت بموقفها ذلك مصدر قلق للحكومات المسيطرة على منطقة الهلال الخصيب ، حيث كانت تنتقل في تلك البادية بحرية مطلقة ، و لم تعترف بحدود أو فواصل ، وإنما كانت تقيم حيث الماء والكلأ ، والمكان الذي يتلائم وطباعها [2] . وربما كانوا على هيئه ممالك الحيرة (المناذرة) ، أو الغساسنة في العصور المتأخرة [3] . وهناك من جعله تجمعاً عربياً تحت قيادة جنديبوا ، الذي يقيم في شبه معسكر ، يقع في جنوب شرق دمشق الحالية [4] . ولايستبعد آخرون أن جنديبوا زعيم عربي ، استطاع إقامة تحالف عربي كبير ، من القبائل القاطنة في جنوب دمشق ، ومن القبائل القاطنة في شمال و شمال غرب شبه الجزيرة العربية [5] ، ليكون في مواجهة التوسع الآشوري . على أن هناك من يرى أن أولئك العرب الذين اشتركوا في معركة شلمنصر الثالث لايتعدى كونهم من الاعّراب ،الذين كانوا يتجولون في شكل قبائل أوجماعات رحل استوطنت تلك الأرضين ، الواقعة في

---

(١) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٤ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص١٦٥-١٦٦ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٩٥-٩٦ .

(3) Musil. A. , in The Arabia Deserta , New York , 1930 , p. 477 .

(٤) نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٥) فراس السواح : المرجع السابق ، ص٩٨ .

بـــادية الشام (١) ، وهي على شكل إمارة كانت تقيم في أطراف البادية (٢) أو في الصحراء السورية ، على الأرجح لدى بعض الباحثين (٣) ، خاصة وأن المنطقـــة المتعارف عليها بالهلال الخصيب ، شهدت تحركات متتالية في شكل هجرات ، ما بين بلاد الرافدين وسوريا ، والأجزاء الشمالية ، من شـــبه الجزيـــرة العربيـــة ، الشمالية الغربية والشمالية الشرقية ، والتي تعد امتداداً طبيعياً لهما (٤) . هذا وقـــد ذهب أحد الباحثين (٥) إلى القول : بأن أولئك العرب الذين شـــاركوا ملـــوك الآراميين ضد شلمنصر الثالث ، هم من المدينيين سكان شمال وشمال غرب شـــبه الجزيرة العربية (٦) ، ومن الملاحظ من فحوى النص ، أن جنديبو لم يكن مجـــرد

(١) توفيق سليمان : دراسات في حضارات غـــرب آســيا القديمـــة ، منـــذ اقـــدم العصـــور وحـــتى عام ١١٩٠ ق.م ، الشرق الأدنى القديم ، بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشـــام ، الطبعـــة الأولى ، دار دمشق ، ١٩٨٥م، ص٨٣ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٧٦ . وكذا محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقتهم الدوليـــة في العصور القديمة " ، ص٢٣٨ .

(3) Parr. P. J. ,"Aspects of The Archaeology of North West Arabia in The First Millennium,B.C.", in (Fahal.T. eds), L'Arabie Preislamique Et Son Environment (Historique Et Culturel Strasbourg (1989) , p. 43 .

(٤) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص١٦٤ .

(5) MendenHall. G. , "Qurayya and The Midinites ", in The Second International Symposium , on Pre-Islamic Arabia , 1979/1399, Riyadh , vol.II, 1984 / 1404 , p. 142 .

(٦) ليس من المستبعد أن يكون جنديبو ومن معه من قبائل المدينيين الذين كانوا يقطنون منـــاطق شمـــال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ويسيطرون على الطرق الهامة بين الشمال والجنوب ، فعندما قـدر الله سبحانه وتعالى تدمير مدين قال تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُـودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ(٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْـــفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْـــرٍ مَشِيدٍ } سورة الحج ، الآيات : ٤٢-٤٥ ، ثم كان بعون الله أن يعـــود النشـــاط الإنســـاني للبنـــاء

=

شيخ قبيلة من القبائل الرحل ، بل هو أعلى شأناً من ذلك ، حيث دون اسمه في النص ، ضمن أسماء الملوك الذين تصدوا للملك الآشوري شلمنصر الثالث ، أمثال ملك دمشق حدد عزر ، وأرهوليني ملك حماة ، بالإضافة إلى مشاركته في ذلك التحالف بالف جندي بعتادهم ، في الوقت الذي شارك غيره بجنود أقل ، وعتاد أقل منه بكثير . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى التنظيم والقوة ، التي كان عليها جندب ، من حيث التنظيم السياسي والعسكري في مجتمعه ، بكونه هو صاحب القيادة العسكرية المطلقة ، في فرقته التي شارك بها ذلك التحالف الآرامي [١] ، ولاشك أن القبائل العربية كما يرى فيصل الوائلي [٢] : كانت تتمتع خلال القرن التاسع ق.م بقومية ذات خصائص محددة ، من بين سكان مناطق البادية السورية ، وشمال شبه الجزيرة العربية ، والتي كانوا ينتشرون فيها والتي ربما كانت تخضع بدورها لزعامة واحدة كبيرة تتولى إدارة شئونهم العامة ، وكانت على وعي تام بما يجري حولها من أحداث هامة . وما تحمل تلك الأحداث من آثار إيجابية أو سلبية ، ومن أخطار تهدد كيانهم ، ومكتسباتهم الاقتصادية ، وعلى كلٍ فإن ما يستحق الذكر هنا ، هو أن نفوذ العرب السياسي، كان يرتبط بأحوالهم الاقتصادية وبمدى علاقاتهم المختلفة ، بالأمم المجاورة لهم ، فعندما أحس العرب بامتداد النفوذ الآشوري نحو مناطقهم ، لم يجدوا بداً من

= وتجديد المسيرة التاريخية، فقد عادت منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية للبناء والتجديد حسب سنن الله في الكون والحياة ، فعاد سكان تلك الأرض إلى ممارسة نشاطهم وحماية مكتسباتهم الاقتصادية ، فكان تصديهم للتوسع الآشوري ، تأميناً على مكتسباتهم تلك ، وحرصاً على عدم المساس بها .

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : " الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي"، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، جامعة الملك سعود ، الكتاب الثاني ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٠-١٠١ .

الوقوف والتصدي له ، بل ومساندة أي قوة تقف ضد الآشورين ، وغيرهم ممن أرادوا سلبهم كرامتهم ، وامتيازاقم في المنطقة . مع الأخذ بالاعتبار أن مشاركتهم تلك ، قد تعود عليهم بالفائدة ، بالحصول على الغنائم الوفيرة ، التي سيكتسبونها ، من مشاركاقم تلك [1] ، خاصة إذا ما وضعنا في الحسبان أن تلك التجمعات العربية الموحدة ، تحت سيادة عربية واحدة ، لقب فيها زعمائها باللقب الملكي ، لايعني وحدة بمفهومها الدولي ، حيث قامت أيضاً زعامات متعددة في المنطقة نسبت إلى مدنها ، أو قبائلها ، وكانت تسعى جادة في سبيل تثبيت كيانها ووجودها ، كما سيرد ذلك ، وعلى أيه حال ، فإن الأمر لم يكن من السهولة بمكان على الآشوريين أن يمارسوا توسعاقم تلك ، في المناطق القريبة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث وجدوا في العرب خصماً عنيداً، يقف أمامهم ، بل ويتعدى ذلك إلى حد التحرش بهم في عقر دارهم ، إما عن طريق الاشتباك معهم في المناطق التابعة لهم ، أوبالسعي في تحريض زعماء تلك المناطق في الثورة ضد آشور . ومهما يكن من أمر ، فظهور العرب على مسرح الأحداث في المنطقة ، ومشاركة القبائل الآرامية وحلفائهم ، في التصدي للآشوريين والتحرش بهم ، لم يلبث إلا أن ينقلب رأساً على عقب ، فبعد أن كان أشبه بتحرشات بين الطرفين : العربي والآشوري ، فقد اتخذ طابع تدخلات حربية، وعلاقات سياسية واقتصادية ، حيث سعى فيه ملوك آشور ، إلى بسط نفوذهم على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وجعلوا منه مسرحاً ، لأحداث سياسية وحربية واقتصادية هامة [2] .

---

(١) رضا جواد الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م ، ص٦٤٣-٦٤٤ .

(2) Winnett. F.V. & Reed.W.L. , Ancient Records From North Arabia , Toronto ,1970 , p. 71 .

وإن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الباحث التاريخي في تلك الفترة، يواجه صعوبة جمة، في تدقيق أحداث هذه الحقبة التاريخية، نظراً لافتقاره إلى مصادر دقيقة للطرفين، فإن مجمل ما عثر عليه، ينسب إلى ملوك آشور في تلك الفترة، أي أن وثائقه صادرة من بلاد الرافدين، كما أنه يلاحظ اهتمام معظم تلك الوثائق – في مضمونها – بالنواحي السياسية والحربية، تفصيلاً أو إيجازاً، ولم تهتم بالنواحي الاقتصادية أو الاجتماعية، أو حتى الثقافية، بل وافتقرت إلى تدوين تلك المعاهدات التي أبرموها عقب حروبهم، أو عقب معاهدات السلام التي توصل إليها بالطرق السياسية [1].

هذا ولقد انتهت حياة الملك الآشوري شلمنصر الثالث، عقب ثورة كبيرة، قادها ابنه الأكبر " آشور-دانن-أبلي "، واستمرت قرابة الستة أعوام، دب الضعف خلالها في معظم أرجاء آشور، وفقدت الكثير من مستعمراتها في الغرب [2] حتى تمكن ابنه، ووريثه الشرعي من الوصول إلى الحكم، والمدعو شمس أداد الخامس (٨٢٣-٨١١ ق.م) والذي حاول جاهداً في إعادة أمجاد آشور، مستعيناً في ذلك بمصاهرته لملك بابل، حيث تزوج من أميرة بابلية تدعى سمورامات (محبوبة الحمام) والتي تعرف في المصادر الكلاسيكية باسم " سميراميس " [3] وأنجب منها أداد نيراري الثالث، والذي تولى الحكم عقب وفاة أبيه مباشرة (٨١٠-٧٨٣ ق.م) وكان صغيراً، فأصبحت أمه سميراميس وصية على عرش ولدها، وحكمت نيابة عنه قرابة الخمس سنوات عاد بعدها أداد نيراري الثالث إلى ممارسة مهام حكمه، وبناء دولته، وتثبيت نفوذها

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق، ص٤١٣ .وكذا جورج كونتينو: المرجع السابق، ص٣٥٤.

(٢) طه باقر : المرجع السابق، ص٥٠٦ .

(٣) محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم، ص٣٧٩، هامش (٣٨) .

على أقطارها المختلفة ، وخاصة في جناحها الغربي [1] ، فهناك ما يشير إلى قيـــام تحالف جديد ، في الأقاليم السورية ، ضد الإمبراطورية الآشورية ، غير أن القوات الآشورية سرعان ما قضت عليه ، وتشير حوليات أداد نيراري الثالث إلى أن قواته تقدمت نحو السواحل اللبنانية (الفينيقية) مرتين في عـــامي ٨٠٤ و٨٠٣ ق.م وأسفر تقدمه ذلك إلى تسلمه الجزية ، من دويلات مختلفة ، من الأقاليم السورية، التي تقع ما بين الفرات والبحر العظيم (البحر المتوسط) والذي تغــــرب فيــه الشمس ، حيث أخضـــع بـــلاد أمـــور كلـــها ، وبـــلاد صـــور وصيـــدون وعمري (إسرائيل) وأدوم وفلستيا (الفلسطينيون) ، حيث بسط نفوذه عليـــهم وفرض عليهم الجزية [2] .

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٢٢٤ وكذا عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القـــديم، ص٥١٤ . وكذا أنطون مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخـــرون ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص٢٩٥ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٧٩ . وكذا
Oppenhiem. A.L.,op.cit., pp.281- 2 .

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والاقتصادية بين بلاد الرافدين وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية

إن أهداف آشور التوسعية في الغرب لم تنقطع ، غير أن حدتها خفت بعض الشيء عقب وفاة أداد نيراري الثالث ، حيث تولى عرش آشور بعدة ملوك ضعاف ، وهم على التوالي :- شلمنصر الرابع (٧٨٢-٧٧٣ ق.م) ، آشور دان الثالث (٧٧٢-٧٥٥ ق.م) ، وآشور نيراري الخامس (٧٥٤-٧٤٥ ق.م) ، عاشت فيها الإمبراطورية الآشورية الحديثة حالة من الفوضى، والضعف السياسي.

تمكن الملك تجلات بلاسر الثالث (Tiglath-Pileser III) (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) [١] من الوصول إلى عرش الإمبراطورية ليبدأ عصر جديد لآشور عرف في تاريخها بعصر الإمبراطورية الآشورية الثانية ، حيث ضمت بابل في عهده نهائياً إلى عرش الإمبراطورية الآشورية ، واستطاع أن يبسط نفوذ دولته على معظم المدن السورية ، وتلك المدن المطلة على طول ساحل

---

(١) عرف الملك الجديد باسمين " تجلات بلاسر " كما جاء في المدونات الآشورية والآخر " بول " (Pul) أو بولو (Pulu) الاسم الذي أطلقته عليه المصادر البابلية عام ٧٢٨ ق.م أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة ويحتمل الاسمان أكثر من تفسير واحد ، فقد يكون اسم بولو هو اسمه الشخصي ، ولما اعتلى العرش تيمن باسم الفاتح القديم " تجلات بلاسر " وتسمى باسمه أو يكون اسم " بولو " مجرد مرادف بابلي اخترعه البابليون لغرض في نفوسهم وإن دل على شيء فإنما يدل على أنه لم يكن من صلب البيت الحاكم ، وإن أخذنا بذلك فيمكن افتراضاً أنه من قادة الجيش نظراً لما تجلى من مهارته الحربية فيما بعد ، وأياً كان الأمر فلقد عرف هذا الملك في التوراة باسم " فول " ولعله تحريف يهودي لاسم " بول " البابلي الذي وصل إلى العرش اغتصاباً و لم يكن من أصل الأسرة المالكة . انظر

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥١٥-٥١٨ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٨١ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص ٢٩٥-٢٩٦ . وكذا Roux. G., op.cit. , p. 286 .

البحر المتوسط شرقاً [١] ، بل وامتد نفوذه وكما سيأتي لاحقاً إلى أطراف مختلفة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية (شمال الحجاز) . وإلى عهده تنسب معظم الإصلاحات الداخلية والخارجية والتنظيمات الإدارية لآشور وعليها سار خلفاؤه من بعدة طوال عهد الإمبراطورية الثانية [٢] ، حيث اتخذت العلاقات بين بلاد الرافدين ، وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، منعطفاً أو مساراً جديداً في عهده ، حيث بدأت التدخلات السياسية والحربية الآشورية في المنطقة ، فبعد أن ضمن تجلات بلاسر ولاء المناطق السورية المختلفة – كما يصف ذلك في نصه (أنه تسلم الجزية من ملك دمشق) – الذي جاء فيه [٣] :-

"...استلمت من قصره في دمشق مقر إقامته
الملكية ٢٣٠٠ زنة [٤] من الفضة تساوي ٢٠ زنة من الذهب ،

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٥ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٣٨٠ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٢٩٥-٢٩٦ ، ٣٠٠ . وكذا سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص٧ . وكذا Collier'S Encyclopedia , p. 428 .

(٢) الآشوريين ومنذ عهد الملك تجلات بلاسر الثالث استعملو شتى الوسائل من أجل توطيد دعائم حكمهم بدأ بإنزال أشد العقوبات على سكان الأقاليم المفتوحة أو التي تبدي أي مقاومة ضدهم بدءاً بتهجير سكانها الأصليين إلى أقاليم أخرى واستبدالهم بآخرين مما يسبب خلط الشعوب وإحلال البؤس بهم، كما أنهم لم يكتفوا بالحكام الأصليين للمناطق المغلوبة ، حيث أقاموا حكاماً موالين لهم من آشور وعلى درجة عالية من التدريب ، والمختارين بعناية لتنفيذ مطالب آشور وأهدافها وذلك لضمان عدم ولائهم وعدم التلاحم بين النصرة العنصرية لسكان المناطق وحكامها الأصليين .كما أنهم فرضوا عبادة آشور على معظم المقاطعات التي تنافس آشور كنوع من الخضوع لآشور ، لاستعباد الناس في معظم المناطق المفتوحة عنوة لآشور . انظر
عبد العزيز صالح: المرجع السابق ، ص٥١٦-٥١٧.وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥١٠-٥١٢.

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.281- 2 .

(٤) الزنة Talerlts في المسماري ، وهي وحدات كيل ، استخدمها أهالي بلاد الرافدين ، بالإضافة إلى الشيكل Shekel ، والمانا Mana وذلك بعد اكتشاف الذهب والفضة والنحاس ،
=

٥٠٠زنـــه مـــن الحديـــد وأرديـــــه كتانيـــــة مزخرفـــــة بألوان متعددة ، وسريراً مطعماً بالعاج ، متكئـــــا (مضجعـــاً) مرصعاً بالعاج لاحصر لها من ممتلكاته....''

وعلى مايبدو فإن تجلات بلاسر الثالث – وبعد أن ضمـــن ولاء المنـــاطق السورية – فكر في تأمين الأجزاء الجنوبية منها وخاصة تلك القريبة من الباديـــة العربية ، والتي لم تتوان في التحرش بالمناطق التابعة لآشور ، وحماية حدودها مـــن أي غزو، أو تحرشات تقوم بها القبائل العربية،القاطنة في مناطق شمـــال وشمـــال غرب شبه الجزيرة العربية [1] .حيث قام بوضع والٍ عنه على إقليم موصــــــري (Musr) على وظيفة قيبو [2] أطلق عليه اسم ادبئيل (Idibi-Li) [3] في ســـنة

= واستعملوها في التبادلات التجارية بدل المقايضة التي كانت مستعملة . والزنة تعادل ٣٠,٥ جـرام ، والشيكل يعادل ٨,٤١٦ ، والمانا تعادل ٦٠ شيكل أي حوالي ٥٠٥ جرام . انظر سليمان أبو غوش: ''كلمات إنجليزية من أصل عربي''، مجلة مرأة الامة، الكويت ، ١٩٧٥م، ص١٥ .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٥ .

(٢) اتخذت السياسية الآشورية في عهـــده إلى وضع منصب جديد للأقاليم التي لا تخضع لهم وهو عبـــارة عن نائب له يمثل الملك الآشوري مباشرة ويشارك الحاكم الوطني زعامة الإقليم أو المنطقة وأطلقـــت عليه المصادر الآشورية لقب (قيفو) أو (قيبو) (Kepu) أو قـــيرو (Qeru) وذلـــك لتنفيـــذ السياسية الآشورية في تلك الأقاليم من جهة ومراقبة الحكام الوطنيين من جهة أخرى والتعرف عـــن كثب عن مدى ولائهم لآشور ، وإرسال التقارير اللازمة لآشور . انظـــر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٤ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥١١ .

(٣) (Idibi-Li) (ادبعيل) (ادبئيل) ادبيائيل/اديبئيل إحدى القبائل التي نسبتها التوراة في سفر التكويـــن ١٣/٢٥ من جملة قبائل بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وجعلت مساكنهم جنوب البحر الميـــت وقرب غزة وإلى جنوبها الغربي ،وتمتد غربا في سيناء ، ويرى ا. موسيل أن الاسم أطلق على الأســـرة الحاكمة وعلى مسمى القبيلة نفسها أو اسم شيخ القبيلة وعلى ما يبدو أن انتشار القبيلـــة في تلـــك الأرضين هو الذي دفع بتجلات بلاسر الثالث إلى إقامتها كحارس لحدود بلاد سوريا من هجمـــات العرب القاطنين في شمـــال وشمـــال غـــرب شـــبه الجزيـــرة العربيـــة ضـــد ســـوريا أو الأقـــاليم =

٧٣٤ ق.م [١] كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...نصبت ادبئيل [٣] كحارس للحملات على حـــدود
موصري وفي كل البلدان التي ..(أنا استلمت) الجزيــة
من حاشتاشي ملك كوماجين وأوريك ملك قوية...."

وكما يبدو من النص فإن تجلات بلاسر الثالث قد قام بتكليف إحـــدى القبائل الإسماعلية ، المقيمة في الأطراف الجنوبية الغربية ، للبادية السورية ، والـــتي يمتد نفوذها على أطراف مختلفة جنوباً ، قد تصل إلى حدود شمال غرب الحجاز ، بالإضافة إلى طور سيناء ، لتكون في موضع التكليف ، وحفظ مصالحهم .ومـــن هنا بدأ الآشوريون في عهده يهتمون بـــ (عريبو) أو بلاد العرب ، وفكـــروا في بسط نفوذهم عليها ، إما بسبب الرغبة في حماية القوافل القادمة من جنوب بـــلاد العرب ، والتي عادة ما تكون محملة بالبخور وغيره ، من المنتجات الـــتي كـــانوا يتوقون للحصول عليها . وإما اتقاء للغارات المفاجئة ، التي كان يقوم بها العـــرب القاطنون في شمال الجزيرة العربية ، ضد الإمبراطورية الآشورية، مـــع الأخـــذ في الاعتبار سعى الآشوريين الذي لاينتهي ، في سبيل الحصول على المواد الخـــام ،

= الخاضعة لهم . انظـــر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٤. وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٩١ .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٤ .

(2) Oppenhiem. A.L.. , op.cit. , p. 282.

وحول باقي المناطق انظر نفس النص لمزيد من التفصيل، واستبعدها الدارس لأنها ليست مـــن ضمـــن حدود شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية حيث أشار في النص إلى مناطق بيت عمـــون جنـــوب الأردن الحالية مؤاب وأدوم وحتى غزة .

(٣) جعل فيصل الوائلي ترجمته بـــ (ايد بيعيلي) . انظر
فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٧ .

التي اشتهرت بها في تلك المناطق ، حيث نقرأ في حولياتـــه [١] أنـــه في ســـنة لم يحددها، (وهي على ما يبدو أنها من السنين الأوائل من حكمه) يشير فيـــها إلى تسلمه الجزية من ممالك وأقاليم مختلفة ، ذكر من ضمنها اسم امرأة عربية ، سماها النص بـــ زبيبة (زبيبي) (Zabibe) مسبوقه بكنية سياسية مرموقة ، هي لفظـــة ملكة وهو أول اسم لملكة عربية وصلنا في مصادر تاريخ الشرق الأدنى القـــديم ، وقد جاء اسمها كآخر من سلم الجزية له ، ورغم أن النص لم يحدد موقع تلـــك الملكة إلا أن معظم الآراء [٢] تتجه إلى أنها كانت تسكن منطقـــة (أدومـــاتوا) (دومة الجندل) [٣] في الجوف الحالي .

---

(١) وجدت منقوشة على قطع طينية متفرقة عثر عليها في كالح ومحفوظة حالياً في المتحف البريطاني. انظر Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 282 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٧٧ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٥ . وكذا محمـــد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٨٨ . وكذا محمد بيومي مهران : العرب وعلاقتهم الدوليـــة في العصور القديمة ، ص٣٣٩ . وكذا عبد الرحمن الطيب الأنصاري : لمحات عن بعض المدن القديمـــة في شمال غربي الجزيرة العربية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ، ١٩٧٥م ، ص٨١-٨٢ . وكذا Musil. A. The Northern Hegaz , New York , 1926 , p. 287 ; Winnett F.V & Reed.W.L , op.cit. , p. 22 ,71 .

(٣) كانت مركزاً دينياً وسياسياً هاماً للعرب خلال العصر الآشوري وبوابة الجزيرة العربية الشـــمالية وأن اسمها جاء من الجندل أي الصخر وتعرف حالياً بالجوف عند منخفض وادي السرحان والحفاظ عليـــها يعتبر حفاظاً على أمن شبه الجزيرة العربية وعرفت في التوراة بـــ دومة وتنسب إلى دوماء بن إسمـــاعيل بـــن إبراهيـــم عليـــهما الســـلام كمـــا عرفـــت بـــــ دمـــا و دومـــا ، وذكرتهـــا المصـــــادر الآشورية بـــ (Adummatu) وعرفت بـــ (Domatha) عند بلينيـــوس وعنـــد بطليمـــوس بـــ (Doumaetha) أو (Dumaetha)، فدومة الجندل عدت عاصمة لأكثر الملكات العربيـــات خلال العصر الآشوري منهم من ذكرت معهم نصياً ومنهم من لم تذكر كزبيبي وشمس ويطيعـــه أمـــا الآتي ذكرنا معها كـــ تلخونو واسكالاتو وتبوة أو (تاربو) ، وقد أصبحت أدوماتو (دومة الجنـــدل) من أشهر المستوطنات العربية في شمال شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع ق.م . أنظـــر بن سعد الطبقات الكبرى ١ / ٢٥ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ٤٨٧/٢ . وكذا جـــواد علـــي : المرجع السابق ، ص٤٤٢ . وكذا عبد الرحمن الطيب الأنصاري : المرجـــع الســـابق ، ص٨٠-٨١ .

=

كما جاء في النص التالي [1] :-

"...استلمت الجزية (يذكر عدداً من الملوك) ....(و) زبيبي ملكة العرب (استلمت) الذهب والفضة ، والقصدير والحديد، وجلود الفيل والعاج والأردية الكتانية بزخارف متعددة الألوان، وصوف مصبوغ بالأزرق ، وصوف مصبوغ بالقرمزي (الأرجواني) وخشب الأبنوس ، وخشب البقبق ما يكفي ليكون كنز ملك [2] ، مع طيور برية التي عندما تفرد أجنحتها تكون كأنها مصبوغة باللون الأزرق (وعلاوة على ذلك) خيول ، بغال وماشية صغيرة وكبيرة وجمال مذكرة ومؤنثة (نوق) مع صغارها...."

ويلاحظ أن معظم تلك الأصناف التي أخذها تجلات بلاسر قد تكررت من قبل في نصوصه على أنه تسلمها من ملوك سوريا [3] ، بإستثناء الجزء الأخير من النص الذي أظهر مسميات جديدة لحاجيات لم تذكرها نصوصه السابقة ، ومنها الخيول والبغال والماشية ، وكذا الجمال والنوق ، وهي في معظمها مسميات ارتبطت بالذاكرة العربية منذ ذلك التاريخ ، كما تجدر الإشارة إلى أن

= وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٣٩ . وكذا خالد عبد العزيز الدايل : " التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م "، أطلال، العدد العاشر ، ١٤٠٦هـ ، ص٨٢ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق، ص١٢٨. وكذا

Winnett.F.V & Reed.W.L , op.cit. , p. 71

(1) Oppenhiem. A.L , op.cit. ,p. 283 ; Luckenbill.D.D.,op.cit.,vol.I,p.276 (772).

حيث يوجد اختلاف بسيط في ترجمته عن Oppenhiem السابقة .

(٢) يضيف فيصل الوائلي في الترجمة : وكافة أصناف الخزائن الملكية الثمينة والخزفيات الثمينة . انظر فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨١ . وكذا

Luckenbill.D.D.,op.cit.,vol.I ,p. 276.(772) .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. ,p. 282 .

معظم هذه المسميات كانت ضرورية في ذلك العصر ولها أهميتها من حيث حاجة القوافل التجارية لها وهذا ما قد يؤكد المكانة الاقتصادية ، التي كانت تحظى بهـا منطقة شمال و شمال غرب شبه الجزيرة العربية، منذ ذلك الوقـت المبكـر مـن تاريخها، وهي المكانة التي وضحها القرآن الكريم، في محكم التنزيل عند ذكر قـوم مدين، ونبي الله لهم شعيب علية السلام.وما كان منهم وعليـهم،في معـاملاتهم التجارية التي شكلت عصب حياتهم، وخاتمة أمرهم [1]،وكما أشار القرآن الكريم بعد ذلك بعدة قرون إلى تلك المكانة الاقتصادية الهامة التي كان عليها أهل المنطقة مذكراً بها قريشاً وفضله عليهم،قال تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَـةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِـنْ جُـوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } [2] .

وعلى ما يبدو فإن علاقات آشور مع عرب شمال شبه الجزيرة العربيـة لم تسرْ على وتيرة واحدة خلال عهده ، حيث تشير المصادر المنسوبة إليه إلى مسمى ملكة عربية أخرى المصادر باسم سامسي أو سمسي " شمسي " (Samsi) [3] ، والتي على ما يبدو قد تولت زعامة القبائل العربية ، خلفاً للملكة زبيبي ، والـتي سبق وأن اشارت إليها المصادر انها دخلت في حلف مع آشور ، ثم ارتدت بعـد ذلك وخرجت على آشور . كما جـاء في النص التالي [4] :-

(١) انظر ص(٤٢٩) من هذا البحث .

(٢) سورة قريش ، الآيات: ١-٤ .

(٣) يرى جواد علي أن الاسم (Samsi) سامسي أو (Shamsi) شمسي قد يكون محرفاً مـن اسـم شمسه العربي القديم ، والذي لازال حيا حتى اليوم ، حيث جاء ذكره في صدر الإسلام لمسمى امـرأة نصرانية تدعى شمسه أسلمت على يد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأن التحريـف وقع عند الآشوريين حتى يتمشى وصياغة الكلمة لديـهم . انظـر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨١ .

(4) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p.283 .

"...سامسي ملكه العرب التي حنثت في يمينها (القسم)
بواسطة شاماس (الشمس) ...."

وكما يبدو من فحوى النص أنها قد رضيت بحكم آشور ، ودخلت ضمن عهد الملك تجلات بلاسر الثالث ، أسوة بسابقتها الملكة زبيبي ، وأقسمت على ذلك ، ثم لم تلبث إلا وأن حنثت بقسمها ذلك ، وربما شاركت أيضاً ملوك سوريا ، في تحالفٍ ضد ملك آشور ، فكان سبباً في تقدم الملك الآشوري نحو إقليمها، ورغم أن النصوص لم تحدد موقعها ، إلا أنه من المرجح وكما يرى بعض الباحثين [1] أنها كانت تقطن أيضاً دومة الجندل (أدوماتو) ، ولم يكتف بذلك ، بل نراه يلاحقها ويتبعها في مناطق مختلفة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وصل فيها جنوباً حتى ديدان (العلا) ، واستطاع بقوة السلاح أن يفرض نفوذه على معظم تلك الأرضين ، بل ويجعل عليها مقيماً نائباً عنه يتولى الإشراف عليها ، وكان ذلك في ما بعد السنة التاسعة من حكمه [2] أي في حوالي سنة ٧٣٥ ق.م تقريباً، كما جاء في بقية النص السابق :-

"...المدينة .... إلى مدينة لزاس ... عريبو (بلاد
العرب) في إقليم سا[با (سبا)] [3] ، في معسكرها ...

---

(1) Winnett.F.V. & Reed. W.L. , op.cit. , p. 72 .

على أن هناك من يقول أنها كانت تقيم في الصحراء السورية . انظر
Cook.S.A., op.cit , p. 381 .

(2) Oppenhiem.A.L. ,op.cit, p. 283 .

(٣) يقصد بها هنا على الأرجح الجاليات السبئية المنتشرة على طول الطرق التجارية بين شمال غرب شبه الجزيرة وجنوبها الغربي ، والتي يرى كثير من الباحثين تواجد مثل تلك الجاليات السبئية وقبلها المعينية حيث كانت تقيم في مناطق مختلفة على الأرجح تقع غرب تيماء وحول ديدان (العلا) وكانت تحرس بواسطة حاميات عسكرية ، والتي كانت تعمل بالتجارة وكان الإشراف على هذه المواقع المنتشرة على طول الطرق التجارية الهامة تارة بيد السبئيين وتارة أخرى بيد المعينيين ، وربما شاركهم
=

وأصبحت خائفة (من جيشي الكبير) و [وأرسلت] إلى [أنا الجمال والنوق (انثى الجمال)] و...[أنا] [وضعت قيماً (موظفاً وعاملاً عليها) وعمل أيضاً (مثلها) [البيراييناس] والذي انحنى إلى قدمي .وسكان ماسا (١)

= التيمثيين في ذلك، وعلى ما يبدو فإن السبئيين لم يكتفو بأعمالهم التجارية ، فعملوا في تربية الجمال والأغنام ، وجعلوا من الخيام مساكن لهم حيث برز نشاطهم في تلك المنطقة ، ويستشهد بعض الباحثين على ذلك بما ورد في ذكر علاقات اليهود بالسبئيين ، كما جاءت في الكتاب المقدس في سفر يوئيل ، الإصحاح الثالث ، نص : ٣ من أن اليهود كانوا يبيعون الرقيق للسبئيين " وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبئيين " . وفي سفر أشعيا الإصحاح السابع نص : ٦٠ " تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً وتبشر بتسابيح الرب " ، وفي سفر حزقيال الإصحاح الثالث عشر تص ٣٨ حول تجارة شبا بالممالك الإسرائيلية " تجار شبا ورعمة هم تجارك " وفي الإصحاح الثالث والعشرون نص : ٢٨ " شبا وددان وتجار ترشيش " ، مما يؤكد التواجد السبئي في منطقة شمال شبه الجزيرة العربية وحتى حدود أرض فلسطين أي أن السبئيين الذين ذكرقم المصادر الآشورية لا بد وأن يكونوا منتشرين في تلك الواحات المختلفة والتي تقع على طول الطريق التجاري العالمي آنذاك . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨١ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٨٦-٨٨ . وكذا Musil. A. , op.cit. , p.288 .

(١) مسا (مسأي) (Mas'A) (Massa) جاء في سفر التكوين في الإصحاح الخامس والعشرون نص ١٤ أنهم من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، نص ١٤ (وهذه أسماء أبناء إسماعيل حسب مواليدهم نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحداد وتيما " وفي أخبار الأيام الأولى الإصحاح الأول نص ٣٠-٣١ " بكر إسماعيل نبايوت وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدد وتيما " ، ويرى بعض الباحثين أن مساكنها كانت في شرق وجنوب شرق مؤاب في حين يرى آخرون أنها في جنوب وادي السرحان وذهب آخرون أنها تقع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ولكن مثل هذا الخبر مستبعد حيث أن من المعروف عن القبائل الإسماعيلية أنها سكنت شمال شبه الجزيرة العربية وليس جنوبها ، وعلى أيه حال ، فور ود اسمها مقروناً باسم تيماء يدل على مجاورتهم لبعضهم البعض ، أي أن قبيلة مسا قد تكون إلى الشمال من تيماء =

لتـــــــــيما [1] . (و) ســـــكان ســـابا (ســـبأ)

هـــــايابا (خـــايابا) [2] ، بــــادانا [3] ، وهــــــاتي

= أو قريبة من ذلــــك . انظــر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٤٢ ، ٥٨٠-٥٨١ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(١) سوف يتفرد الدارس عنها في الفصل القادم

(٢) خايابا (Haiappa) هي قبيلة عيفة الوارد ذكرها في التوراة أنها من نسل مديان بن إبراهيم عليـــه السلام من زوجته قطورة جاء في أخبار الأيام الأول الإصحاح الأول نص ٣٣-٣٤ " أما بنو قطـورة سرية إبراهيم فإنها ولدت زمران ويقشان ومدان ومديان ... وبنو مديان عيفة وعفر... " ، أي أنهـــم من القبائل المدينية التي كانت تسكن إقاليم شمال شبه الجزيرة العربيـــة . انظــر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٢. وكذا نبيه عاقل:المرجع السابق ، ص٥٥. وكذا ا. موســيل : المرجع السابق ، ص٨٩ . وكذا

Knauf.A.E ,"Midianttes and Isimaelites " in Midian,Moab, and Edom , (eds) , 1983 , p.148 .

(٣) بادانا (بدنا) (بطنة) (بطنا) لم يرد ذكرها في التوراة ولذلك صعب على المؤرخين تحديد هويتـــها إلى أنها قريبة من اسم قبيلة بدون أو مدون التي كانت تسكن إلى الجنوب الشرقي للعــلا (ديـــدان) حيث أن معظم القبائل وكما يرى ا. موسيل تفرد هذه القبيلة عنها وتذكرها بأصلها القـــدم الـــذي لاينسب إلى أي منهم ، وعلى كلٍ فهناك من جعل لها فرعاً آخر يسكن بالقرب من البتراء وهناك مـــن جعلها في واحة البدع بتحريف للفظة (Budanathe) التي ذكرها بليني ، إلا أن ا. موسيل يســتبعد ذلك ويرى أن اقتراب الاسمين خايابا (عيفة) وبدنا في النص الآشـــوري ، وكذلـــك ورودهمـــا في الكتاب المقدس معاً يدل على قربهما ، كما أن النص المقدس عادة ما يقلب الباء ميماً في أول الكلمـــة فتكون بدنا هي مدان التي هي فرع من مدين مثلها مثل عيفة وأن مساكنها كانت تقع قـــرب تيمـــاء (أو جنوب العقبة الحالية) ويستشهد على ذلك من ورود اسم موقع يقال له مدان في نصوص العربيـــة الجنوبية يقع في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، على أن هناك من يربط بينها وبين مدينة البـــاطن أو بدنة الحاليـــة . انظــر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٢ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٥ . وكـــذا عبـــد الرحمن ابن عطا آل كراع : هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف ، الجزء الأول ، الطبعـــة الأولى ، المطابع الأهلية ، الرياض ، ١٤٠٤هـــ ، ص٧٧ . وكذا ا. موســـيل : المرجـــع الســـابق ، ص٩٠.

(حتى) [1] قبيلة أديبا ليتر ... حيث أقاليمهم [تكون بعيدة] نحو الغرب [وسمعوا] بشهرت حكمي [...وأحضرو] بدون استثناء (نص : مثل رجل واحد) جزيتهم ذهب وفضة وجمال ونوق وكل أنواع التوابل (العطور) قدمت إليّ وقبلوا قدمي ... وأسست قصراً يتناسب مع [مكانتي كملك لهم في ...] وحددت لهم (ادبئيل) كحاكم أعلى (فوقهم) في [إقليم موصري] ....".

وهكذا وكما يبدو واضحاً أن الملكتين العربيتين : زبيبة وشمسي إنما قد اضطرتا إلى تقديم فروض الطاعة للملك الآشوري ، وقد يكون ذلك عقب استيلائه على غزة، وقطعه طريق البخور [2] ، مورد القبائل العربية المتواجدة على طول الخط التجاري الواقع في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ،

---

(١) حتى (خطى) (Hatti) ، ويضع ا. موسيل مساكنها في أرض أدوم القديمة ويرى أنها قبيلة حث المذكورة في الكتاب المقدس في سفر التكوين في الإصحاح السادس والعشرين ، نص ٣٤ " ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة يهوديت بنت ابنة بيري الحثي وبسمة ابنة ايلون الحثى " كما وردت في الإصحاح السادس والثلاثين نص : ٢-٣ ، " وهذه مواليد عيسو الذي هو آدوم أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان عدا بنت ايلون الحثى " ، وبذلك يربط ا. موسيل بين حث وبين آدوم في حين يرى جواد علي ترجمتها بـ خطى ويذكران هناك جماعة عرفوا باسم الخطيون وكانوا يعملون بالتجارة بين الشام واليمن وينسبون إلى جبل بمكة يقال له الخط، ويرى جلازر أن حث موقع ما يقع على ساحل الخليج العربي ، في حين هناك من يرى أنها غطى أحد أحياء دومة الجندل . انظر ياقوت : معجم البلدان ١/ ٣٧٨ . وكذا جواد علي: المرجع السابق ، ص٥٨٤.وكذا عبد الرحمن بن عطا آل كراع : المرجع السابق ، ص٧٧ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٩٠-٩١ .

(2) Olmstead. A. T. , A History of Assyria , Chicago , 1933 , p. 189 .

وذلك عقب حملته التي كانت في حوالي سنة ٧٣٥ ق.م . وكما يشير النص أن تجلات بلاسر الثالث قد شيد قصراً في المنطقة ، لم ترصده لنا المصادر التاريخية والأثرية حتى تاريخه . وهكذا اكتفى تجلات بلاسر الثالث بما حقق من انتصارات، وأقام قبيلة ادبئيل مشكلة في زعيمها أو في القبيلة ككل . والتي كانت تقطن في مناطق مختلفة ما بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وغزة [١] كحا كم أعلى للمنطقة ، لمراقبة مدى ولاء تلك القبائل لآشور ، وكجبهة صد أمام أي تحرك عربي ضد آشور ، حيث يشير في نهاية نصه أنه فتح ودخل أكثر من مدينة من مدن سوريا ، ثم يحدد بعد ذلك خمسة عشر مدينة كانت تحكم بواسطة ادبئيل في بلاد العرب ، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...ودخلت المدينة و ١٥ مدينة ... لأدبئيل في(عريبو)
بلاد العرب ...."

وفي نص آخر لسنة غير معروفة [٣] أيضاً يذكر تجلات بلاسر الثالث نفس الأحداث السابقة ولكن بتفصيل أدق ، ولايمكن تحديد هوية النص ، فهل يعني ثورة قامت بها شمسي ضد تجلات بلاسر الثالث بعد أن استسلمت له ، أم أنه مجرد وصف آخر لحملاته تلك على بلاد العرب (شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية) بدقة أكثر ، وتفاصيل أوسع [٤] ، حيث ذكر حال صراعه مع شمسي ،

---

(١) كانت غزة المحطة التجارية النهائية لرحلة التجارة القادمة من الحجاز عند ظهور الإسلام . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٥ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 283 .

(3) Ibid. , p. 284 .

(٤) يجمع جواد علي النصين على اعتبار الثاني شارحاً للأول ويشير إلى نص آخر ينسب إلى نفس الملك تجلات بلاسر أن الملكة شمسي أرسلت وفداً إلى الملك تجلات بلاسر الثالث لمصالحته واسترضائه ، يضم عدداً من سادات القبائل أتباعها ، منهم (Jarapa) (يربع / يربأ) وكان رئيس الوفد (Hataranu) (خترنو / حترنو) و (جنبو) (Ganabu) وتمرنو (Tamranu) وهي في =

بعد أن تعرض في مقدمة نصه ، إلى ذكر أحداث أخرى جرت له في سوريا وفلسطين ، حيث جاء في النص التالي :-

"...من أجل شمسي ملكة (عريبو)بلاد العرب .. أنا قتلت ١١٠٠ مواطن ، ٣٠,٠٠٠ ألف جمل ، و٢٠,٠٠٠ ألف [رأس] من الماشية [...] ٥,٠٠٠ الآف وعاء بكل الأنواع من التوابل ، و١١ تولا سلطانية ملك الهتها، ...وممتلكاها أخذها منها وهربت بنفسها لإنقاذ حياها إلى مدينة بازو [1] منطقة بدون ماء (نص مكان العطش)

= نظره كلها أسماء عربية وكتبت حسب النطق الآشوري . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٧٩ .

(١) جاء في الكتاب المقدس في سفر التكوين الإصحاح الثاني والعشرين نص ٢١-٢٢ لفظة بازو بالإضافة إلى (حازو) على أنهما من أبناء ناحور أخ إبراهيم عليه السلام ، حيث يرى كثير من الباحثين أن لهما صلة بالمواقع التي ذكرها النصوص الآشورية حيث جاء في الإصحاح "...وقد ولدت هي أيضاً بنين لناحور أخيك ، عوصاً بكره وبوذاً أخاه وقموئيل أبا ارام وكاسد وحزواً ...." ، وقد يستدل على أن موقعها في شمال غرب شبه الجزيرة العربية مما ورد أيضاً في الكتاب المقدس في سفر أرميا الإصحاح الخامس والعشرون ، نص ٢٠-٢٤ ، " ...وكل اللفيف وكل ملوك أرض عوص وكل ملوك أرض فلسطين ...وديدان وتيماء وبوز وكل مقصوصي الشعر مستديراً وكل العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية ..." ، فإن ورودها في هذا السفر مع ددان وتيماء رغم أن الإشارة التي جاءت في الكتاب المقدس لم تشر إلى موقعها إلى أن من المراجح أنها تقع في مكان ما في شمال غرب شبه الجزيرة العربية بجوار تيماء وددان (العلا) . ويؤكد على ذلك كثير من الباحثين ففي حين يرى ا. موسيل أنها تقع في منخفض وادي السرحان في مكان يقال له (بيظ) أو (بيد) وهو احتفاظاً باسم القبيلة القديمة القاطنة في الطريق التجاري أو طريق القوافل الذي يربط بين الخليج الفارسي وبلادالرافدين وبين مصر وسوريا وكذا العربية الجنوبية ، والذي كان أشبه بواحة في ذلك الوادي على أن هناك من يرى أن اسمها قد ذكر أيضاً مجاوراً لاسم ملك دلمون (البحرين) ، فيذهب إلى أن موقعها في منطقة ما شرق الجزيرة العربية ، وهناك من جعل موقعها عند أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية عند عُمان ، على أن هناك من جعلها في أرض اليمامة أو في البادية التابعة لها أو في صحراء النفوذ وقد وضعها بعض الباحثين في موقع مملكة الحيرة العربية في شمال شرق شبه الجزيرة

=

مثل أنثى الحمار مقهورة بالجوع والناس في معسكرها [عملوا] ... ثم أصبحت خائفة من قوة [جيشي] الكبير ، وأحضرت لي الجمال والنوق . وهي .[ووضعت نائياً فوقها ، وجعلت بيري يركع إلى قدمي] ، وسكان ماسا لتيما ، والسبئيين وسكان خايابا ، بادان ، وختي ، والاديباليتر ... في منطقة الغرب [حيث تبعد] في أقاليم [لايسمع عنها إنسان] عن شهرتي وحكمي (و) .. وركعوا لعبوديتي وحكمي ووضعت عليهم بدون استثناء كجزية الجمال والنوق وكل أنواع التوابل وقبلوا قدماي وقد عينت ادبئيل كحاكم على (تخوم) موصري [1] ....."

= العربية ، ولعل أقرب تقدير أنها تقع في منطقة ما في شمال غرب شبه الجزيرة العربية (شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية) وفي الأجزاء الجنوبية من دومة الجندل حيث كانت تقيم الملكة شمسي ، فهي وبلاشك قد اتخذت الطريق الداخلي في البادية هرباً من بطش الآشوريين ولكنها لم تصل إلى تيماء أو ددان ، والتي كانت تقيم علاقات ودية مع ملك آشور تجلات بلاسر الثالث ، فاختارت مواقع أخرى غير تلك التي تخضع لنفوذ آشور سلمياً أو حربياً . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٦-٥٩٩ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٨. وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٢٦٣ . وكذا سليمان سعدون البدر : المرجع السابق، ص٩٨.وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٤٥-٣٤٦ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق، ص١٦-١٧. وكذا

Belgrave. J. H.D., "Central Arabia" , London , vol.I , 1966, p. 96 ; Musil. A., in The Arabia Deserta, New York,1930, pp.482- 84 .

(١) صور ذلك الانتصار على لوح طيني لمنظر فارسين آشوريين يحملان رمحين ، خلفهم (عربي) راكباً جملاً، وجثث العرب ملقاة على الأرض تحت أعقاب الفارسين ، والأعراب في صورهم بشعورهم الطويلة المسدوله إلى الخلف وبلحاهم الكثة ، وأجسامهم العارية إلا من بعض القطع الملتف على وسطهم ومشدود بحزام، وصور الرجل الأعرابي وهو واقف بجوار الفارسين ماداً يده مسترحماً ومستسلماً و الملكة شمسى حافية ناشرة شعرها تحمل جرة من الجرار الإحدى عشرة وقد نثرت شعرها وقد اضناها الجوع والعطش . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٧٨-٥٧٩ .

وهكذا نجد أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث ، الذي خلف عرش الإمبراطورية الآشورية ، قد استهل أعماله بإعادة بناء دولته ، والحفاظ على توسعاتها في الغرب ، حيث شهدت الفترة الواقعة بين شلمنصر الثالث ، وتجلات بلاسر الثالث، والتي تقرب من القرن من الزمان ، فترة هدوء سياسي في منطقة الشرق الأدنى القديم ، من قبل الآشوريين، وعليه فقد عاشت فيها المناطق الغربية، التابعة للإمبراطورية الآشورية ، حالة استقرار سياسي واقتصادي تابع لآشور ، محتفظين بمواقعهم التجارية الهامة ، على طول الخطوط التجارية العالمية آنذاك ، وخاصة تلك الطرق التي تربط بين آشور وسواحل البحر المتوسط ، وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية (1) ، وعلى مايبدو فإن تجلات بلاسر الثالث ، لم يتدخل في توسعاته في الغرب عسكرياً إلا في وقت متأخر من حكمه ، حيث اكتفى بوضع المراقبين (القيبو) ، لمتابعة مدى ولاء تلك الأقاليم لآشور ، وخاصة فيما يتعلق بالأطراف الشماليةوالشمالية الغربية ، لشبه الجزيرة العربية مسكن العرب (عريبو) ، والتي كانت لا تتوانى في مشاركة القبائل الآرامية وغيرها ، في تصديهم ضد أي نوايا آشورية تضر بمصالحهم الاقتصادية (2) . فنجد أن تجلات بلاسر الثالث جعل في إقليم موصري الواقع على تلك الأطراف ، من جهة جنوب غرب الدولة ، حارساً أو قيماً للإشراف على تحركات العرب (عريبو) مع جيرانهم ، حكام الممالك الآرامية ، ولتأمين خط التجارة والقوافل ، التي كانت تمر عبر ذلك الطريق ، قادمة من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، نحو سواحل البحر المتوسط ، وكانت علامة ذلك الولاء، بالنسبة للممالك

---

(1) صبحي أنور رشيد : " العلاقات بين وادي الرافدين وتيماء " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، جامعة الملك سعود ، الكتاب الثاني ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٣٨٧ .

(2) Parr. P. J., op.cit. , p. 46 .

الآرامية، وكذلك للبادية العربية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، هـو دفع الجزية وهذا ما أشار إليه تجلات بلاسر الثالث في نصوصه ، من أنه تسلم الجزية من الملكة العربية زبيبي، التي سارعت إلى خطب وُدّ ذلك الملك فأرسلت له بتلك الجزية الضخمة ، وسارت على نهجها حليفتها على عرش عريبو (بلاد العرب) الملكة شمسي ، والتي ربما لم تعلن أي عصيان أو تمرد تجاه آشور ، في بدايه حكمها ، وسارعت إلى تقديم ولائها لآشور بدفع الجزية ، وحلف أقسام الولاء والطاعة لها ، إلا أنه من الملاحظ أن ذلك الولاء لم يستمر طويلاً ، فما إن أعلنت الممالك الآرامية عصيانها (وثورتها) علىآشور وأحست فيها الملكة شمسي أن بطش آشور وتوسعاته سوف يكون له تأثير يضر بمصالحها الاقتصادية [1] ، حتى سارعت بالانضمام إلى الثوار ضد آشور ، وكانت نتيجة ذلك تقدم الجيوش الآشورية نحوها ، والتي كما يذهب بعض المؤرخين كانت تقيم في أدوماتو أو حولها [2] ، ولكن سرعان ما هربت من أمام الجيوش الآشورية لتحتمي بالبادية الجنوبية لادوماتو على الأرجح، ولم تصل إلى تيماء أو العلا (ديدان) والتي كانت تقيم فيها الجاليات السبئية ، ذات العلاقات الطيبة بآشور ، ومن مكان اختبائها (في معسكرها) أرسلت الملكة شمسي الهدايا ، لخطب ود الملك الآشوري ، والذي على ما يبدو أنه قبل تلك الهدايا ، وفي الوقت الذي استمرت الجيوش الآشورية ، في تحركاتها المختلفة في مناطق شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث اتجهت غرباً حتى السواحل الشرقية للبحر الأحمر ، وذلك من أجل توطيد نفوذها هناك ، في أقاليم – كما وصفتها النصوص – لم يسمع بها أحد ، وبعد أن اطمأن تجلات بلاسر الثالث على نفوذه في المنطقة ، سارع في تشييد

(1) Parr. P. J., op.cit. , p. 46 .

(2) Winnet. F.V. & Reed. W.L. , op.cit. , p. 72 .

قصر يليق به كملك ، والذي ربما يكون في أحد المناطق التي ذكرتها نصوصه كماسا القريبة من تيماء ، أو عيفه (بدنا) ، أوختى ، هذا و ليس من المستبعد أن تكون كل تلك المناطق واقعة مابين أدوماتو شمالاً ، وحتى حدود تيماء أو ديدان جنوبا، باستثناء المواقع الخاضعة للنفوذ السبئي . ولم يكتف تجلات بلاسر الثالث بما قام به ، حيث أقام نائباً عنه يشارك الملكة شمسي في الحكم ويراقبها في تحركاتها ، وجعله حاكماً عاماً على المنطقة بأسرها ، والذي أطلق عليه اسم ادبئيل ، الذي كان يقطن إقليم موصري ، وجعل تحت تصرفه قرابة الخمسة عشر موقعاً ، ولايستبعد أن تكون كلها في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كما أنه فرض الجزية الضخمة على الملكة شمسي ، نتيجة عدم التزامها باليمين الذي حلفته لآشور، بعد أن أوقع بها هزيمة في باديء الأمر قتل حوالي ١١٠٠ رجل من أتباعها، وأهلك أعداداً وفيرة من الماشية، والجمال بالإضافة إلى الغنائم الضخمة التي حصل عليها ، ومنها طيوب معبدها ، وبذلك وضع تجلات بلاسر الثالث حدٍ للتحرشات العربية في مناطق سوريا من جهة، وضمن تأمين طرق القوافل التجارية القادمة من شمال غرب شبه الجزيرة العربية نحو سواحل المتوسط من جهة أخرى . وبذلك نجح تجلات بلاسر الثالث في ضرب التواجد العربي سواءً في الشام أو في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية [1] . ولعل من الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى الوضع السياسي لمنطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية أو (عريبو) خلال ذلك العهد الذي كانت تكتلاته السياسية ، عبارة عن وحدات سياسية صغيرة مستقرة ، أو وحدات سياسية غير مستقره، ذات طابع قبلي ، وتتكون من فصائل صغيرة سرعان مايشب بينها التنافس فتتفكك ، وذلك بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية، التي كانت عليها المنطقة

(١) فراس السواح : المرجع السابق ، ص١٢٥ .

خلال تلك الفترة التأريخية .و موقعها الجغرافي بين عالمين، الحضارة المستقرة والبداوة المتنقلة [1] ، وعلى كلٍ فقد شكلت القبيلة فيه الرابطة القوية لذلك التنظيم ، كما شكل العامل الاقتصادي محور ذلك التنظيم ، من حيث استمراريته أو إنهائه وإحلال غيره ، وذلك بحسب طبيعة مواردها والتي عادة ما تكون معتمدة على الرعي ، فتدوم استمراريتها مع توفر الماء والكلأ ، في أماكن تواجدها . أو موارد تعتمد على الزراعة ، وهذا نادراً إلا في بعض الواحات المنتشرة في أماكن مختلفة ، في داخل المنطقة أو في أطرافها ، بالإضافة إلى مورد آخر ، لا ديمومه له ولا استقرار، ويعتمد على القوة والبطش ، من نهب وسلب بين القبائل بعضها البعض . ثم يأتي أهم تلك الموارد وآخرها وهو المورد التجاري، الذي لعب دوراً بارزاً في حياة سكان المنطقة فإما أن يكونوا مشاركين فيه أو متعهدين له ، وذلك عن طريق تقديم الخدمات اللازمة للقوافل التجارية ، وتزويدها بحاجياتها من ماء وزاد ومعدات ، أو بحراسة القوافل وحمايتها خلال تنقلاتها المختلفة في المنطقة . وإن من الأهمية بمكان الإشارة إلى رأي لطفي عبد الوهاب يحيى [2] ، الذي ذهب إلى أن مسمى ملكة الواردة في تلك النصوص قد لايعني ملكية بمفهومها التقليدي بل هو توجه روحي وديني لتلك التجمعات القبلية ، خارجياً وداخلياً وخاصة في المجال الاقتصادي ، حيث أن ما يهم تلك التجمعات القبلية هو الدفاع عن مصالحها الاقتصادية ، فمسمى ملكة لايعني ملكية بمعناه اللفظي والاصطلاحي ولايعني أيضاً أنها زوجة ملك فهي تعني في نظره كاهنة فحسب .

---

(١) سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص٢٠١ .

(٢) " الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٩١-٩٦ .

في حين ذهب آخر [1] على أنها لفظة لا تعني في مفهومها أكثر من رئيسه قبيلة أو شيخ قبيلة ، ومهما يكن من أمر ، فإن ما يمكن استنتاجه من تلك الصلات التي قامت بين العرب والآشوريين خلال عهد الملك تجلات بلاسر الثالث ، هو ذلك المستوى المتقدم من النضوج السياسي والاجتماعي، وكذا الاقتصادي للعرب آنذاك . كما أوضحت ذلك النصوص الآشورية ، من حيث اتحادهم تحت زعامة موحدة، ووجود قوة مجندة للدفاع عنهم ، كما إن الكميات الضخمة من الجزية ، التي كان الآشوريون يفرضونها عليهم ، تدل على مدى الثقل الاقتصادي ، الذي تمتع به العرب حينذاك [2] . ويؤكد بار [3] أنه بالرغم من وصف النصوص الآشورية للعرب المقيمين شمال الصحراء العربية خلال القرنين ٨ و ٧ ق.م بالبداوة والأعرابية ، إلا أنه يمكن القول أنهم كانوا أقوياء ومنظمين دون أي شك في ذلك ، كما هو واضح من فحوى النصوص المنسوبة لذلك العهد ، خاصة وأنهم كانوا يولون التجارة والعائد منها اهتماماً كبيراً ، كما أن وصفهم بالبداوة لا ينفي أن يكونوا أصحاب ثروات طائلة . وعلى كلٍ ، فليس من المستبعد أن تكون معظم أراضي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في نهاية عهد الملك تجلات بلاسر الثالث تحت نفوذه ، في شكل أشبه بمقاطعة تابعة لآشور ، حتى وفاته . تولى بعده ابنه **الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق م)** عرش آشور بعد وفاه والده الملك تجلات بلاسر الثالث ، وخلال فترة حكمه القصيرة، فإن ما وردنا من أخباره لا تشير إلى وجود دلائل لأي نوع من الاتصالات بينه وبين العرب القاطنين في المنطقة وقد يكون ذلك نابعاً من

---

(١) نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٨ .

(٢) نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص١٥٣-١٥٤ .

(3) Parr. P. J. ,“ The Early History of The Hejaz ”, in A A E , IV , 1993 , NO. I , p. 54 .

استسلام العرب للأمر الواقع دون أي محاولة في التخلص من النفوذ الآشوري ، أو قد يكون العكس ، نظراً لظروف الحاكم الآشوري الجديد . ثم جاء بعدة **الملك الآشوري سرجون الثاني (Sargon II) (٧٢١–٧٠٥ ق٠م)** [1] و الذي سعى منذ توليه الحكم إلى إعادة هيبة آشور ، وبسط نفوذها ، وتأمين حدودها ، وخاصة على الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية لدولته ، والسيطرة على الطرق التجارية الهامة ، وتأمين خط القوافل المارة بأراضيها ، علاوة على ذلك إجبار قاطنيها على دفع الجزية لآشور . وقد يضاف سبب آخر وراء أهداف سرجون الثاني التوسعية في تلك الأجزاء ، وهو ضمان ولاء القبائل العربية المنتشرين في طريقة نحو مصر ، وخاصة في تلك الواحات الموجودة في جنوب معان وجبال سعير ، وتلك الواقعة على طول الطريق التجاري القادم من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية [2] . فعلى ما يبدو أن الوضع السياسي الذي كانت عليه المنطقة في نهاية عهد الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث قد تغير في عهد خلفائه حيث نجد الملك الآشوري سرجون الثاني قد خرج بحملات عدة إلى الأقاليم السورية وصل بها حتى غزة ورفح وموصري التي حاربها لتثبيت

---

(١) لايعرف اسمه الحقيقي ولا أصله وهل له صله بالملك شلمنصر الخامس أم لا ، وهو يعرف باسم " شارو–كين " أي الملك الصادق ويذهب بعض المؤرخين أنه أخ للملك شلمنصر الخامس، ولقد كان سرجون الثاني على رأس أسرة حاكمة حكمت الدولة الآشورية حتى نهاية كيانها السياسي سنة ٦١٢ ق.م ، والتي تعرف بالأسرة السرجونية . انظر
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥١٧–٥١٨ .وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥١٥ .
وكذا سليمان سعدون البدر: المرجع السابق ، ص٩٧–١٠٠.وكذا محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، ص٣٩١ . وكذا ليو ابنهايم : المرجع السابق ، ص٥٠٤ .

(٢) ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٨ .

دعائم دولته، والقضاء على الثورات التي قامت ضده، حيث ذكر في حولياته لسنة غير معروفة جاء في نصها التالي [١] :-

"...والذي هزم (موصري) في رفح والذي أخذ هانو ملك غزة...."

وعلى ما يبدو من النص أن موصري هنا كانت تتزعم تحالفا عربيـا ، وأن المعركة التي وقعت ضدها ، تعني معركة وقعت ضد القبائل العربية ، التي أخضعها تجلات بلاسر الثالث في السابق ، ووضعها تحت تصرف موصري الـتي كـانت بمثابة عاصمه للعرب القاطنين في تلك النواحي ، تدين في ولائـها لآشـور ، ثم انقلبت بعد ذلك لتصبح ضد آشور . هذا ويشير في نص آخر أكثر توسعاً ، وربما يكون مكملاً للسابق ، عن قيامه بحملات تقدم فيها نحو مناطق مختلفة من سـوريا وفلسطين ، وحارب تحالفاً ضم كلاً من ملوك السـامرة وغـزة وموصـري ، بالإضافة إلى هانو ملك غزة ، وأسفرت حملاته تلك إلى هزيمة ذلك التحـالف ، وتسلمه الجزية من عدد من القبائل المتواجدة حولهم بل وإلى الجنـوب منـهم ، حيث ذكر الملكة شمسي ملكة (عريبو) بلاد العـرب ومـن اتعمـار (It'amar) السبئي، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...أما هانو فقد أسرته شخصياً واستلمت الجزية من بيرو صـاحب موصري [٣] من شمسي ملكة بلاد العرب ، (و) اتعمار السـبئي [٤] ذهب في شكل مسحوق (تبر) وخيل وجمال ...."

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 284 .

(2) Ibid. , p. 285 .

(٣) جعل فيصل الوائلي ترجمته "من الفرعون ملك مصر"،ولقد اعتمد على ترجمة Luckenbill انظر فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٨ . وكذا

Luckenbill.D.D.,op.cit.,vol.II,pp.26-27 , (55) "Pir'u Pharah King of Egypt – "

(٤) اختلفت الآراء حول هذا الملك فقد ذهب ا. موسيل أن اتعمار هو حاكم سبئي كان يقيم في واحـة ديدان (العلا)، وكانت مهامة الإشراف على الشئون السبئية في المنطقة ، وكان يطلق عليه (كبير) =

ويجد الدارس أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى موقع موصري ، الذي ورد ذكره في أكثر من موضع ، في نصوص الملك الآشوري سرجون الثاني ، فشكل بذلك أهمية بالغة في الأحداث التاريخية ، لتوسعات الملك الآشوري سرجون الثاني، في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية فقد جاء في حولياته : أن إقليم موصري كان ملاذاً للفارين من بطش الآشوريين . وقد ذكره بأنه تابع لملوخا ، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...ليماني (اليوناني) من أشدود كان خائفاً من قوة جيشي (أسلحتي) وترك زوجته وأطفاله وهرب إلى حدود موصري والتي تتبع ملوخا ..(أثيوبيا) ...."

= أوكبيرهم (Kebir) وأن في عهده كانت بوادر الاتصالات بين سبأ وآشور ، على أن هناك من يرى أن الذي قام بإرسال تلك الجزية أو الهدايا إنما هو مكرب سبأ اتعمار يثع أمر (٧٢٠-٧٠٠ ق.م) والذي كان يقيم في بلاد اليمن أو ربما يكون ملك سبئي آخر كان يحكم قبيلة سبئية تقيم في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ويستبعد جواد علي أن يكون نفوذ الآشوريين قد وصل إلى البلاد العربية الجنوبية ولكن لا يمنع أن يكون ما وصل إلى الملك سرجون الثاني ليس من هدايا قد بعث بها حكام سبأ كتعبير عن الصداقة بين آشور وسبأ يضمن بها السبئيون مصالحهم الاقتصادية في المنطقة ، وتوطد دعائم نفوذهم على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ومن المرجح أن السبئيين المذكورين في هذا النص ليسوا إلا جالية سبئية كانت تستوطن منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في واحة ما حول العلا . انظر

جواد علي : المرجع السابق، ص٢٧٨-٢٧٩ . وكذا عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص٤٧-٤٨.وكذا مصطفى العبادي : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة كريدية إخوان، بيروت، بدون تاريخ،ص٩٦.وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٨٧-٨٨ .

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 285 .

ويكرر ذلك في موضع آخر ، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...ولكن سمع ليماني حول تقدم حملتي ومن الخوف هرب إلى إقليم موصري والذي يتبع الآن أثيوبيا واختبأ في مكان لايمكن تتبعه ...."

وفي هذين النصين إشارة واضحة إلى أن موصري المذكورة تقع في منطقة ما قريبة من أفريقيا أو سيناء على التحديد ، ولا يستبعد أن تكون متصلة بشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وربما في الأطراف المحاذية لسيناء ، حيث تدل الأخبار التاريخية ، عن وجود علاقات بين آشور ومصر ، في تلك الحقبة التاريخية [2] ، خاصة إذا ما علمنا أن الدراسات الجغرافية أثبتت أن منطقة شمال غرب شبه

---

(1)Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 286 .

(٢) إن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مصر في ذلك الوقت كانت تمر مع نهاية الأسرة الواحدة والعشرين (١٠٨٥-٩٥٠ ق.م) بفترة اضطراب قوي حتى أطلق على ذلك العهد بالعهد المتأخر أو عهد الاضمحلال الثالث والذي استمر مع منتصف القرن العاشر ق.م وحتى النصف الثاني من القرن السابع (٩٥٠- ٦٥٦ ق.م) واستمر خلال حكم الأسرتين الثانية والعشرون و الخامسة والعشرون ، حيث شهدت مصر فيها تدخلات أجنبية وصراعات سياسية مختلفة أسفرت في نهاية الأمر عن تربع حكام أجانب على عرش مصر من العنصر الليبي (خليط من سكان الصحراء الغربية ومن شعوب البحر المتوسط) كذلك وصل إلى عرش مصر قوة أخرى غلبتهم وتربعت على عرش مصر وعرفوا بالنباتيين والذين قدموا من شمال السودان بعد أن توسعوا هناك وانتقلوا إلى النوبة ومصر العليا وحتى طيبة (وعرفوا بالأسرة الأثيوبية) وتدل الوثائق المصرية أن خلال عصر تلك الأسرة تمت مراسلات سلمية بين الملك الأثيوبي (النباتي) بخورس وبين الملك الآشورى سرجون الثانى، تضمنت بعض الهدايا للملك سرجون الثاني ، إلا أن تلك العلاقات سرعان ما تغيرت إلى معارك حربية تقدم فيها المصريين " الأثيوبين " بعد بسط نفوذهم على معظم الأراضي المصرية إلى سيناء ومنها امتد نفوذهم حتى فلسطين وكان لهم دورهم في مساندة الثائرين على الدولة الآشورية في تلك الأونة . وليس من المستغرب أن تذكر موصري على أنها تابعة لأثيوبيا (ملوخا) ، في تلك الحقبه التاريخية التي خضعت فيها مصر لحكم النباتيين . انظر

نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ص٤١٧-٤١٨ . وكذا عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص٢٦٠-٢٧٤ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٢٠٢-٢٢٥ .

الجزيرة العربية ذات طابع صحراوي ، وتكثر فيها الجبال والكهوف والأوديـــة ، وأراضي شاسعة، يسهل فيها الاختباء للفارين من بطش ملـــوك الشـــرق الأدنى القديم وقهرهم ، للفرار والاختباء بها . وفي نص آخر أشار سرجون الثــــاني إلى تقدمه، نحو موقع سماه نخل موصري (ناخال – موصــري) (Nahal-Musur.) [1]
كما جاء في النص التالي :-

"...في منطقة مدينة ناخال – [أو صور...] (موصري) أنا جعلـت [جيشي] يمشي طريق نحو غروب الشمس ...الجزء القــــديم مـــن مدينة لابن ...شليكاني [2] أو (شليهاني) ملك موصري الذي سحر الإلهام والفتنة لآشور – سيدي – الذي شملني وأحضــر الجزيـــة – وأحضر ١٤ خيل حسنة (كبيرة) من موصري ...."

كما يشير في نص آخـــر ، إلى تحـــالف وقـــع في جنـــوب فلســـطين ، من آدوم ومؤاب [3] ضم إقليم موصري، للتصدي لآشور ، على الرغـــم مـــن خضوعهم له ، ودفعهم الجزية للملك الآشوري ،وإن هذا التحالف بدأ ســــراً ،

---

(١) يرى فيها بعض الباحثين أنها تعني مستنقعات مائية كانت تقع بين مصر وفلسطين وربما يقصـــد بـــه وادي العريش في شمال سيناء أو وادي عند مدينة رفح الفلسطينية. انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 286 , (N) -1 .

(٢) شيلكاني أو (شليهاني) (Shilheni) or (Shilkanni) قد يكون مشتق من الاســـم العـــربي (سليمان) . انظـــر
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٢٠ .

(٣) آدوم : وتنسب إلى عيسو بن إسحاق وآدوم وهي لغوياً من الآدم أي الأحمر ، وقد انتشر الآدوميـــون في جنوب البحر الميت ما بين العقبة وحتى وادي الحسا ، أما مؤاب فتقع في الوسط ما بين الحسا شمـالاً حتى شمال الموجب جنوباً وعمون تقع من شمال الموجب حتى الزرقاء شمــــالاً . انظـــر
نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص٦٥ . وكذا فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلســطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، الطبعة الثانية، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بـيروت ، ١٩٥٨م، ص١٩٤ . وكذا الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف نخبة من العلماء ، ص٥٨ . انظر خريطة رقم (١) .

عن طريق دفع الرشوة لملك موصري المدعو " بيرو " الحليف القوي لآشـــور في المنطقة، والتي شكلت فيما بعد المركز الهام للسيادة الآشورية في المنطقة ، والمشرفة على الأقاليم المختلفة البعيدة عنها ، ومع ذلك، فلم يجد ذلك التحالف مســـاندة من قبل ملك موصري ، الذي على ما يبدو رفض مناصرتهم ، أو حتى الدفــــاع عنهم ، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...وأرسلو (أيضاً) الرشوة إلى بيرو ملك موصري – القوي – ولكن لم يقدر أن يدافع عنهم وسألوه أن يكون نصيراً ...."

وعلى ما يبدو أن سرجون الثاني – في بادئ الأمر – قد اكتفـــى بقبـــول الجزية ، التي أرسلتها له القبائل العربية ، وكذلك اكتفى ببسط نفوذه على إقليـــم موصري ، إلا أن ذلك قد انقلب رأساً على عقب ، بعد أن شعر بأن العـــرب ، ومن والاهم ، يسعون إلى الانقلاب على آشور ، بدفـــع الرشـــوة إلى حـــاكم موصري حليفه ، وفي المقابل ومن المرجح أن القبائل العربية أيضاً ، لم ترض بـــأن يكون حكام إقليم موصري أوصياء عليهم ، الأمر الذي دفع سرجون الثـــاني إلى القيام بحملة كبيرة ، في السنة السابعة من حكمه ، أي في حوالي ســـنة ٧١٥ ق.م تقدم فيها نحو(عريبو) بلاد العرب ، أو منطقة شمال وشمال غرب شـــبه الجزيـــرة العربية ، وأنزل بكل من واجهه ، من القبائل العربية القاطنة هناك ، الهزيمة تلـــو الهزيمة ، و لم يكتف بذلك ، بل قام أيضاً بتهجير بعـــض ســـكانها العـــرب ، وإسكانهم السامرة في فلسطين ، كما جاء في النص التالي [2] :-

" ... اعتماداً على (الوحي الآتي والمعطي لي بواسطة)

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 287 .

(2) Ibid. ,p. 286 .

سيدي آشور أنا سحقت قبائل تامودا [1]

(١) تامود (Tamud) لاخلاف بين الباحثين على أن تامود المذكورة في نص سرجون الثاني هي قبيلة ثمود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذكرتها المصادر الإسلامية بشكل مسهب أو مختصر ويعتبر ذكر القبيلة في هذا النص أقدم ذكر لها في النصوص التاريخية القديمة ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في مواضع عدة إما منفردين أو مقرونيين بشعوب أخرى ، قال تعالى: { وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي } سورة الفجر ، آية : ٩ ، وقال تعالى: { وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ} سورة العنكبوت ، آية : ٣٨ . وقال تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } سورة هود ، آية : ٦١ ، وكانت مساكنهم في الحجر والذي يعرف حاليا بالخريبة في العلا ، بجوار مدائن صالح وقد ورد ذكرهم في المصادر الكلاسيكية فذكرهم صاحب كتاب الطواف حول البحر الأريتيري على أنهم من جملة القبائل التي كانت تسكن على ساحل البحر الأحمر ما بين الشام والحجاز ، ولقد نسبت إليهم كتابات ونقوش عدة عثر عليها منتشرة في أماكن متفرقة من شبه الجزيرة العربية ، خاصة في الشمال ووسطها في كل من الجوف وحائل وتيماء والعلا وفي الطائف ودرب الحاج و مابين الرياض ووادى الدواسر وفي أقصى الشمال الغربي عند تبوك، كما عثر عليها حول جبال أرم وفي جنوب العقبة وعند جبل الصفا في سوريا بالإضافة إلى مصر وسيناء ويرى كثير من الباحثين أن مجمل تلك النقوش قد لاتنسب إلى قبيلة واحدة بل إلى قبائل متعددة ، متخذة صورة حضارية واحدة ، ويذهب آخرون إلى أنها تنسب إلى القبائل العربية الرحل أي ذات الطابع الأعرابي وأن مؤلفيها معظمهم من تلك العناصر ، في حين يرى بعض المؤرخين أن الثمودية تعتبر اسماً تقليدياً يدل على جزء من تلك القبائل وليس عليهم كلهم وربما شاع تواجد آثارهم في أقطار مختلفة نظراً لكثرة تنقلاتهم إما للتجارة أو الحروب ، وإن ذلك ليس دليلاً على امتداد انتشارهم ، ويستدل بعض المؤرخين من واقع النصوص التمودية المنتشرة في أماكن متفرقة ومختلفة من شبه الجزيرة العربية وخاصة حول الواحات ، إن الثموديين ليسوا كلهم قبائل رحل بل كان منهم أصحاب استقرار ومدنية وكانوا يعملون في الزراعة وتربية المواشي وكانوا أقرب إلى الحضر منهم إلى البدو ، وعلى كل فالمصادر الإسلامية تنسبهم إلى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام ، وقيل هو أخو جديس بن عابر بن سام بن نوح . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ١١٦ .وكذا أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ١/ ٢٥٩.وكذا ابن حوقل : صورة الأرض / ٣٩ . وكذا المقدسي : البدء والتاريخ ٣٦/٣-٣٧. وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/ ٥٠ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١/ ١٣٠ . وكذا محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص١٧٨ .

=

= وكذا عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص١٦١ . وكذا جـــواد علي : المرجع السابق ، ص٣٢٣-٣٣٠، ٥٨٦ . وكذا جواد علي : المفصل في تاريخ العـــرب قبـــل الإسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بـــيروت، ١٩٨٠م ، ص٥٥ . وكـــذا نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص١٦٠ . وكذا أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربيـــة في عصور ما قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ١٤٠٥هـــــ ، ص٦١ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، أولاً في بلاد العرب ، جامعة الإمـــام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـــ ، ص٢٦٥-٢٧٦ . وكذا خالد الدسوقي : "قوم ثمود بـــين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملـــك ســـعود ، العدد السادس ، ١٩٧٦م ، ص٢٥١-٢٩٦ . وكذا ا. موسيل : المرجع الســـابق ، ص٩٢، ســـوف يورد الدارس -بإذن الله تعالى- في نهاية البحث فصلاً عن نبي الله صالح إلى قوم ثمود . انظـــر ص (٤٥٠) من البحث .

(١) أباديدي (Ibadidi) يذهب ا. موسيل على أنها قبيلة ايداع المذكورة في الكتاب المقدس في ســـفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون نص ٤ " وبنومديان عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعـــــه " وجميع هؤلاء بنو " قطورة " من إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأن مسمى القبيلة حـــرف في نصفـــه الثاني الذي أخذ من المعبود داد في التوراة وقلب إلى داع خشية الوقوع في الإثم ، كما يشير إلى ذلـــك ا. موسيل ويؤكد أنها هي بعينها ابيداع والتي كانت مساكنها قرب عيفة إلى الجنوب الشـــــرقي مـــن العقبة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وهي إحدى قبائل المدينيين المنتشرين في شمال وشمـــال غرب شبه الجزيرة العربية، في حين يرى جلازر Glasir نقلاً عن جواد علي أن الأباديدي هم أبيـــاتي أو ياتي (Apataei) المذكوران في جغرافية بطليموس وكانوا يقيمون في مكان يقـــال لـــه (وادي العبايد) على مقربه من وادي العقيـــق . انظـــر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٧ . وكذا ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٩٣ . وكذا Knauf. E.A. , op.cit. , p. 148 .

(٢) مرسيماني (Marsimanu) واجه الباحثون صعوبة جمة في تحديد أصلها و لم يرد ذكرها في التـــوراة إلا أن بعض الآراء تتجه إلى القول بأن اسم مرسيماني ليس ببعيد عن مسمى قبيلـــة أشـــارت إليـــها المصادر الكلاسيكية كانت تســـكن في جنـــوب شـــرقي العقبـــة وتعـــرف بـــــ بتميزومـــانيس (Batmizomaneis) وأنها كانت تجاور قبيلة ثمود (Thamudenoi) وتجاورهم قبيلة أخـــرى أطلق عليها ديودور الصقلي اسم بني زومانيس (Banizomaneis) ومنها يذهب ا. موسيل علـــى =

في الصحراء [1] ، وكذلك الذين لايعرفون المراقبين ولا الموظفين والذين لم يقدموا الجزية إلى أي ملك ، أنا أحضرت أتباعهم وجعلتهم يستقرون في ساماريا (السامرة)....“

وكما هو ملاحظ من فحوى النص ، أن الملك الآشوري سرجون الثاني ، قد تقدم في مناطق مختلفة ، من شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وخاصة تلك المنتشرة على الطريق التجاري الهام . وربما قصد بتقدمه ذلك تأمين خط القوافل [2] ، وكما ذهب المؤرخون [3] أن معظم تلك القبائل الأربعة ، بالإضافة إلى ملوك العرب القاطنين في الصحراء ، هم من قبائل مدين ، وأن سرجون الثاني مشي على طول الطريق التجاري ، حيث شن غاراته المختلفة ، علىتلك الواحات المنتشرة على طول الطريق، كما ذكر ذلك النص، وأن سرجون اكتفى بعد ذلك بنقل السكان، الذين وقعوا تحت قبضته، إلى السامرة،

= أن المسميات الثلاثة إنما هي ذات مدلول واحد وهي بذاتها المنطقة أو القبيلة التي وردت في المصادر الآشورية وأن موقع هذه الأقاليم هو غرب تيماء وربما في غرب الطريق التجاري الهام بين الشمال والجنوب ولايستبعد أن تكون إحدى قبائل مدين. انظر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٧. وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٦.وكذا ا. موسيل: المرجع السابق ، ص٩٣-٩٤. وكذا Knauf.E.A. , op.cit. , p. 149 .

(١) يرى جواد علي أن أولئك الأقوام ليسوا تابعين للقبائل السابقة بل هم سكان مناطق نائية من البادية الشاسعة وليس من بقية القبائل السابقة الذكر وهم الذين تم نقلهم إلى السامرة ، كما يستشف ذلك من كونهم ، لم يعرفوا حاكماً رسمياً من قبل ، و لم يدفعوا جزية لأحد ، على أن ادسن كنف Knauf.A. يجعلهم من جملة القبائل المدينية . انظر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٦ . وكذا Knauf.A., op.cit. , pp.148 -9 .

(2) Cook.S.A. , op.cit. , p. 383 .

(٣) فكما يرى ا. موسيل أن تلك القبائل الأربعة إنما هم من قبائل مدين . انظر
ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٩٥ .

انطلاقا من سياسة ملوك آشور تجاه المناطق المغلوبة . هذا وقد ختم نصه بذكر تسلمه الهدايا من بيرو ، صاحب موصري ، ومن شمسي ملكة (عريبو) بلاد العرب ، ومن اتعمار السبئي ، ومن العرب ، الذين وصفهم بملوك شاطئ البحر والصحراء ، وعلى ما يبدو أن ذلك وقع عقب الانتصارات ، التي حققها سرجون على القبائل الأخرى ، حيث جاء في النص التالي [1] :-

"...ومن بيرو ملك موصري وشمسي ملكة (عريبو) بلاد العرب واتعمار السبئي وهؤلاء يكونون ملوك شاطيء البحر والصحراء. وكذا استلمت منهم الذهب في شكل مسحوق (تبر) والأحجار الكريمة والعاج وبذور الأبنوس وكل أنواع العطور والخيل والجمال...."

وكما يتضح من فحوى النص أن نفوذ سرجون الثاني قد شمل مناطق مختلفة ، من شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، إلا أنه لم يصل حتى ديدان (العلا)، ولكن وصوله إلى مناطق قريبة منهم أجبرهم على الإسراع ، إلى خطب وده ودفع الجزية والهدايا له ، والتي أشار إليها النص . وهي في حد ذاتها إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى ما كانت عليه تلك المناطق ، من نشاط اقتصادي مرموق ، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى آراء بعض الباحثين حول المقصود بملوك ساحل البحر والصحراء ، حيث يرى بعض الباحثين [2] أن المقصود بملوك ساحل البحر والصحراء ، هم سكان المنطقة الممتدة ، ما بين البحر الأحمر ، والمناطق المطلة عليه شرقاً ، في حين ذهب آخرون إلى جعلهم ينتشرون ، في مناطق تمتد ما بين شمال شرق مكة ، وحتى حدود مكان الجاليات السبئية ، أي

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 286 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٦. وكذا محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، ص٣٤١ .

حول واحات ديدان والعلا في الشمال [١] ، هذا وقد جعل هومل [٢] نفوذ الملك الآشوري سرجون الثاني يصل حتى اليمن ، أي سبأ الأم نفسها ، في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث سارع الملك السبئي إلى دفع الجزية إلى ملك آشور سرجون الثاني على أن ا. موسيل [٣] يرى أن الذي سارع بدفع تلك الهدايا، هو المقيم السبئي في واحة ديدان ، التي لم يصل إليها سرجون الثاني ، واكتفى بما غنم من مكاسب، في الأطراف الشمالية منها ، بالإضافة إلى تيماء ، وهو المقصود ولم يكن حاكم سبأ الواقعة في العربية الجنوبية .

يتبين من النصوص السابقة والخاصة بالملك الآشوري سرجون الثاني أنه استهل حكمه بتثبيت نفوذه ، في الولايات التابعة لها ، والتي ورثها من اسلافه، وخاصة تلك الممتدة على طول الطرق التجارية الهامة ، والتي تشكل عصب الحياة الاقتصادية لآشور ، والتي من ضمنها منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فبادئ ذي بدأ أشارت نصوصه إلى أنه اتجه صوب تلك الأرضين ، وأجبر أهلها على دفع الجزية، كرمز للخضوع والاستسلام لآشور ، والتي حددهم بملك موصري (بيرو) ، والملكة العربية شمسي ، وكذلك من حكام الجاليات السبئية ، المقيمة في المنطقة التي تشرف على طرق القوافل ، وتنتشر على طول الطريق التجاري الهام ، ما بين بلاد العرب الجنوبية وفلسطين ، وهي جزية، لاشك أنها ذات قيمة عالية ، مشكلة في تبر الذهب بالإضافة إلى الخيل والجمال . وعلى ما يبدو أن سرجون الثاني لم يكتف بذلك ، خاصة وأن التحالفات القوية ، التي كانت بين العرب والممالك السورية والفلسطينية، ضد الدولة الآشورية لم

---

(1) Glaser. E.;,Skizze Der Geschechte Und Geographeic Arabiens,11,berlik,1895, . , p.260 .

(2) Hommel. F., Explorations In Arabea ,Philadebhia,1903., p. 58 .

(٣) ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٩٥ .

تنقطع ، حيث نراه يبدأ بتجريد حملة قوية ، لم يحدد النص عددها وعتادها ، إلا أن من الواضح أنها كانت من الكثرة والقوة بمكان ، وكل ذلك في السنة السابعة من حكمه أي في حوالي سنة ٧١٥ ق.م حيث توغل بها في مناطق مختلفة ، من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية فغزا قبائل ايبداع ، في جنوب العقبة الحالية، ثم غزا قبائل التموديين ، والمنتشرين في غرب تيماء ، وكذلك قبيلة مرسماني التي تجاور الثموديين ، وعيفة المجاورين لهم ، ولم يكتف بذلك ، بل اتجه نحو ساحل البحر الأحمر الشرقي ، حيث حارب القبائل القاطنين على طول الساحل ، والذين عرفهم بملوك الساحل والبادية [١] . والتي لم تعرف حاكماً قبله، ثم قام بتهجيرهم من أماكنهم ، وأسكنهم السامرة ، والتي سبق وأن أخلاها من سكانها [٢] ، وفرض الجزية على كل القاطنين هناك ، والتي هي عبارة عن الذهب المسحوق (التبر) ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، وبذور الأبنوس ، وكل أنواع العطور ، والتوابل ، والخيل ، والجمال .

ومن الجدير بالذكر أن كل تلك الحاجيات ، التي أخذها سرجون الثاني كجزية ، ليست بغريبة عن المنطقة ، فهي إما هي من إنتاجها ، أو من البضائع التي كانت تحملها تلك القوافل المارة بها . وعلى كلٍ ، فتلك الأماكن التي وردت في نصوص الملك الآشوري سرجون الثاني ، واقعة في مناطق متفرقة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث توسع في تلك النواحي وحتى تيماء وديدان جنوباً ، اللتين لم يصلهما سرجون الثاني على الأرجح ، بل اكتفى بما قدمه الحاكم السبئي في تلك المنطقة ، من دفع الجزية مسبقاً لسرجون الثاني ،

---

(١) يرى جواد علي أنها حملة أخرى غير السابقة . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٦ .

(٢) هجر من السامرة حوالي ٢٧٢٩٠ مواطن، قبل أن يسكن العرب فيها . انظر Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 284.

وبالهدايا التي قدمتها تيماء أيضاً ، وعلى ما يبدو أن المنطقة في ذلك العهد كانت لها أهميتها السياسية والاقتصادية ، مثلها مثل سائر مناطق الشرق الأدنى القديم ، وإلا لما حظيت باهتمام الملك الآشوري سرجون الثاني ، بأولويتها في توسعاته ، وأن إخضاعها قد يكون له أثره ، كتمهيد لتطلعاته نحو مصر، لإخضاعها وضمها إلى النفوذ الآشوري ، كما يشير في أحد نصوصه ، إلى أنه حارب ملك غزة هانو ، وقائدا مصريا كان يسمى سيبا [١] ، والذي كان يقيم في رفح ، لمساندة ملك غزة للتصدي للجيش الآشوري ، كما يصف ذلك في أحد نصوصه التي جاء فيها التالي [٢] :-

"...هانو ملك غزة وأيضاً سيبا تورتان مصر والجالس من قبلها في رفح عمل ضدي معركة فاصلة أنا هزمتهم سيبا هرب خوفاً (فقط) من سماع صوت جيش المقترب ولم يُـر مرة أخرى ...."

وعلى ما يبدو من فحوى النص ، أن سرجون الثاني لم يصطدم بجيوش مصر ، التي كانت تعسكر في رفح ، فربما فضل القائد المصري الانسحاب من أمام جيوش سرجون الثاني، مما هيأ الفرصة له للتقدم نحو مناطق شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وعلى كلٍ ، فإن سرجون الثاني لم يتقدم نحو مصر فاتحاً ، إلا أنه قد مهد الطريق أمام خلفائه ، ليكمل ما بدأه لضم مصر إلى الدولة الآشورية ، والذي

---

(١) (Sib'e) سيبا وهو اسم قائد مصري ونائب عن ملكها أرسل ليساهم مع ملك غزة هانو في التصدي للآشوريين، وكان يقيم في رفح وكان يلقب بـ تورتان (اوتورتانو) وهو لقب عسكري أو إداري كبير ، كما عرف ذلك في المصادر الآشورية . انظر عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٢٠ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 285 .

كان لزاماً عليه في سبيل تحقيق ذلك، ضمان ولاء القبائل العربية ، المنتشـــــرة في طريقة نحو مصر (١) .

توفي سرجون الثاني ، وخلفه على عرش آشور ولي عهده وابنــــه **الملـــك سنحريب** (**Sennacherib**) (٢) (٧٠٤-٦٨١ ق.م) ، والذي سار على نهـــج أبيه في محاولاته توسيع رقعه دولته ، وبسط نفوذها على مناطق جديدة من جهة ، والحفاظ على ممتلكات آشور القديمة من جهة أخرى ، وخاصة تلك الأرضين التي تتميز بمواقعها التجارية، وصاحبه الامتيازات الاقتصادية ، التي لا تستغني عنـــــها آشور . ومن حيث العلاقات ، بين آشور والعرب القاطنين في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، فإنها تأخذ منعطفاً جديداً في عهده ، حيـــــث ظـــهر

---

(١) ليو ابنهايم : المرجع السابق ، ص٥٠٤.

(٢) (سين – آخي – آريب) (Sennacherib) الملك الثامن من سلسلة ملوك آشور خلال العصـــــر الآشوري الحديث ، خلف أباه سرجون الثاني في الحكم وتميز عصره بالازدهار الحضـــاري والرخـــاء الاقتصادي ، كما يتمثل ذلك في نشاطاته العمرانية الكبيرة ، والمنتشرة في شتى الأقاليم التابعة لآشور ، بالإضافة إلى توسعاته العسكرية المتعددة في معظم مناطق الشرق الأدنى القديم حيث امتد غرباً علـــــى طول السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ، وضم بعض المستعمرات الإغريقية في الشرق إلى إمبراطوريته، وامتد في توسعاته تلك جنوباً على طول السواحل الفينيقية . وبسط نفوذه على معظمها واصطدمـــت جيوشه بالممالك الآرامية واليهودية وكذا بالجيوش المصرية ، وتمكن من أن يمد نفوذه حتى بلاد العـــرب (شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية) مما دفع بالمؤرخ الإغريقي هيرودوت لأن يطلق عليـــه لقـــب (ملك العرب والآشوريين)، هذا وقد تصد سرجون الثاني لتحالفات عدة قامت ضـــده مـــن ممـــالك الشرق آنذاك ، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن اسمه قد ورد في المصادر الإسلامية على أنه كان بصحبة النبي أشعيا أثناء حصار القدس ، في عهد ملكــــها حزقيــا . انظـــر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٧٧-٢٧٩ . وكذا ابن الأثير : الكـــامل في التـــاريخ ١/ ١٤٣-١٤٤ . وكذا محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص١٣٠-١٣١ . وكذا جواد علي : المرجـــع السابق ، ص٥٩١ . وكذا عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٥٥ . وكذا أنطـــون مورتكـــات : المرجع السابق ، ص٣٠٦-٣١٠ . وكذا فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٢١٦-٢١٧ . وكذا Herodotus , op.cit. , vol.II , p. 141 ; Smith.S. ,op.cit., p.73.

العرب في تصديهم لآشور في مواقف أعنف وأشرس من ذي قبل ، لأن كراهية العرب للآشوريين كانت شديدة ، رغم ما بذله ملوك آشور من محاولات عدة لتخفيف حدها ، والتي يمكن أن تستنتجها من التواجد العربي في بلاد الرافدين ، وبما اكتسبوه من امتيازات هناك ، إلا أنها لم تفلح لا من حيث القوة والعنف ، ولا من حيث اللين والسياسة . حيث تبرز لنا مصادر تاريخ تلك الفترة التي تنسب إلى الملك الآشوري سنحريب أن العرب لم يكتفوا بأن يتصدوا للآشوريين في مناطقهم ، أو في المناطق المجاورة لهم ، في الهلال الخصيب ، بل نراهم يتقدمون إلى داخل بلاد الرافدين ، نفسها وذلك لمساندة كل مبغض للدولة الآشورية، ومد يد العون لكل ثائر نحوها ويرغب في التخلص من بطشها وسيطرتها . حيث نرى العرب مشاركين لملوك بابل في ثورتهم ضد آشور ، وذلك عن طريق التحالف مع "ميرادوخ بلادان" ملك بابل (٧٠٣ ق.م) [١] وابن زوجته المدعو أدينو [٢] ، حيث ضم الحلف اسم بسقانو شقيق الملكة ياتيعه [٣]ملكة (عريبو) بلاد العرب ، كما ذكر ذلك في النص التالي [٤] :-

---

(١) حكم حوالي تسعة أشهر . انظر
ليو ابنهايم : المرجع السابق : ص٤٥١ .

(٢) أدينو (Adinu) . انظر
فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٩ .

(٣) بسقانو (بصقانو) (Baskanu) (بسكانو) ويرى جواد علي لعله تحريف من الاسم العربي (الباسق)، أما ياتيعه (يثعه) (يطيعه) (Latie) (ياتعه) وكما يرى جواد علي أنها تحريف من الاسم العربي يطيعه وهي من ملكات العرب أشباه شمسي وزبيبي . انظر
جواد علي :المرجع السابق، ص٥٨٧-٥٨٨ .وكذا فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٨٩ . وكذا
Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p.134 (259).

(4) Ibid , p. 134 (259).

"...أما أدينا ابن زوجة ميرادوخ بلادان ومعه بسقانو شـــقيق ياتيعه ملكة (عريبو) بلاد العرب بالإضافة إلى جيوشهم فهؤلاء جميعاً أسرهم أحياء واستوليت على العربات والخيول والبغـال والحمير والإبل التي خلفوها وراءهم اثناء المعركة ...."

وهكذا فإن مشاركة العرب ضد آشور أصبحت قوية ، وأخذت طـــوراً جديـــداً ، فكما يتضح من النص أن الجيوش العربية ، ساندت ميرادوخ بـــلادان ملك بابل ، ضد سنحريب، والتابعة للملكة ياتيعه والتي تشبه في لقبها الملكـــات العربيات السابقات اللاتي تجمع معظم الآراء على أن حكوماتهن كانت تقيـــم في واحة أدوماتو " دومة الجندل " ، وكذلك كانت " ياتيعه " (١) ، والتي مـــا إن شعرت هذه الملكة بتقلب الأحوال السياسية في آشـــور ، حـــتى ســـارعت في المشاركة في تلك التقلبات السياسية ومساندة الثوار ، لتتخلـــص مـــن الجزيـــة الضخمة ، التي كان ملوك آشور قد فرضوها على القبائل العربية الأخرى المختلفة في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فشاركت بهذا الجيش ، والذي يظهره النص من القوة والتجهيز بمكان ، من حيث العدد والعتاد ، وجعلته تحـــت قيادة أخيها ضد آشور، ومع ذلك ، فلم يستطع ذلك التحالف من الصمود أمـــام قوة الملك الآشوري سنحريب ، حيث لقي ذلك التحالف هزيمة كبيرة على يـــده، وسقط فيها باسقانو أسيراً في يد سنحريب في كيش (٢) هو ومعظم جيشه ، ولقد كانت تلك المعركة في العام الثالث من حكمه، أي في حوالي سـنة ٧٠٢ ق.م (٣) وإن من الجدير بالذكر ، أن بعض النصوص الأخرى المنسوبة للملك ســـنحريب،

---

(١) كما يؤكد Winnett and Reed على موقع أدوماتو السياسي وكون "يطيعه"من ملكاتها. انظر Winnett. F.V. & Reed.W.L. , op.cit. , pp.71 - 72 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٨ .

(3) Luckenbill. D.D.,op.cit. ,vol. II , p. 133 .

قد أشارت إلى أن العرب كانوا متواجدين في مناطق مختلفة ، من جنوب بلاد الرافدين ، في تلك الحقبة التاريخية ، وأنه أي سنحريب قد أنزل بهم هزائم متعددة متكررة وأجبر بعضهم على الخروج من بعض المدن التابعة له وكل ذلك من أحداث حملته الأولى أيضاً ، كما جاء في النص التالي (١) :-

"...لقد أسرت العرب والآراميين والكلدانيين الذين كانوا في أوراك ونيبور وفي كيش وفي هار ساجكالاما (٢) ، ومعهم المواطنين والمتمردين واعتبرهم في حكم الغنائم . كما التهمت قواتي الغلال والتمور التي كانت في مزارعهم وثمار بساتينهم ومحاصيلهم في سهولهم ووديانهم ...."

وكما يتضح من النص السابق ، أن علاقات العرب مع الآشوريين ، قد بلغت درجة كبيرة من الارتباط السياسي والاقتصادي ، جعل العرب يحيون في أراضي بلاد الرافدين ببحبوحة من العيش ، وعاشوا وسط أهلها ، وامتلكوا دوراً ومزارع وأملاكاً أخرى متفرقة ، إلا أن هذا قد انقلب ضدهم في عهد سنحريب، نتيجة تدخلهم في مساندة الثوار ضد آشور . وربما كان ذلك بوحي من أدوملتو وحكامها، التي أوحت للقبائل العربية التي تستوطن بلاد الرافدين ، على مثل هذه الانتفاضة ضد آشور ، وقد أشار في نص آخر إلى مدى قوة ذلك التواجد العربي، كما جاء في النص التالي (٣) :-

---

(1) Luckenbill. D.D., op.cit. , vol. II, p. 132 (262) .

(٢) انظر خريطة رقم (١) .

(3) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol. II , p. 134 (272) .

"...وبقدرة إلهي وسيدي آشور [١] استطعت أن أحاصر ٨٩ من المدن القوية المحصنة بالأسوار و ٨٢٠ قرية صغيرة واستوليت عليها وأخذت ممتلكاهم غنائم ، وأخرجت من تلك المدن العرب والآراميين والكلدانيين والذين كانوا في أوراك ونيبور وفي كيش وهارساجكالاما ومعهم المواطنين والمتمردين (الذين كانوا في تلك الأماكن) أخرجتهم جميعاً وجعلتهم في حكم الغنائم ...."

وعلى ما يبدو أن صراعات سنحريب المختلفة ، من أجل توطيد نفوذه ، قد آتت نتائجها ، وخاصة مع العرب القاطنين في بلاد الرافدين ، ولايستبعد أن يكون تأثيرها قد وقع أيضاً على سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، الذين كانوا يتمتعون بامتيازات تجارية كبيرة، خلال قدومهم أو تواجدهم في بلاد الرافدين ، ومهما يكن من أمر، فإن من المرجح أن العرب المشاركين في تلك التحالفات المختلفة ضد آشور ، كانوا من سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ومن أولئك القاطنين على الطريق التجاري الهام، حيث تشير نصوص الملك سنحريب أنه بعد أن أخمد معظم تلك الثورات ، التي قامت ضده ، وأعاد تشييد مدينته ، كان من ضمن أبواب مدينته نينوى ، وفي الجانب الغربي منها خمسة أبواب أطلق على أحدهم اسم باب الصحراء ، الذي يقدم منه رجال تيماء الذين يحملون الهدايا للملك سنحريب ، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...هناك خمس بوابات (مداخل) لمدينة نينوى عاصمتي التي فيها القصر الملكي ..فسميت باباً باسم آيا وهو المعبود الذي

(١) هذه الجملة تدفع بالباحث إلى القول بأن العامل العقدي (الفكري) لا بد وأن يكون له دوره في تحركات الآشوريين ، وذلك لنشر عبادة آشور ، وتسيده إله للشرق آنذاك . وهذا التكرار في ذكر معبودة آشور يتضح جلياً في معظم النصوص الآشورية .

(2) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II,pp.170-171 (397) .

يجعل الأنهار تصب وهو ما يعرف ببوابة أماكن السقيا ، وجعلت مدخلاً أمام القصر سكني وهو باب الرصيف والبـــاب الـــذي تدخل منه هدايا السومانيين والتيمائيين باب الصحراء ، والبـاب الواقي لكل هذه الأبواب باب مستودع الأسلحة بـــاب الآلهــة شاكيور وهو الهازم لأعداء الملك وباب هانيوري وبالتالي يصبــح مجموع الأبواب خمسة أبواب من الجهة الغربية للمدينة وبتلـــك الأسماء سميتها ....."

دونت كتابات هذا النص بعد حملته الخامسة ، وإن دل على شيء فإنمـــا يدل على استتباب نفوذ سنحريب ، في بلاد الرافدين ، وإقامته علاقات وطيـدة ، اقتصادياً وسياسياً بينه وبين سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث عصب التجارة العالمية وذلك بعد فشل محاولات آشور ، في فرض نفوذها بـــالقوة العسكرية على تلك المناطق ، قبيل حكم الملك الآشوري سنحريب ، وهكـــــذا اتسمت العلاقات بطابع سياسي واقتصادي هدفها تسهيل حركة التجارة بـــــين الطرفين ، كما قد يدلنا النص على أن العرب المتواجدين في بلاد الرافدين ، كانوا في شكل تجار يتنقلون بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهذا ما يؤكده أيضاً نص آخر لسنحريب يشير فيه إلى أنه تلقى هدايا من كـــرب إيلو ملك سبأ [1] والأرجح أنه أحد حكام القبائل أو الجاليات السبئية المقيمـــة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كما جاء في النص التالي [1] :-

(١) اختلف المؤرخون في تحديد صفة ذلك الملك ومن يكون ففي حين يرى بعض المؤرخين أنـــــه أحـــد مكربي سبأ المدعو (كرب ال بين) (كرب ايل بين) هو الذي أرسل الجزية إلى سنحريب في حـــوالي ٦٩٠ ق.م والذي كان حكمه حسب رأي فلبي ما بين ٧٠٠-٦٨٠ ق.م في حين أطلق عليه مصطفى العبادي أنه المكرب (كرب ال وتر) الأول وبمقارنته بأسماء مكرب سبأ فإن حكم هذا المكرب يرجـــع إلى حوالي سنة ٦٢٠ ق.م حيث كان آخر المكارب وأول الملوك إلا أنه من الملاحظ بعد السنين بـــين تأريخ سنحريب وتأريخ المكرب السابق ، هذا ولقد جعله عبد العزيز صالح (كرب ايل) ، وأن مـــــن =

"...عند وضع حجـــر الأســاس للمعبــد . معبــد مناســبة العام الجديد [٢] كان الكـــتر ... [الــذي ...كــرب ايلــو ملك سبأ] [٣] ، ... أحجار ، أحجار كريمة ، أعشاب عطرية ، طلب احضارها ، من ذلك الكتر ، وضعت الحجارة والاعشــاب أسفل في قلب الأساس أي في قلب أساس معبد مناســبة العــام الجديد كما وضعت في قلب الأساس الفضة والذهب والأحجــار الكريمة وكومت عليها الحجارة أيضاً ووضعت جميـــع أنــواع

=الجدير بالذكر أن جواد علي ، يرى أن إطلاق الآشوريين على مكرب سبأ اسم ملك نابع لكونهــم لم يعرفوا لقبه الرسمي أو أنهم لم يهتموا بذلك فجعلوه ملكاً أو أن اصطلاح مكرب لفظة يمنية لم تسـتخدم خارج اليمن ، فلذلك استخدم الآشوريون لفظة ملك كما يذهب إلى ذلك مصطفى العبادي ، وعلــى كلٍ ، فإن من يذهب إلى أن الاتصال الذي تم بين سنحريب وأحد مكارب سبأ احتمــــال ضعيــف والأرجح أن ذلك الاتصال تم بين سنحريب وبين الجاليات السبئية المنتشرة على طريق القوافل في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ما بين تيماء والجوف ، وأن كرب ايلو ما هو إلا سيد قبيلة أو أمــير من أمراء العرب القاطنين في تلك النواحي وأن تلك الجالية رأت بعين الاعتبار أن من الأهمية بمكـــان خطب ود الملك الآشوري سرجون الثاني ليأمنوا من بطش آشور وتحمي طرق القوافل التابعة لدولتــها الأم من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية والتي لها تجارتها مع بلاد الرافدين والمحافظة على تلك المكانــة الاقتصادية،فلم يجدوا بأساً من تقديم مثل تلك الهدايا إلى آشور بغية تأمين تلك المكانة التي هم عليها.

انظـــــر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٨٩-٥٩٠ . وكذا عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص٤٧-٤٩ . وكذا مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص٩٦ . وكـــذا محمــد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، ص٢٧٨ . وكذا ديتلف نيلسن وآخـــرون : التــاريخ العــربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ص٢٨٣ ، ٢٩٢ .

(1) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol. II , p. 185,186 , (440) .

(٢) يقع المعبد خارج أسوار مدينة آشور ، وقد أعاد ترميمه سنحريب خلال الأعوام الأخيرة من حكمـــه وقد وجد ذلك النقش على أحد الأحجار الأساسية للمعبد . انظر

Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol. II , p. 183 (434) .

(٣) جملة مبتورة في النص .

الأعشاب العطرية ، فأصبح لذلك الأساس بريقاً ولمعاناً كالماء في النهر....“

يتبين من النص أن العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة، كانت تمر بحالة من الاستقرار السياسي ، وتبادل الهدايا ، بقصد إتاحة الفرصة بين الطرفين لتنمية مواردهما الاقتصادية ، فالجاليات السبئية ، والتي كانت تسكن المنطقة ، بادرت بإرسال الهدايا إلى سنحريب ، تأميناً لنفوذها الاقتصادي في المنطقة ، وفي المقابل فإن سنحريب رضي بتلك الهدايا ، التي تفاخر بها وقدمها قرابين في بناء معبده ، والذي أطلق عليه معبد بيت أكيتو (Bit-Akitu) وهو المعروف بمعبد ” مناسبة العام الجديد “ خلال احتفاله برأس السنة الجديدة ، حيث وضع تلك الهدايا ضمن حجر الأساس لهذا المعبد ، والتي وصفها النص بالكنز الثمين ، وشملت الأحجار الكريمة ، والأعشاب ذات الروائح العطرية ، وبالإضافة إلى الذهب والفضة وعلى ما يبدو أن الوفاق السياسي الذي ربط بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، في بداية عهده قد انقلب رأساً على عقب ، في أواخر عهده وربما في العام الخامس عشر من حكمه ، أي في حوالي سنة ٦٨٩ ق.م (١) عندما قام بإرسال جيوشه نحو منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وبالأخص نحو ” أدوماتو “ (Adummatu) (دومة الجندل) لملاقاة ملكة عربية جديدة أطلق عليها في النص اسم الملكة تلخونو (Telhunu) (٢) ملكة (عريبو) بلاد العرب،

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٠ .

(٢) يرى ا. موسيل أن سلطان الملكة تلخونو كان يشمل منطقة واسعة من أدوماتو في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وحتى حدود بابل وأن العرب القاطنين في تلك المناطق كانو علي صلات تجارية مع بابل فكانت لهم تجارتهم من بيع وشراء للملبوسات والقمح،كما يرى أن ذلك الطريق كانت تسلكه جيوش أدوماتو أو الملكة تلخونو في نظره لتصل إلى بابل أثناء ثورتها ضد آشور ، ويذهب =

والتي يظهر أنها تربعت على العرش ، خلفاً للملكة ياتيعه،والتي سبق لسنحريب أن هزم جيوشها ، ومهما يكن من أمر ، فما إن وصلت الملكة تلخونو على عرش العرب ، وتولت زمام الأمور في مدينتها أدوماتو " دومة الجندل " حتى أعلنت العصيان على آشور ، وخرجت على رأس قوة عسكرية ، ضد آشور وبمساعدة قائد لها ، أو أحد مشايخ القبائل القاطنين بجوارها ، والذي يدعى خزائيل (Hazael) [١]، حيث التقى الجيشان بعيداً عن أدوماتو ، ثم بعد أن شعرت بخسارتها فرت نحوها ، فتبعها سنحريب إلى هناك ولكن لم يستطع اللحاق بها،حيث تركتها واتجهت بأتباعها جنوبا نحو البادية العربية مع قائدها ، كما جاء ذلك في النص التالي[٢]:-

"...تلخونو ملكة بلاد العرب سلبت منها وفي منتصف الصحراء عشرة الآف من الإبل .....هي وخزائيل فرا ...أرعبهما قتالي ضدهما فغادروا خيامهم إلى ..... من مدينة أدوماتو حيث فرا بجلديهما ..... وأدوماتو التي تقع في قلب الصحراء....من الظمأ حيث لايوجد غذاء ولا أماكن شرب ...."

= على أن تلك الملكة قد اشتركت في الصراع بين بابل وآشور ، ويرى أن الملك سنحريب ما إن تفرغ من إخماد ثورة بابل حتى تفرغ لملاحقة الملكة تلخونو في عقر دارها حيث تلقاها في الصحراء وتبعها بعد ذلك إلى أدوماتو وحقق انتصاراً عليها . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢-٥٩٣ . وكذا

Musil.A.,op.cit., pp. 482 - 86 .

(١) خزائيل (Hazael-Haza-ili) خزائيلي،خزايل وأطلق عليه ملك "قيدار" أي قبائل القيداريين انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٠ . وكذا محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ، ص٤١٤. وكذا فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩٠ .

(2) Luckenbill. D.D., op.cit. , vol. II , p. 158 (358) .

ويرى محمد عبد القادر محمد [1] أن سنحريب ربما يكون قد توغل في مناطق أخرى داخلية من شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، لم يشر إليها النص إلا بجملة اختراق الصحراء . وقد وردت أخبار عن الملك سنحريب ضمن حوليات ابنه وولي عهده الملك أسرحدون الذي خلفه على عرش آشور ، يصف فيها تقدم أبيه سنحريب تجاه أدوماتو واحتلاله لها وأخذه ممتلكاتها بالإضافة الى أسر ملكتها المتوجة وكذالك أصنام آلهتها ، كما جاء في النص التالي [2] :-

"...من أدوماتو حصن العرب والذي احتلها والذي
سنحريب ملك آشور وقد هزمها وأخذ
(من هناك) كغنيمة ممتلكاتها و (أصنامها) وكذلك
أسكالاتو ملكة بلاد العرب وأحضروهم
(كلهم) إلى آشور ...."

يلاحظ من النص أن الملك أسرحدون [3] (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) ، يشير على أن الملك سنحريب أباه تمكن من بسط نفوذه على " أدوماتو " (دومة الجندل) وأسر ملكتها الجديدة والتي تدعى اسكالاتو (Iskallatu) ، التي قد

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٣١ .

(2) Oppenhiem.A.L. , op.cit. , p. 291 .

(٣) أسرحدون " آشور - اخا - ادين " بمعنى الاله آشور أعطى اخاً ، تولى عرش آشور بعد مقتل أبيه سنحريب بحوالي ٤٢ يوماً ، وذلك عقب إنتهاء الثورة التي قام بها أخيه على أبيه سنحريب وأسفرت عن مقتل أبيه ، وما إن وصل إلى العرش حتى سارع في إعادة هيبة الدولة ، وواصل تثبيت كيان آشور، في الغرب وتقدم نحو مصر وغزاها ، وضمها للعرش الآشوري ، الأمر الذي ساعد في ذيوع شهرته في تاريخ ملوك الشرق الأدنى القديم . انظر
محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٢٣٣ ، ٣٣٥ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق، ص٣١٢.وكذا جورج كونتينو: المرجع السابق، ص١٧٩. وكذا سبتينو موسكاتي: المرجع السابق ، ص٢٥٤ ، هامش ١٦ .

تكون ابنة تلخونو ، التي فرت من أمامه ، أو نائبه عنها ، عند خروجها من أدوماتو ، لملاقاة جيوش سنحريب ، أو ربما تكون تلك الملكة قد تربعت على عرش " أدوماتو " خلفاً لتلخونو ، التي فرت إلى البادية ، خوفاً من بطش جيوش سنحريب ، والتي قبض عليها سنحريب ، بعد دخوله إلى " أدوماتو " ثم بعد ذلك لحق بتلخونو ، حيث كانت نهاية أمرها وأسرها وحمل أصنامها (آلهتها) بالإضافة إلى غنائم لاتحصى ، وكل ممتلكاتها . مع الأخذ في الاعتبار أن الاسمين تلخونو واسكالاتوا ربما يكونان اسمين لمسمّى واحد .

إن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النص ، قد أشار ، ايضاً ، إلى أن سنحريب حمل معه أميرة عربية أخرى دعاها بـ تاربو (Tarbua) [١] أو تبؤة (Tabûa) كما في Luckenbill. DD. [٢]، وأن أسرحدون فيما بعد أعادها إلى دومة الجندل مع آلهتها التي كانت تقوم برعايتها، حيث جاء في مقطع آخر من النص السابق التالي [٣] : -

"...وجعلت تبؤة التي تربت (نهضة) في قصر أبي ملكة عليهم وأرجعتها إلى وطنها الأصلي مع آلهتها ...."

وكما يبدو من فحوى النص أن تلك الأميرة كانت صغيرة ، عندما حملت إلى آشور إبان غزو سنحريب ، ثم رجعت إلى وطنها في عهد أسرحدون .وهكذا أراد الآشوريون بطريقتهم تلك جعل الأمراء الوطنيين للمناطق التابعة لهم ، يهيئون ليكونوا سادات على مناطقهم وفق تربية خاصة أعدها الآشوريون في

---

(١) وذلك حسب ترجمة Oppenhiem . انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 291

(٢) حسب ترجمة Lukenbill D.D. . انظر
فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩٠ . وكذا
Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol. II , p. 214 (536) .

(3) Oppenhiem. A.L , op.cit. , p. 291 .

قصورهم بعد إعدادهم إعداداً سياسياً خاصاً يؤهلهم لأن يكونوا ساسة مطيعين لآشور، كما يتضح من فعلتهم مع (تبوؤة) لتكون ملكة على (عريبو) بلاد العرب [١] .

وعلى مايبدو مما سبق أن تقدم سنحريب في المنطقة قد أثر على العلاقات العربية العربية ، أي بين التحالفات القائمة في بلاد العرب ، حيث إن هزيمة الملكة تلخونو على يده قد أثر على العلاقات بينها وبين خزائيل ، والذي كان يلقب بملك (عريبو) بلاد العرب كما ورد في بعض النصوص [٢] :-

"... خزائيل ملك (عريبو) بلاد العرب ...."

لقد نشب خلاف بين تلخونو وخزائيل ، وإن هذا الخلاف نشب بينهما عقب هزيمتهم على يد سنحريب ، وربما يكون ذلك الخلاف وقع بسبب ضعف خزائيل ، وعدم تمكنه من الدفاع عن أدوماتو (دومة الجندل) ، أو فراره من أمام جيوش سنحريب ، الأمر الذي يسر لسنحريب دخول أدوماتو ، فكان سبباً لوقوع ذلك الخلاف [٣] . حيث يشير إلى ذلك الخلاف أحد النصوص التي يرجع تدوينه إلى عهد الملك الآشوري آشوربانيبال - حفيد سنحريب - وينسب إلى عهد جده الملك سنحريب وجاء فيه التالي [٤] :-

"...تلخونو الكاهنة للآله دليات [٥] التي أصبحت غاضبة مع
خزائيل ملك (عريبو) بلاد العرب وأعطاها الخلاص من يدي
جدي الكبير سنحريب .... "

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 291

(٣) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢ .

(4) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 301.

(٥) دليات معبودة اشتار (عشتار) وكان لها معبد هام في دومة الجندل وانتشرت عبادتها في أنحاء متفرقة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وكانت تعبد محلياً باسم اتار سمين (عشتر السماء) . انظر

=

يتضح من النص أن نهاية المطاف بـ خزائيل كانت فراره إلى البادية ، بعد هزيمته أمام جيوش سنحريب ، وغضب تلخونو عليه وأسر الأميرة تبؤة (١) ، وهذا ما يؤكده أيضاً النص السابق ، من أن خزائيل ملك (عريبو) بلاد العرب ، هرب إلى البادية، و لم يقع في أسر سنحريب، في حين وقعت تلخونو في أسر سنحريب .

وعلى الرغم من عدم تحديد زمن تلك الحملات ، التي قادها سنحريب على أدوماتو (دومة الجندل) إلا أنها وعلى الأرجح كانت في نهاية حكمه، حيث تناقلتها الأخبار ودونتها مصادر ابنه أسرحدون وحفيده آشوربانيبال . وهكذا فقد تمكنت آشور من إخماد تلك الثورات التي نشبت على أرضها في عهد الملك سنحريب ، وشارك فيها العرب من عريبو ، كما أن العلاقات شهدت انتعاشاً بين المنطقتين ، حيث بدأت الحياة الاقتصادية بين المنطقتين تعود إلى أدراجها ، كما أشارت النصوص عن وصول القوافل العربية الحجازية ، التي كان يسيرها رجال تيماء ويدخلون بها عاصمة الآشوريين نينوى ، حتى عرف أحد أبوابها باسم " باب رجال تيماء " . كما أشارت الأحداث التاريخية لعهده على أنه تلقى هدايا ضخمة ، من قبل حكام الجاليات السبئية المنتشرة في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة حول ديدان وتيماء ، وعلى طول طريق القوافل التجارية الهامة، القادمة من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، نحو شمالها الغربي ، ومنه إلى سوريا أو فلسطين ومصر ، أو إلى بلاد الرافدين . والتي كانت تلك الهدايا بمثابة رمز لولاء تلك المنطقة لآشور ، واعتراف متبادل بين

Winnett. F.V. & Reed W.L. , op.cit. , p. 72 .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢-٥٩٣ . وكذا

British Museum , Tablets , .K. 3087 , K 3405

لوحات المتحف البريطاني برقم K3405 و K3087 .

حكام المنطقتين على حدود نفوذ كل منهما اقتصادياً وسياسياً . كما أن النصوص أظهرت تفاخر سنحريب بتلك الهدايا، التي وضعها في أساس معبده (معبد رأس السنة الجديد) والتي يستشف من نوعياتها وكمياتها الوضع الاقتصادي المرموق ، الذي كان يتمتع به سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية آنذاك. إلا أن من الملاحظ أن السياسة العربية الآشورية في عهده لم تسر على وتيرة واحدة . حيث تشير نصوص الملك سنحريب إلى أنه اتجه بجيوشه نحو " أدوماتو " (دومة الجندل) التي كانت تشكل حصن العرب ومركز تجميع القبائل أو المشايخ العربية ، والتي أطلقت المصادر الآشورية على حكامها لقب ملك ، حيث شكلت أدوماتو أو دومة الجندل محور السياسة العربية آنذاك ، مع الأخذ في الاعتبار أن أحد الباحثين [1] يرى أن أسماء الملكات المذكورات في النصوص الآشورية ، تدل على أهن كنَّ يتمتعْن بجانب سلطتهن الزمنية بسلطة دينية مرموقة ، وعلى ذلك حظيت أدوماتو بمكانتيين دينية وسياسية ، ومنها كانت تتخذ القرارات العربية ضد بلاد الرافدين خاصة ، لقربها من بابل من جهة ولأنها هي المعبر العربي نحو بلاد الرافدين من جهة أخرى ، فإذا ما وهن الوضع السياسي في بلاد الرافدين ، ساهمت" أدوماتو " في المشاركة ضد آشور ، وفي المقابل كانت أدوماتو تتلقى الضربة الأولى للهجمات الآشورية ، والتي عادةً ما تتركها القبائل العربية ، وتفر منها جنوباً نحو البادية الفسيحة ، التي يصعب فيها على الجيوش الآشورية أن تتبعهم فيها ، والدارس للعلاقات بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، في عهد الملك سنحريب ، يلاحظ أنها اتخذت طابعا سياسيا واقتصاديا مميزا بين المنطقتين ، حيث شاركت القبائل العربية (عريبو) في الصراع الذي نشب بين ميردوخ بلادان ملك بابل ، وسنحريب

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٨٢ .

ملك آشور ، والذي أسفر في نهاية الأمر عن انتصار الملك سنحريب على ملك بابل ومن في حلفه ، ومن ضمنهم العرب ، الذين شاركوا في تلك الثورة على ملك آشور ، بل وأن سنحريب لم يكتف بما حققه من انتصارات على العرب في بابل وما حولها ، وإضرار بمصالحهم المكتسبة في بابل ، فقد سلبهم أملاكهم وامتيازاتهم التي كانوا قد حصلوا عليها، من طول تواجدهم في بلاد الرافدين، في عهود من سبقوه، فنراه يتبعهم إلى أراضيهم، أو العرب هم الذين خرجوا عليه وتحرشوا به . وقد خرج سنحريب إلى تلك المنطقة ، إما لمعاقبة العرب الذين خرجوا عليه ، أو لبسط نفوذه عليهم ، وتأمين حدود دولته ، فأرسل جيوشه نحو حاضرتهم آنذاك وهي " أدوماتو " حصن العرب ، وتمكن من فتحها وأسر آلهتها مع ملكتها وبعض أهلها ، وربما توسع في مناطق أخرى قريبة منها لم يشر النص إليها ، فأخضعها إليه، وسارعت باقي المناطق المجاورة لها بخطب وده وإرسال الهدايا له . وقد اختتم سنحريب حياته ، وتمكن من بسط نفوذه على " أدوماتو " وما حولها وتنصيب أحد النساء العربيات ملكة عليها وهي من اللاتي تربين في قصور آشور ، وهي الملكة تبؤة التي أخضع لها الأمر في " أدوماتو " ثم تظهر لنا النصوص شخصية الملك خزائيل والتي لقبته النصوص بملك (عريبو) بلاد العرب والذي كان في صحبة الملكة تلخونو ، الذي فر إلى البادية عقب تقدم سنحريب نحو أدوماتو ، خوفاً من بطش سنحريب عليه ، حيث ظل مختبئا بها حتى موت سنحريب ، الذي قُتل على يد أحد أبنائه الذين حرموا من ولاية العرش .

وقد تولى عرش آشور بعد الملك سنحريب ابنه وولي عهده **أسرحدون (Esarhaddon)** (٦٠٨-٦٦٩ق م)، الذي اتبع سياسة والده تجاه شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وعلى نفس الوتيرة التي اتبعها أبوه سنحريب ، بل زاد في نفوذ الآشوريين وعلاقاتهم بشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، حيث توغل في مناطق مختلفة منه ، إما للتوسع من أجل السيطرة، على طرق التجارة الهامة ، المارة بأراضيه ، أو لإخماد التمرد والعصيان ، الذي

كانت تقوم به القبائل العربية والمنتشرة هناك ، ضد آشور، وكذلك معاقبة الفارين عن طاعة آشور من جهة أخرى . حيث بدأ نشاطه في المنطقة ، بتثبيت نفوذ آشور على " أدوماتو " (دومة الجندل) ، والتي كانت أشبه بالقلعة الحصينة ، التي يحتمي بها العرب خلف جدرانها ، من بطش الآشوريين كما عرفتها المصادر الآشورية بذلك . وقد كان بوادر ذلك الاتصال هو قدوم خزائيل ملك (عريبو) بلاد العرب والذي سبق وأن فر من الهجوم الذي قام به سنحريب نحو أدوماتو [١] ، وظل طول فترة حكمه الباقية متخفيا في البادية مع أتباعه دون أن تلحقه يد آشور ، وعندما توفي سنحريب وتولى أسرحدون عوش آشور ، استغل ذلك خزائيل ، وتقدم نحو أسرحدون ، مقدماً إليه فروض الولاء والطاعة وطلب منه أن يعيد له أصنام (آلهة) أدوماتو ، التي أخذها منها ، ويعيد إليها هيبتها ، فوافق أسرحدون على ذلك ، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...خزائيل ملك (عريبو) بلاد العرب حضر مع هدايا كثيرة إلى نينوى المدينة (التي أمارس) منها حكمي الملكي وقبل قدمي وهو يتوسل لي في أن أعيد أصنام (آلهته) وأنا رحمته وأصلحت التلف في تماثيل اتارسامين ، داي ، نوهى – رولدو ابيريللو ، وكذلك اتاركيوريوما آلهة العرب . وأرجعتها إليه بعد أن كتبت فوقهم نقوش (تعلن) القوة الخارقة لآشور سيدي وكذلك اسمي [٣] ...."

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 291 .

(٣) داي (Dai) (عشتر شمين) (عشتر السماء) (Atarsamain) (ديلات)(دايا) (Nuhai) (نوحاي) (نوهيا) (نهيا) (نهى) ، (Ruldaiu) (رولدا) (Abirillu) (ابيريللو) (ابيريلو) ، (Atar quruma) (عشتر قورما) (عشتر قوميه) (عشتر قومي) ، وهي التي =

وهكذا قبل أسرحدون طلب العفو ، الذي تقدم به خزائيل وقبل منه تلك الهدايا الضخمة التي قدمها له ، وكذلك الإفراج عن أصنام " أدوماتو " التي أسرت من قبل أبيه سنحريب [(١)] في نينوى ، الذي جعلها تخضع في عبوديتها لآشور ، بعد أن ختمها بذلك ، وكذلك طلب خزائيل من أسرحدون أن يطلق سراح الملكة تلخونو التي كانت في أسر الملك سنحريب ، فأفرج عنها كما أفرج معها عن الأميرة تبؤة ، مع آلهتها التي كانت ترعاها ، وربما كانت عودتها ، مع تنصيبها ملكة على (عريبو) بلاد العرب في (أدوماتو) ، كما جاء في النص التالي [(٢)] :-

"...وهو (أسرحدون) قد رحم به وتنازل (لإعطائه) تلخونو الكاهنة السابقة له (كوميرتو)...وبالنظر إلى الكاهنة تاربو (مع ذلك) هو

= سجنها سنحريب بعد حملته على أدوماتو وعلى ما يبدو أنه قد أصابها بعض التلف فأمر أسرحدون بإصلاحها وأن ينقش ، عليها أسماء معبودة آشور ، وكذلك اسمه ، وكما يظهر أن عودة تلك المعبودة إلى أماكنها الطبيعية أفرحت خزائيل وكذلك أتباعه . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٢-٥٩٣.وكذا فراس السواح : المرجع السابق ، ص٢٩٠.وكذا
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 291 ; Jwixman. D. The Vassal Treaties of Esarhaddon , London , 1958 , p. 4 .

(١) يشير في نص آخر دون في عهد ابنه آشور بانيبال ينسب إليه أنه أعاد أصنام أدوماتو (دومة الجندل) والتي كانت للأله اتارسمين (عشتر السماء) من ضمنها ، يعد أن جعل عليها قلادة من الذهب الأحمر بالإضافة إلى الأحجار الكريمة ، جاء في النص التالي : " **وهو عمل (أيضاً) نجمه ذات ذهب أحمر وزينت بأحجار كريمة نقش عليها للحياة البعيدة معه وقضاء عمر طويل ، ورفاهية ذريته ، ودوام مملكته على أعدائه** ". انظر
Oppenhiem.A.L.,op.cit.,p.301; Winnett. F.V. & Reed. L.W., op.cit., p.p.72-73.

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 301 .

عمل (قدمها للآله شاماس) ... ثم أعادها مع تمـــائيل آلهتها بعد أن وضعت عليها رمز آشور...."

وهكذا وكما يتضح من النص ، أن خزائيل سعى أيضا في الإفراج عـــن الأميرة العربية (تبؤة) ، التي كانت قد أسرت في نينوى ، أثنـــاء حمــلات أبيــه سنحريب على " أدوماتو"، بعد أن تربت في القصور الآشـــورية ، وهذبــت بالثقافة الآشورية ، فأعادها إلى وطنها ، كما ذكر ذلك في النص التالي (1) :-

"...وجعلت تاربوا التي تربت في قصـــر أبي مليكتـــهم وأعادها إلى بلادها مع آلهتها ...."

وهكذا ضمن أسرحدون من الملكة الجديدة على عريبو (بلاد العـــرب) الولاء لآشور، وسيطرتها على تلك الأرضين ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يــدل على التدخل الواضح من قبل آشور في الشئون الداخلية لـــ (عريبو) " بــــلاد العرب " وصل إلى درجة إقامتهم الحكام الوطنيين ، الذين يدينون لهم بـــالولاء ، بالإضافة إلى محاولتهم بسط ثقافتهم الدينية ، على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، بنشر عبادة آشور عليهم ، كما هو واضح من ختم اسم آشـــور علـــى أصنام آلهتهم ، وفي هذا تأكيد على اشتراك الجانب الديني في تلك التوسعات التي خاضتها آشور ضد الشعوب المختلفه، حيث لمست اهتمام الشعوب بآلهتها ، وإن في فرض عبوديه تلك المعبود لآلهة آشور ازلالاً لتلك الشعوب التابعة لهـــا . وإلى جانب ذلك طلب خزائيل الإفراج عن آلهة أدوماتو . ومهما يكن من أمر ، فقــد أبقى أسرحدون على ملكية خزائيل ، بالإضافة إلى ترشيحه للملكة الجديدة تبؤة، وفرض على خزائيل جزية إضافية تدفعها بلاد العرب (عريبو) لآشور ، وهـــي عبارة عن ٦٥ رأساً من الإبل، وكذا عشر من مهر الخيل ، وقد عبر عنها بأنهـــا

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.291 - 92 .

أكثر من التي كان خزائيل يدفعها من قبل لابيه ، كما ذكـــر ذلـــك في النـــص التالي[1] :-

" ... وكجزية إضافية أنا فرضت عليه دفع ٦٥ جملا [٢]

(و)١٠ مهور خيل (أكثر من) ذي قبل .... "

لقد استطاع أسرحدون من الحد من عصيان العرب ، المتواجديـــن علـــى طول الطريق التجاري ، العابر لمنطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربيـــــة ، وجعله تحت سيطرة آشور وقد استمر ذلك حتى بعد وفاة خزائيل ، وتولى ابنـــه ياتاع (Uata) [٣] مكان أبيه، الذي أقره أسرحدون ، مقابل فرض جزية إضافيـة عليه ، تتألف من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب العطرية (والتوابـــل) ، كما جاء ذلك في النص التالي [٤] :-

"...وعندما حمل القدر موت خزائيل أنا أجلست (ياتاع) ابنـــه على العرش وفرضت عليه جزية إضافية مكونة من ١٠ مينـــا من الذهب (و) ١٠٠٠ حجر بيروتي ، ٥٠جملاً، ١٠٠ زكيبـة كونزو [٥] مع مواد عطرية (أعشاب) (أكثر من) التي كـــان يدفعها أبوه ...."

---

(1) Ibid. , p. 292 .

(٢) في ترجمة Luckenbill مقدار جزية الجمال ٥٥ جملا فقط . انظر
Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol. II , p. 214 (536) .

(٣) (Lata-Uata) وفي Lukenbill D.D. (Lata- La'lu) وترجم إلى (ياتاع) (يواطـــي) (Uaite) (يثع) (يايتع) (يايطع) (يطع) . انظــر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٣ . وكذا محمد بيومي مهران : العرب وعلاقـــاتهم الدوليـــة في العصور القديمة ، ص٣٤٧ . وكذا فراس السواح : المرجع السابق ، ص٢٩١ . وكذا
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 ; Luckenbill.D.D.,op.cit.,vol.II ,p. 219 (552), p. 214 (536) , pp.312-314 (817-818) .

(4) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 292 .

(٥) تعني نوعا من أنواع الحقائب الجلدية (Kunzu Bags) . انظر

=

وبذلك ضمن أسرحدون استمرار ولاء تلك المناطق وخضوعها لآشـــور .

إلا أن أحلام أسرحدون في أن يستمر ذلك الاستقرار السياسي ، في شمال وشمـــال غرب شبه الجزيرة العربية خاضعاً لآشور زمناً طويلاً لم يدم ، حيث إن القبـــائل العربية المتواجدة هناك ، والتي رضخت في بادئ الأمر لأن تكون تحـــت وصيـــة العرش الآشوري ، لم تكتف إلا وأن تعلن عصيانها وتمردها ، ضد ملكها المتـــوج من قبل آشور ، والتي شعرت أنه مفروض عليهم فرضاً من قبل سلطة خارجيـــة ، فأعلنوا الثورة والعصيان عليه ، حيث قاد أحد سكان (عريبو) بلاد العرب تلـــك الثورة والذي عرف في النصوص باسم واهـــب (Wahb) يـــابو (Uabu)[1] ، والذي حرض القبائل على الثورة ضد ياتاع ، الذي بدوره ســـارع ليستـــنجد بآشور ، والتي هي بدورها قامت بإرسال جيش آشوري نظـــامي ، لإخضـــاع العرب والقضاء على تلك الثورة ، وكان لها ذلك ، حيث قضت على تلك الثورة وحمل قادتها إلى آشور ، كما جاء ذلك في النص التالي[2] :-

"...وبعد ذلك فإن واهب (يابو) حرض كل العـــرب للثورة على ياتاع لأنه كان طامعاً في الملك ولكـــن أنـــا أسرحدون ملك آشور وملك الجهات الأربعة (للأرض) الذي يحب العدالة ويكره الاعوجاج ، أرسلت جيشـــي لمساعدة ياتاع وقمع كل سكان عريبوواستطاع جيشـــي ذلك وألقوا وهـــب والمحـــاربين أتباعـــه في الأغـــلال وأحضروهم لي ، ووضعت الأطواق فوقـــهم وربطتـــهم على قوائم (أعمدة) بواباتي ...."

Ibid , p. 292 - f (4) . =

(١) (Wahb) (Uabu) (واهب) (يابو) - (اوبو) (وهبو) (وهب) (اوب) أو (أبو). انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٣ . وكذا فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩٠ .

(2) Openhiem , A.L. , op.cit. , pp.298- 99 .

وهكذا أخمد أسرحدون الثورة في عقر دارها ، واستتب الأمر لآشور في تلك الأرضين، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النص ورد كاملاً في نص آخر ترجم عكساً كالتالي [1] :-

"...أنا أحضرت [ن ن] مع (غنائم) كثيرة إلى آشور ومثل خنزير أنا ربطته (على البوابة) وبالنسبة لخزائيل ملك عريبو بلاد العرب ورهبتي ذات الجلال والذي أحاطته أحضر لي الذهب والفضة والأحجار الكريمة (و ...) وقبل قدماي وفرضت عليه جزية ٦٥ جملا أكثر من الجزية التي وضعها عليه والدي ، وبعد ذلك فإن خزائيل مات وابنه ياتاع جلس على عرشه وأنا فرضت عليه جزية (إضافية) ١٠ مينا من الذهب ، ١٠٠٠ حجر برستن ، و٥٠ جملا فوق الجزية التي دفعها والده (واهب) (مع ذلك) أو عز (حرض) كل سكان عريبو بلاد العرب للثورة على ياتاع و... (ولكن أنا أسرحدون) وإليهم (والذي يحب العدالة أن تسود (أرسلت) (حملة) من رجال أقوياء (راكبين) (ظهور) الخيل من جيشي (وأخضعت) (العرب) جعلتهم (وهم) خائفين (مرة أخرى) إلى (ياتاع) وجيشي أحضر وهب مع (القواد الآخرين) إلى آشوريا ، وأقعدهم إلى الجانب الأيسر من بوابة المدينة في نينوى وجعلته يحرس العمود ...."

ورغم أن النص لم يشر إلى تاريخ لتلك الحملات ، إلا أن من الظاهر أن تلك الحملات التي قادها أسرحدون ، نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، ربما تكون قبيل غزوه لمصر ، ليضمن تأمين طريق جيشه ، من العرب المنتشرين في

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 292 .

طريقة نحو مصر ، وأن افتقاد المصادر المقابلة للمصادر ، التي وصلت إلينا من بلاد الرافدين ، في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، تجعل من الصعوبة بمكان عمل أي مقارنة تاريخية ، يمكن على ضوئها تحديد زمن تلك الحملات ، التي قام بها أسرحدون على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وهكذا فإن المنطقة عاشت في حالات تردد بين الولاء والعصيان لآشور ، طوال عهد الملك أسرحدون ، حيث إن سكان المنطقة لم يكن عليهم من السهولة بمكان ، أن يخضعوا في استسلام تام لآشور ، فكما يشير نص دون في عهد الملك آشوربانيبال، وتنسب أحداثه إلى أبيه الملك أسرحدون أن ياتاع نفسه الذي كان في يوم من الأيام أحد التابعين لآشور، والمنفذ لأوامرهم في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، يقود ثورة على الملك أسرحدون ، عقب ثورة واهب ، والتي من المرجح أنها كانت في نهاية عهد الملك أسرحدون ، الذي لم يتوان في إرسال الجيوش الآشورية نحوه ، واصطدم معه في معركة فاصلة ، انتهت بهروب ياتاع إلى البادية [١] ، حيث يصعب فيها ملاحقته من قبل أي قوى خارجية إلا من أبناء جنسه [٢] ، حيث بقي فيها بعيداً حتى وفاة الملك أسرحدون ، وتولي ابنه آشوربانيبال العرش ، حيث ظهر له ياتاع ابن خزائيل مرة ثانية ، ليقدم له فروض الولاء والطاعة ، كما جاء في النص التالي [٣] :-

"...أنت ياآشور ياسيد الآلهة على مدى الأيام السابقة
والأيام اللاحقة عندما أصبح ياتاع بن خزائيل ملك عريبو
(بلاد العرب) في عهد أسرحدون ملك آشور هذا الخادم
والمخلوق الذي يعمل بين يديه عندما أصبح معادياً له وشق

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٤ .

(2) Musil. A. , op.cit. , p. 482 .

(3) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p. 367 (946) .

عصا الطاعة عليه خارجاً على سلطته استطاع أســـرحدون بتأييدك ودعمك الكبير وبحولك وقوتك العظيمة استطاع أن يحشد جيوشه ويرسلهم للحرب ضده وفي معركة مكشــوفة وفاصلة استطاع أسرحدون أن يهزمه وأخذوا منه كل آلهتـه وينجو بنفسه ياتاع هارباً تاركاً معسكره وحده إلى أصقـاع بعيدة ....»

وهكذا انتهى المطاف بـ ياتاع بن خزائيــل ، في عـــهد أســرحدون ، بالهروب إلى أصقاع بعيدة ، ولعل من الأهميــة بمكــان هنــا الإشــارة إلى أن أسرحدون لم يتوقف عند هذا الحد من التقدم ، في مناطق شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فقد أشار نص منسوب إلى عهده جاء فيه : أنه تقدم في منطقــة أطلق عليها مسمى أرض بازو [1] ، وهي الأرض التي سبق وأن هربت إليها الملكة شمشي ، من أمام جيوش تجلات بلاسر الثالث ، ولايستبعد الربط بين هــــروب الملكة إلى تلك الأرض وبين هروب ياتاع ، إلى تلك الأرض نفسها ، حيث يشير أسرحدون أنه تقدم بجيوشه نحو بازو (Bazu) ، التي يُغلب كثير من البـــاحثين موقعها في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي وصفها نص أســرحدون بالأصقاع البعيدة التي هرب إليها ياتاع . وهكذا فقد قام أسرحدون بحملته ، نحو تلك الأرضين ، إما لملاحقة ياتاع ، الهارب من أمامه إليها – وكــــانت مــلاذاً للهاربين من بطش آشور – ، أو لبسط نفوذ آشور عليها ، خاصة وأنها تقع على طريق القوافل التجارية الهامة من جهة ، أو لكونها تقع قريبة من طريق جيوشه نحو

(1) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p. 209 (520) .

مصر . حيث قاتل أسرحدون في تلك المعارك [١] قرابة ثمانيـــة مـــن ملوكـــها ، وأسرهم جميعاً، وحملهم إلى نينوى عاصمته . باستثناء أحد ملوكها والذي يدعـى بالملك ليلي ، الذي لم يتمكن منه أسرحدون، ففر إلى البادية ثم عـــاد وطلــب الصفح من أسرحدون ، فقبل ذلك وأقامه ملكا على أرض بازو ، كما جـــاء في النص التالي [٢] :-

"...قيسو ملك مدينة خلديوم ، وأكبرو ملك مدينة ال بيـلق ومنساكو ملك مجلاني . ويافا ملكة مدينة دخراني وخبيصـــو ملك مدينة قداباً وتحارو ملك مدينة جاباني والملكة بـــــاايلو

(١) يرى بعض الباحثين أن الحملة كانت في اليوم الثاني من شهر (تشرين) من السنة الخامسة من ســـن حكمه أي سنة ٦٧٦ ق.م ولقد أطلقوا على المنطقة اسم (Bassa) وذلك قبل حملته علـــى مصـــر. انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٤ . وكذا Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 303 .

(2) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p. 209 (520) .

ولقد ترجمت تلك الأسماء إلى مصطلحات عدة ، فـ (Kisu) قيسو (Kiau) كيو و(Ki-I-Su) ملك (خلديلي) (Haldisi) .و أكبرو (Ak-Baru Agbaru) ملك الـ بياتي (البيـــاتي) ، ايل بياتي (Iipiati) (Na-Pi-A-Te) .و(منسكو) (منساكوا) (منســك) (Mansaku) (Ma-An-Sa-Ku) ملك (مجل اني) (مجـــلاني) (Magal'ani) (Ma-Gal-A-Ni) . والملكة (يافأ) (ايفع) (يفع) (Iapa) (Ja-Pa) . ملكة لــ (دخراني) (دحراني) (دخـو) (Didhrni) (Dihrani) . و(خبيصو) (خابصو) (حبيسو) (Habisu) (Kha-Bi-Su) ملك (قداباً) (Qadab) . (تحارو) (نحروا) (نحارو) (نحر) (Niharu) (Ni-Kha-Ru) ملك (جأباني) (جعبـــاني) أو (جعفـــاني) (Ga'pani) . بـــاايلوا (بائلـــه) (Ba'ilu) (Ba-I-Lu) ملكة (اخيلو) (Ihilu) . خبن امرو (خبن عمرو) (حبن امرو) (حبان امـــرو) (Habanamru) (Kha-Ba-Zi-Ru) ملك بداء (بدع) . و (ليلى) (ليلـــه) (Laili) (Laiale) ملك (باديء) (باديا) (بدع) (Ladi) (Jadi') . انظر لمزيد من التفصيل جواد علي : المرجع السابق، ص٥٩٤-٥٩٥ ، ٥٩٩-٦٠٠.وكذا رضـــا جـــواد الهاشمي: العرب في ضوء المصادر المسمارية ، ص٦٥١.

ملكة مدينة اخيلوا وخبن أمرو ملك مدينة بـــداء . وكـــل هؤلاء الملوك الثمانية حصدهم كما تحصد الغلة وتجمع علـــى شكل أكوام أي ذبحتهم ونقلت (جثث) شعوبهم إلى آشـــور أما ليلى ...ملك باديء (بدع) ...الذي ...بين يدي [١] ".

كما جاء في نص آخر [٢] :-

"... الملك ليلى ملك مدينة باديء الذي فر هارباً من أمـلم زحف جيوشي ، عندما سمع نبأ أخذ آلهته ، جاء إلى نينـوى عاصمتي الملكية جاء وفي حضرتي قبل قدمي ، لقد عفـوت عنهوقبلت عذره أما بالنسبة للآلهة التي أخذها فقد (نحـت) نقشت عليها اسم سيدي آشور وأعطيتها له مرة أخـــرى كما وضعت منطقة بازوا تحت حكمه وسيادته وفرضـــت عليه الجزية والضريبة الملكية ...."

قد يرى بعض الباحثين [٣] أن موقع أولئك الملوك الثمانية ، هو منخفـــض وادي السرحان ، وعند الحدود الشرقية لحوران ، مع الأخذ في الاعتبار أنه مـــن الصعوبة بمكان تحديد موقع وصفات أولئك الملوك الثمانية في الوقـــت الحـــاضر بشكل قطعي، خاصة فيما يتعلق بالموقع الكلي لتلك المناطق وهي منطقة بـــازو ، والأمر يعود إلى ما سوف تظهره أرض المنطقة ، على يدي معول الباحثين لتأكيد صحة النص من عدمه، ومن أنها أي أرض بازو في الحجاز أم لا ، ومهما يكن من أمر ، فإن الملك أسرحدون ، استطاع وإلى حدٍ ما أن يثبت نفوذه على منطقـــة

---

(١) النص هنا مبتور .

(2) Luckenbill.D.D. , op.cit , vol.II , p. 214 .

(٣) جواد علي : المرجع السابق ، ص٥٩٧ .

شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ويجعل منها منطقة تابعة لآشور ، وقد دلت المصادر التاريخية لتلك الحقبة التاريخية على تحسين العلاقات بين بلاد الرافدين وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في الظاهر ، إلا أنها لا تخلو من نشوب بعض الأمور التي تكدر صفو تلك العلاقات بين الحين والآخر ، خاصة وأن نفوذ آشور على تلك الأرضين كان مذبذباً ، فلازال أحد ملوك بلاد العرب ياتاع ، فاراً من أمام جيوش آشور ، في انتظار الفرصة السانحة له ، ليعلن العودة إلى أدوماتو .توفي الملك الآشورى أسرحدون .

وقد تولى العرش بعده **ابنيه آشور بانيبال Assurbanepal (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) وشمش شوم اوكن Shamach-Shum-Ukin** ، حيث حكم الأول في آشور، والآخر في بابل (٦٦٨-٦٥٢ق.م) واستمر الوفاق بينهما قرابة السبعة عشر عاما، ثم أعقبها صراع مرير بينهما ، حتى انتهى بتفرد الملك الآشوري آشوربانيبال بالسلطه في آشور (١) .

---

(١) جعل أسرحدون قبل وفاته بثلاث أعوام ولاية العهد في ولده الأكبر والذي يدعى (شمش-شوم-اوكن) (Shamash-Shum-Ukin) وجعله على بابل في حين نصب ابنه الأصغر وهو آشوربانيبال (Assurbanipal) على عرش آشور وقد قصد أسرحدون بذلك تثبيت دعائم دولته بالمحافظة على مناطقها الداخلية وكذلك مستعمراتها الخارجية وقد ذهبت المصادر على أن الابن الأصغر وهو آشوربانيبال قد تربى تربية جيدة تؤهله ليكون على عرش آشور من حيث ثقافته التي أتقن فيها الكتابة السومرية وكذا اللغة السومرية والأكادية بالإضافة إلى الآرامية كما أنه برع في التدريبات العسكرية وقد عرف في المصادر الإغريقية بـ سردانا بالوس (Sardanapalus) هذا وقد استمر الولاء بين الأخوين شمش شوم أوكين وآشوربانيبال قرابة ١٧ عاماً حتى أعلن الأول الثورة على آشوربانيبال فتحالف مع عناصر مختلفة في سبيل الإطاحه بأخيه حاكم آشور ورغم ذلك فقد فشلت جهوده تلك مما أضطره إلى الانتحار حرقاً في بابل بعد أن أشعل النار في قصره وفي نفسه بعد معارك بينه وبين أخيه دامت حوالي ثلاثة أعوام أسفرت بتفرد الملك آشوربانيبال دون أي منافس له في حكم آشور . انظر محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٢٣٦. وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، =

ومن حيث علاقه الملك آشور بانيبال بشمال وشمال غرب شبه الجزيـــرة العربية فكانت تتسم بالهدوء، وبالحرب ، كما يلاحظ أن معظم حروب ذلـــك الملك وتدخلاته في المنطقة كانت محدودة ولايمكن الجزم على تأكيدها ، إلا مـــن مواقع بعض المؤشرات التاريخية، في حين نجد أن تحرشات القبائل العربية والـــتي تعرف بـــ (عريبو) وملوكها ، كانوا أصحاب السبق في تلـــك التحرشـــات ، والتدخل في كيان الإمبراطورية الآشورية الثانية في عهد آشور بانيبال ، إما عـــن طريق مساندة الثوار ضدها ، أو عن طريق تأليب القبائل الخاضعة لهم بالعصيـــان والتمرد ضد آشور ، فكما لاحظنا في حوليات الملك الآشوري أســـرحدون أن أدوماتو التي هي في نظره حصن العرب المنيع ، قد رضخت لســـيطرته ، وأقـــام عليها ملكة عربية من قبله من نفس الأسرة الحاكمة في أدوماتو ، تدعى تبـــؤة ، والتي نشأت وترعرعت داخل القصور الآشورية وتشبعت بالثقافة الآشورية الـــتي تجرعتها ، خلال تربيتها هناك ، كما أقر ملكية كل من خزائيل ، ومن بعده ابنـــه ياتاع ، على عرش مملكة (عريبو) بلاد العرب ، إلا أن الآخر لم يستمر في ولائـــه لآشور ، حيث أعلن العصيان على أسرحدون في نهاية عهده ، وأعلن الانفصـــال عن آشور، وفر إلى البادية للاختباء فيها ، والهروب من بطش الجيوش الآشورية . وعندما توفي أسرحدون ، سارع ياتاع بن خزائيل ، في القدوم نحو آشوربانيبال ، وطلب منه الصفح والغفران ، على ما بدا منه في حياة أبيه أسرحدون ، فقبل منـه آشوربانيبال ذلك ، وأقره على ملكه مرة ثانية كملك عريبو (بلاد العـــرب) ، وأعاد إليه أصنامه ، ولكن سرعان ما أعلن أيضاً الثورة على آشوربانيبال ، ممـــا اضطر الآخر إلى الخروج إليه ومحاربته، كما جاء في النص التالي [1] :-

= ص٥٢٩. وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٢٤ وكذا جورج كونتينو : المرجع السابق ، ص٢١. وكذا سبتينوا موسكاتي : المرجع السابق ، ص٧٠ .

(1) Luckenbill.D.D., op.cit. , vol.II , pp.337-338 (869) .

"... ياتاع ابن خزائيل ملك قيدار الذي قدم لي خدمة (أي الذي كان تابعاً وخادماً لي) وقف ذليلاً أمامي طالباً نصرتي والوقوف إلى جانب آلهته التي أخذها والدي ، جعلته يحلف بالآلهة الكبرى (أقسم) وأعدت له الآلهة اتراسامين . لكنه فيما بعد نقض العهد (الحلف) لي (غير آبهٍ) بالمعروف والأفضال التي أسديتها له ، بل خلع عن رقبته عصا الطاعة والسيادة التي لي عليه ثم إنه لم يمشِ برجليه (أي لم يأتِ لي) للتحية والمصافحة (أو يلتمس السلم مني) وحبس عني هداياه وحرض أهل عريبو (بلاد العرب) ليثوروا معه ونهب الغوب (أموري) ، فقمت بإرسال الجيوش المرابطة على حدود أراضيه للحرب ضده فهزموهم أي عريبو (بلاد العرب) وضربوا أعناقهم بالسيف ، وأشعلوا النار في خيامهم ومساكنهم ، وأخذوا ماشيتهم وأغنامهم والحمير والإبل والخدم وكانت باعداد (كبيرة) وملأوا بها كل أرض آشور وحتى أقاصي حدودها وقد قمت بتقسيم الإبل وكذلك الأغنام على (سكان عريبو) خطأ في النص يريد أن يقول (سكان آشور) وفي بلادي يباع الجمل أو يتراوح سعره فيما بين ١-٥,٠ مثقال من الفضة في الأسواق (يعني حظائر البيع) استلم (سوتامو ؟) الإبل والرقيق هدية له كما استلم بائع الشربات (كأسات يباع فيها عصير الشربات) كما استلم البستاني هداياه عبارة عن نباتات...."

وكما يتضح من فحوى النص ، أن ياتاع قدما إلى آشوربانيبال ، وقدم له فروض الولاء والطاعة له ، وذلك عقب توليه العرش ، بعد وفاة والده ، ثم لم يلبث أن انقلب عليه ، ونقض العهد الذي بينهم ، والذي أخذه آشور بانيبال منه ، والذي أفرج بموجبه عن آلهة " أدوماتو "، ومع نقضه للعهد الذي بينه وبين

آشوربانيبال ، نراه أيضاً يرفض حتى تسليم الهدايا ، أو الجزية له ، وأعلن الثورة على آشوربانيبال، وسعى إلى تأليب سكان عريبو بالثورة ضد آشور ، حيث أخذ في الخروج من دائرة (عريبو) بلاد العرب ، نحو الأقاليم الغربية في (أرض الأموريين) التابعة لآشور في سورية ، وتحرش بها ، فما كان من آشوربانيبال إلا أن جرد حملة كبيرة ، ضد (عريبو) بلاد العرب ، وضد ياتاع والمتحالفين معه ، وأسفرت تلك الحملة في نهاية الأمر ، إلى هزيمة ياتاع وأتباعه ، وتوغل الجيوش الآشورية في مناطق مختلفة ، من منطقة عريبو (بلاد العرب) ، وغنمت الجيوش الآشورية غنائم كثيرة حملت إلى آشور ، والتي هي من الكثرة بمكان حتى إن النص الآشوري يشير إلى أن سعرها قد قل عند بيعها ، إلى أدنى مستوى لها ، وأن معظمها قدم كهدايا لعلية القوم ، وحتى من دون ذلك فقد نالتهم الغنائم .

وكما يتضح من النص ، أن ياتاع لم يقع في قبضة آشور بانيبال ، بل فر من أمامه ، ليحتمي بالبادية كعادة ملوك عريبو السابقين . ورغم أن النص لم يحدد تاريخ تلك الحملة ، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون قد حصلت بعد قليل من تسلم آشور بانيبال للحكم ، ولعل ياتاع قد انتهى بعد تلك الثورة بتقديم نفسه إلى آشوربانيبال ، الذي ربما صفح عنه خاصة وأنه كان في حاجة إلى إخماد الفتن التي تحيط بدولته ، في ظل ولاية عهد أخيه شمس شوم أوكين على بابل ، على أن هذا الولاء الذي أظهره ياتاع لآشور بانيبال ، والذي ربما كان لفترة طويلة ، سرعان ما انقلب رأساً على عقب وذلك عقب إعلان " شمش /شوم / أوكين " ملك بابل ، الثورة على أخيه آشوربانيبال ، فأعلن ياتاع بن خزائيل العصيان والتمرد على آشوربانيبال ، وقطع كل الصلات التي بينه وبين آشور ، مما أثار ضغينة آشوربانيبال، فأعلن الحرب عليه ، وذلك ضمن حملته التاسعة ، وعلى الرغم من عدم ذكر النص لتاريخ تلك الحملة ، إلا أنها من المرجح أن تكون عقب إعلان شمش شوم أوكن الثورة على أخيه أي ما بعد سنة ٦٥١ ق.م وقد

وضعها بعض الباحثين في سنة ٦٤٨ ق.م (١) حيث تقدم آشوربانيبال نحو ياتاع في عريبو (بلاد العرب) ، كما جاء في النص التالي (٢) :-

"...وفي حملتي التاسعة أنا دعيت قواتي (و) مشيت ضد ياتاع ملك عريبو (بلاد العرب) لأنه نقض (التحالفات المحمية بواسطة) القسم الذي (حلفه) لي ولم يتذكر أنني عاملته بحسنى ونزع نير حكمي الذي كان الآلهة لآشور قد أحله فوقه وقطع الحبال التي يدفعها (حتى الآن) ورفض أن يأتي ولم يسأل عن (حال) صحتي ومنع تقديم (الهدايا) والجزية الثقيلة وهو صغى (سمع) تماماً كعيلام للدعاية الثورية لأكاد، ولم يهتم بالقسم الذي حلفه لي وهو تنكر لي أنا آشوربانيبال الكاهن المقدس والخادم المصلى (دائماً) (للآلهة) والمخلوق بواسطة أيدي آشور ...."

وكما يظهر من النص أن الملك آشور بانيبال تقدم بحملة عسكرية ضد ياتاع ملك عريبو (بلاد العرب) والتي جعلها التاسعة من جملة حملاته العسكرية التي قام بها ، من أجل توطيد نفوذ دولته ، وإن حملته هذه كانت نتيجة نكث ياتاع ، للإيمان التي أقسمها مقابل ولائه لآشور، ورفضه الحضور إليه في عاصمته، ليطمئن على صحته، بالإضافة إلى رفضه دفع الجزية المقدرة عليه لآشور ، مستغلاً في ذلك الوقت الإضطرابات التي كانت تحدثها عيلام (٣) ضد آشوربانيبال ،

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠١. وكذا Musil. A. , op.cit. , p. 486.

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.297-298 .

(٣) سعت إيلام (عيلام) بكل ما في وسعها في التدخل في شئون بابل بهدف السيطره عليها مستغلة في ذلك بعض القبائل الكلدانية والآرامية المعارضه لآشور ، وقد كان لعيلام دورها في إشعال الفتنة بين الأخوين شمش /شوم/ أوكين وآشوربانيبال الأمر الذي أجبر آشور بانيبال إلى قيامه بحملة عليها خرب فيها عاصمتها شوشه ومدنها الهامة الأخرى ، ومع ذلك فقد استمرت عيلام بعدائها للآشوريين

=

ومساهمتها في بث روح الفتنة بين الأخوين، والتي تشير الأخبار إلى أنها نجحت في تكوين حلف قوي ، للتصدي لآشور بانيبال وبمشاركة قوات مختلفة كان منها العرب ، فكما يشير في نفس النص السابق أن ياتاع لم يكتف بالتوقف عن دفع الجزية وإعلانه العصيان على آشور بانيبال ، بل تراه أيضاً يساهم بقوة عسكرية تحت قيادة اثنين من قواته ، ضد آشوربانيبال وإن دل على شيء فإنما يدل على المكانة السياسية والعسكرية التي كان عليها ياتاع بن خزائيل [١] وذلك لمساعدة الثائر شمش – شوم – اوكن ضد أخيه آشوربانيبال حيث أرسل كل من ابياتي (Abiiate) وعامو (Aamu) أبناء تيري (Te'ri) [٢] والذي يظهر أنهما كانا في حدود بابل آنذاك . كما جاء في النص التالي [٣] :-

"...الذي أقطع (نص–أعطى) قواه الحربية إلى ابياتي (و)
عامو ابنا تيري ، وهو أمرهم برسول خاص أن يساعدوا أخي
الشرير شمش شوم اوكن ...."

= وتحالفت في نهاية الأمر مع شمش / شوم / اوكن في الثورة على أخيه وأيضاً أبرمت إتفاقيات مماثلة مع كل من الآراميين والكلدانيين وكذلك العرب للوقوف أمام آشوربانيبال ولكن هذا التحالف فشل بعد مقاومة آشوربانيبال له واخماد ثورة أخيه وتفكيك تحالفه ومن ثمة تقدم آشوربانيبال نحو عاصمة عيلام وخربها وكذلك مدنها وأنهى على كيان تلك الدولة في شرق إمبراطوريته . انظر عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٩٤ .

(٢) (Abiiate) ابياتي (اب يتع) (ابياتع) – امو (عامو) – (ايمو) (امو–لادي) ، (Ti'ri) تيري (ثأر) (تور) (تاري) (تيعري) . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٠ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٢٥ . وكذا فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩٢ .

(٣) تابع للنص السابق . انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

ويشير النص أيضاً أن ياتاع لم يكتف بذلك أيضاً ، بل سعى على حض القبائل العربية الموالية لآشور ، للانضمام إليه ، وإعلان العصيان والتمرد على آشور بانيبال ، كما يشير النص أن ياتاع قد أرهق أولئك العرب أو قاطني أرض عريبو (بلاد العرب) بعد أن سلبهم ، وفرض عليهم إتاوات ضخمة أرهقتهم ، والتي شعر فيها آشوربانيبال بالظلم الذي أوقعه ياتاع على رعاياه ، وجعل من نفسه أي آشوربانيبال راعياً لهم من قبل المعبودة ، الذي كلفته برفع الظلم الواقع عليهم ، وفي الحقيقة ما هي إلا ذريعة أرادها آشوربانيبال للكيد بـ ياتاع بن خزائيل ، وإعادة بسط نفوذه على عريبو (بلاد العرب)، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...وأغرى (حرض) سكان عريبو (بلاد العرب) (لتلحق به) ثم سلب باستمرار الشعوب ، التي منحنا إياها آشور وأشتار (عشتار) والآلهة وبقية الآلهة الكبرى التي وضعتهم في قبضتي ولأكون راعياً عليهم ...."

وقد يستنتج الدارس من كل ذلك على أن منطقة عريبو ، أو بلاد العرب أو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كانت تحت نفوذ آشور ، رغم محاولات ياتاع في الانفصال عنها ، والذي نجح نوعاً ما في تأليب تلك القبائل ، ضد آشوربانيبال، وكما يشير آشور بانيبال في نصه السابق الذكر ، أنه تقدم بجيوشه نحوهم ، وقد تكون تلك المواجهات لم تتم في منطقة عريبو (بلاد العرب) ، بل في أطرافها الشمالية ، ثم بعد ذلك توغلت في أرضيها، وربما لم يشترك آشور بانيبال في هذه المعركة بنفسه، بل عن طريق أتباعه وقواده ، المتواجدين في تلك الأطراف الغربية ، للإمبراطورية الآشورية ، وخاصة تلك

---

(١) تابع للنص السابق . انظر

Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

القوات المتواجدة والمتمركزه في البادية السورية، والتي كانت تحت نفوذ آشور ، والتي تمتد من حماة شمالاً تقريباً ، وحتى آدوم جنوباً [١] ، أما بالنسبة لمنطقة عريبو أو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فقد كانت مركزاً اتخذه ياتاع وأتباعه، في مواجهة آشور ، والتي منها تنطلق فتيلة العصيان ضد آشور ، وكلما أحسَّ أولئك العرب بهزيمتهم لم يجدوا بداً من الفرار إليها ، والاحتماء ببادیتها الفسيحة، فتتبعتهم الجيوش الآشورية ، حيث يقع الغضب الآشوري على سكانها ، وينالوا من التنكيل والخراب والدمار الوانا شتى على يد الجيوش الآشورية ، كما يشير إلى ذلك النص التالي [٢] :-

"...وتبعاً لأوامر الوحي لآشور واشتار (أنا دعيت) جيشي وهزمته في معارك دموية موقعاً به هزائم لاتعد ولاتحصى عليه (وربحت) ...وفي هذه المعارك أنا حطمت كل قاطني عريبو (بلاد العرب) الذين ثاروا معه ولكن هو نفسه قد هرب من قبل الأسلحه الرهيبة لآشور إلى منطقة بعيدة وأشعلوا النيران في الخيام التي يعيشون فيها وحُرقت ...."

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٠ .

(2) Oppenhiem. A.L., op.cit. , p. 300 .

كما أشار النص إلى مواقع عدة منها جيرو (Giru) وازاريل (Azaril) و هيراتا (Hirata) وكاسيا (Kasaia) في آدوم (Edom) وفي ممر ايابرودو (Iabrudu) في بيت عمون (Beth-Ammon) وفي منطقة هورنا (Hournia) في مؤاب (Moab) وفي سارارا (Sa'arri) في هارجي في منطقة زوباه (Zobah) ، مع الأخذ في الاعتبارأن معظم تلك المواقع تقع خارج شبه الجزيرة العربية والتي أمكن التعرف عليها ومنها ازاريل التي تقع في بادية الشام وادوم ومؤاب. انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٤ .

كما يشير النص نفسه أن ياتاع هذا هرب خائفاً إلى إقليم نبـــاتي Nabate والذي يؤكد كثير من الباحثين [1] إلى أنهم الأنبـــــاط [2] ، القبيلـــة العربيـــة ،

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص١٧٢-١٧٣ . وكذا جواد علي : المرجـــع الســـابق ، ص٦٠١ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص١١٠ .

(٢) وهي عبارة عن قبيلة بدوية عربية نوعاً ما وعلى شيء من الأهمية وكانوا يعيشون في ذلك الوقت على مقربة من تيماء ومدائن صالح في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية أثناء غـــزوات آشـــوربانيبال حيث كانوا يقيمون على الطريق التجاري الهام الذي تمر به قوافل التوابل والبخور ، وقـــد كـــانت حياتهم في البداية تعتمد على الأغارة على القافلات للاستيلاء عليها بين الحين والآخر ثم لم يلبث الأمـر إلا وأن يتغير من سلب لتلك القوافل إلى فرض المكوس والضرائب على تلك القوافل مقابل عبورهـــا وضمان سلامتها ومع الوقت كان استقرارهم وظهور حضارتهم في كل من البتراء ومدائن صالح وقيـام مملكة خاصة بهم = في تلك الأرضين، امتد نفوذه في وقت من الأوقات مابين دمشق شمالا،وحتى شمـال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية والسواحل الشمالية الشرقية للبحر الأحمر جنوباً وقد ذكرهم ديـودور الصقلي في حروب " انتيجون" سنة ٣١٢ ق.م ويؤكد كثير من الباحثين أنهـــا هـــي المقصـــودة في نصوص الملك الآشوري آشوربانيبال باسم نباتي هذا وقد ورد ذكرها في الكتاب المقدس باسم نبيـوت في سفر التكوين الإصحاح ٢٥نص ١٤ " هذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم نبـــايوت بكر إسماعيل " ، على أن هناك من ينكر ظهور اسمهم قبل العصور الميلادية حيث لم يعثر لهم علـى أي ذكر في الوثائق الآشورية أو البابلية أو الفارسية حسب رأيه وهو سيد علي أحمد النـاصري ، وفيمـا يرى آخرون أن أقدم ذكر للأنباط يرجع إلى فترة أسبق من عصر آشوربانيبال وقد يرجع بدأ ذكرهـم إلى عهد الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث لأول مرة ، وهناك رأي يذهب على أنهم من العـــرب القحطانيين الذين هاجروا من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية نحو شمالها الغربي . ومن الجدير بـالذكر أن Knauf يذهب إلى أن الأنباط يرجعون في أصلهم إلى القيداريين ، ولعل من الأهمية بمكان الإشـارة إلى أن النصوص التي دونها آشوربانيبال على النبتيين تصفهم من جملة الأقوام التي لم تخضع لعبوديـة أي ملك من ملوك آشور السابقين ويعد نفسه أي آشوربانيبال أول ملك أخضع تلك القبيلة وفي ذلـــك تأكيد على أنها كانت تسكن في الأطراف الداخلية من شمال غرب شبه الجزيرة العربية لأنه لم يجعلـــه من جملة قبائل البادية السورية . انظر

محمد عبد القادر محمد : الساميون ، ص١٧٢-١٧٣ . وكذا جـــواد علـــي : المرجـــع الســـابق ، ص٦٠١-٦٠٤ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص١١٠ . وكذا نسيب وهيبة الخازن : المرجـع

=

التي استوطنت الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، في تلك الحقبة التاريخية ، وكانوا ينتشرون في مناطق متفرقة منها ، ما بين مدائن صالح (العلا) جنوباً ، وعلى طول الخط التجاري الهام وحتى دمشق ، قبل أن يستقر بهم الحال في منطقة البتراء ، حيث أشار نص آشوربانيبال إلى [١] التالي [٢] :-

"...ياتاع ارتاب وهرب وحيداً إلى إقليم نباتي ، ياتاع هوب إلى إقليم نباتي وهو ذهب لرؤية ناتنو الآخر قال كما يأتي لياتاع: كيف يمكنني إنقاذك من آشور لأنك لم تخصني (بزيارتك) في قوتك [٣]...."

= السابق ، ص١٤٠ . وكذا حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص٦٧ .وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٢-٥ . وكذا سيد أحمد علي الناصري : تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللستيني ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص٣١١-٣١٢.وكذا فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩١ . وكذا الموسوعة الأثرية العالمية ، ص١٧٢-١٧٣ . وكذا

Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p. 315 ; Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.300-301 ; Knauf. E.A. , Nabataean Origins in Arabian Studies in Honour of Mahmmud Ghul (1984) Wiesbad en 1989 , pp.66-61 .

(١) تشير النصوص الخاصة بملك النباتين والتي دونها آشور بانيبال بأنهم من الأقوام التي لم تخضع لعبودية أي ملك من ملوك آشور السابقين ويعد نفسه ، أي آشوربانيبال أول ملك أخضع هذه القبيلة ، وفي هذا تأكيد على أنها كانت نسكن في الأطراف الداخلية من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية لأنه لم يجمع القبيلة إلى باقي قبائل البادية السورية . انظر

Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.300-301

(2) Ibid , p. 298 .

(٣) يشير جواد علي أن ناتنو قبض على ياتاع وأرسله إلى آشور بانيبال الذي وضعه في قفص وطاف به مدينة (نينوى) ليراه الناس ، وأمر بعرضه على أحد أبواب المدينة . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٢ .

وكما يتضح من النص أن ياتاع طلب من زعيم أو ملك النباتيين (النبطين) ، والذي دعاه النص باسم ناتنو (Natnu) للمساعدة في التصدي لملك آشور ، إلا أن الآخر رفض ذلك خشية على نفسه ، وعلى قبيلته ، من المشاركة في معركة خاسرة ، وبلاشك ، خاصة وأن ياتاع قدم إليه ، وجيوش آشور تتبعه منهزماً .

وربما الحال يتغير لو قدم عليه منتصراً ، ومهما يكن من أمر ، فإننا نجد ناتنو يسارع ، بعد أن رفض في مشاركة ياتاع ضد آشور ، إلى تلطيف الجو بينه وبين آشوربانيبال ، خشية أن يصله بطش الجيوش الآشورية ، المتواجدة في المنطقة، فما كان منه إلا أن يرسل رسولاً إلى آشور بانيبال ، يعلن فيه ولاءه لآشور ، ويتعهد فيه بدفع الجزية له كما جاء في النص التالي [1] :-

"...ناتنو كان خائفاً وقد حوصر بالقلق وأرسل رسله للاستعلام عن صحتي وقبل قدماي وهو توسل لي تكراراً (كسيده) لجعل السلام موقفه مع حلف الإيمان ليصبح خادماً لي ، وأخيراً ان نظرت إليه بصداقة ومحولاً له وجهاً مبتسماً وفرضت عليه جزية سنوية ...."

ومن المرجح أنه في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الآشورية تتابع الثائر العربي ياتاع في البادية السورية ، وفي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وتلاحقه من موضع إلى آخر، وتلحق به الهزيمة تلو الهزيمة ، كان قائداه اللذين كلفا من قبله لمساندة أخيه الثائر ضده في بابل ، هما الآخرين قد وقعا في قبضة الجيوش الآشورية ، التابعة لآشوربانيبال ، أثناء حصارها لبابل ، حيث أوقعت بهم هزيمة تلو هزيمة ، وذلك على مرحلتين ، كما تصورها نصوصه على الغالب ، فإحداها كانت أثناء الحصار، الذي ضربته الجيوش الآشورية على بابل ، حيث

---

(١) تابع للنص السابق .

أدركت بعض الجيوش المتحالفة قبل دخولها إلى بابل ، فأوقعت بهم هزيمة في حين تمكن بعض أتباع قواده من دخول بابل ، في الوقت الذي طوقت فيـه الجيـوش الآشورية بابل ، فلما اشتد الحصار من الداخل ، حاول أتباع ياتاع من الفـرار ، أو فك الحصار المفروض عليهم ، فهبوا إلى الخروج ، حيث كانت لهم الجيـوش الآشورية بالمرصاد ، فأوقعت بهم هزيمة ثانية دفعت ببعض أتباعه إلى اللجـوء إلى آشور بانيبال ، طلباً للصفح منه والاستسلام له ، وكان منهم أو على رأسـهم أحد قادة ياتاع ، وهو ابياتي ابن تيري ، الذي أعلن ولاءه لآشور بانيبال ، فقبـل منه ذلك ، وجعله ملكا على عريبو (بلاد العرب) ، بدلاً من ياتاع بن خزائيـل، الذي رأى فيه آشور بانيبال متمرداً على آشور ، كما ذكر ذلك في النص التـالي (1) :-

"...وهزمت جنود ابياتي (و) عاموابناتيري الذين سـاروا لمساعدة شمش شوم اوكن أخي الشـرير حيـث كـانوا (يهمون) لدخول بابل ، والباقين الذين نجحوا في دخـول بابل كانوا هناك وكل منهم يشبع بعد جوع كاسر ، وأخيراً عملوا هجمة خروج من بابل لإنقاذ حياتهم وقوايـا (مـع ذلك) تمركزت هناك ضد شمش شوم اوكن وأحدثت بهـم هزيمة ثانية عليهم (لدرجة) أنه (ابياتي) هـرب منفـرداً محاصراً وقبل قدميَّ لأنقذ حياته وأنا رحمته وجعلته يقسـم بحياة الآلهة الكبرى ، وعينته بدلاً من ياتاع بن خزائيل ملكـاً على عريبو (بلاد العرب) ...."

ويضيف في نص آخر صورة أوضح لجعل أبياتي بن تيري ملكاً (2) :-

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

(2) Ibid.

"...ابياتي بن تيري أتى إلى نينوى وقبل قدمي ، وعملت ميثاقا وحلفا معه وجعلت حالته كخادم لي، وجعلته ملكاً بدلاً من ياتاع (و) أي شخص آخر ، أنا فرضت عليه جزية سنوية ذهب ، وخرز يشبه شكل العين ، وحجر بودال وأتيمون جمال وأسطبل حمير ...."

وعلى ما يبدو أن ياتاع بعد أن يئس من مساندة النبطين له ، اتجه نحو القيداريين لمناصرته ، ضد آشور ، حيث كان له ذلك ، فتشير حوليات الملك الآشوري آشوربانيبال إلى أن تحالفاً قد تم بين ياتاع ، والذي أطلق عليه هنا اسم ملك الإسماعيلين Ishmael (Su-Mu-Ll) ، وهوربما كان اندماجاً تم بين المشايخ العربية القاطنة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وبين شيوخ قبيلة القيداريين القاطنين شمال مواقعهم حيث التقى بـ امولادي (١) ملك القيداريين Ammulad King of Qedar ، كما جاء في النص التالي (٢) :-

"...أنا أمسكت ياتاع حياً ملك إسماعيل (الإسماعيليين) (والذي كان متفقاً) معه (مثل شمش – شوم – اوكن) امولادي ملك قيدار الذي سقط في أيدي قواتي في معركة قتال ، وهمّ (جيشي) فأحضروه (لي) حياً ...."

يستنبط من النص ، أن التحالف قد تم بين ياتاع بن خزائيل ، وبين امولادي ملك قيدار ، للتصدي للملك الآشوري آشوربانيبال ، وأن هذه المعركة التي أشار عليها في النص ، لم تكنْ في بلاد العرب ، بل في المناطق التابعة لآشور ،

---

(١) (امولاتي) (عمولاطي) (امولاطي) . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠١ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 300 .

والواقعة على غرب إمبراطوريتهم ، والتي تعرف بأرض الأموريين [1] ، وهي المناطق الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية ، والمتاخمة لبادية الشام ، وشرق فلسطين ، والتي يصفها آشوربانيبال ، بأن المعبودة الكبرى كآشور وأشتار، وهبتها له كأملاك ، كما ذكر ذلك في النص التالي [2] :-

"...امولادي مع ذلك ملك قيدار ارتفع إلى محاربة ملوك الأرض الغربية حيث آشور وأشتار الملوك الكبرى (الأخرى) أعطاني هي كأملاك وتبعاً للوحي الإلهامي (المعطى بواسطة) آشور وسن وشاماس وأداد وبيل ونيبو وأشتار نينوى ملكة كيدموري - أشتار لارابيلا ونييورتا ونيرجال (و) نوسكو وأنا حققت هزيمة عليه وحاصرته حياً وكذلك عاديا زوجة ياتاع ملك عريبو (بلاد العرب) وأحضرهم إلي ...."

وكما يظهر من النص ، أنه بفضل تلك المعبودة التي ذكرها تمكن من هزيمته ومحاصرة امولادى حياً ، ويضيف في النص أن من جملة من أسر وهزم في تلك المعارك امرأة أطلق عليها اسم عاديا (عديا) (Adia) [3] ، وكناها بزوجة ياتاع ملكة عريبو (بلاد العرب) ، وأنه أحضرها مع امولادي إلى نينوى ، وهذا ما يدفع إلى القول بـ اشتراك ياتاع في تلك المعارك ، إلا أنه ربما فر من أرض

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٠ .

(2) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 298 .

وأن تلك المعركة كانت في حوالي سنة ٦٤٨ ق.م . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦٠١ .

(٣) (Adia) (عاديا) (عاديه) (Adija) (عدية) . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠١ .

المعركة ، في حين سقطت زوجته في الأسر . كما يشير في نص آخر [١] ، أنها كانت تعيش في معسكر خاص بها أحرقته جيوش آشوربانيبال ، والتي وصفها النص أيضاً بملكة عريبو "بلاد العرب" ، والتي يبدو أنها كانت تتزعم ذلك المعسكر ، الذي حاربته جيوش آشوربانيبال وأحرقته ، كما ذكر ذلك في النص التالي [٢] :-

"...وبالمثل عاديا ملكة عريبو (بلاد العرب) أنا حققت هزيمة دموية لها وحرقت خيامها وحاصرتها حية وحملتها مع بعض السجناء (الأسرى) إلى آشور (نينوى) ...."

ولعل من الجدير بالذكر أن معظم معارك آشوربانيبال تلك ، لم يقم بها بنفسه ، وإنما كلف بها بعض قواده ، أو شيوخ وأمراء المناطق التابعة له ، كما يلاحظ ذلك من النص التالي [٣] بعد ذكر عدد من المعبودة السابقة :-

"...الذي جعل القوة - لكاماشالتو ، ملك مؤاب الخادم التابع لي ، الذي حقق هزيمة في معركة مفتوحة حول امولادي ملك قيدار ...امولادي نفسه أسر ...."

وكما يتضح من النص ، أن الذي قام بتلك المعركة ضد امولادي ملك القيداريين، وعاديا ملكة بلاد العرب ، كان الملك كاماشلتو (Kamashaltu) ، ملك مؤاب (Moab) ، الذي وصفه النص بأنه كان أحد أتباع الملك الآشوري

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

(2) Ibid.

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p.298 .

آشوربانيبال ، وتحت لوائه . وهكذا كانت نهاية امولادي ملك القيداريين حيث أسر وحمل إلى نينوى وصلب هناك ، كما جاء في النص التالي (١) :-

"...تبعاً للأمر (الإلهامي) للآلهة الكبرى وسيدي
أنا وضعت طوق كلب فوقه وجعلته يراقب العمود عند
(بوابة المدينة) ...."

وعلى ما يبدو أنه وضع مكانة ياتاع بن بيردادا ، الذي كان خالاً لـ ياتاع بن خزائيل (٢) ، حيث يشير في أحد نصوصه أن القيداريين أصبحوا تحت لواء ياتاع بن بيردادا ، الذي وقع في الأسر ، في أحد المعارك ضد آشوربانيبال وحملوا بعد أسرهم في الطريق نحو دمشق ، وكان بصحبته أصنامه ، ووالدته وأخته وزوجته وعائلته ، بالإضافة إلى غنائم أخرى كثيرة ، وصفها النص الذي جاء فيه (٣) :-

"...وأن القيداريين تحت ياتاع ابن بيردادا جعلوا يمشون
(معي) في طريق دمشق و (أيضاً) آلهته (أصنامه)
ووالدته وأخته وزوجته وعائلته (نسبة من جهة أمه)
(و) كل النساء الأخريات لقيدار والحمير والجمال
والماشية الصغيرة وكذلك العديد أخذها بمساعدة آشور
وأشتار – أسيادي ...."

---

(1) Ibid.

وقد أضافه Lukenpill D.D. في أثناء حديثه عن صراع امولادي مع آشوربانيبال وكانت نهايته تلك . انظر

Luckenbill. D.D.,vol.II, p. 315 (821) (822) .

(2) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 298 .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 299 .

وعلى مايبدو أن ليس كل القيداريين وقعوا في قبضة آشور بانيبال ، الذي ربما خرج بنفسه على رأس تلك الحملة ، حيث تشير حولياته أنه عقب تلك المعركة ، التي خاضها ضد ياتاع ابن بيردادا ، تقدم آشوربانيبال لملاقات اتحاد جديد ، بين أبياتي الذي نصبه آشوربانيبال ملك لعريبو (بلاد العرب) ، حيث ثار العرب مرة ثانية ضد آشور بانبيال أو ضد الدولة الآشورية ، وكان قائد تلك الثورة الجديدة هو الملك المتوج ابياتي بن تيري ، وكما يشير النص أنه كان يقوم بحملات متكررة ضد الملوك الغربيين ، التابعين لآشور ، مثله مثل امولادي ملك القيداريين السابق، وهذا تأكيد على أن ابياتي بن تاري كان يحكم في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وكان يخرج للغزوات بين الحين والآخر ، ويعقد التحالفات المختلفة ، مع زعماء القبائل العربية المتواجدة على خط التجارة العالمي آنذاك [١] ، وخاصة تلك التي تأبى أن يحكمها الآشوريون ، فقد أشار النص إلى الربط بين عصيان امولادي وابياتي في اثارة الحروب ضد الممالك والمدن الموالية لآشور ، والواقعة تقريباً في الحدود الشمالية المتاخمة لشمال شبه الجزيرة العربية ، عند مؤاب ، وهو نفس النص السابق ، الذي أشار فيه آشوربانبيال إلى تصدي أحد أتباعه، وهو حاكم مؤاب كاماشالتو ضد امولادي . حيث تصدى الملك لابياتي ، الذي وصفه النص بأنه هرب من أمام جيوشه ، في حين وقع بعض أتباعه في الأسر وحملوا إلى نينوى ، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...ابياتي الذي ثار وعمل غزوات ضد ملوك الأرض الغربية
...أناس ابياتي الذي هرب من قبل
وضعوا في القيود واغلال الحديد في أقدامهم
وأرسلوا إلى نينوى ...."

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص٩٣ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

ويجد الدارس أن من الأهمية بمكان ، أن نجري دراسة بسيطة ، حول المقصود بـ كل من قيدار [1] و (عريبو) " بلاد العرب " ، والتي وردتا في معظم الكتابات الآشورية ، منذ عهد شلمنصر الثالث ، وحتى آشور بانيبال ، ذكرت دائماً مقرونة بأسماء عربية لرجال ، أو مقرونة بأسماء ملكات عربيات ، كنّ يحكمن ، بعضهن في منطقة " أدوماتو " أو دومة الجندل وما حولها ، وكان آخر من ذكر منهم الملكة تلخونو ، والتي شاركها في الحكم الملك خزائيل ، الذي عرف بملك عريبو " بلاد العرب " ، وعرف أيضاً بملك قيدار [2] . وقد جاء ذكره بتلك الصفة مرة واحدة ، في أحد نصوص الملك الآشوري آشوربانيبال ، حيث أن معظم التراجم التي ذكرها كلاً من Luckenbill وكذا Oppenhiem.A.L. لاتنص على أن خزائيل هذا كان ملكا على القيداريين باستثناء

---

(١) ينسب القيداريون إلى قيدار بن إسماعيل كما ورد ذلك في سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرين نص : ١٤ " وهذه أسماء أبناء إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم نبايوت بكر إسماعيل وقيدار " وفي سفر أرميا الإصحاح التاسع والأربعين ، نص : ٢٦-٢٩ ، بأنهم كانوا يعيشون في الخيام وبجوار قبائل حاصور " قوموا اصعدوا إلى قيدار اخربوا بني المشرق يأخذون خيامهم وغنمهم " أرميا ٤٩-٢٨-٢٩. ويرى السواح أن مدينتهم سالع التي هي البتراء في نظره وكما يرى أيضاً أن النبطيين ما هم إلا فريق من القيداريين وأن القيداريين ورثوا ما كان للأدوميون من أراض وقد نسب الإخباريون المسلمين العرب إلى قيدار ولايستبعد جواد علي مجاورة القيداريين للأنباط وهم بذلك يسكنون منطقة ما بشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية موقع (عريبو) وهناك من جعل قاعدتهم حول مدينة تدمر وفي مناطق جنوب دمشق وقيل إن دومة الجندل من أراضيهم وربما كان لصلة القربى بين القيداريين وبين خزائيل السبب الذي دفع بالمؤرخين إلى جعل ياتاع بن خزائيل ملكا على القيداريين . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٤١٥ . وكذا فراس السواح : المرجع السابق ، ص٢٩٤ . وكذا عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٢ . وكذا نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٥٧ . وكذا

Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p.337 (869) .

(٢) جواد علي: المرجع السابق، ص٥٩٠-٥٩١.وكذا عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق، ص٨٢.

النص الذي أورده Luckenbill وأشار فيه على أن ياتاع Uata ابن خزائيل ملك قيدار وجاء بالصيغه التالية [1] :-

"...ياتاع ابن خزائيل ملك قيدار ...."

في حين أن معظم النصوص الأخرى تذكر ياتاع Uata بلقب ملك عريبو (بلاد العرب) ، وفي الوقت نفسه فقد ورد في نص آخر [2] إشارة إلى اسم شخص آخر دعته بـ ياتاع Uate ابن بيردادا (Bir-Dadda) وجعلته أي ياتاع ابن بيردادا قائداً على قبائل القيداريين ، ونصبته خالاً لـ ياتاع بن خزائيل ، ملك (عريبو) (بلاد العرب) [3] ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره نص آخر أيضاً [4] لمسمى ملك القيداريين ، عرفه باسم امولادي (Ammuladi) ملك قيدار (Qedar) (Kedar) .

وإذا ما أخذنا بذلك التميز الذي ذكرته النصوص الآشورية ، باستمرار في التفرقة بين أسماء ملوك عريبو (بلاد العرب) ، وأسماء ملوك آخرين ينسبون إلى قبائل القيداريين، فأن لكل من اللفظتين مدلولها الخاص ، والذي يمكن تقسيمه إلى فترتين : فترة أولى منذ ظهور لفظة عريبو في عهد شلمنصر الثالث وحتى عهد آشوربانيبال ، وهي فترة تميزت فيها كل لفظة بمدلولها السياسي الخاص بها ، ثم كانت الفترة الثانية في عهد آشوربانيبال ، والتي شهدت تدخلات سريعة ومتقلبة من قبل حكام آشور، وبين تحرشات وتصد من قبل حكام شمال وشمال غرب شبه

---

(1) Luckenbill. D.D.,op.cit. , vol.II , p. 337 (869) .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298-299 .

(3) Ibid , p. 298 .

جعل فيصل الوائلي ترجمته بـ ابن أخ والد ياتاع بن بيردادا أي ابن عمه . انظر فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩١ .

(4) Oppenhiem.A.L.,op.cit.,p. 298 ; Winett. F.V. & Reed. W.L.,op.cit.,p. 71 .

الجزيرة العربية ، في شكل تكتل قبلي ، تحت زعامة موحدة ، مهمتها التصدي لانتشار النفوذ الآشوري على منطقتهم، التي تتمتع بموقعها الاقتصادي الهام ، على خط التجارة العالمي آنذاك ، حيث شكلوا تلك التحالفات مع القوة العربية الأخرى ، المتواجدة في أطراف بادينهم أو متفردين عنها كالقيداريين ، والتي شهدت صلة قرابة بين ياتاع بن خزائيل ملك بلاد العرب ، وبين ياتاع بن بيردادا ملك قيدار ، فكان على أيام الملك الآشوري آشوربانيبال حيث اندمجت قبيلة قيدار ، مع باقي القبائل العربية ، المنتشرة في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي تعرف بـ عريبو ، وحيث إن اسم قيدار كان الأميز عرفاً، بين القبائل الأخرى ، فقد ظهر مسمى قبيلة قيدار ، كاسم علم على العرب سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وعليه يمكن القول بأن ياتاع وغيره من أسماء ملوك العرب ، أو ملكات العرب ، والذين ذكروا مصحوبين بلفظة عريبو أو قيدار ، إنما كان يقصد بهم سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والذين عرفوا أيضاً في النصوص الآشورية فيما بعد بالقبائل الإسماعيلية (1) ، وليس من المستبعد أن يكونوا في شكل قبائل رحل ، تنزح بين الحين والآخر نحو الشمال ، ونحو الجنوب ، وتتصل بالقبائل العربية الأخرى ، المتواجدة في تلك الأرضين ، حيث شكلا معاً جبهه قوية ، أمام ممالك الشرق الأدنى القديم ، والتي تحاول بسط نفوذها على تلك الأرضين ، والتي على ضوئها تتحدد نوعية تلك العلاقات المختلفة بينهما ، وحسب ما تتضح معالم كل منهم ، مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك التميز الذي حصل من قبل الآشوريين ، كان نابعاً من عدم معرفتهم للعرب معرفة دقيقة ، ولذلك وقع التميز والاختلاف بين مملكه عريبو "بلاد العرب" ، والقيداريين ،

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit , p. 300 .

والتي هي في الأصل مملكة واحدة ذات مسميين ، مسمى خاص بقبيلة، ومسمى عام لبقية القبائل التي اندرجت تحت لوائها ، وعرف كل ذلك بمسمى قيدار [١].

وبعودة إلى ذي بدأ ، فقد تصدى الملك الآشوري آشوربانيبال إلى ابياتي ابن تيري الذي أعلن العصيان عليه ، ويذهب بعض الباحثين [٢] أن ثورة ابياتي تلك كانت أثناء انشغال آشور بانبيال ، بحروبه مع العيلاميين ، في شرق الإمبراطورية الآشورية ، والتي كانت في ما بين عامي (٦٤١-٦٤٠ ق.م). حيث استطاع ابياتي أن يشكل تحالفاً ، ضم ياتاع بن بيردادا زعيم القيداريين الجديد ، ضد آشوربانبيال ، فلما أصابتهم الهزائم من قبل جيوش آشوربانبيال ، في البادية السورية ، والأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية، فر ابياتي إلىداخل شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وأراد أن يتحالف مع النبتيين ، الذين سبق وأن رفضو المشاركة مع ثورة ياتاع بن خزائيل ، كما ذكر ذلك في النص الذي جاء فيه التالي [٣] :-

"...ولكن هو ذهب إلى التفاهم مع إقليم نابياتين لم يكن خائفاً من (الأقسام التي حلفها) لحياة الآلهة الكبرى ، وعمل باستمرار حملات في أطراف إقليم ناتنو ملك نابياتي الذي قطع مسافة كبيرة وإليه ياتاع قد هرب - سمع خلال التوسط لآشور وسين شاماس بعدد السماد الآلهات بحول وقوة آشور الذي وهب لي قوتي والذي لم يرسل رسالة إلى أجدادي الملوك ليجيبهم كملوك للاستعلام عن صحتهم

---

(١) هتون اجواد الفاسى : الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية ، في الفترة ما بين القرن السادس ق.م والقرن الثاني الميلادي ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، ص٦٤ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٣ .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.298- 99 .

ويستعلم (الآن) خائفاً من الأدرع المنتصرة لآشور (بمثابرة) جداً بعد صحتي الملكية ولكن ابياتي بن تيري تحاشى الفرصة الحسنة وبدون عقل للأقسام التي حلفها (حتى) للآلهة الكبرى وتكلم في تمرد ضدي وأتى للتفاهم مع ناتنو ملك نابياتي وجمعوا قواهم لهجوم خطر ضد البلاد التابعة لي ...."

ونتيجة لذلك خرجت الجيوش الآشورية من نينوى ، تجاه ذلك التحالف المضاد لها ، حيث اشتبكت الجيوش الآشورية مع ذلك التحالف المضاد القوى ، والذي يقع كما يظهر من بعض أسماء مواقعه ، أنه في أطراف البادية السورية ، وربما امتد ذلك حتى الأطراف الجنوبية منها ، والمتاخمة لمنطقة شمال شبه الجزيرة العربية ، حيث كان يتواجد أتباع كل من ياتاع ملك عريبو وحلفائه ، بالإضافة إلى ابياتي ومن معه من القيداريين ، وكذلك ناتنو ملك النبطين ، الذين انضموا معاً ليشتبكوا في معركة فاصلة ضد آشور ولا يُستَبعد أن يكون آشور بانبيال قد اشترك فيها بنفسه ، وقد أسهب في وصف تفصيل تلك الحملة ، حيث خرج العرب من منطقتهم نحوه، والتقى بهم في مواقع مختلفة ، والتي أسفرت في نهاية الأمر إلى أسر جميع الذين شاركوا ضده بعد هزيمتهم ، وحملوا إلى عاصمته ، وصلبوا هناك ، ومنهم من أعفى عنهم ، وعلى رأسهم ياتاع بن خزائيل الذي قد يكون قد تزعم ذلك التحالف ، نظراً لخبرته الطويلة في الصراع ضد آشور، والذي لقبته النصوص الآشورية بملك الإسماعيليين [1]، ولعل في تلك التسمية وذلك التحالف ، إشارة واضحة ، على أن تلك المناطق ، كانت تسكنها القبائل، التي تنتمي في جذورها إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، والتي كانت تستوطن تلك الأرضين ، وعلى رأسها منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة

---

(١) فراس السواح : المرجع السابق ، ص٢٩٢ .

العربية ، التي عاصرت تحركات آشوربانيبال ، في توسعاته في أقاليم الشرق الأدنى القديم ، وهذه مقتطفات من النص المذكور [١] :-

"...تبعاً لأمر وحي آشور ...(وبعدد الآلهة حتى ناسكو) أنا دعوت جيشي وأخذت الطريق المباشر ضد ابياتي وهو (جيشي) وعبر بسلام نهر دجلة والفرات (ثم يضيف النص طريق تلك الرحلة حتى ما وصلوا إلى منطقة الصحراء) فإنهم مشوا نحو الصحراء وشعروا بالعطش والحيات حيث لايوجد حتى الطيور في السماء وحيث لاتوجد حتى الحمير الوحشية ولامراعي للغزال تابعين ياتاع ملك عريبو (بلاد العرب) وابياتي الذي مشى مع قواه لإقليم نبياتي ...وحققت انتصاراً على قبيلة أسامس في اتحاد (عبادة) الآلهة عشترسامين (عشتر السماء) والنبتيين [٢] بين مدن أياركي وازالة في داخل الصحراء ...وأخذت كغنيمة منهم سجناء لاحصر لهم ، والحمير والجمال والماشية الصغيرة [٣] ...."

---

(١) أقتصر الدارس على مقتطفات من النص للإستدلال بها فقط ، حيث يشير النص إلى الطريق الذي سلكته الجيوش الآشورية ، والذي هو من الواضح خارج حدود شبه الجزيرة ، وكذلك الوقت الذي سلكته الجيوش الآشورية ، والذي أشار إليه النص بالساعة المضاعفة التي تعرف في بلاد الرافدين. انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.298-300 .

(٢) يشير فيصل الوائلي إلى اتحاد عبادة عشتر سا مين (عشتر السماء) بانه مسمى قبيلة . انظر فيصل الوائلي : المرجع السابق ، ص٩٣ . وكذا
Luckenbill. D.D.,op.cit.,vol.II,p.315 (823) .

(٣) (ياركي) Iarki (يركي) (أرك) وتقع شرق تدمر Azalla (ازلة) في بادية تدمر بين يركي ودمشق . انظر
جواد علي : المرجع السابق ، ص٦٠٣ .

ثم يشير إلى حروبه ضد القيداريين ، تحت ياتاع بن بيردادا ، الذي وقع هو ومن معه في الأسر ، وحملو معه إلى دمشق [١] ، في حين ابياتي تجهز بجيش قوي كان من بينه القيداريون الذين لم يقعوا في الأسر حيث هزموا أيضاً على يد آشوربانبيال، كما جاء في النص التالي :-

"...ومسكت أتحاد ابياتي ملك تاري (مع) القيداريين على جبال خوركرينا وأوقعت الهزيمة بهم حاملاً (بعض) الغنائم بعيداً عنه ، وخلال المعركة وتبعاً لأمر الوحي (المعطى) بواسطة آشور وأشتار -أسيادي - فأنا حاربت بنفسي ابياتي (و) عامو أبناء تيري أحياء ووضعت فيهم الأغلال " القيود الحديدية " على أيديهم وأرجلهم وأحضرتهم إلى آشور معاً مع الغنائم التي (جمعتها) من إقليمهم ...."

ويصف النص بعد ذلك حال الهاربين من بطشه ، وكذلك جملة الغنائم ، التي كسبها من تلك المعارك ، وكيف كان هلاك الكثير من أولئك الجنود ، الذين شاركوا في تلك المعارك ضده ، حيث هلك معظمهم من العطش [٢] ، ثم

---

(١) انظر ص (٢٧٤) من البحث . وكذا Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 298 .

(٢) ...الهاربون الذين هربوا من غاراتي هلكوا من العطش والحيات (الافاعي) والآخرون شقوا بطون الجمال وسيلتهم (الوحيدة) في الانتقال شربوا الدماء والماء القذر ضد عطشهم ..ومسكتهم كلهم بنفسي في أماكن اختبائهم أناس لاعدد لهم من ذكور وأناث وحمير وجمال وماشية كبيرة وصغيرة أنا قدمتها كغنيمة لآشور ...وأنا كونت قطعان الماشية الغير مجمعة والتي كانت نعاجاً فقسمتها (بينهم) لكل سكان آشور ، والجمال التي أحضرت إلى وطني سعرها أصبح لأقل من شيكل واحد من الذهب في مكان السوق ، وزوجة حارس البندق استلمت الجمال حتى العبيد كهدية وصانع البيرة (لهابو) وحارس سلة البلح الطازج .... انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.298-300 .

يصف بعد ذلك حال ياتاع وجيشه وما أصابه ، وأصاب أتباعه ، من جراء حملات آشوربانيبال نحوهم ، حيث جاء في النص التالي :-

"...ياتاع وكذلك جيشه الذي لم يحفظ القسم المحلوف لي وهرب قبل الغارة إلى آشور سيدي وهرب منهم والقحط حل بينهم وأكلوا لحم أطفالهم مرة أخرى من جوعهم ، وآشور وسن وشماس بعدد المعبود (التي) هزمتهم بسرعة (بكل) اللعنات المكتوبة في أقسامهم والمحلوفة ، وحتى عندما صغار الجمال والحمير وولد البقرة أو الخروف عندما ترضع عدة مرات (مثل ٧ مرات) من أمهاتها الحيوانات فإنها لاتشبع (نص:تشبع) معدتها باللبن ، وهنا سئل سكان عريبو (بلاد العرب) بعضهم البعض لحساب النحس والشؤم الذي أصاب عريبو(بلاد العرب) فإنهم يجيبون لأننا لم نحفظ الأقسام والأيمان المحلوفة لآشور ولأننا أخطانا في صداقة آشور بانيبلل الملك والمحب بواسطة اينليل ...."

هذا ويختم آشوربانيبال نصه مفتخرا بانتصراته تلك ، وبنصر آلهته المختلفة ضد عريبو (بلاد العرب) ، وكيف أنها أنزلت النار عليهم و(الغضب) والوباء، وجاء فيه :-

"...والتي أسقطت النيران فوق عريبو (ارار) والجنود المسلحين ومع اتونتو سحقت تحت الأقدام أعدائي ...."

ثم يصف حالة ياتاع بن خزائيل الأخيرة ، عندما اقتربت منه جيوش آشوربانيبال ، بالتالي :-

"...وعندما سمعت فصائل ياتاع اقتراب أسلحتي القوية لآشور وعشتار – الآلهة الكبرى – أسيادي والذين خلال المعركة يأتون لمساعدتي ويثورون ضده ، هو أصبح خائفاً وترك المترل (سانسيواري) الذي لجأ فيه إلى العراء هو هرب ولهذا أنا

مسكته شخصياً بفضل الوحي للالهة (يعدد الآلهة السابقة) وأحضرته إلى آشور وتبعاً لأمر الوحي لأشتار واينليل فأنا ثقبت وجناته برمح حاد سلاحي الخاص الذي أقبض عليه بيدى واستسله للمعارضة ضدي، وأنا وضعت حلقة في فكه ووضعت حلقة كلب حول عنقه وجعلته يحرس عمود من البوابة الشرقية لبوابة نينوى والتي تسمى نيريب – ماسناك – ادناتي (وأخيراً) أنا رحمته ومنحته حياته في سبيل حمد وشكر مجد آشور وأشتار (و) الآلهة الكبرى – أسيادي ....."

ومن المرجح أن ياتاع المذكور هنا هو ياتاع بن خزائيل ، وليس ياتاع بن بيردادا ، فقد ورد نص يذكر فيه آشور بانيبال أن ياتاع بن بيردادا طلب أن يكون ، أو رشح نفسه ليكون ملكا على عريبو ، ولكن رجع وغير عقله عند آشوربانيبال ، وأنه رضى بالحكم الذي يصدر بحقه من قبل آشور بانيبال ، وأن الأخير قبل ذلك حيث حكم عليه بالصلب على نفس البوابة التي صلب عليها ياتاع بن خزائيل فيما بعد ، كما جاء في النص التالى (1) :-

"...بالمثل (الآخر) ياتاع بن خزائيل ابن أخت ياتاع ابن بيردادا الذي جعل نفسه ملكا على عريبو (بلاد العرب)، آشور ملك الآلهة والجبال العالية جعله يغير عقله وأتى إلي (في خضوع) ولتوضيح ذلك فإن آشور الآلهة الكبرى وأسيادي (الأغنياء) في الشكر الأعلى أنا فرضت العقاب الثقيل (الآتي) هو قبل الحكم الآتي أنا وضعت عليه عمود فوق رقبته مع دب وكلب وجعلت وقوفه كحارس على بوابة نينوى (التي تسمى) نيريب – ماسناك – ادناتي ...."

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 300 .

وهكذا امعن آشوربانيبال في إهانته [١] .

وفي نصوص متفرقة يذكر آشوربانيبال بعض الإشارات عن نهاية الأشخاص الذين تصدوا له ، وأعلنوا عصيانهم عليه ، ومنهم عاموا بن تيري أخوا بياتي ، حيث يشير أنه قبض عليه ، وسلخه في نينوى ، كما جاء في النص التالي [٢] :-

"...آشور قدم لي وخلال المعركة أنا حاصرت شخصياً عاموا بن تيري (الذي) حارب مع ابياتي أخوه وأنا سلخته في نينوى المدينة (التي أمارس) منها حكمي ...."

كما يشير إلى نهاية ناتنو ملك النبتيين (النبطيين) ، الذي تحالف ضده والذي خضع واستسلم لآشوربانيبال ، كما جاء في النص التالي [٣] :-

"...ناتنو ملك نباياتي والذي يكون إقليمه بعيداً ، ولم يخضع إلى حكم أجدادي الملوك ركع في عبوديتي ولهذا وتبعاً لأوامر الوحي من آشور ونينليل الآلهة الكبرى وأسيادي الذي (عليه) شجعني وأنا هزمت ياتاع الذي وضع ثقته (في مساعدة) إقليم نباياتي ولهذا السبب أمسك مرجعاً هداياه والجزية أنا حولت المدن إلى تلال خرائب وأكوام من التراب وأنا أنقذته هو نفسه وزوجته وأطفاله وكذلك الغنائم الثقيلة من وطنه ونوهورو ابنه الذي هرب قبل الهجوم (كاكيكو) لآشور وأشتار ..(المجد) لرؤوس الآلهة أعمته وهو أحضر لي الهدايا (وقّبل) قدماي وأنا رحمته وأجلسته على عرش والده ...."

---

(١) رضا جواد الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية ، ص٦٥٥ .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 300 .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , pp.300- 01 .

وهكذا ، وكما يتضح من النص أن آشور بانيبال قـد تقـدم في مـدن النبطيين، والتي لم يحددها ، وخربها ودمرها ، لدرجة أنه أسر ناتنو نفسه وأسرته ، وحملهم إلى نينوى . وأخيراً قدم ابن ناتنو ، والمدعو نوهـورو (Nuhuru) إلى آشوربانيبال ، وقدم فروض الطاعة والولاء له ، بعد تقديم الجزية ، وفرض عليـه آشوربانيبال الجزية ، وأعاد تنصيبه ملكا على النبتيين بدلاً من أبيه ناتنو ، وبذلـك فإن آشوربانيبال استطاع أن يتقدم إلى أعماق شمال وشمال غرب شبه الجزيـرة العربية ، وحتى حدود تيماء والعلا، حيث بسط نفوذه على كل تلك الأرضـين ، في نهاية حملاته على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بل نهايـة حمـلات الآشوريين على شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث كـان النبطيـون يسكنونها ، ويتنقلون في اراضيها ، بين الجنوب والشمال .

وإن من الجدير بالذكر أن ديودور الصقلي ، وصف في تاريخ لاحـق ، حياة النبطيين بأنهم كانوا يقطنون الصحراء ، وأن حياتهم ومعيشتهم كانت تعتمد على التجارة ، حيث كانوا يتعففون من زراعة القمح ، وشرب الخمر ، وبنـاء المنازل ، وكانوا يحبون سكن الخيام ، وكان ذكره لهم يرجع إلى تـاريخ حملـة "انتيخونوس" ضد الأنباط ، في حوالي سنة ٣١٢ ق.م [1] ، وعلى مايبدو فـإن اتخاذ الأنباط تلك الطبائع في حياتهم ، كان نتيجة فعـل آشـوربانيبال بمدنهـم ومساكنهم ، بعد أن خربها ، ففضلوا العيش في البادية وسكن الخيام والتعفف من حياة المدنية ، حتى قرروا ذلك في وقت متأخر من حياتهم ، فقد اختاروا موقـع عاصمتهم عند البتراء ، وكذلك مدنهم الرئيسية ، كمدائن صـالح في الأمـاكن الجبلية ، حيث نحتو بيوتهم في الصخر ، ليكونوا في حصن منيع مـن غـزوات الطامعين . فالتجارب علمتهم ذلك، ولعل من الأهمية بمكـان الإشـارة إلى أن

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص١٧٢-١٧٣ .

آشوربانيبال ، قد زين قصره في نينوى ، بنقوش تمثل معاركه المختلفة، وخاصة تلك التي دارت بينه وبين العرب ، والتي يبدو منها أن عرب الشمال كانوا رجالا متوسطي القامة ، يرتدون الملابس الصوفية ، تاركين رءوسهم مكشوفة (عارية)، وشعورهم تتدلى على أكتافهم ، كما أنهم كانوا ملتحين بلحية مدببة قصيرة ، وكانوا يمتطون الجمال ، ويحاربون بها وكان يمتطيها أكثر من رجل في الحروب ، فواحد للقيادة والآخر لضرب القوس (١) .

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٤٢٩ . انظر شكل رقم (٤).

الباب الثاني

العلاقات السياسية والاقتصادية وأثرها بين الإمبراطورية البابلية الكلدانية وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

الفصل الأول

بوادر النفوذ البابلي الكلداني في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

تنسب الدولة البابلية الجديدة ، إلى القبائل الكلدانية [1] ، التي استطاعت في نهاية القرن السابع ق.م ، تأسيس دولة خاصة بهم ، عرفت بالدولة الكلدانية ،

---

(١) أحد القبائل الآرامية التي انتشرت في جنوب بلاد الرافدين،وكذا على شواطئ الخليج العربي الشمالية، منذ القرن التاسع ق.م تقريباً ،و استطاعت أن تقيم عدة دويلات صغيرة ، أطلق عليها مسمى (بيت)، كبيت يكيني Bit ukini وبيت داكوري Bit Dakuri وبيت اوكاني Bit Amukani .وانتشروا في منطقة الأهوار والبحيرات السفلى لدجلة والفرات ،حيث كانوا يحكمون في شكل قبلي أطلق على زعمائهم لقب " ملك " ، و عاشوا في بادئ الأمر حياة أشبه بالأعرابية التي دفعتهم بالبعد عن حياة المدن والاستقرار فيها ، كبابل وآشور . إلا أن ذلك لم يمنع من قيام تحرشات بينهم وبين حكامهما ، فأقدم ذكر لهم ورد في حروب الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) الذي حارب الكلدانيين عند بيت اوكيني والذي أشارت نصوصه إلى أنه مشي إليهم وحاربهم عند البحر المر (أي الخليج العربي) فهزمهم وخرب مدنهم . هذا ولقد استطاعت تلك القبائل من توحيد صفوفها في شكل تجمع قبلي ، متخذين من اسم مدينتهم التي سكنوها لقب لهم وهي كلدو ، كما عرفوا في مصادر بلاد الرافدين ، بقبائل (كلدو) وكلديا وكالدو ، و (كشدو) و (كاسديم) و (كسدو) وعلى الأرجح أنها أسماء محرفة من التوراة التي عرفت الكلدانيين من أنهم من أبناء كاسد بن سام بن نوح عليه السلام، بعد تغير اللام إلى سين لتتمشى مع معتقداتهم . انظر حسن عون : العراق وما تولى عليه من حضارات ، الطبعة الثانية، مطبعة رويال ، الإسكندرية ، ١٩٥٢م ، ص٤٨ ، هامش ١٨ . وكذا نسيب وهيبة الخازن : من الساميين للعرب ، دار مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص٤٩،٩٣.وكذا عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول (مصر والعراق)، الطبعة الثالثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ،١٩٧٩م ، ص ٥٤٦. وكذا طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "الوجيز في حضارة وادي الرافدين" ، الطبعة الثانية ، دار الشئون العامة ، بغداد ١٩٨٦م ، ص ٢٢٦ وكذا جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة "تاريخ الشرق الأدنى القديم" ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٢٢٦ ، ٢٣١. وكذا أنطون مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون ، بدون تاريخ، ص٢٨٦.وكذا ليو ابنهام: بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيض عبد الرازق ، الطبعة الثانية ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٨٦م، ص ١٩٩-٢٠٢ .وكذا سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقى، بيروت، ١٩٨٦م ، ص ١٧٨ . وكذا Oppenhiem. A.L.," Babylonian and Assyrian Historical Texts ", in, ANET, pp.276 - 277 .

والتي تعُد الأسرة الحادية عشرة في سلسلة حكام بابل [1] ، وينتسب الكلدانيـــون

(١) مؤسس الأسرة الأولى في بابل هو الملك سمومو-آبوم (١٨٩٤-١٨٨١ ق.م) والتي قامت في الأجـزاء الجنوبية لبلاد الرافدين ، و تنتمي إلى الرومة الامورية " السامية الغربية "الذين تدفقوا إلى بلاد الرافديـن مع بداية الألف الثانية ق م ، واستطاعوا أن يبسطوا نفوذهم السياسي على معظم أراضيه ، وقد تـولى العرش بعده أربعة ملوك حافظوا على حدود دولتهم وإصلاح شئونها ، ويعد عـــهد الملـك البـابلي حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) سادس ملوك دولة بابل الأولى أزهى عهود الدولة خلال فترة حكمـــه التي استمرت زهاء ثلاثة وأربعين عاماً حيث امتد نفوذها ليشمل معظم أراضي بلاد الرافدين جـــاء بعده ملوك ضعاف لم يستطيعوا المحافظة على تلك الإمبراطورية الشاسعة منذ عهد ابنه سمـــو إيلونـا (١٧٤٩-١٧١٢ ق.م) ومن جاء بعده حيث تمكن الحيثيون من إنهاء كيانهم .مستغلين حالة الضعـــف التي كانوا عليها نتيجة الصراعات المختلفة ما بين نصر وهزيمة ضد ما عرف فيما بعد بدولـــة "بـــابل الثانية " أو" دولة البحر " (أرض البحر) في الأجزاء الجنوبية لبلاد الرافدين ، والتي نافست دولة بابل الأولى الحكم في نهاية حياتها . والتي استمرت في الحكم زهاء ثلاثمائة وثماني وستون عاما ، حيث امتد نفوذها جنوبا حتى جزيرة البحرين والأطراف الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، وفي الوقت نفسه أيضـــاً تمكنت إحدى قبائل لورستان القاطنة في الأجزاء الوسطى لجبال زاجروس ، والذين عرفوا في التـــاريخ بالكاشيين من دخول بابل والقضاء على دولة بابل الثانية وإنهائها بعد استسلام ملكـــها أيـا جميـــل للكاشيين ، مستغلة الانسحاب ، المفاجئ للحيثيين من بابل ، حيث تمكنوا من السيطرة علـــى بـــابل وتكوين دولة جديدة عرفت باسم دولة " بابل الثالثة " أوالدولة الكاشية والتي اســـتمرت في الحكـــم حوالي أربعمائة وثلاثين عاماً كـــ أطول دوله في تاريخ الشرق الأدنى القديم عمراً ، وأول ملوكها هو الملك كانداش ، والذي حكم أوائل القرن الخامس عشر ق.م ، وقد كانت نهاية عهد تلك الدولة على يد الآشوريين في عام ١١٦٢ق.م ، ثم تمكنت أسرة ايسن الثانية من تأسيس دولة جديـــدة في بـــابل عرفت "بدولة بابل الرابعة" خضعت بابل بعدها لآشور ، ثم بعد ذلك تمكن أحد الكاشيين المولوديـــين في بابل من تأسيس دولة جديدة في بابل عرفت بأســـرة "بـــابل الخامســـة " أو "ســـلالة دولـــة البحر الثانية "، وفي نهايتها تمكن أحد الآراميين من أن يكون على رأس السلطة السياســـية في بـــابل مؤسساً " دولة بابل السادسة "والتي تعرف باسم أسرة "يازي" ، والتي انتهت على يد العيلاميـــــون الذين تمكنوا بعد ذلك من تأسيس "دولة بابل السابعة " وفي الوقت نفسه ، زاد التغلغـــل الآرامـــي في بلاد الرافدين خاصة حول بابل حيث تمكن" نابو موكلين البلـــي " (٩٧٧ -٩٤٢ ق.م) الآرامـــي من تأسيس " دولة بابل الثامنة " والتي تعرف بسلالة " إي " وفي نهايتها خضعت بـــابل لآشـــور .

=

إلى مجمـــــوعة الكلدانية التي قدمت إلى بلاد الرافدين فيما بين القرنين الرابـــع عشر والثاني عشر ق.م تقريباً (1) ، مع الأخــذ في الاعتبــار أن هنــاك بعــض

= حتى كانت" دولة بابل التاسعة " و التي عرف من تاريخها اســـم مؤسســـها " نـــابو-نـــاصر " الآرامي (٧٤٧-٧٣٤ ق.م) ثم كانت أسرة بابل العاشرة أو " دولة بابل العاشرة " ومـــن ملوكـــها " نابو موكين زيرى (٧٣١-٧٢٩ق.م) ، ومع نهاية القرن السابع ق.م ظهرت أسرة بـــابل الحاديـــة عشر والتي تعرف بالدولة الكلدانية أو دوله بابل الجديـــدة . انظـــر محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، منذ أقـــدم العصـــور وحـــتى مجـــيء الإسكندر الأكبر، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية ، بـــيروت ، ١٩٨٤م ، ص٢٦٦-٢٧١ ، ٢٨٤ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٤٤٨ ، ٤٦٢-٤٦٧ . أحمد أمين سليم : تاريخ الشـــرق الأدنى القديم، "مصر وســـوريا القديمـــة "، دار النهضـــة العربيـــة ، بـــيروت، ١٩٨٩م/١٤٠٩هـــ، ص٢٩٩-٣٠١ . وكذا ليو اوبنهام: المرجع السابق، ص٤٤٨-٤٥٠. وكذا
Luckenbill. D.D., Ancient Records of Assrynia and Babylonia, 2vols , Chicago , 1929 , p. 260 (476) .

(١) لازال الغموض يكتنف الكثير من أخبار الآراميين لندرة المصادر التاريخية التي تنسب إليهم ، إلا مـــن بعض النقوش التي عثر عليها حديثاً ،ووجدت في مناطق متفرقة من سوريا وتنسب إليهم ، بالإضافـــة إلى ما دونته نصوص بلاد الرافدين والتي تصف توغل تلك الشعوب ، وحروبها ضـــد ممـــالك بـــلاد الرافدين. ويرى موسكاتي أن أول ذكر للآراميين يرجع إلى حوالي القرن الثالث والعشرين ق.م ، منـــذ عهد الملك الأكادي نرام سين (٢٢٥٤-٢٢١٨ق.م) ،وجاء ذكرهم باســـم Arami آرامـــى أو Aramu آرامو وذلك خلال العصرين العصر الأكادي وعصر أسرة سلال أور الثالثة ،وبما أن اللفظـــة جاءت مبهمة فلم يعرف على وجه التحديد القصد منها هل هو اسم منطقة أو شعب ، فان بعـــض الباحثين يستبعد ذلك الرأي ويروا أن الاسم هذا والذي جاء بتلك الصيغة ، لا يمت بصله للآراميـــين بل هو تشابه لفظي لا أكثر ولا أقل . لبعد المسافة بين حدثهم وخبرهم . بالتوراة التي ذكرتهم علـــى أنهم والكلدانيين من أبناء سام بن نوح ،بينما يعتقد بعض المؤرخين أن هناك ترابطـــا تاريخيـــا بـــين الآراميين وكلمة (إرم) التي ورد ذكرها في القرآن العظيم قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَـــادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} سورة الفجر، الآيات : ٦-٧. ومهما يكن من أمر ، فإن كلمة " إرم " قـــد تعني النجود أو الهضاب أو الأرض الغير مستوية .هذا ولقـــد ارتبـــط ذكرهـــم في بـــلاد الرافديـــن بلفظة " أحلاموا "أو " أخلامو" "وسرخو" التي تعني الرحل " وسوتو" والتي تعني الرفاق . كمـــا دلت على ذلك الوثائق الآشوريه، التي عثر عليها في تل العمارنة منـــذ القـــرن الرابـــع عشـــر ق.م، =

الصعوبات التي تكتنف تاريخ الكلدانيين في بلاد الرافدين [1] ، حيث لا يزال

= ثم تتابع ظهور تلك اللفظة مرادفة للآراميين كما في نصوص الملك أداد نيراري الأول (١٣٠٧-١٢٧٥ق.م) والملك شلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ق.م) وتجلات بلاسر الأول (١١١٥-١٠٧٧ق.م) والملك آشور نيراري الثاني (٩١١-٨٩١ ق.م) وآشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) والذي ذكر خبر إجلائهم من عند بيت زماني عبر الفرات إلى آشور . ويُعد الآراميون من جملة قبائل الساميين الغربيين الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية نحو الهلال الخصيب خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، حيث استقروا في مناطق مختلفة من سوريا ، ومنها نحو بلاد الرافدين في شكل موجات متتالية ، استقرت في بادئ الأمر على الفرات الأوسط الجنوبي ، وذلك خلال القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق.م ، ثم بعد ذلك تدفقوا نحو بابل حيث بلغوا أوج ازدهارهم ، خلال القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م ، حيث تمكن أحد الآراميين والمدعو " أدد ابل ادن " (أداد ابلدين ١٠٨٣-١٠٦٣ ق.م) من الوصول إلى عرش بابل ، ومنذ ذلك التاريخ زاد تغلغل الآراميين بمختلف قبائلهم في بلاد الرافدين وخاصة في أطرافها الجنوبية ، وكان أكبر تتويج لهم وصول أحد الفروع الآرامية على رأس السلطة الحاكمة في بابل ، وتأسيس الدولة البابلية الحديثة أو " دولة البابلية الحادية عشر" والتي تعرف بالكلدانية . انظر

عبد العزيز صالح : المراجع السابق ، ٥٤٦ . وكذا نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص٩٤-١٠٠ . وكذا محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٢٤١ ، ٢٨٢. وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٥٤٩ . وكذا سبتينو موسكاتي : المرجع السابق، ص١٧٦-١٨٠. وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٢٦٩ ، ٢٧٧-٢٧٨ ، ٢٨٦ - ٢٨٨ ، ٣٣٩ . وكذا جيمس هنري برستد : المرجع السابق ، ص٢٠٦-٢٠٧، ٢٢٦. وكذا ليو ابنهايم : المرجع السابق، ص٧٥ . وكذا ا. ولفستون : تاريخ اللغات السامية ، الطبعة الأولى، دار القلم ، بيروت ،١٩٨٠م ، ص ١١٥ ، ١١٧-١١٨. وكذا فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٦٩ ، ١٧٤ - ١٧٥ .

(١) سامي سعيد الأحمد : الدولة الكلدانية زمن نابو بلاصر ونبوخذنصر ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٩، السنة الثانية عشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٥٥. وكذا

Zadox. R.,"Arabians in Mesopotamia during the later Assyrian, Chaldean, Achaemenian Helienistic Periods chiefly According to the Cuneiform sources'', ZDMG, 131, 1981, pp. 42 – 84 .

البحث في أصول الكلدانيين موضع جدل كبير بين الباحثين ، وذلك لقلة ونـدرة المصادر التي تحدثت عنهم.حيث تتجه الآراء إلى أن الكلدانيين من جملة الشعوب السامية الغربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية نحو بلاد الرافدين ، حيث استوطنت الأطراف الجنوبية منها عند رأس الخليج العربي ، والأطراف الشرقية منها ، وعرفوا منذ ذلك الوقت بـ (كلدي) أو الكلدانيين (١) . على أن هناك آراء تتجه إلى الربط بين الأقوام الكلدانية والأقوام السبئية ، والذين كانوا يقطنون على طول الأطراف الغربية لشبه الجزيرة العربية ، حيث كان امتداد دولة سبأ ، والمستوطنات التابعة لها، والمنتشرة في الواحات ، الواقعة على طول خط التجارة العالمي آنذاك . وقد استند أصحاب هذا الرأي على ما جاء في التوراة في سفر أيوب عليه السلام (٢) ، عندما أشارت إلى مساكن الكلدانيين بجوار مساكن السبئيين . وهناك بعض الآراء تتجه على أن أصول الكلدانيين ، يرجع إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومنها كانت هجرتهم نحو جنوب بلاد الرافدين، عن طريق البحر العربي والخليج العربي . حيث يرون أن كلاً من بورسيبا والوركاء واوراك، جميعها مناطق كلدانية ، حيث كانت تقع المستوطنات الكلدانية ، بدءاً من جنوب الوركاء (٣) . على أن هناك من يرى (٤) أن الموطن الأصلي للكلدانيين

---

(١) جيمس هنري برستد : المرجع السابق ، ص ٢٢٦.

(٢) الإصحاح الأول ، نص : ١٢- ١٨ .

(٣) سامي سعيد الأحمد : "العصر البابلي القديم"، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣م ، ص١٦٣. وكذا
Potts. D. Thaj in the licht of Recent Research, ATLAL. vol. 7. 1983, p. 86 ; Moritz. G ," Dic Nationalitat der Arumu Stammein suoost Babylon." in C.Adler and A. Ember, eds., Oniental Studes Dedicated to Paul Haupt, Baltimore and Leipzig. 1926, p. 200 .

(٤) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٥٦٨ . وكذا
Albright. W.F, The chalidaean Inscriptions in Proto-Arabic Script, BASOR, 128,1952 , p.p. 38,44 .

هو شرق شبه الجزيرة العربية ، حيث كانوا ينتشرون في مناطق متفرقة منه لا يمكن تحديدها، ومهما يكن من أمر ، فإن الكلدانيين والذين كانوا يقطنون المدن البابلية بمختلف طوائفهم ، كانوا مستعدين لتقبل التفوق السياسي الآشوري ، خلال النصف الأول ، من الألف الأول قبل الميلاد ، في سبيل حماية نشاطهم الاقتصادي في المنطقة ، والمحافظة على امتيازاتهم التجارية ، التي كسبوها من واقع خبراتهم الطويلة في المنطقة، والتي أسفرت في نهاية الأمر إلى تبؤهم مكانة اقتصادية لا بأس بها ، في تلك الفترة (١) ، فمن المعروف اشتهار القبائل الآرامية بالتجارة ، وتوارث الكلدانيون منهم ذلك ، وأبدوا مهارة فائقة في تعاملاتهم التجارية، واستطاعوا أن يكسبوا مع تفوقهم الاقتصادي تفوقا سياسيا بالتدريج ، من الشعوب الذين سبقوهم ، وأن ينتزعوا معها الزعامة على تلك الأرضين ، ورغم خلو التراث الكلداني من أفكار سياسية متميزة ، أشارت إليها مصادرهم ، أو مصادر من جاورهم ، من الشعوب السامية الأخرى ، والمجاورين لهم ، إلا أن الدلائل تشير على أنهم قد استطاعوا تكوين دويلات صغيرة متعددة ، انتشرت في أطراف مختلفة من جنوب بلاد الرافدين (٢) ، تمكنت في نهاية الأمر من التوحد

---

(١) ليو ابنهايم : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٣٤٨ - ٣٤٩ .

لقد تمكن الآرميون (الكلدانيون) من فرض لغتهم والتي تعرف بالكلدانية الآرامية التي تقابل السريانية الآرامية في سوريا . ونشرها في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى القديم وساعدهم في ذلك اتصالاتهم التجارية وعلاقاتهم الاقتصادية المختلفة ووصل بهم الأمر إلى استبدال الكتابة المسمارية بالكتابة الآرامية، ولقد امتدت تلك التأثيرات اللغوية إلى أبعد من الشعب الآرامي نفسه ليشمل شعوبا أخرى في المنطقة . انظر

نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص٨٣ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٣٤٨.

وكذا سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص١٧٩-١٨٠ .

تحت زعامة أحد أفرادهم والمدعو" نبو بـــــلا صــــر" NaboPolassar [1] مـــن

---

(١) نبو بلاصر (نابو بلاصر) (نبوبوبلاسر) (نابو بولصر) (نبوبولاسر) وقد كان حاكماً على بابل تابعـاً لآشور بانيبال بعد أن تمكن من إخماد ثورة أخيه شمس شوم أوكين وكان يدعى "قندلانو" أو"كـانـد الونو" في الفترة ما بين (٦٤٧-٦٢٧ق.م)، حيث بدأ يتطلع للسلطة ، وقيل إنه كان متعصباً لعـرش بابل بعد أن أعلن الانفصال عن الجيش الآشوري وتقدم نحو مدينة " نفر" وأخلاهـــا مـــن الحاميـة الآشورية المتواجدة فيها ثم بعد ذلك تقدم نحو بابل ودخلها وأعلـــن مـــن هنـــاك اســـتقلال بـــابل وانفصالها عن آشور في حـــوالي ســـنة ٦٢٧ ق.م ، وســـعى منـــذ ذلـــك الوقـــت في الإطاحـة بآشور بالتعاون مع حكام المادين مكان الهضبة الإيرانية، حيث تمكنوا من إسقاط الدولة الآشورية بعـد حروب دامت حوالي أحد عشر عاماً تمكن بعدها نبو بلاصر من دخول عاصمة الآشـــوريين وقتـل ملكها وحرقه والمدعو سين شار اشكين في سنة ٦١٢ ق.م ، وتابع بعد ذلك جيوش آشـــور حـــتى حران، المدينة التي انتقل إليها آخر حكام آشور والمدعو آشور أوبلط ، وذلك بمساعدة الجيوش الميديـة المتحالفة معه ،حيث تمكنت بعد حصار طويل من دخول حران وهروب آخر ملـــوك آشـــور ســـنة ٦١٠ق.م الذي استنجد بالقوات المصرية، ثم عاود الكرة في ملاقاة الجيوش البابلية الميدية المشـــتركة ، حيث استطاع آشور أوبلط أن يقضي على الحامية البابلية الموجودة في حران في عـــام ٦٠٩ ق.م ، وبعد حصار دام لها حوالي ثلاث سنوات لم يفلح في دخول حران حتى قدمت عليه الجيوش البابليـــة والميدية المشتركة وهزيمة جيوشه شر هزيمة . وبذلك تفرد نبو بلاصر بالحكم ، وخاصة في ظل التعـاون الوثيق القائم آنذاك بينه وبين المادين. وعلى كلٍ فقد استطاع بسط نفوذه على معظم الأراضي الـــتي كانت تخضع لآشور في جنوب بلاد الرافدين وذلك بعد أن قضى نبوخذ نصر ابن نبو بلاصـــر علـــى آخر ملوك آشور سنة ٦٠٥ في معركة قرقيمش . والتي اشتركت فيها جيوش المصريين لمساندة جيـوش الآشورين ، وأسفرت تلك المعركة على هزيمة ذلك التحالف ، الأمر الذي سهل الطريق أمام البـــابليين إلى التقدم نحو الغرب والتوسع في الأراضي السورية وما جاورها . انظر محمد عبد القادر محمد : الساميون في عصورهم القديمة ، دار النهضة العربية ، القـــاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢٤٧-٢٤٨. وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٤١ ، ٥٤٦ - ٥٤٨ . وكذا محمـد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٣٨٤ - ٣٨٥ . وكذا ســـامي ســـعد الأحمـد : الدولـة الكلدانية زمن نبوبلاصر ونبوخذ نصر ، ص٢٥٩-٢٦٥. وكذا طه باقر : المرجع السـلبق، ص٤٩٤ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩، ٥٤٧ ، ٥٤٨. وكذا أنطـــون مورتكـــات : المرجـــع الســـابق، ص٣٥٠ . وكـــذا سبتينوموسكاتي: المرجع السابق،ص٧٠-٧١.وكذا Oppenhiem A.L.,op.cit.,pp.303-304

الاستقلال عن آشور وتأسيس الدولة البابلية الحديثة أو دولة البابلية الكلدانية (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) ، وتلقب منذ ذلك الوقت بلقب ملك أكاد [١] . ومع أن تلك الدولة الوليدة ، لم تجد العضد القوي من قبل سكان بابل ، كما أن نابوبلاصر نفسه لم يلق أيضاً الدعم الكافي من قبل القبائل الآرامية الأخرى المجاورة له ، والتي كانت كل منها حريصة على أن تحتفظ باستقلالها الذاتي بجانبه [٢] ، فقد استطاع نبوبلاصر من تأسيس دولته ، والتي استمرت في الحكم حوالي سبعا وثمانين عاماً فيما بين (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) ، ومهما يكن من أمر ، فتُعد أسرته آخر السلالات الوطنية الحاكمة في بلاد الرافدين ، حتى الفتح الإسلامي المجيد لها [٣] حكم خلالها ستة ملوك كان أولها " نبوبلاصر " (٦٢٦-٦٠٤ ق.م) ، ثم " نبوخذ نصر الثاني" (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) [٤] ثم بعد

---

(١) جيمس هنري برستد : المرجع السابق ، ص٢٢٧ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٤٨ .

(٣) سامي سعيد الأحمد : العصر البابلي القديم ، ص ١٦٢ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٤٧. وكذا سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص ٧١ . وكذا ليو ابنهايم : المرجع السابق، ص٤٨٣ .

(٤) عرف في المصادر الإسلامية بنبوخذ نصر ، و قيل عربته العرب بـ "بختنصر" وجعلت منه أحد جنود ملك بابل الذي يدعى سنحريب ، وقيل إنه اصبهذ (اصفهذا) أي قائد فارسي للملك فارس "لهراسب" وكان يحكم ما بين الأهوار وحتى الروم . وجاء عند الدينوري أن اسمه بالفارسية "بوحست نرسى" والتي تعني كثير البكاء والأنين وعرفه "ببخت نصر بن كا نجار بن عم لهراسف ملك الفرس" في حين أطلق عليه المسعودي " اليخت ناصر " وأنه كان مرزبانا (وزيرا) للملك الفارسي لهراسب . وذكر في غير موضع عند ابن الأثير على أنه أحد رجالات بابل الفقراء وأن الذي عضده وقوى شأنه وأظهر نبوغه أحد تجار بني إسرائيل وأن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعض المصادر الإسلامية كابن كثير ذكرته على أنه أحد أربعة ملوك حكموا الدنيا . اثنان منهما كافران أحدهما هو والآخر النمرود ، واثنان مؤمنان وهما سليمان بن داود وذو القرنين . هذا وقد أطلق عليه هيردوتس اسم لا بينيتوس . وقد يعني اسم (نبوخذنصر) أو (نابوخذنصر) جملة (نابو — كودور — اوصر) أي المعبود نابو يحمي الحدود أو (المعبود نابو يحمي الابن الأكبر) (المعبود نابو يحمي ذربته) . انظر

=

ذلك ابنه " أميل مردوخ" (٥٦٢-٥٦٠ ق.م) والذي قتل بتدبير من بعض كهنة مردوك ، لكرههم له نتيجة انغماسه في الرذائل والملاهي ، ثم حكم بعده زوج أخته وقائد جيوشه" نرجال شار أوصر" (٥٦٠-٥٥٦ ق.م) وكلاهما ورد ذكرهما في التوراة (١) . وخلفه ابنه المسمى " لباشي – مردوخ " ، ولم يحكم سوى بضعة أشهر ، حيث أطيح به على أثر انقلاب وقع ضده ، وأقيم ملك مكانه يعتبر آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة ، وهو الملك نبونيد (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) (٢) ، وقد أصبحت دولة بابل الحديثة ، أو الدولة البابلية الكلدانية ،

= الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ٢٧٩ . وكذا اليعقوبي : التاريخ ١/ ٦٥ . وكذا الدينوري : الأخبار الطوال / ٢٢-٢٣ ، ٥٦ ، ٤١. وكذا المسعودي : مروج الذهب ١ /٢٢٧-٢٢٨ ، ٢٨٤-٢٨٥ . وكذا الأصفهاني : ملوك الأرض / ٣١ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٥١/١ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ٢ / ٣٩ - ١ / ١٤٨ . وكذا محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٢٠٨ . وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٥٠. وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .وكذا يعقوب بكر : من كتاب " سبتينو موسكاتي ": المرجع السابق ، ص١٥٢. الهامش

(١) سفر الملوك : الإصحاح ٢٥/ ٢٧ .وأرميا الإصحاح ٣١/٤ وأرميا ٤٣/ ٣ .

(٢) سامي سعيد الأحمد : الرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٣ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٤٨ ، ٥٥٢ . وعرف بـ (نبو نايد) أي (المعبود نبو قدر رفع الملك) ، كما عرف في بعض المراجع بـ نبو نهيد أونابونيد ونبو نايد ، بالإضافة إلى، نبونائيد ،ونبونيدس Nabonidus باللاتيني ، وتعد شخصيته الأكثر غموضاً في حكام بلاد الرافدين ، منذ وصوله إلى العرش ، وكيفية ذلك ، وأصله ، وسيرته الذاتية خلال سنوات حكمه الستة عشرة التي قضاها على عرش بابل . فإن بعض المصادر تؤكد أصله الآرامي ، وأن أباه كان أحد الأمراء أو الحكام المحليين الذين تلقبوا بلقب الأمير الحكيم ويدعى (نبو – بلاطو – اكبي) وهو من أسرة كهونتية حيث كانت أمه كاهنة والتي تدعى " أدد جوبي Adad-guppi " ولقد كانت كاهنة للآله (سين) في حران، ولم يكن نبونيد بعيداً عن الأوضاع السياسية في بلاد الرافدين بل كان مشاركاً لها في معظم أحداثها منذ عهد الملك نبوخذنصر الثاني حيث ذكرته النصوص مشاركاً أو صانعاً للصلح الذي عقد بين الميديين والعيلاميين ،ولقد أصبح على عرش بابل في عمر يناهز الستين سنة ، واشتهر عنه حبه للتاريخ والآثار

=

مع إطلالة عام ٦١٠ ق.م سيدة الموقف في بلاد الرافدين بدون منازع [1] . فبعد موت نبوبلاصر فجأة توج نبوخذ نصر الثاني ملكا على دولة بابل الكلدانية بعد عودته من حملته نحو مصر ، حيث كان نبوخذ نصر الثاني ، على رأس الجيوش البابلية المتجهة نحو مصر ، وكان عند العريش (نهر العريش) أو "وادي نهر مصر الجاف" كما ذكرته المصادر البابلية ، عندما أخبر بوفاة والده . وربما كان ذلك في بداية شهر آب (أغسطس) سنة ٦٠٥ ق.م ، فما كان منه إلا الإسراع في الرجوع إلى بلده ، وعهد بقيادة جيوشه إلى بعض من يثق بهم ، ولا يعرف

= وجمعة العاديات القديمة ،كما اشتهر بتدينه واهتمامه بتشييد المعابد، وقد حرص على إقامتها في أماكن المعابد القديمة ، بعد فحص وتدقيق لتلك المواقع التي اشتهرت بتلك الأخبار قبل هدمها أو دمارها ، حتى كان يلقب بالملك الأثرى بما أظهره من حب و تمسك بتلك الأشياء حتى وضعه بعض المؤرخين الإغريق، بالملك المجنون أو ملك بابل المجنون، بما ظهر على شخصيته من نقائض مختلفة. انظر محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص٥٥٦ - ٥٥٧ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ . وكذا محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض، العدد السادس ، ١٩٧٦م ، ص ٣٥٣ . وكذا سامي سعيد الأحمد :المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤. وكذا رضا جواد الهاشمي : " العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد ، العدد ٢٢ ، ١٩٧٨م، ص ٦٦١ . وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٥٥ ، ٥٥٦ . وكذا فيليب حتي: المرجع السابق ، ص ٣٣٩ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ،ص ٣٦٣ - ٣٦٤ . وكذا سبتينوموسكاتي : المرجع السابق، ص٧١ . وكذا لبو ابنهايم : المرجع السابق ، ص٤٩٩ . وكذا ج ويلز : موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ،مراجعة محمد مأمون نجاه، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٨٥ . وكذا جورج رو : العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص٥١٠ . وكذا

Oppenhiem. A.L., op.cit. , p. 560 ; Roux .G. , Ancient Iraq , 2 nd. (ed.s) , 1985 , pp.310-311.

(١) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٠.

الطريق الذي سلكه حين عودته ، والذي قطعه في حوالي ثلاثة وعشرين يوماً إلى حين عودته إلى بابل ، والتي تشير إليها المصادر البابلية وهي مدة في نظر الكثير من الباحثين قصيرة ، وإن دل على شئ فإنما يدل على سرعة سيره واختياره طريقاً أكثر قصراً ، ولا يستبعد أن يكون قد اخترق الأجزاء الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية إما عن طريق تيماء ومنها إلى بابل ، وإما متخذاً طريقاً آخر ربما يكون عن طريق تدمر ، وكان هدفه من الإسراع إلى بابل لخشيته من تدخل كهنة مردوك وتنصيبهم شخصاً غيره يفضلونه (١) .

وهكذا عاد نبوخذنصر الثاني إلى بابل ونصب نفسه على عرشها في ٢٧ أيلول سنة ٦٠٤ق.م (٢) والذي دام حكمه زهاء الثلاثة والأربعين عاماً ، قضاها في بناء دولته القوية ، حيث يعد نبوخذ نصر الثاني من أبرز شخصيات الشرق الأدنى القديم ، بما اشتهر به من حنكة سياسية وقيادة عسكرية ، فعلى يده تم إخراج اليهود من بيت المقدس، وعلى يده تم نفيهم إلى بابل ، فيما يعرف بالسبي البابلي (٣) كما اشتهر بأعماله العمرانية الكثيرة ومنها تشييد المعابد ، وبناء

---

(١) سامي سعيد الأحمد : الدولة الكلدانية زمن نبوبلاصر ونبوخذنصر ، ص٢٦٧.

(٢) طه باقر : المرجع السابق ، ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٣) الواقع أن نبوخذ نصر الثاني ، قد كرر حملاته على القدس أكثر من مرة حيث فرض نفوذه على القدس منذ عام ٦٠٠ق.م وجعل عليها يهو باقيم ملكا حيث استمر في ولائه لبابل حتى سنة ٥٩٧ق.م حين أعلن عصيانه على نبوخذ نصر الثاني . الأمر الذي دفع بنبوخذ نصر الثاني بتجريد حمله كبيرة إليه أسفرت على دخول أورشليم وأسره وحمله إلى بابل حيث هلك في طريقه إلى هناك، كما حمل معه آلافاً من الجنود كان من بينهم حوالي (١٠٠٠) رجل من أمهر الفنيين والصناع وهم مقيدون بالسلاسل وهو ما عرف في التاريخ بالسبئ البابلي الأول ، أعقبه قيام الملك نبوخذ نصر الثاني بإقامة ملك جديد على القدس هو الملك صدقيا الذي استمر في ولائه لبابل قرابة الأحد عشر عاما ، ثم أعلن الثورة على بابل مما دفع بالملك البابلي بإرسال حملة كبيرة ضده ما بين عامي(٥٨٨-٥٨٧ق.م) وبعد أن حاصرت أورشليم فترة من الزمن اضطرت إلى التقهقر

=

القصور ، وتعبيد الطرق ، وشق القنوات ، وإنشاء الحدائق المعلقة ، وإقامة الأسوار حول المدن ، وخاصة حول بابل وتحصينها ، حيث عمل منذ توليه العرش على إعادة تجميل بابل ، وإعادتها إلى سابق مجدها، واستخدم في ذلك كل الإمكانيات الفنية والمادية ، المتاحة في عصره [1] ، ولقد كان لسياسته الداخلية

= بعد أن علمت بقدوم الجيش المصري لمساندة صدقيا ، ثم لم تلبث أن عادت الحملة لحصار القدس سنة ٥٨٥ ق.م فدخلت المدينة ودمرتها وأحرقت الهيكل وحملت خزائنها وأهلها إلى بابل حيث بلغ عددهم ما بين (٤٠- ٥٠ ألف شخص) وأسرو في بابل وهو ما يعرف بالأسر البابلي الثاني ، ولعل من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن حروب نبوخذ نصر الثاني ضد اليهود مشهورة في كتب الأخبار بين المسلمين وقد وردت بصيغ وروايات مختلفة ومعظمها مطابق لما ذكره الطبري حيث ذكر أن بختنصر سار حتى أتى بيت المقدس فأخذ المدينة عنوة فقتل المقاتلة، وسبى الذرية . ووجد في سجن بني إسرائيل أرمياً النبي وكان الله تعالى بعثه نبياً إلى بنى إسرائيل يحذرهم ما سيحل بهم من بختنصر ، ويعلمهم أن الله مسلط عليهم من يقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم إن لم يتوجهوا إلى الله ويقلعوا عن سيئات أعمالهم فقال له بختنصر: ما خطبك فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذرهم الذي حل بهم فكذبوه وحبسوه فقال بختنصر بئس القوم عصوا رسول الله فخلى سبيله وأحسن إليه . ويضيف أنه منذ ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى . هذا وهناك روايات أيضاً أن نبوخذ نصر (بختنصر) خرج ضد بنى إسرائيل في زمن يحيى بن زكريا عليه السلام وقيل في عهد النبي دانيال وقيل في عهد النبي أرميا . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٨٠ -٢٩١ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢/ ٣٨ - ٣٩ (باختصار) وقد ذكرتها معظم المصادر الإسلامية بشكل موسع أو مختصر . انظر اليعقوبي : التاريخ ١/ ٦٥ . وكذا الدينوري : الأخبار الطوال / ٢٣ . وكذا الأصفهاني : ملوك الأرض والأنبياء / ٣١ . وكذا المسعودي : مروج الذهب ١ / ٢٢٧-٢٢٨ - ٢ / ١٥١ . وانظر أيضاً ابن خلدون التاريخ ٣ /٣٢١ . وكذا محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص٢٠٨. وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٥٠ - ٥٥١ .

(١) أحمد أمين سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم " مصر - العراق - إيران " ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٣٣٩ .

أعظم أثر في نفوس شعبه ، وبالنسبة لعلاقاته الخارجية ، فقد احتفظ بعلاقات حسنه ووطيدة مع جيرانه ، وقوى صلاته بالدول المجاورة له [1] .

ومع ذلك فقد كان للأوضاع السياسية والاقتصادية ، التي ورثها عن أبيه أثرها البالغ ، في شتى الاتجاهات والتطلعات المختلفة ، لإعادة بناء دولته ، وقد كان العامل الاقتصادي [2] ، من أبرز العوامل التي أثرت في تشكيل العلاقات البابلية الكلدانية ، مع سكان الأقاليم المجاورين لهم ، ونخص بالذكر هنا جيرانهم الغربيين، والمنشرين في مناطق التجارة العالمية ، و المشرفين على أهم طرقها العالمية آنذاك، وخاصة خلال عهد الدولة الكلدانية، حيث أصبح الخط التجاري العربي أبرز الطرق التي تتطلع إليها البابليون الجدد ، خاصة بعد توحيد قوة الميديين وإقامتهم دولة موحدة في الأقاليم الشمالية الغربية للهضبة الإيرانية ، الأمر الذي أسفر عن وضع الدولة البابلية الكلدانية ، في عزلة عن الطرق التجارية الهامة ، القادمة من شرق وشمال إيران نحو الغرب ، والتي كانت تشكل مصدر دخل لا بأس به للآشوريين في السابق ، حيث فقدت الدولة البابلية الجديدة تلك الامتيازات التجارية الهامة ، وفي الوقت نفسه برزت الإمبراطورية الفارسية الجديدة ، في الأجزاء الجنوبية الغربية للهضبة الإيرانية ، والمتاخمة لسواحل الخليج العربي ، وبسطت نفوذها هي الأخرى على الطريق التجاري الآخر ، والمار بأراضيها نحو البحر المتوسط ، وقد كان لهذين الأمرين أثرهما القوي على موارد

---

(١) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ - ٥٥١ . وكذا جيمس هنري برستد : المرجع السابق ، ص٢٣١-٢٣٢ . وكذا أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص ٣٦١ . وكذا سبتينوموسكاتي : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) وهناك العامل الديني ، والذي يبرز بشكل واضح في عهد الملك البابلي نبونيد . والذي سوف يتضح في الفصل القادم .

الدولة البابلية [1] ، فكان لزاماً على حكامها البحث عن البديل، حيث خطـــوط التجارة الأخرى ، وفي مقدمتها الطريق العربي ، والذي شهد تتطوراً قوياً ، ونمـوأ سريعاً في تلك الفترة ، فكان لا سبيل أمام حكام بلاد الرافدين إلا بالوصول إليه، وكذلك الوصول إلى موانى البحر المتوسط ، حيث مصب التجارة العالمية آنذاك ، فمنذ عهد مؤسسها ، تطلع زعماؤها نحو الغرب ، حيث تشير أهم الأحــــداث السياسية ، في عهد نبو بلاصر ، أنه بعد أن تخلص من آشور ، أرسل حملة تحت قيادة ابنه نبوخذنصر الثاني ، لاسترجاع سوريا وفلسطين ، من سيطرة النفـــوذ المصري ، وبذلك تكون أحسن طريقه نحو موانئ البحر المتوســـط مفتوحـــة [2] وكذلك فعل نبوخذنصر الثاني ، حيث اســـتهل حكمـــه ، بتوجـــه جيوشـــه نحو سواحل البحر المتوســـط ، حيث وصل بها حتى الشواطئ الفينقية (لبنـــــان) كما أشار إلى ذلك في أحد نصوصه الذي جاء فيه التالي [3] :-

" ... أنا نظمت (جيشى) (لحملة) إلى لبنان وأنا جعلـــت البلـــد سعيداً بأني قضيت على أعدائه في كل مكان نص (تحت وفـــوق) وكل سكانه المبعثرين أن دفعتهم إلى الاستقرار النـــص (جمعتـــهم وأعدت استقراهم) ....".

---

(1) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ .تشير مصادر الدولة البابلية الجديـدة إلى أن الدولة قد واجهتها صعوبات مالية كبيرة ، بالإضافة إلى حالة تدهور اقتصادي واضح وخاصة في عـهد الملك البابلي نبونيد كما يستدل على ذلك من واقع غلاء أسعار بعـض المـواد إلى حـدود ٢٠٠% وخاصة في الفترة ما بين ٥٦٠-٤٨٥ ق.م أي مع نهاية حكم الملك البابلي نبوخذنصر . انظـــر طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥١ وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص ٦٦١. وكذا Saggs. H.W.F., The Greatneess that was Babylon , London , 1962, pp.143-144, 148 .

(2) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

(3) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 307 . .

وفي مقطع آخر من النص يذكر :-

"... وجعلت سكان لبنان يعيشون في سلام معاً ولم أدع أحداً يفرقهم . ومن أجل أن لا يؤذيهم أي شخص أن أقمت عموداً (نصباً) يوضحني (يظهرني) كملك باق إلى الأبد لهذه المنطقة ...."

ثم يكمل النص موضحا ما حمل معه من ثروات تلك المناطق ، إلى بلاده ، وتشير أخباره المتفرقة ، أنه توسع في مناطق مختلفة ، مطلة على سواحل البحر المتوسط ، وكذلك في الأجزاء الداخلية من سوريا وفلسطين ، حيث تقدم في صور وصيدا واتجه جنوباً حتى غزة وأريحا كما ذكر ذلك في النص الذي جاء فيه [1] :-

" ... (وعلاوة على ذلك) ملك تيرى وملك غزة وملك أشدود ، وملك مير .... "

وهكذا كان تقدمه في صور وغزة وصيدا وأريحا وأشدود . وعلى ما يبدو أن نبوخذنصر لم يكتف يوضع بلاد سوريا وفلسطين تحت قبضته ، فلذلك قرر التوجه نحو مصر حيث تشير حولياته أنه في السنة السابعة والثلاثين من حكمه ، اتجه نحو مصر أي في حوالي عام ٥٦٨ ق.م في عهد ملكها أماسيس (٦١٠-٥٩٥ ق.م) [٢] ،

(1) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 308 .

(٢) لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أول توجه لنبوخذ نصر الثاني ضد مصر كان في عهد أبيه ضد الملك المصري " نخاو الثاني" (٦١٠-٥٩٥ ق.م) الذي انتهج نفس سياسة أبيه في مساعدة آشور حيث سارع في نجدة الملك الآشوري أو بالط الثاني عند سقوط آشور، ومن الجدير بالذكر هنا أن الملك نخاو الثاني حارب وهو في طريقه إلى نجدة ملك آشور الجيش اليهودي وهزمه في موقعه " مجدو" واضطرت أورشليم إلى دفع الجزية له وبعد ذلك تمكن "نخاو الثاني " من فرض نفوذه على المدن الفينيقية والسورية بالإضافة إلى أدوم وكذا الأطراف الشمالية لبلاد العرب، وأجبرهم على دفع الجزية له . وبعد عامين وبعد أن وطد نبو بلاصر نفوذه في بلاد الرافدين أرسل ابنه بنوخذ نصر =

كما جاء في النص التالي [1] :-

"...(في) العام ٣٧ فأن نبوخذ نصر الثاني ملك بابل (مشـــي نحو) مصر ليقود معركة (أماسيس) (نص...) (أ) سو) لمصـــر وفي جيشه ...."

ورغم أن معظم مقاطع النص مبتورة ، فإن ما يهمنا هنا هو الاستشـــهاد بتوغل الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني ، في الأطراف الجنوبية لسوريا والمحـــايدة للأطراف الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية ، أي مناطق الحجاز وهذا كـــان أمراً محتملاً ، حيث تشير المصادر الكلاسيكية إلى أن نبوخذ نصر الثاني ، حمـــل على العرب القاطنين في طريقه على مصر ، واخضع ملكها آنـــذاك ، ولم تشـــر المصادر إلى اسم ذلك الملك أو موقعه [2] وهكذا أراد نبوخذ نصر الثاني بذلـــك ، إخضاع القبائل العربية المتواجدة في بادية الشام ، وأطراف الجزيـــرة ، ليضمـــن بذلك سلامة الطرق التجارية التي تربط بلاد الرافدين وموانئ البحر المتوســـط ، وكذلك يضمن ولاء القبائل العربية ، المنتشرة في طريق جيشه نحو مصر [3] ، التي كان ينوي التقدم نحوها ، خاصة وأن حوليات الملك نبوخـــذ نصـــر الثـــاني ،

= على رأس جيش لاستعادة النفوذ البابلي على سوريا وفلسطين، حيث قابل الجيش المصري بقيادة نخاو الثاني عند قرقميش، وبعد معركة عنيفة بينهما اضطر نخاو الثاني إلى الانسحاب إلى وادي العريش بعـد هزيمته من نبوخذ نصر ، الذي قام بتتبعه نحو مصر ، وفي تلك الأثناء توفي والده نبوبلاصر، فما كـــان من نبوخذ نصر إلا الإسراع بالعودة إلى بابل ، حيث خلف والده على العرش . انظر أحمـــد أمين سليم : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ . وكذا

Thompson,R.C. ," The New Babylonian Empir'',CAH,vol. III, p.p.206-212 .

(1) Oppenhiem. A.L.. , op.cit., p. 308 .

(٢) أشار إلى ذلك المؤرخ الأغريقي Xenophon اكسينوفون . انظـــر جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٠ .

(٣) طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٥٠ - ٥٥١ .

تشير إلى قيامه في العام السادس من حكمه أي في حوالي سنة ٥٩٨ ق.م ، بحملة ضد بلاد العرب ، حيث غزا فيها أراضيهم ، واستولى على مواشيهم ، وأجبر أهلها على دفع الجزية، كما أنه أسر آلهتها " أصنامها " وحملها معه إلى أكاد ، عند عودته ، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...العام السادس في شهر (كيسلو) تحرك ملك آكاد بجيشه إلى داخل بلاد حيتي [2] ووزع ملك آكاد جيشه في الأراضي الحيثية فغزوا الصحراء وأخذوا كثيراً من الغنائم من أرض العرب كما كانت أيضاً الأغنام التي أخذوها و(أصنام) آلهتهم المقدسة بأعداد كبيرة ثم بعد ذلك عاد الملك إلى بلاده في شهر ادبي ...."

حيث أن الحملة كانت في العام السادس من حكمه أي في حوالي سنة ٥٩٨ ق.م، فهي أذن كانت عقب حملته الأولى على أورشليم ، والتي كانت في سنة ٦٠٠ق.م . وهكذا أراد نبوخذ نصر الثاني من حملته تلك ، إجبار العرب على الخضوع، والاستسلام لبابل ،كما فعل الآشوريون من قبل وأن يفعل بآلهتهم كما فعل الآشوريون من قبل، بغية تحطيم السيادة العربية ، عن طريق تحطيم أصنام آلهتهم ، فيضمن بذلك تأييد العرب له ، وعدم التحرش بدولته ، وعلى الرغم من أن النص لم يشر إلى تلك البادية أو موقعها ، أو من أين تحركت الجيوش البابلية، إلا أن بعض الباحثين [3] يرى أن تلك الحملة التي قام بها

---

(1) Oppeinhein A.L., op.cit. , p. 564 .

(٢) بلاد حاتي أو " حاتي " ويقصد بها في النصوص الآشورية دويلات الشمال السوري مثل (قرقميش) و(حداتى) و(أرسلان خاش) و(شمأل) وهي تل زنجرلي أقصى شمال سوريا . والتي كانت تقع تحت نفوذ الإمبراطورية الحيتية قبل انهيارها في أواخر الألف الثاني ق.م . وأن تلك التسمية قد ارتبطت بتلك المناطق لدى كثير من المؤرخين الذي يرى فيها فراس السواح تسمية خاطئة . انظر فراس السواح : المرجع السابق ، ص ٨٤ . وكذا Roux. G., op.cit. ,p. 356.

(٣) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

نبوخذ نصر الثاني ، كانت ضد العرب القاطنين ما بين حماة شمالاً وحتى الأطرف الشمالية لشبه الجزيرة العربية جنوباً. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا، وذلك من واقع ما سبق أن تحرش نبوخذ نصر الثاني بالعرب كان في شكل حملتين : الأولى والتي أسفرت عن هزيمة العرب ، وحمل أصنام آلهتهم ، بالإضافة إلى غنائم ضخمة ، التي حملها إلى بابل ، حيث كان ذلك في السنة السادسة من حكمه. والثانية كانت أثناء توجهه في حملته الثانية ضد مصر ، والتي كانت في السنة السابعة والثلاثين من حكمه ، ولاشك في أن نبوخذ نصر الثاني استطاع من نتائج الحملتين فرض نفوذه على العرب المتواجدين في طريقه ، خاصة وأن ملكهم كان في معيته ، وهو متوجه نحو مصر ، وهذا أمر غير مستغرب ، حيث تتواجد العناصر العربية في تلك الأراضي ، التي تقع جنوب فلسطين ، حيث كان إقليم موصرى العربي ، الذي أشارت إليه النصوص الآشورية ، والممتد من جنوب البحر الميت و غزة ورفح وحتى الأطراف الشرقية لخليج العقبة جنوباً ، أي في الأجزاء الغربية لشمال شبه الجزيرة العربية، ذلك بالإضافة إلى الأطراف الشرقية لشبه جزيرة سيناء البوابة الشرقية لمصر . وعلى ذلك فإن احتمال وصول نبوخذنصر الثاني إلى إقليم شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية أمر غير مستبعدخاصة وإن معظم الأقاليم الأخرى والواقعة في تلك الأطراف ، تعرف بأسمائها كعمون ومؤاب وأدوم (١) . في حين ظل اسم العرب أو عريبو علما قائما بذاته ولا يتصل بأي من المواقع المشهورة ، مما يؤكد أن المقصود به شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية . وهذا ما يؤكده كل من Winnett و Reed (٢) من أن حملات نبوخذ نصر الثاني قد وصلت حتى أدوماتو "دومة الجندل" حيث

---

(١) انظر الخريطة رقم (٣) .

(2) Winnett.F.V.& Reed.W.L.,Ancient Records From North Arabia,Toronto, 1970 , p.72 .

حارب قبائل القيداريين العربية الساكنين هناك، بجوار قبـائل حـاضور ، الـتي أشارت إليهم التوراة في سفر أرميا [١] ، على أن قبائل القيدرايين كانت تجـاور قبائل حاضور والتي كانت تقطن شمال غرب شبه الجزيرة العربيـة ولا يسـتبعد جواد علي [٢] أن تكون حاضور التوراتية هي نفسـها حضـوراء في المصـادر الإسـلامية ، والتي أشارت إلى حروب الملك البابلي نبوخذ نصر الثـاني ضـد العرب عندها ، مع الأخذ في الاعتبار أن المصـادر الإسـلامية اختلفـت في تحديد موقعـها ، مـا بـين الشـام ،و الحجـاز، واليمامـة ، واليمـن [٣].

---

(١) "..عن قيدار وعن ممالك حاضور التي ضربها نبوخذ نصر ملك بابل ...." انظـر سفر أرميا ، ٤٩/ ٢٨-٣٣.

(٢) المرجع السابق ، ص٣٥٢.

(٣) أهل حضوراء في معظم المصادر الإسلامية هم أصحاب الرس الذين ورد ذكرهم في القران الكريم قـال الله تعالى :{ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } الفرقان ، آية ٣٨ . وقال تعـالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ } سورة ق ، آية ١٢ . وقيل أن حضـورا بلـدة باليمن من أعمال زبيد أو ما بين نجران إلى اليمن ومن حضر موت إلى اليمامـة . وقيـل هـم مـن أصحاب الوبر القاطنين قرب عدن ، وهناك من ذهب أنهم في بادية السماوة أي ما بين العراق والشـام وإلى حد الحجاز على أن هناك من جعلهم قرب حلب في أرض الشام ، وعلى كلٍ فـهم أصحـاب الرس وينسبون في المصادر الإسلامية إلى عدي بن مالك بن زيد (بن سدد) . والرس قرية باليمامـة وفي بعض المصادر أنها من ديار بعض قبائل ثمود بينهم وبين أهل حاضور المذكورين في التوراة علـى أنهم مجاورون القيداريين القاطنين في أطراف شمال غرب شبه الجزيرة العربية وعرفوا بمساكنهم الثابتـة (المستقرة) والتي تميزوا بها عن أصحاب الوبر . وكانت تمتد في جنوب فلسطين وشـرقها عنـد رأي بعض المؤرخين وحاضور Hazar وجمعها Hazerim وهى حيرتا في الآرامية Herta وهي مـن الحيرة العربية والتي تعني التحور والإحاطة أو المحاطة أو المحصور والمحاصر ، وحاصور قبيلة عربية كانت تعيش في أطراف البادية العربية .ولعل من الجدير بالذكر أن بعض المصادر الإسلامية تشـير إلى أن الله بعث لأصحاب الرس نبي الله حنظلة بن صفوان العبسى فقتلوه وألقوه في البئر فرسا به ومنها جـاءت لفظة الرس . وقيل أن الذي أرسل لهم خالد بن سنان العبسى ، كما أن بعض المصادر أجمعت على أن الذي أرسل لهم هو شعيب بن ذى مهدم بن حضورا ، كما يشير الهمداني في الاكليل انه لازال باقيـا =

ويرى جواد علي [1] أن من الصعوبة بمكان أن تكون اليمن هي موقع حاضوراء ، على اعتبار أنه الأكثر ذكراً في المصادر الإسلامية بأنها المقصودة بحملات نبوخذ نصر الثاني ، وذلك لبعد المسافة بين أرض اليمن وبلاد الرافدين ، ذلك من جهة ، وبعد الهدف المقصود من الحملة ، وهو تأديب القبائل العربية القاطنة على حدود دولته الغربية . ضد غزواتهم المتكررة على مراكز التجارة العالمية الهامة آنذاك ، وإجبارهم على التقهقر نحو البادية الفسيحة ، والواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية، ليضمن بذلك أمان الطرق التجارية الهامة ، والقادمة نحو موانئ البحر المتوسط،وعلى رأسها الطريق العربي الهام والقادم من جنوب غرب شبه الجزيرة [2] ، وهو الطريق الذي يأمل فيه البابليون الجدد تعويضا عن باقي الطرق الشرقية، التي أصبحت في أيدي منافسيها في الشرق : الميديين والفرس ، وليس من المستبعد أن تكون حملات نبوخذ نصر الثاني ، كانت ضد القبائل العربية المتواجدة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث الواحات

= إلى عهده مسجد يعرف بأسمه في ناحية جبل ، حده بأرض حمير . ومع ذلك فقد جعلتهم المصادر الإسلامية من جملة الأقوام العربية البائدة من نسل قحطان . انظر المسعودي : مروج الذهب ١/ ٦٥ - ٢/ ٥٢ ، ١٥٠ - ١٥٢ ، ٢٢٦ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/ ٢١٩.وكذا ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٤٣ .وكذا ياقوت : معجم البلدان ٢٧٢/٢. وكذا العسقلاني ١/ ٤٦٨ . وكذا الهمداني الأكليل ٨ / ٦٨ ، ١٢١.وكذا القرماني أخبار الدول / ٧٨-٧٩ . وكذا ابن خلدون التاريخ ٣ / ٤٣ ، ٨٧ ، ٥٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠٨ ، ٦١٨ . وكذا الالوسي بلوغ الأرب ٢ / ٢٧٩. وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص٣٤٨ - ٣٥٢ . وكذا محمد بيومي مهران :دراسات في تاريخ العرب القديم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص ١٨٣ — ١٨٤ وكذا .

Musil. A., in the Arabia Deserta , New York, 1930, p. 496 ; Montgomery, Arabia and the Bibel , Philadelphia,1934, p. 64.

(١) المرجع السابق ، ص٣٥٢.

(٢) طه باقر :المرجع السابق، ص ٥٥٠ - ٥٥١. وكذا رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق ، ص٦٦٠ .

التجارية الهامة ، والواقعة على طول الطريق التجاري الهام آنذاك . ومن الجدير بالذكر أن تلك الروايات التاريخية الإسلامية التي ذكرت تقدم نبوخذ نصر الثاني نحو بلاد العرب ، والتي أشارت إلى وصول نبوخذ نصر الثاني (بختنصر) إلى ذات عرق في وسط الحجاز (١) ، أو أرض حضوراء وفق الآراء المختلفة . حيث تذهب الرواية الأولى (٢) : "... إلى أن نبوخذ نصر الثاني أو" بختنصر " كما أطلقت عليه الرواية ، تقدم نحو بلاد العرب ، على أثر نبوءة أحد أنبياء بني إسرائيل الذي يدعى برخيا بن أحنيا بن رز بابل بن شلتيل من ولد يهودا (٣) ، والذي قدم إلى نبوخذ نصر الثاني وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ، ولا أبواب . فيطأ بلادهم ، ويقتل مقاتليهم، ويستبيح أموالهم ، وذلك بناءاً على وحي آلهي من عند الله لبرخيا ،وذلك لإشراكهم بالله ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم لأنبياء الله ورسله ... ثم تدور الرواية حول وصول برخيا المذكور إلى نبوخذ نصر الثاني "بختنصر" في بابل ، قادماً من نجران ، فأخبره بما كان من تكذيب العرب لمعد بن عدنان ، فبدأ بختنصر بتضييق الخناق على العرب المتواجدين في بلاده ، فلما علم خبره العرب القاطنون بجواره قدموا إليه طالبي

(١) ذات عرق شمال شرق مكة المكرمة ، وتسمى اليوم بالضريبة بقرب وادي العقيق ، غرب عشيرة على طريق أهل العراق القديم ، وتبعد حوالي ١٠٠ كم تقريباً من على طريق مكة الطائف القديم عند مفرق السيل الكبير . (الباحث) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٩٢-٢٩٣ .

(٣) إن برخيا المذكور . هو (باروخ بن نيريا بن محيا) وهذا اسمه الصحيح وكان يقيم في القدس أثناء حملة نبوخذ نصر الثاني عليها ، ولم يكن نبياً بل كاتبا وصديقاً للنبي أرميا ، وهو الذي حمل رسالة النبي أرميا إلى نبوخذ نصر الثاني،وكان سبباً في تقدم نبوخذ نصر الثاني نحو أورشليم . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص ٣٥١ . كذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٨١ . وكذا سفر أرميا ٢٥ / ١-١٤ ،٥٩. وكذا أرميا ٢٢ / ١٢ .

العفووالصفح منه، فقبل نبوخذ نصر الثاني ذلك منهم ، بشافعة برخيا لهم ..." [1]
ويشير أيضاً الطبري في رواية أخرى [2] "... أنه بعد مولد معد بن عدنان بـدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتل يحي بن زكريا عليه السلام . فعدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه وعدا أهل حضوراء على نبيهم فقتلوه . فلما اجترءوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن ، الذي فيه معد بن عدنان من أنبيائهم فبعث الله بختنصر على بنى إسرائيل ، فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بنى إسرائيل نسفاً ، فأوردهم أرض بابل . رأى فيما يرى النائم أمر بعض الأنبياء يأمره أن يدخل بلاد العرب [3]، فلا يستحى فيها إنسياً ولا بهيمة وأن ينتسف ذلك نسفاً حتى لا يبقى لهم أثراً . فنظم بختنصر ما بين أيلة والأبلة خيلاً ورَجْلاً ، ثم دخلوا على العرب ، فاستعرضوا كل ذي روح أتوا عليه ، وقدروا عليه وأن الله تعالي أوحى إلى أرميا وبرخيا ، أن الله قد أنذر قومكما فلم ينتهوا ، فعادوا بعد الملك عبيداً ، وبعد نعيم العيش عالة ، يسألون

---

(١) وتستطرد الرواية بعد ذلك وتذكر (فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحبوب والتمر والثياب وغيرها فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حصنا على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم برخيا فقال أن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فأقبل منهم فأحسن إليهم قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات فأبتنوا موضع عسكرهم فسموه الانبار قال وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها مترلاً حياة بختنصر فلما مات انضموا إلى أهل الانبار وبقى ذلك الحير خراباً . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) نفس المصدر ١/ ٢٩٣.

(٣) اختلف في ذكر مناسبة خروج بختنصر لغزو العرب وفي أي عهد من عهود أنبياء بنى إسرائيل المقتولين فقيل في عهد أرميا وقيل دانيال أو حنانيا أو عزاريا وقيل ميشائيل وقيل يحي بن زكريا . انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ١٤٧ .

الناس ، وقد تقدمت إلى أهل عربه بمثل ذلك فأبو إلا لجاجة ، وقد سلطت بختنصر عليهم للانتقام منهم فعليكما بمعد بن عدنان ، الذي من ولده محمد ﷺ الذي أخرجه في آخر الزمان ، أختم به النبوة ، وأرفع به من الضعة فخرجا تطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصر ، فلقيا عدنان قد تلقاهما فطوياه ، ولمعد يومئذ اثنتا عشر سنة فحمله برخيا على البراق ، وأردفه خلفه فانتهيا إلى حران من ساعتهما ، وطويت الأرض لأرميا ، فأصبح بحران فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق فهزم بختنصر عدنان ، وسار في بلاد العرب حتى قدم إلى حضورا ، واتبع عدنان فانتهى بختنصر إليها . وقد اجتمع أكثر العرب ، من أقطار عربة إلى حضورا ، فخندق الفريقان وضرب بختنصر كميناً ، وذلك أول كمين كان كما زعم ، ثم نادى مناد من جو السماء يَالثَّارات الأنبياء . فأخذتهم السيوف من خلفهم ، ومن بين أيديهم ، فندموا على ذنوبهم ، فنادوا بالويل ، ونهى عدنان عن بختنصر ، ونهى بختنصر عن عدنان ..." ثم تتعرض الرواية بعد ذلك إلى رجوع بختنصر إلى بابل في جمع من سبايا العرب ، كما تشير الرواية أن عدنان مات بعد عودته ، وظلت بلاد العرب خربة حتى عاد معد بن عدنان مع بعض أنبياء بني إسرائيل إلى مكة ، بعد موت بختنصر فحج وحج معه الأنبياء ...." ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن كلا الروايتين وردتا في الطبري ونقلها عنه كل من ابن الأثير وابن كثير باختصار في الرواية الثانية ، فالأولى مروية عن محمد بن هشام بن السائب الكلبي،والثانية عن ابن إسحاق [١]، واللذان لا يستبعدان اعتمادهم على ما ذكره أهل الكتاب [٢] ، فقضية غزو بختنصر للعرب ، تؤكده بعض المصادر الإسلامية الأخرى ، وقد أضافت إليها

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٩١ -٢٩٣.وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/ ١٥٣-١٥٤. وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٩٤.

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦٠٨ .

الكثير من الأخبار ، حتى جعل بعضهم أرض العرب . وقد خلت من سكانها ، نتيجة غزو بختنصر "نبوخذ نصر الثاني" . لها كما ذكر ذلك الهمداني [١] ، عند حديثه عن نسل نزار بن معد، الذين انتشروا في أرض العرب ، وهى خاوية عقب غزو بختنصر لها ، بقوله :- "... وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وبعروضها كثير لإخراب بختنصر لها ، وإجلاء أهلها ، إلا من كان اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها ، ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليها فيها أحد ، متنكباً لمسالك جنوده ، مستنا خيوله فاراً إليها منهم ...."

ومن ثم لا يستبعد جواد علي [٢] من أن يكون بنوخذ نصر الثاني قد غز العرب ، وأن جيوشه قد غزت بالفعل قبائل حاصور التوراتية ، والتي كانت تقطن البادية العربية الشمالية (أي شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية) ، حيث كان العرب يقيمون مع مواشيهم وأتباعهم في تلك الأرضين ، وقد أصابتهم جيوش نبوخذ نصر الثاني في مناطقهم ، أو أثناء تقدمه في أرض فلسطين، وأنهم قُصِدوا بالفعل بحملاته تلك ، لأنهم رفضوا أن يشتركوا معه ، في حملاته ضد المدن الفلسطينية ، فكان ذلك سبباً في تقدمه نحوهم، وإجبارهم على الفرار من أمامه ، والالتجاء إلى البادية ، حيث الصحراء الفسيحة ، والكهوف والمغارات المنتشرة هناك ، وهذا الأمر ليس بغريب عن العرب سكان تلك المناطق، فكلما شعروا بالخوف من غاز يلاحقهم ، انطلقوا إلى باديتهم للاحتماء بها، احتماءً من بطش أولئك الغزاة ضدهم ، متخذين منها مواضع مواطن جديدة، يحيون فيها آمنين . وحيث إن التوراة قد جمعت في ذكرها بين قبائل حاضور ، وقبائل قيدار ، والتي من المرجح أنها كانت تسكن تلك المناطق ، فإن

---

(١) الهمداني : صفة / ٨٣ في روية عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٠٧ - ٦٠٩ .

تقدم نبوخذ نصر الثاني نحو تلك الأطراف أمر وارد ، ويضيف أن للذاكرة العربية دوراً في تدوين تلك الأحداث ، فربما قد حفظت خبراً عن كارثة طبيعيـــــة، أو حرباً دامية ، أصابت قوم حضوراء اليمنية ، وأنزلت بهم خسائر كبيرة في الأفـراد والممتلكات ، فلما جاءت فترة التدوين التاريخي عند العرب ، شعر العرب بذلك، وظنـــــوا الربط بين حاضور التوراتية وحضوراء اليمنية ، فقرنوا أحداثهما معاً ، وأضافوا إليها ما شاءوا ، لتصبح الرواية بهذا الشكل ، خاصة وان مصدر الروايتين هما ابن الكلبي وابن إسحاق ، والمشهور عنهما اعتمادهما في بعض رواياتهما علـى ما يعرف بالإسرائيليات ، أو ما ينقل عن أهل الكتاب . وعلى كلٍ فإن وجـــود اتصالات بين منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وبلاد الرافديـــن في زمن نبوخذ نصر الثاني ، أمر ليس بغريب ، بناءً على مـــا ذكرتــه المصـادر ، بالإضافة إلى أن التواجد العربي في معظم الأطراف التي سارت فيها الجيوش البابلية نحو فلسطين ، أمر لا يقبل الشك ، إبان توسعاته هناك ، فاصطدام الجيوش البابلية بالعرب أمر واقع ، وكان له أثره ، وربما يكون قد أوقع خسائر فادحه بـللعرب ، وخاصة القاطنين في "شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية"، وقد يكـــون إلى أبعد من ذلك ، حتى وسطه عند "ذات عرق" ، أو حتى أبعد من ذلـــك ومـــع ذلك فأن هذا الرأي يجب أن لا يكون بشكل جازم أو قاطع ، وأياً كان الأمـــر ، فإنه لم يكن بدافع الاستيلاء (الاستعمار) ، بل هو ذو طابع عسكري مؤقـــت ، خاصة وأن معظم الجيوش الغازية ، التي تقدمت نحو شبه الجزيرة العربية ، كـانت أشبه بسيل جارف يكتسح كل ما هو أمامه ، ثم لم يلبث وبعد فترة قصيرة من أن يجف وتنمحي أثاره ، نظراً لطبيعة شبه الجزيرة العربية وتضاريســـها ، ووعـــورة المواصلات بين أقاليمها المختلفة ، وبعد المسافة بين عواصم أولئك الغزاة ، وبـــين جيوشهم التي تحتاج إلى المؤن والعتاد الحربي الذي يعينهم على تثبيت نفوذهـــم ، هذا ما وضعنا في الحسبان للوضع السياسي للعرب ، في تلك الآونة التي يتشـــكل فيها العرب من قبائل رحل متفرقة ، يصعب المحافظة على ضبطها ، والتي تعـودت

على الكر والفر، والغزو والسلب والنهب ، وخاصة ضد قوافل تموين الجيـــوش والحاميات ، وإضافة إلى ذلك فإن معظم جيوش أولئك الغزاة تتألف من جنـــود مرتزقة ، سيقوا إلى المعارك سوقاً ، دون رضا منهم ، للحصول على مغانم وفيرة ، وسرعان ما يتفككون حين الحصول عليها ، وحتى إن كان أولئك المشاركون من تلك القبائل نفسها ، حيث يضاف إلى أطماعهم الماليـــة ، النـــزعة القبليـــة والعصبية، وأهدافها المتعددة ، والتي يتوقف عليها مدى اشتراكهم ، وتعـــهدهم للانضمام أو الانحلال، والذي عادةً ما يكون مرهوناً على قدر ما يبذل لهم مـــن مال سخي ، وعلى قدره تكون قدرتهم على المشاركة من عدمها ، ومن الجديـــر بالذكر هنا أن الشواهد النصية والمادية تؤكد وصول آخر ملوك الدولة الكلدانيـــة " نبونيد " إلى أطراف متقدمة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وعلـــى كلٍ فيجب أن نضع في الحسبان أن الرواية العربية قد يكون الاخباريون المسلمون نقلوها عن التوراة ، وهي مبنية على ما جاء في سفر أرميا ونبوءته . والـــتي قـــد تكون من وضع الكاتب نفسه ، ليثبت نبوءته ، مستغلاً فتوحات نبونيد في شمـــال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ونسبتها إلى نبوخذ نصر الثاني (بختنصر) كمـــا تتجه إلى ذلك بعض الآراء الحديثة . هذا ويضيف محمد بيومـــي مـــهران (1) أن الرواية هشة جدا ، وسهام الريبة تتوجه إليها من كل جانب ، حيـــث إن أثـــر الإسرائيليات واضح فيها، كما أن أثر الإخباريين المسلمين كذلك ، فكيف يكون نبوخذ نصر الثاني " بختنصر" ذلك الملك الوثني مناصراً لديـــن الله ، ومكلفـــاً بعقاب العرب ، على كفرهم بأنبياء الله ، وهو الذي ذكرته المصادر الإسـلامية ، بأحد أربع ملوك حكموا الأرض : كافران ومؤمنان وكان هو أحـــد الملكـــين

---

(1) المرجع السابق ، ص ١٨٦ - ١٩٢ . وانظـــر ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٤٨ .

الكافرين كما ورد ذلك عند ابن كثير (ملك الأرض كافران ومؤمنان فأما الكافران فنمرود وبختنصر وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين) ويرى أن مثل هذه النظريات نظريات يهودية ، تجعل من الملوك الوثنين أداة انتقام ضد شعوب بني إسرائيل ، كما أن الرواية تتجه إلى جعل برخيا وهو كاتب للنبي أرميا وليس نبياً يقطن نجران ، وهو في الحقيقة باروخ الذي كان يسكن أورشليم والذي أسر مع أرميا في بابل والذي تتهمه الأخبار على دوره الكبير في بث روح اليأس لدى بنى إسرائيل ليكونوا في ذلك الموقف السلبي ، أمام نبوخذ نصر الثاني ضدهم فكانت مكافأته أن أطلق سراحه العاهل البابلي ، ويضيف محمد بيومي مهران أن خلال الفترة الواقعة ما بين خروج بنى إسرائيل من مصر في حوالي علم ١٢١٤ق.م وحتى السبئي البابلي عام ٥٨٦ق.م فترة قهر لبني اسرئيل على يد نبوخذ نصر الثاني ، فكيف يكون برخيا (اليهودي) صديقاً لذلك الملك الذي ينصت له ويتقبل منه مشورته في التسامح !!! ويضيف أن التناقض الزمني واضح في الرواية ، فالقصة تروى على موعد مولد معد بن عدنان ، الذي كان عمره آنذاك اثني عشر عاماً ، وهو العهد الذي كان بنو إسرائيل يقتلون أنبياءهم ، وكان آخر من قتل هو يحيى بن زكريا عليهما السلام ، والمعروف تاريخياً أن نبوخذ نصر الثاني كان يحكم في حوالي (٦٠٤ - ٥٦٢ق.م) في حين أن حياة معد بن عدنان ربما كانت ما بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر ق.م ،كما أن يحيى بن زكريا كان معاصراً للمسيح عليه السلام ، أي خلال القرن الأول الميلادي تقريباً . فالتفاوت الزمني واضح مما يدفع إلى تأكيد القول بأن الرواية مقتبسة من روايات أرميا التوراتية ، والتي تسهب في التحدث عن المصائب التي تنبأ بها ضد اليهود وغيرهم ، من الشعوب التي تتصل بهم أو تجاورهم . وعلى ضوء ذلك فالأمل فيما تكشفه لنا معاول الباحثين ، في هذا الصدد . حيث ما بأيدينا عن وصول نبوخذ نصر إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية لا زال غير كافٍ ، لتأكيد وصوله للمنطقة أو نفيه ، مع أن ورود الروايات العربية تشير

إلى ذلك ، ولكن فربما كان هناك خلط بين شخصية نبوخذ نصر الثاني وشخصية نبونيد الملك البابلي ، الذي تولى عرش بابل فيما بعد .

توفى نبوخذ نصر الثاني في ظروف حرجة تمر بدولته ، حيث يكتنف الغموض السنوات الأخيرة من حكمه ،حيث انقطعت تلك الفترة باضطرابات داخلية واسعة – على ما يبدو – أسفرت في نهاية الأمر إلى تولى ابنه (أوبل مردوخ) (٥٦٢ – ٥٦٠ ق.م) بعد وفاته عرش بابل والذي عرف في التوراة باسم (مردوخ الشرير) [١] . ثم جاء بعده زوج أخته (نرجال شار أوصر) . الذي كان أحد القواد العسكريين في عهد أبيه الملك نبوخذ نصر الثاني ، ولم يعمر طويلاً ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً كثيراً عن سيرته ، فربما لا يوجد هناك ما يستحق الذكر . وخلفه على عرش بابل ابنه الصغير المدعو (لباش مردوخ) ولم يحكم سوى أسابيع قليلة ، حيث تدخل كهنة مردوك وأبعدوه عن الحكم ، بعد أن ذبحوه وجعلوا في مكانه أحد أبناء طائفتهم ، وهو الملك"نبونيد" (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) بعد حالة من الفوضى والفتن والدسائس والتآمر ، وخاصة داخل الأسرة الحاكمة وحتى اعتلائه العرش [٢].

---

(1) Roux. G. , op.cit., p. 350.

(٢) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تاريخ العراق القديم ، الجزء العاشر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٤٥١. وكذا .

Thompson. R.G.,op.cit., pp.217–218 ;
Roux. G., op.cit., pp.350 -351.

الفصل الثاني

التوسعات البابلية الكلدانية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

تولى نبونيد عرش بابل ، فبادر بإخماد الثورات والفتن ، التي انتشـــرت في أرجاء مملكته، ثم سعى مجدداً في توسيع رقعه دولته ، وتثبيت انتشارها ، فـــالتقى باليديين، في أقصى الشمال الغربي لهضبة الأناضول ، كما أتاحت فرصة نجـــاح حليفه قورش في ضرب الميديين [1] ، حيث تقدم نحو حران [2] ، وغـــزا شمـــال سوريا ، ثم واصل تقدمه جنوباً نحو حماة ، وجبال الأمانوس في (لبنان) ، ومنـــها إلى صور وحتى غزة وآدوم في أقصى الجنوب ، وضمها إلى أملاكه [3] . ورغـــم الجهد الكبير الذي بذله في سبيل إعادة أمجاد دولته ، إلا أن بعض أعمالـــه قـــد أثارت عليه سخط طوائف من رعاياه ، في مناطق مختلفة من مملكته ، أدى بدوره إلى ضعف الدولة ، وإصابتها بعوامل الانحلال [4] ، وكان من أبرز تلك الأعمـــل تحوله المتوقع من عبادة مردوك (مردوخ) [5] معبود بابل الرئيســـي ، إلى عبـــادة معبود آخر هو المعبود سين (القمر) معبود الآراميين الرئيسي، مما أثار عليه طائفـــة كهنة مردوك ، وكان له أثره على مجريات الحياة السياسية في بـــلاد الرافديـــن ، خلال عصره ، حيث كان هذا الحدث سبباً مباشراً في هجر نبونيد لعاصمته بابل،

---

(1) Gadd , op.cit. , p. 51 .

(٢) حران و تعني الطريق في الأكادي تقع شمال بلاد الرافدين في تركيا حالياً ويطلق عليـــها (اورفـــا) وكانت مركزاً تجارياً هاماً وممراً رئيسياً لأبرز الطرق التجارية القديمة في بلاد الرافدين ولقد حظيـــت بمكانة حضارية هامة خلال تلك العـــهود . انظـــر

عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٤٨ . وكذا ليو ابنهايم: المرجع السابق، ص٤٨٩-٤٩٠ .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ٥٥٦ - ٥٥٧ . وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجـــع الســـابق، ص١٧٣ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ، ص٤٥٢ . وكذا

Oppenhiem. A.L., op.cit. , pp.305 - 306 .

(٤) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .

(٥) رضا جواد الهاشمي : " مردوك عظيم آلهة بابل " ، المورد ، المجلد السادس عشر ، العـــدد الثـــالث، بغداد ، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٧م ، ص ٤٠ - ٤٨ .

بينما ترك ابنه بلشاصر ، ليدير شؤون الحكم في بابل [1]، واختياره مركزاً سياسياً آخر، يدير فيه شؤون دولته، في الشطر الغربي لمملكته، في تيماء [2] والواقعة في

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦١١ . وكذا أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) تيماء Tema Tayma أو (Te-Ma-a) (ت - ما - آ) (ت - ما) كما وردت في النصوص الآشورية و البابلية ، وتقع على الحواف الغربية لصحراء النفوذ ، وهي عبارة عن واحة كبيرة وهي على بعد ٢٠٠كم جنوب شرق تبوك ،وحوالي ٣٠٠كم جنوب غرب الجوف (دومة الجندل) وعلى بعد ١٥٠كم شمال غرب العلا (ديدان) وأرضها منخفضة عن ما حولها بحيث تتحول إلى بحيرة ضحلة عند هطول الأمطار عليها ، وتتميز بوفرة مياهها حتى اعتبرها بعض الرحالة عند مروره بمنطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية بأنها من مدن الأنهار الجارية ، حيث أسهبت المصادر والمراجع في التحدث عن كثرة مياهها ووفرة عيونها. وهي اليوم عبارة عن مدينتين ملاصقتين تيماء القديمة وتيماء الحديثة وتتجاوز مساحتها الأثرية القديمة حوالي ٨ كيلومترات تقريباً ،وتعد تيماء من أشهر المدن التاريخية في شبه الجزيرة العربية ، وحظيت بشهرة واسعة سياسياً واقتصاديا خلال تاريخها، فلقد جاء ذكرها في التوراة مجاورة لديدان ، والتي ذكرهما بصلاتهم التجارية بدولة سبأ والمناطق التابعة لها على طول الطريق التجاري القادم من العربية الجنوبية مارا بالعربية الشمالية نحو موانئ البحر المتوسط عبر مستوطناتها المنتشرة على طول الطريق . والتي أقامتها لحماية نفوذها التجاري. ولقد ورد ذكرها لأول مرة في نصوص الملك الآشورى تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤-٧٢٥ ق.م) من ضمن المدن العربية التي دفعت له الجزية ،ولقد ذاع صيتها منذ ذلك التاريخ ، حيث بلغت أوج ازدهارها خلال عصر الدولة البابلية الكلدانية ، حيث اتخذه الملك البابلي نبونيد عاصمة له .كما ورد ذكرها أيضاً في النصوص الصفوية ، وكذلك وردت في المصادر الإسلامية ، على أنها تقع في أطراف الشام عند وادي القرى . هذا ولمزيد من التفصيل حول مسمى تيماء في المصادر الإسلامية . انظر صبحي أنور رشيد في مدونته دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء . انظر ياقوت : معجم البلدان ٦٣/١ . وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥٨١ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ . وكذا جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، دار العلم ، بيروت ،١٩٨٠م ، ص.١٥٠. وكذا صبحي أنور رشيد :" دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء "، مجلة سومر، الجزئين الأول والثاني ، المجلد التاسع والعشرين ، بغداد ، ١٩٧٣، ص١١٤ - ١١٦ .وكذا عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية "، مجلة الدارة ، الرياض ، العدد الأول ، ١٩٧٤م ،

=

منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية، حيث قضى فيها حوالي عشرة أعوام من سني حكمه . الأمر الذي أسفر عن بعده، من إدارة شؤون دولته بشكل طبيعي ، فكان سبباً مباشراً في الانهيار الذي أصاب دولته (١) ، حيث شكل بخروجه ذلك بداية التوسعات البابلية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وأسفر في نهاية الأمر إلى شبه احتلال من قبل نيونيد لتلك الأرضين ، كما أكدت المصادر التاريخية، تواجد الملك نبونيد في المنطقة، خلال العقدين السادس والخامس من القرن السادس ق.م (٢) .

إن أول تلك الإشارات التي تحدثت عن ذلك التقدم ، هو ما تضمنته حولياته والتي تعرف لدى الباحثين ، بمسمى **"تذكار نبونيد"**

= ص٨٠. وكذا جورث بودن وآخرون :" التنقيبات الأولية في آثار تيماء "، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، أطلال ، العدد الرابع ، الرياض ، ١٤١٠هـ/١٩٨٠م، ص٨١. وكذا عبد الرحمن كباوى :" حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية "، الموسم الرابع ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، أطلال ، العدد الثاني عشر ، الرياض ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٦٣ - ٦٥ . وكذا سفر أشعيا /١٣،٢٠ . وكذا سفر ارميا /٢٥، ٢٣. وكذا سفر أيوب / ٦ ، ١٩ . وكذا

Musil. A. , op.cit. , p. 288 ; Winnett F.V. & Reed W.L., op.cit. ,p. 89 . ; Gadd. C.J. , The Harran Inscription of Nabonidus , Anatolian Studies , vol. III,1958, p. 80 .

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ . وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ . وكذا أنطون مورتكات :المرجع السابق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ . وكذا ليو ابنهايم : المرجع السابق ،ص٣٣. وكذا فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٣٩. وكذا ج.هـ.ويلز : المرجع السابق ، ص٨٥-٨٦ . وكذا

Bawden. G., " Painted Pottery of Tayma and problems of cultural chronlogy in northwest Arabia " , in Midina Moab and Edom , (eds) ,1983 , p.41. ; Roux. G., op.cit. , p. 351.

(2) Gadd, op.cit., p. 84 .

أو حوليات نبونيد [1] ، والمتضمنة سنوات حكمه منذ توليه العرش ، وحتى سقوط بابل مع الأخذ في الاعتبار أن النص لم يكن كاملاً ، فقد أصابه التلف، في مواضع كثيرة ، أخفت معها عدداً من سني حكمه ، فيما بين السنة الثالثة وحتى السادسة ، أي الرابعة والخامسة ، كما طمس العام الثامن من حكمه ، في حين بقيت أحداث العام السادس والسابع والتاسع ، وكذا العاشر والحادي عشر ، ثم بعد ذلك أصاب التلف حولياته ، من السنة الحادية عشرة وحتى السابعة عشرة من حكمه . وعلى كلٍ فمنذ العام الثالث من حكمه أشارت حولياته إلى تقدمه نحو "شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية" أو بلاد العرب ، كما جاء في النص التالي [2] :-

"... في العام الثالث وفي شهر كيسلو ... فإن الملك (حشد) جيشه ... نابو – ين (؟) دانشيش ... لأمور " الغرب " ضد مدينة أدومو ... نصبوا (معسكرهم) ... والفصائل المتعددة ... ومدينة شيندبلي. هو قتله ...."

---

(١) أول من قام بنشرها . PinchesT. G في عام ١٨٨٢م ، في مجلة TSBA المجلد السابع ، ص١٣٩ وما بعدها . ثم أعاد نشرها Sidney smith في " النصوص التاريخية البابلية إلى سقوط بابل " في لندن سنة ١٩٢٤م . انظر
صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص ١١٤ . وكذا صبحي أنور رشيد :" العلاقات بين وادي الرافدين وتيماء "، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الكتاب الثاني ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٣٨٧ . وكذا Oppenhiem. A.L., op.cit., pp.305-306

(٢) النص الذي اعتمد عليه الباحث هو الموجود في المتحف البريطاني برقم ٤٠٧١٠١ ونشر بواسطة J . N. Strassmaier في مجلة Hebraica ، المجلد التاسع ، ١٨٩٢م ، وله عدة ترجمات، والمذكور هنا ترجمة Oppenheim ,A.L . انظر
Oppenheim. A.L. , op.cit., p. 305 ,F 3 .

يتضح هنا ورود لفظة " ادومو " ، والتي يجمع عليها كثير من الباحثين (١) أن المقصود بها أدوماتو أي (دومة الجندل) في منطقة الجوف ، وكما هو ملاحظ وجود نقص شديد في النص يصعب معه قراءته قراءة جيدة وتحليله ، إلا أن من الظاهر من فحواه أن تقدمه كان نحو الغرب، ثم بعد ذلك اتجه جنوباً نحو المناطق الاستراتيجية حيث خط القوافل التجارية القادمة من أطراف شبه الجزيرة العربية نحو موانئ البحر المتوسط ، ليبسط نفوذه عليه ، وكان لزاماً عليه ليحقق ذلك أن يقتحم حصن العرب ، وبوابته الشمالية " أدوماتو " - مركز التجمع القبلي العربي - كما يشير إلى ذلك نصه السابق ، ثم يتأكد لنا

---

(١) هناك من يذهب إلى أن المقصود بها مملكة "آدوم" الواقعة في جنوب الأردن بجوار مؤاب ، إلآ أن الذي يجمع عليه الكثير من الباحثين أن المقصود بـ ادومو في النص هي أدوماتو " دومة الجندل " حتى وإن كانت هذه الآراء تحتاج إلى شواهد أخرى تساندها ، فإن موقع أدوماتو الجغرافي بالنسبة لشمال غرب شبه الجزيرة ، يجعل أمر تقدم الملك البابلي نبونيد نحوها وأن تحركاته في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية لابد وأن شملتها لأنها تشكل حصن العرب الواقي على أطرافهم الشمالية . هذا ويرى طه باقر أن يكون في المدينة إبان غزو نبونيد لها حامية عسكرية آشورية ، ترابط فيها وهم من بقايا الجنود الآشوريين الفارين من التقلبات السياسية التي عصفت بالدولة الآشورية في نهاية عهده ففضلوا البقاء في تلك الأرض في نهاية حكم الملك الآشوري آشور بانيبال حيث دبت الفوضى في بلاد الرافدين في تلك الآونة انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦١٠. وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص٤٨٧- ٤٨٩ . وكذا طه باقر : المرجع السابق، ص٥٥٥ . وكذا

Winnett. F.V. & Reed. W.L., op.cit., p p.72 - 3 ; Musil. A. , The Northren Hegas , New York , 1926 , p. 225 ; Dougherty. R.P., Nabonidus and Bilshazzr,New Havevn,1929 ,pp.106 – 7 ; Parr. P. J. , Aspects of the Archaeology of Northwest Arabia in the first Millennium B.C", in Foha T.(eds) , L'Arabie Preislamique , ET son Environment Historique Et . Culturel Stnasbourg ,1989, p. 49 .

تقدم ذلك الملك البابلي نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث تشير نفس الحوليات السابقة إلى أنه في العام السابع من حكمه وصل إلى واحة تيماء العربية ، كما جاء في النص التالي [1] :-

"...في العام السابع الملك [نبونيد استقر] في تيماء الإمارة التاجية وموظفيه وجيشه كانوا في أكاد ولم يذهب الملك إلى بابل (لحفلات شهر نيسانو) ... والاحتفال بالعام الجديد ألغي ..."

مع الأخذ في الاعتبار أن التهشم الذي أصاب النص ، قد يكون قد أخفى بعضا من سيرة ذلك الملك ، فيما بين العامين الرابع والخامس من حكمه ، في حين أظهر لنا النص أخبار العام السادس من حكمه [2] ، والذي يشار فيه إلى موقفه من ملك الفرس قورش ، فقد تكون هناك أخباري أخرى لتحركاته في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وخاصة تلك الواقعة ما بين أدومـلتو في الشمال وتيماء في الجنوب ، هذا وقد جاء في أخبار العام السابع من حكمه وكما يظهر من النص أن لفظة تيما ء الواردة في النص ، جاءت مسبوقة بكلمة الاستقرار ، الأمر الذي قد يوحي أن تواجد نبونيد في تيماء ، اسبق من عام الاستقرار ، الذي هو العام السابع ، فقد يكون توجه نبونيد نحو تيماء كان مباشرة بعد استيلائه على (أدوماتو) في العام الثالث من حكمه أي في سنة ٥٥٢ ق . وقد يكون استقراره حصل بعد استيلائه على أدوماتو ، فربما يكون الملك نبونيد وبعد أن ضمن بسط نفوذه على أدوماتو عاد إلى بابل ، حيث كان يدور على الأطراف الشرقية لدولته ، صراع قوى بين الفرس والميديين ، فقرر نبونيد التوجه إلى بابل ليراقب الأمر عن كثب ، وخشيته أن يمتد الصراع إلى

(1) Oppenheim. A.L., op.cit., p. 306 .

(2) Ibid.

داخل حدود دولته . وبعد أن هدأت الأمور بينهم ، عاد نبونيد إلى مواصلة توسعاته في المنطقة ، وتحقيق ما يصبو إليه . حيث قدم إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية واستقر في تيماء في العام السابع من حكمه . ومن المحتمل أن يكون نبونيد قدم إلى تيماء إبان حملته الأولى، ثم خرج منها ثم عاد إليها [١] .

على أن هناك من يذهب [٢] أن تقدم نبونيد نحو بلاد العرب ، كان على أثر حروبه التي استمرت في سوريا وفلسطين ، حتى العام الثالث من حكمه ، حيث تقدم نبونيد بعدها نحو بلاد العرب ، حيث وصل بحملاته تلك إلى تيماء عقب احتلاله لأدوماتو ،كما يتضح ذلك من نصه الذي أشار فيها ، إلا أن حملته استطاعت الاستيلاء على موقعين أحدهما غير معروف وهو شندرى ، والآخر معروف هو أدوماتو الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية ، وعلى ضوء ذلك فإن الاسم الآخر ربما يكون موقعه أيضا شمال شبه الجزيرة العربية ، وعليه فإن نبونيد تقدم إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ووصل إلى تيماء ، في العام الثالث من حكمه ، أي عقب انتهائه من حروبه في سوريا مباشرة . مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك الأمر لا يزال حدساً عن غير يقين، ولا يمكن الجزم به في الوقت الحالي [٣] . ومن المرجح أن ذهاب نبونيد إلى تيماء كان ما بين العامين الثالث والسابع من حكمه .

---

(1) Roux. G. , op.cit. , p. 356 ; Oppenhiem. A.L., op.cit. ,p. 306 .

(2) Lambext. W. G. ," Nabonidus Arabia " Proceedings of the 51h Seminar for Arabian.Studies, 2 , 1972 , p p.54 - 5 .

(٣) إن النقص الموجود في النص جعل من الصعوبة بمكان تحديد الوقت الذي بدأ فيه نبونيد في التوجه نحو تيماء حيث جاء النص مبتوراً ما بين العامين الثالث والرابع . وعندما ظهر ذكرها ظهر بلفظة الاستقرار و لم تؤكد نصوص ذلك الملك اللاحقة تحديد زمن واضح لذلك التقدم كما سيلاحظ قادماً الأمر الذي جعل الارتباك واضح على الباحثين في تحديد الزمن الفعلي لذلك التقدم فيما بين العامين الثالث أو السابع من حكمه . انظر

=

إن من الأهمية بمكان هنا أن نذكر أن ذكر واحة تيماء – في هذا النص – واجه معارضة شديدة من قبل الباحثين لغرابة اسم تيماء ، تلك الواحة العربية والبعيدة عن الأطماع التوسعية ومجرى الأحداث السياسية لبلاد الرافدين ، حيث ذهب الباحثين في ذلك مذاهب شتى ، لاختيار موقع آخر يتناسب مع مدلول اللفظة والموقع ، فهناك من ذهب إلى جعلها منطقة واقعة في إقليم العروض ، على الخليج العربي ، على اعتبار قربها من بابل ، وهناك من ذهب إلى القول بأنها تيمان المذكورة في التوراة ، بأنها أرض المشرق ، وملتقى قوافل الشام ومصر والعراق ، وأنها هي المقصودة وليست تيماء العربية (١) وظل الخلاف قائماً بين الباحثين ، حتى عثر على نص تاريخي آخر منسوب للملك البابلي نبونيد ، وعرف بقصيدة **"محاسبة نبونيد" أو" السيرة الشعرية لنبونيد"** (٢) . وهي عبارة عن تدوين تاريخي لسيرة ذلك الملك ، في شكل شعر عراقي قديم ، دونت بعد وفاته، على يد بعض الكتاب البابليين ، وذلك عقب احتلال الملك الفارسي قورش لبابل ، والذي يظهر من فحواها تأثر أولئك الكتاب بالمستعمر الجديد ، بما سجلوه

= سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ . وكذا رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق ، ص٦٦٢. وكذا صبحي أنور رشيد : المرجع السبق ، ص١١٤ . وكذا
Winnet. F.V. & Reed. W.L., op.cit. , p. 89 .

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٣.

(٢) محفوظة في المتحف البريطاني على لوح تالف برقم ٣٨٢٩٩ . وقام بنشرها sidney smith سدني سميث في نصوص" تاريخ بابل " النص ٥ – ١٠ ، في عام ١٩٢٤م في لندن وقام بدراستها عدد من الباحثين وأكمل بعضهم ترجمة النقص فيها أمثال landsberger.B لا ندسبرجر بور في مجلة ZA ، العدد ٣٧، (١٩٢٦– ١٩٢٧م) ، وهي التي بين أيدينا ، وقد نشره في مجموعة برتشارد تحت عنوان Nabnidus and the clergy. of babylon . انظر صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص ١١٤ – ١١٥ .وكذا صبحي أنور رشيد :" العلاقات بين تيماء وبلاد الرافدين "، ص٣٨٧-٣٨٨. وكذا
Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 312 ; Roux.G. , op.cit. , p. 351 .

من أخبار قصد فيها تشويه صورة ملكهم العتيد ، بعد وفاته ، فوصفوه بالجنون والكذب ، والتفاخر زوراً ببطولات وانتصارات لم تطلها يداه أبداً ، كما يظهر من فحواها أن تدوينها اختلط بتملق واضح للحاكم الفارسي الجديد على بابل (١) .

وقد تضمنت القصيدة تأكيد وصول العاهل البابلي إلى تيماء ، مع شرح تفصيلي لرحلته تلك نحوها ، منذ خروجه من بابل ، وموقفه اتجاه سكان تيماء ، وموقف سكان تيماء منه ، وحتى استقراره في مدينة تيماء . حيث جاء في أول النص التالي (٢) :-

"... عندما كانت السنة الثالثة بدء وقد أمن المعسكر
إلى ابنه الأكبر (البكر) وحاشيته حيث كانت في الوطن تؤمر
تحت قيادته وهو أعطى [كل شيء] يذهب وأتمن المملكة له
و(بنفسه) بدء لرحله طويلة والقوى [الحربية] الأكاديه
مشت معه وهو تحول نحو تيما في الغرب ،وبدء على طريق
[يقود] إلى [المنطقة] وعندما وصل إلى هناك هو قتل في
المعركة أمير تيما وذبح ماشيته سكان المدينة [وكذلك]
سكان الأقاليم المجاورة . هو نفسه [جعل] إقامته في تيما ،
وجيش أكاد (حيث) أيضاً استقروا هناك ...."

وهكذا كما يتضح من النص السابق ، تأكيد قدوم الملك البابلي "نبونيد" نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، منذ العام الثالث ، من حكمه حيث توجه بعد ذلك وكما في النص لفظة "تحول" نحو تيماء العاصمة السياسية الثانية، لعرب الشمال ، في منطقة شمال شبه الجزيرة العربية . وقد وصف النص خروج

---

(١) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ . وكذا
Roux. G., op.cit., p. 351
(2) Oppenhiem. A.L., op.cit., p p.313 - 14 .

نبونيد إلى تيماء ، وجعل ولده مكانه على عرش بابل ، والذي يدعى بلشاصر ، وترك له حامية عسكرية لتعينه على تصريف أمور دولته ، ولعل من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن النص أشار إلى خروج نبونيد إلى تيماء من عاصمته كان في العام الثالث ، والتي جعلها في الغرب من دولته ، حسب النص والتي وصف وصوله إليها بعد رحلة طويلة ، فإن تحديد خروجه بالعام الثالث من حكمه ، لا يؤكد وصوله إليها في نفس العام الذي خرج فيه ، فمن غير المستبعد أن الهدف الرئيسي من وراء خروجه هو الوصول إلى تيماء ، كما سيتضح ذلك جليا في الصفحات القادمة ، وكذلك ليس من المستبعد أن يقوم نبونيد بحملات مختلفة في أرجاء دولته، قبل أن يتقدم نحو تيماء أو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وخاصة في الأقاليم الغربية والتي عادةً ما كانت مصدر قلق لحكومات بلاد الرافدين المختلفة لتوطيد نفوذ دولته وتثبيت كيانها ، وربما استغرقت أعماله تلك طيلة الأعوام التي سبقت استقراره بتيماء في العام السابع من حكمه ، مع وضع احتمالية وصوله إلى تيماء ، أثناء فترات تنقلاته تلك ، قبل أن يستقر به الحال فيها. ولكن لم يفلح في اقتحامها على طول تلك الفترات ، كما يظهر من النص أن اقتحام تيماء لم يكن عليه من السهولة بمكان ، حيث واجه نبونيد مقاومة عنيفة من قبل حكامها وسكانها ، ولا يستبعد أن يكون نبونيد قد ضرب حصارا طويلا عليها ، مستغلا كل ما في وسعه لتضييق الخناق على أهلها ، لإجبارهم على الاستسلام ، والرضوخ لأمره ، كما يستشف ذلك من النص السابق ، والذي تحدث عن معركته حول تيماء ، وانتصاره فيها بعد مقتل ملكها (١) ،

---

(١) أطلقت عليه بعض المراجع الحديثة اسم " ملكو " وهى من الترجمة الحرفية للنص حيث استبدلت كلمة " أمير " إلى "ملكو " الذي هو في نظرهم اسمه وليس كنيته كما جاء في النص . انظر محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٥٣. وكذا

Gadd , op.cit.,p. 84.

وتعرضه لسكانها بذبح قطعان مواشيهم ، ومواشي سكان الأقاليم المجاورة لهـم ، عقاباً لهم لتصديهم له أثناء تقدمه نحوهم ، أو نحو مدينتهم تيماء [١] . وهكـذا انتهى الأمر بنبونيد بدخوله تيماء واستقراره مع جنوده فيها [٢] .

ولقد كان لسقوط تيماء في قبضة الملك نبونيد أثره البالغ على منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية، فما إن استقر حتى باشر مشروعاته المختلفة في المنطقة، كما أشارت إلى ذلك أخباره. حيث ورد ذلك في النص المنسوب إليه والمعـروف **"بنص حران"** [٣] والذي تناول توسعات ذلك الملـك في المنطقـة وتـنقلاتـه

---

(١) وهو أمر متوقع من كل غازي أو طامع لا يركن إلى رحمة ، أو تهاون في سبيل توطيد دعائم احتلالـه أو بسط نفوذه حتى النساء والأطفال لا يستثنون من فعلته لإرضاء رغباته وشـهواته . انظـر جواد علي:المرجع السابق،ص ٦١٠ – ٦١١.وكذا رضا جواد الهاشمي: المرجع السابق،ص٦٢٢.وكذا Winnet. F.V. & Reed. W.L., op.cit., p. 89 .

(٢) سوف يتعرض الدارس خلال الفصل القادم لاستقرار نبونيد في تيماء وأسباب اختياره لها بإذن الله .

(٣) عثر عليه العالم الأثري الإنجليزي. Rice, D, S في حران عام ١٩٥٦م فيما بين شهري أغسـطس وسبتمبر أثناء تنقيباته الأثرية في مسجد حران الكبير، حيث عثر على ثلاث بلاطات مـن البـازلت موضوعه ضمن أساسات المسجد ، سجلت عليها كتابات اتضح بعد دراستها نسبتها إلى عهد الملـك البابلي نبونيد تخص اثنين منها الملك نفسه والآخر يخص والدته وهذا الأخير نسخه من نـص سـابق اكتشفه Pognon . H سنة ١٩٠٦م ، ولقد قام Rice بنشرها في جريدة أخبار لندن التوضيحيـة في سبتمبر سنة ١٩٥٧م ، أمام دهشة وتعجب كثير من الباحثين لتمكنه من قراءة تلك النصوص ثم قـام J Gadd. بدراسة وافية لتلك النصوص ونشرها في مجلة (الدراسات الأنضولية) المجلد الثـاني عـام ١٩٥٨م تحت عنوان " نصوص الملك نبونيد في حران " حيث جعل تلك النصـوص عبـارة عـن مجموعتين أحدهما تنسب إلى والدة الملك نبونيد ورمز لها بـ Nabon. H I . A ، Nabon . H. I. B ونصوص تخص الملك نبونيد نفسه وهى عبارة عن نسختين متطابقتين معاً تقريباً ورمز لها بـ Nabon. H2,A و Nabon.H2.B وهى مدونة على نصب تذكاري للملك نبونيد وتعد من أهـم الوثائق البابلية التي أشارت إلى توسعات حاكم بابل في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية . وهـي عبارة عن نقشين دونا على حجرين من البازلت متشابهين ارتفاعهما حوالي ١,٩٨ وعرضهما حـوالي ٩٧سم . وجوفهم الغائر حوالي ٩٢,٥ سم والارتفاع التجويفي حوالي ٩٨سم ،يوحي للناظر إليـهما =

المختلفة بين مدنه وواحاته المتفرقة كما حفل النص ببعض الأبحاث و الاتجاهات السياسية والحضارية التي كانت وراء خروج الملك إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وتوسعاته المختلفة فيه. حيث يشير أحد مقاطع النص إلى السبب الرئيسي وراء خروجه من بابل ، والذي هو عبارة عن رويا أظهرها المعبودة (سين) القمر في الحلم لنبونيد يطالبه فيها بإعادة بناء معبده في حران ، فلما اخبر بذلك رجالات دولته وجد معارضة كبيره من قبل سكان المدن البابلية المختلفة ، وخاصة كهنة مردوك ، فآثر نبونيد الخروج من بابل (عاصمته) نحو مدن شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث قضى فيها قرابة العشر سنوات من عمره كما جاء في النص التالي [(1)] :-

---

= أنهما مكتملان إلا أن النص قد تعرض لبعض التلف في أحد الحجرين، والنصوص في الحجرين متشابهة إلا من بعض التفاصيل ، حيث يحتوى كل واحد منهما على صورة للملك واقفاً في شكل تعبدي يحمل عصا (صولجاناً) طويلة منتصبة في يده اليسرى بينما رفع يده اليمنى في شكل تضرع أو تعبد توقيراً لشعارات المعبود الثلاثي : الشمس ، القمر ، اشتار . ويحتوى الجزء السفلى من الحجر على نقش من ثلاث أعمدة من الكتابات المسمارية ، الأول يحتوى على ٤٨ سطراً والثاني على ٥٠ سطراً والثالث على حوالي ٤٤ سطراً . انظر

صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ . وكذا صبحي أنور رشيد: دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء ، ص١١٦ . وكذا

Gadd , op.cit. ,p p.53- 83 , 46– 53 ; Oppenheim. A.L., op.cit., p.p. 562, 563.

(1) Oppenhiem. A.L., op.cit. , p. 562 .

وقد وردت في ترجمة Gadd ما بين السطرين ١٤ - ٢٧ من العمود رقم (١) في Nabon.H.2.A أن الملك بناءاً على استلهم من رؤيا رآها ،حيث أمر رجاله بالمضي في إعادة بناء معبد آله القمر في حران لكنهم رفضوا ذلك فعم صراع داخلي أسفر عن تدخل كهنة مردوك في ذلك الصراع .وكان نتيجة ذلك الرفض غضب المعبودة و تفشى مرض الطاعون والمجاعة في المدن البابلية مما دفع بالملك وحسب ما دونه النص على لسانه ". ولكنني استعجلت نفسي بالسفر بعيداً عن مدينتي بابل وسلكت الطريق المؤدية إلى تيماء ، ودادانو ، وبداكو،خيبر ، ويداعو، حتى وصلت يثرب Jatriba ومكثت

=

"... وفي منتصف الليل فإن (سين) جعلني أحلم وقـــال [في الحلم] كما يأتي أعد بناء " ايخولخول " بســـرعة معبـــد (ســـين) في حران ، وأنا أبسط يدك فوق كل البلدان . وكل مواطني بـــابل وبورسيبا ونيبور واور والوركاء [و] لارسا المسئولين [و] المواطنـين في المراكز المتحضرة لبابل يعملون شروراً دون اهتمام وحتى الخطايـا ضد قوى الآلهة الكبرى (العظمة) وأنهم لا يملكـــون [الآن] خـبرة المهابة لسخط الكاهن سريسنت ملك كل الآلهة ولا ينتظرون [هـم] الطقوس الدينية وأنه يوجد كثير من الكافرين والخائنين للعهد.وهـــم ابتلعوا بعضهم البعض مثل الكلاب بسبب المرض والجـــوع الـــذي ظهر بينهم وهو [سين] أهلـــك مواطـــني الأقـــاليم ولكـــن هـــو جعلني أترك مدينتي بـــابل علـــى الطريـــق إلى تيمـــاء ودادان [١]

= عشر سنوات فيما بين تلك المدن و لم أرجع خلال تلك الفترة إلى مدينتي بـــابل .". انظـــر = Gaad, op.cit., pp. 79 - 80.

(١) دادان، ديدان (ديدانو) Dadanu . " Da - Da - NU " ورد الاسم في نص حران بلفظتين ففـي Nabon. H2 A جاءت كالتالي (AL) da- da ثم ظهر الاسم بالكـــامل في Nabon. H2 B بـ .AL-da-da-nu وهي ديدان و تعرف اليوم بالعلا أو الخريبة وتقع على بعد ١٥٠كم تقريباً مـــن الجنوب الغربي لتيماء وهي تطل على وادي القرى الشهير في منطقة جنوب شرق حـــرة العويـــرض ، ولقد ظهرت ديدان مرتبطة بتيماء منذ القدم حيث جاء ذكرهما معاً في التوراة وتوالى ظهورهما معـــاً في أحداث العهد القديم خلال القرنين السابع و السادس ق.م. وقد ينسب اسم ديدان إلى اســـم الآلـــة السامي الشمالي [دد].ولقد جعل منها العالم الألماني Grimme دولة ذات كيان سياسي في شـــكل " المدينة الدولة " وذلك من واقع دراسته للنصوص التي عثر عليها في المنطقة وخاصة المنسوبة إليـــها حيث لاحظ وجود لفظة دادان مسبوقة بنعت ملك (ملك دادن) في بعض النصوص الـــتي تنسب إليهم ، هذا وقد بلغت تلك الدولة قمة ازدهارها ، خلال القرن السادس ق.م – فترة تقـــدم الملـــك نبونيد إلى منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية – كما دلت على ذلك الأبحـــاث الأثريـــة في المنطقة وأن هذه الواحة كانت تحكم ما يعرف " بالدولة الديدانية " والتي لعبت دوراً بارزاً في تـــاريخ المنطقة خاصة من الناحية الاقتصادية لكونها أحد معابر طرق التجارة القديمة والرئيسة التي يمر بها خـــط =

= يتجه إلى بلاد الرافدين عبر تيماء . وكما يتضح من تلك المسوح الآثرية أنها شكلت مع تيماء أهم واحتين في المنطقة لوقوعهما على أساسيات الخطوط التجارية فتيماء على الفرع الشرقي وديدان على الفرع الغربي وكان التنافس على أشده بين الواحتين أسفر مع مرور الوقت إلى تحقيق رفاهية عالية لمجتمعاتهم، وخاصة خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م الذي شهد نهضة العديد من المستوطنات – التجارية في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي توحدت في شكل ممالك تجارية متعاقبة ويمكن الاستدلال على ذلك التقدم الحضاري بما عثر عليه الباحثون من بقايا مواقع أشبه بمستوطنات غاية في الدقة والتنظيم كموقع (خيف الزهرة) والذي يقع على بعد كيلو متر واحد إلى الشمال من الخريبة ، وهي عبارة عن أسوار وكتل حجريه بالإضافة إلى أسوار حظائر وسياخ مستطيلة الشكل بالإضافة إلى شقف من الفخار ومدافن منتشرة داخل تلك المستوطنة والمستوطنات الصغيرة المنتشرة بداخلها كما عثر علي بعض الدلائل التي تشير على قيام زراعة في مساحات واسعة وافرة الإنتاج كما يلاحظ ذلك من نظام قنوات الري المتكامل والذي يرجع تاريخه إلى الفترة الواقعة خلال القرن السادس ق.م إبان حكم الدولة الديدانية إن صح لنا القول بتسميتها بذلك، ولقد كان لديدان علاقاتها الخارجية عنده كما دلت الخزفيات التي عثر عليها في ديدان والتي تنتمي إلى جهات مختلفة وعلى راس تلك الجهات منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية حيث كانت ديدان إحدى المستوطنات التابعة للحكومات العربية الجنوبية (المعينية والسبئية) والتي كانت ترتبط بهما بشكل سياسي واقتصادي قوى وكما تدل الأخبار أن منطقة ديدان حظيت باهتمام كثيا من الباحثين والمستشرقين الذين زاروا المنطقة ونقبوا فيها وعلى رأس أولئك Saugna , Jaussan ما بين عامي ١٩٠٩-١٩٠٦م Winnet ;Reed في عام ١٩٧٠م، وفريق جامعة لندن عام ١٩٦٥م و Paar.p.J وغيرهم ، ويرى بعض الباحثين أنها ربما تكون هي موقع الحجر المذكور في القرآن الكريم . انظر

ص من البحث (٤٤٧) .وكذا جواد علي :المرجع السابق ، ص ٦١٦-٦١٧. وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٣. وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص ٦٦٤ – ٦٦٥. وكذا عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٧٩ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ص٥٢٥ – ٥٣٢ . وكذا عبد الله المصري : "مقدمه عن آثار الاستيطان البشري بالمملكة العربية السعودية "، أطلال، العدد الأول، الرياض، ١٩٧٧م،ص ١٧ . وكذا جارث بودن : " موقع خيف الزهرة وطبيعة السيادة الديدانية في واحات العلا "، أطلال ، العدد الثالث ، ١٩٧٩م ، ص ٧٣-٨٢ . وكذا عبد الرحمن كباوي وآخرون : المرجع السابق، ص٦٥٠. وكذا
Gadd , op.cit., p. 81 .; winnet. F.V. & Reed. W.L., op.cit. ,pp. 35 - 8 .

=

= ; Parr. P. J. , Archaeologal sources. For The erly History of North . West Arabea, in studies in the history of Arabia sources for the History of Arabia ,Riyadh ,1977-1397,vol.1.part,1 1979-1397,p.p.41-42 .

(١) بداكو (Padakku) هي على الأرجح فدك القريبة من خيبر وتعرف اليوم باسم الحائط وتقع علـى واد منخفض من أودية الحرة الشرقية لخيبر وتشتهر بكثرة مياهها وبساتين نخيلها . وهي المشـــهورة في تاريخ السيرة النبوية الشريفة عندما تقدم إليها المصطفى ﷺ عقب غزوة خيبر وكانت مــــن نصيـب الرسول الكريم ﷺ حيث أفاءها الله سبحانه وتعالى إليه، ﷺ . انظـــر الهمداني : صفة/٢٨٦.وكذا ياقوت : معجـــم البلـــدان ٢٣٨/٤.وكـــذا جـــواد علـــي:المرجـع السابق،ص٦١٧. وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص ٦٦٤ . وكـــذا حمـد الجاسـر : في شمال غرب الجزيرة، الطبعة الثانية ، دار اليمامة ، الريـــاض ، ١٤٠١هـــ/١٩٨١م ، ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٤ ، ٢٩٧ . وكذا . Gadd,op.cit.,p.81 . وكذا الخريطة رقم (٢) .

(٢)خيبر Hibra (خي-اب-را-ا) Hi-ib-ra-a والتي وردت في نص حران Nabon,H2 A بعـــد فدك في حين ذكرت في Nabon,H2 B قبل فدك وفي كل النصين ذكرها يؤكد أن الصلة قوية بينها وبين فدك ، حيث واجهت تلك اللفظة من حيث انتسابها إلى خيبر عدة اعتراضات بسبب ورودهـا في النص بصيغ مختلفة فقدت وردت بـــ Khaybar وبـــ Hibra أو Hebra ويرى Gadd أن تعـــدد ورود اللفظة وبصيغ مختلفة لا يعني أكثر من تلاعب لفظي لا أكثر ولا أقل حيـــث إن اللفظـــة الأولى اسم تداول في الوقت المتأخر ، في حين جاءت اللفظة الثانية على لسان الحجازيين فيما بين القرنـــين ٧-٢ق.م . وربما نسبة اللفظة الأخيرة إلى مسمى رجل يهودي يدعى Heber كان يستوطن تلـــك المنطقة ، أثناء غزو نبوخذ نصر الثاني لأورشليم ، واتخذها مسكنا له ولأبنائه من بعده . و قد يكـــون الاسم أطلق قبل عهد نبوخذ نصر الثاني . مع احتمالية أن يكون الاسم لا ينطبق على خيبر الحالية بـــل هو موقع الخبراء الذي ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب على مقرب من موقع يقال له "د عـــاج" عند السراة وهو ما ذهب إليه موسيل أيضاً عن موقع في شمال غرب شبه الجزيـــرة العربيـــة يعـــرف بالخبراء، و مع كل ذلك فإن من المؤكد أن المقصودة في النص هي خيبر المشهورة والمجـــاورة لتيمـــاء وفدك وديدان واللاتي شملهن النص وأنه لا احتمال إلى وجود موضع آخر غيرها يكون المقصــــود في النص ، فهي خيبر تلك المدينة التي غزاها رسول ﷺ في السنة السابعة من الهجرة النبويـــة الشـــريفة ، وفتحها بعد حصار دام حوالي شهر، والمجاورة لفدك والواقعة في شمال المدينة المنورة والتي تعـــد مـــن =

(يديع) (١) وحتى بعيداً إلى جاتريبو (٢) (يثرب) ولمدة عشر سنوات

= أخصب المناطق الزراعية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية نظراً لوقوعها في منخفض أرضي تصب فيه معظم أودية المنطقة القادمة وخاصة تلك القادمة من جبال السراة مشكلة ينابيع وعيون =مياه غزيرة متعددة انظر
ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٤٠٩ - ٤١٠ . وكذا ابن هشام السيرة / ٢٥٩ - ٢٦٦ . وكذا جواد علي : المرجع السابق، ص٦١٧. وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٤. وكذا حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص٢٣١ . وكذا Gadd, op.cit., p p.82 – 3 .
وكذا الخريطة رقم (٢) .

(١) جاديهو (ياديعوا) Iadihu (Ia - di - hu - u) (يديع) (ياديخو) (يادع) ووردت في النص بـ Iadihu ' yadi والاختلاف بين اللفظتين ربما جاء في الإملاء بناءاً على اختلاف اللهجة البابلية التي دون بها النص (نص حران) وتعرف اليوم بالحويط نسبة إلى أحد أودية حرة خيبر ولقد اشتهر موقعها بوفرة مائه وكثرة زراعة النخيل على جوانبه ، وهى إلى فدك أقرب من خيبر وهى تلي فدك في الموقع أي قبل خيبر، هذا ولقد واجه القائل بأنها الحويط اعتراضاً من قبل بعض الباحثين أولاً:- من حيث موقعها الذي أشار عليه النص بأنها تقع بعد فدك وخيبر، وهي في الواقع تقع بينهما طبيعياً . ثانياً : غموض الكلمة وسكوت المصادر العربية والإسلامية بالتحدث عنها ، والأخذ بموقعها المفترض حاليا أمر مسلم به على الأقل في وقتنا الحاضر . انظر
الهمداني : صفة/ ٣٣٨ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٤٣٢ . وكذا جواد علي : المرجع السابق، ص٦١٧ . وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص١٧٥ . وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٤ . وكذا حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ . وكذا
Gadd, op.cit., p p.83 - 4 .
وانظر الخريطة رقم (٢) .

(٢) Yathribu (Ia - tr - ib - u) يثريبو (يثرب) المدينة المنورة وهى دون أدنى شك مدينة المصطفى ﷺ ويعد ذكرها في نص حران أقدم وثيقة جاء فيها مسمى يثرب عبر التاريخ وقد ذكرها بطليموس في جغرافيته ، ولقد أسهبت المصادر الإسلامية في ذكرها وذهبت على أن المسمى ينسب إلى "يثرب بن طاغية بن مهلائيل بن رام بن عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ". وقد اتخذها الرسول الكريم مقراً له منذ هجرته المباركة إليها عام ٦٢٢م وكانت عاصمة الإسلام الأولى وقد سماها الرسول ﷺ حين وصوله إليها (طيبة) و(طابة) كراهية مسماة القديم (يثرب) الذي يوحي بالتثريب، وعرفت بالمدينة المنورة ،أو مدينة الرسول ﷺ. وهي آخر موضع وصلته الجيوش =

أنا تحركت حول هـــذه [المدن] ولم أدخل مدينتي وهي بابل ....."

وهكذا يؤكد النص، خروج الملك البابلي نبونيد نحو منطقة شمال وشمـــال غرب شبه الجزيرة العربية، ووصوله إلى مناطق متفرقة منه، وكما هو ملاحظ مـــن فحوى النص أن خروجه لم يكن بمجرد الصدفة،بل هو حاصل بفعل أراده قام بـــه نبونيد، وكما تضمن النص، بناءاً على توجيه من رؤيا رآها للآله ســـين معبـــود القمر على حد قول نصه .

والظاهر أن خروجه ،لم يكن كراهة من نفسه بل بطوعه ، واختياره ، وقد يكون بسبب العصيان والتمرد الذي واجهه نبونيد من قبل رعاياه في بابل ، وعلى رأسهم كهنة مردوك ، عندما طلب منهم نبونيد إعادة بناء معبد (سين) في حران، وذلك لخشيتهم من أن يكون في ذلك سببا في انهيار مكانة بابل السياســـية مـــن جهة، ومكانة مردوك المعبود الرئيسي لبابل من جهة أخرى ، في تلـــك الحقبـــة التاريخية ، فكان قرار نبونيد ترك بابل وهجرها لما لاقاه من غيظ واشمئزاز مـــن قبلهم (١) ، فلذلك قرر نبونيد التوجه نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث استقر في تيماء ، متخذا منها عاصمة له ومقراً لحكمه (٢) .

= البابلية الكلدانية . انظـــر ابـــن هشـــام الســـيرة / ١١٥ - ١٣٨ . وكـــذا يـــاقوت : معجـــم البلـــدان ٥ /٤٣٠ . وكذا جواد علي : المرجع السابق، ص٦١٧ - ٦١٦. وكذا محمد بيومي مهران : المرجع الســـابق ، ص٤٢٩-٤٩١. وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٤. وكذا محمد السيد غـــلاب: التجارة في عصر ما قبل الإسلام ،الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية "الجزيرة العربيـــة قبل الإسلام"، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، جامعة الملك ســـعود ، الريـــاض ، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م ، ص١٨٩ . وكذا . Gadd,op.cit.,p. 84 . وانظر الخريطة رقم (٢) .

(1) Gadd , op.cit. , p.80 .

(٢) جواد علي: المرجع السابق ،ص ٦١١.وكذا Winnet. F.V.& W.L., pp. 89 - 90 . -

إن من الأهمية بمكان هنا الإشارة إلى أن فحوى النص ، يشير إلى أن معظم المواقع التي تحرك فيها نبونيد ، كانت تقع على طول الطريق التجاري الهام ، في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فبعد تيماء كانت ديدان الحاضرة العربية الثانية ، في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، والتي شكلت مع تيماء أحد أخصب واحتين في المنطقة ، كما تؤكد الشواهد النصية والمادية ، التي عثر عليها في المنطقة ، والتي تدل على أن المنطقة برمتها كانت تقع تحت نفوذ تلك المدينتين ، أو الواحتين الهامتين تيماء ، وديدان (العلا حديثاً) (١). وكما هو واضح من النص، فقد واصل نبونيد توسعاته في المنطقة جنوبا ، حيث وصل إلى فدك (الحائط) حالياً ومنها جنوباً نحو خيبر Hibra ، ثم (يديع) الحويط حالياً ما بين خيبر وفدك ، والتي ذكرها في النص بعد خيبر وفدك ، وهو أمر غير ذى أهمية ، فقد يكون الخطأ وقع من قِبَلِ كاتب النص ، أو من قبل راوي تلك الأحداث للكاتب ، بناءاً على تحركات الملك البابلي نبونيد في المنطقة ، وعلى كلٍ فإن ثمة لبسا في التدوين أو خلافه ، فلا يعني ذلك نفى الموقع بأي حال من الأحوال . وواصل نبونيد توسعاته جنوبا، حتى يثرب (المدينة المنورة) ، والتي تقع على الحد الجنوبي لشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهو آخر موضع وصلته الجيوش البابلية في شبه الجزيرة العربية على أرجح تقدير ، حيث اتخذ نبونيد طريقه إلى تلك الأرضين كما يرى بعض الباحثين (٢) ، عبر الطريق البرى الذي سلكه الحجاج المسلمون القادمون من بلاد الرافدين والشام ، نحو الحجاز ، أو أنه سلك طريقاً لم يكن مألوفاً من قبل في توجهه نحو تيماء ، وهذا أمر مستبعد من ملك مثل نبونيد له باعه الطويل في المجالات السياسية ، والعسكرية ، فلا بد وأنه اختار

(1) Parr. P. J. , op.cit. , p. 41 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١١ .

أشهر الطرق وأوضحها في تقدمه ذلك ، ولا يستبعد أن يكون قد استخدم إحدى طرق القوافل المألوفة . إن من الثابت أن محاولة استيلاء نبونيد على تيماء قد واجهت مقاومة من قبل سكانها ، فكذلك ليس من المستبعد أن يكون نبونيد قد واجه أيضاً مقاومة من قبل سكان ديدان ،حيث عثر بعض الباحثين [1] على بعض الكتابات الثمودية، في مناطق متفرقة من شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وخاصة تلك التي عثر عليها فلبي، عند جبل غنيم، وقام بنشرها [2] ، ومن أهمها جملتين أستشهد بها الباحثين الأول جاء فيها (رمح أو"حربة " ملك بابل) والثانية (حرب ديدان)

ولقد أشار الباحثون إلى أن الجملتين لهما صلة بالملك البابلي نبونيد والذي أشار فيها على توسعاته في المنطقة، وأن الجملتين قد يكونان بقايا نص يشير إلى حرب وقعت بين نبونيد ، وبين أهالي ديدان ، التي كان يسكنها الثموديون على أغلب الظن آنذاك ، مع الأخذ في الاعتبار أن نصوص الملك البابلي نبونيد لم تذكرهم ، لا من قريب ولا من بعيد ، مع أن من المسلم به أن الثموديين كانوا منتشرين في مناطق مختلفة ، في شمال الجزيرة العربية ووسطها ، ومع ذلك فان عدم إشارة نصوص الملك البابلي لهم لا ينفي عدم اشتراكهم في معارك ضده وقد

---

(١) نفس المرجع ، ص ٦١٦.وكذا محمد بيومي مهران :تاريخ العراق القديم، ص٤٥٥.وكذا Gadd, op.cit. , p. 84 ; Vandan Branden A., les Textes Thamoudeens de Philby.,vol. II, p. 54 .

(٢) وجدت فوق قمة جبل غنيم على بعد ١٤ كم جنوب تيماء ، وقام بنقلها عبد الله فلبي ونشرها Vandann Branden عام ١٩٥٦م ، كما قاما بنشرها والتعليق عليها كل من Winneet & Reed . انظر السير ليفجستون ، وآخرون :" تيماء مجسات حديثة ونصوص منقوشة جديدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م"، أطلال ، العدد السابع ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص١٠٣ . وكذا Gadd, op.cit. .p. 84 ; Vandan Branden A., op.cit.,vol.II, p. 54 ; Winneet. F.V. & Reed.W.L. ,op.cit., p. 89 .

يرجع ذلك، إلى الملك نفسه الذي حاول إخفاء ذكرهم ، إما لهزيمة إصابته منهم ، فتعمد إخفاء ذكرهم، أو أن توسعاته لم تتعد المواقع التجارية الهامة ، والمشهورة ، والتي ربما تكون بعيدة عن وضع أيديهم . وهكذا فقد يكون الملك البابلي نبونيد قد واجه نداً عنيداً في توسعاته ، وخاصة من قبل ديدان ، كما يستشف ذلك من بعض الكتابات الثمودية الأخرى ، والتي عثر عليها في منطقة جبل غنيم جنوب تيماء وقام بدراستها كل من Reed, Winneet [(1)] والتي ورد فيها ذكر حروب ضد ديدان وماسا ، بالإضافة إلى نبايات (النبطيين) ، حيث يرى الباحثان السابقان نسبتهما إلى الملك البابلي نبونيد ، في فترة بقائه في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كما أنهما يضعا احتمالا، يذهبان إلى القول أن ليس بالتأكيد أن يكون الملك نبونيد قد شارك في معارك ضد كل تلك المواقع ، التي ذكرها النص، فقد تكون تحركاته تلك عبارة عن زيارات طوافة كان يقوم بها العاهل البابلي نبونيد ، في تلك المناطق بإستثناء حربه ضد ديدان كما أنهما يؤكدان أن بقاء الملك نبونيد في المنطقة لم يكن لمجرد الاستجمام والراحة ، بل إنه كان يسعى جاداً في بسط نفوذه على المنطقة ، دون أي خمول أو خلود إلى الراحة . وقد مارس الملك تحركات عدة في المنطقة لم تكن عليه بالسهولة بمكان ، فكما تشير حولياته أنه قاد عدة معارك ، بمعية جيش نظامي متدرب مؤلف من الكلدانيين ، وأيضاً من الأقاليم الخاضعة لهم في سوريا (حاتي) كما جاء في النص التالي [(٢)] :-

"...والقوى الحربية لأكاد مشت معه وهو تحول نحو [تيماء] في الغرب...."

---

(1) Winneet F.V. & Reed W.L., op.cit., p. 89,90 .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p.313 .

وفي نص آخر [1] :-

"...و أناس بابل وسوريا العليا [حاتي] والذين هم في حملتي...."

وكما هو واضح من النصوص السابقة ، فإن تلك الجيوش تحركت معه من بابل واتجه بها غرباً ، نحو سوريا حيث انضمت إليه هناك جيوش من الأقاليم السورية ، والتي تقدم بهما نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية [2]ويشكك Gadd [3] في أن يكون بصحبته جيش ، أكادي أثناء توسعاته في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وذلك من واقع الأحداث التي شرحها في نصه عن وجود خلاف بينه وبين سكان بابل ، فكيف يتمكن من أخذ جيش أو قوات عسكرية معه ، ويبقى أيضاً على قوات عسكرية بصحبة ابنه في بابل ، كما في نص السيرة الشعرية ، كما أن نص حران يشير إلى أنه كان في معيته أيضاً جيش من بلاد سوريا (حاتي) ، والذي وصفهم في النص بأنهم كانوا ينفذون أوامره ، في تلك الطرقات والممرات الصعبة ، التي سلكها ، وهم في شكل أعداد لا باس بها ،كما استنتج Gadd من جملة (كانوا في حراستي) أنها تعني مجموعات أو حاميات ، كانت تقيم في مواقع أشبه بحصون عسكرية ، تنتشر في كل تلك الأرضين التي ذكرها نصوصه في شمال غرب شبه الجزيرة ، والتي كان نبونيد يمر بهم دورياً ، من موقع لآخر ، وأن مثل هذا الأمر يتطلب قوة اعتبارية ذات وزن، وهذا ما يثير التساؤل عنده ، على حد قوله ، فكيف يمكن توفر مثل تلك القوة ، في تلك الظروف الحرجة ، التي خرج بها نبونيد من بابل ، ومع ذلك فإنه يرجح في نهاية الأمر ، أن يكون أولئك الجنود الذين صحبوه أثناء تقدمه نحو شمال غرب شبه الجزيرة العربية (شمال الحجاز) ، هم كتائب من سكان بلاد حاتي (سوريا)،

(1) Ibid. , p. 562.

(2) Roux. G. , op.cit. , p.356 .

(3) Gadd , op.cit. , pp. 84-85 .

بدلاً من جنود بابل أو (سكان بابل الأصليين) ، مع عدم استبعاده أن يكون في صحبته أيضاً قله من الجنود الكلدانيون [الأكاديون] بالإضافة إلى الجيوش السورية أثناء غزوه لبلاد العرب ، بل ويذهب أيضاً إلى القول باشتراك بعض العناصر اليهودية [1] مع جيشه ، أثناء غزوه بلاد العرب (شمال وشمال غرب شبه

---

(١) اليهود (اليهودية) اسم الإسلام على تلك الأمة من الناس ، بالإضافة إلى بنى إسرائيل . في حين عرفوا أنفسهم بالعبرانيون ، حيث شاع على طائفة كبيرة منهم ، كانت تسكن مناطق متفرقة من شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام ، خلال الألف الثاني ق.م ، وهو الاسم الذي لم تشر إليه المصادر الإسلامية على الإطلاق ، حيث يرى بعض الباحثين أن في اتخاذ الإسلام للفظة يهودي للدلالة على تلك الأمة وخاصة عند ذكر أنبيائهم كـ إسحاق ، وحتى موسى عندما ذكرها مع فرعون لم يشر إليه كعبري ، كما أشارت التوراة ، قال تعالى : { هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ } سورة القصص ، آية : ١٥ ، حيث تحاشا القرآن الكريم لفظة عبري بشيعته ، ولفظة مصري بعدوه ، ممسكاً بصفة أولئك الأنبياء وأن لا يبتعد عن جوهر الإسلام ، الذي نسبه القرآن الكريم إلى كل الأنبياء عليهم السلام، في دعواهم المتصلة . واليهود في أرض العرب قضيه تناولها لفيف من الباحثين والمؤلفين المسلمين والغربيين منذ أمد في بحوث عدة حول تأريخ تواجد اليهود في أرض العرب وأصل تلك الجاليات اليهودية التي استوطنت الجهات الغربية من الجزيرة العربية ، وخاصة شمالها الغربي ،حيث برزوا في أحداثه منذ القرن الخامس والسادس الميلادي أو قبل ذلك خاصة وأن بعض الروايات قد ربطت بين حدث تواجدهم وبين الشخصيات البارزة في تاريخ الأمة اليهودية ، فربما كان سبب مجيئهم كما في سفر الخروج مع نبي الله موسى عليه السلام ، أثناء صراعه مع العماليق أو كما ذكر في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ أو ما قيل أنه كان على أثر غزو نبوخذ نصر الثاني لأورشليم ومع كثرة تلك الأخبار فإن من الصعوبة بمكان أن يكون هناك دليل موضوعي يوضح كيف تكونت تلك الجاليات اليهودية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهناك من يذهب إلى القول بأن اليهود كانوا في جملة جيش الملك الكلداني نبونيد أثناء توجهه نحو تيماء ، وأنهم أقاموا في مواقع مختلفة من الحجاز ، خاصة تلك التي تضمنها نص حران . ولعل الأمر الذي دفع بالباحثين إلى هذا القول هي تلك الأحداث التي أظهرتها دراسة نص حران أثناء اكتشافه في الوقت نفسه مع اكتشاف نص آرامي وجد ضمن "مخطوطات قمران " التي عثر عليها قرب البحر الميت والتي يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الأول ق.م وقام بنشرها Milik,J.T. عام ١٩٥٦م . ويشير النص إلى إقامة الملك نبونيد في تيماء لمدة سبع سنوات و يرى بعض الباحثين، أن في هذا الخبر خلطاً بين نبونيد وبين نبوخذنصر الثاني الذي

=

= وصفته التوراة بأنه أقام مع حيوانات الصحراء سبع سنين والتي يرى فيها بعض الباحثين تحويرا من قبل اليهود والتي تمليه عليهم نزعتهم الصهيونية =ضد أي أسماء تخص اسماً غيرهم . ومهما يكن من أمر فان نصوص قمران أوردت في أحد أسفارها اسم شخص يدعى جويف Juif والذي يشير النص أنه نفى إلى بابل في عهد نبونيد بعد مراسلات تمت بينهما وكان الملك في تيماء في تلك الآونة ورغم التداخل في تلك الرواية من حيث نسبتها إلى نبونيد أو نبوخذ نصر الثاني وعدم تأكيد النص على تواجد ذلك الرجل ذو الشخصية اليهودية في تيماء في تلك الآونة ، وذهب كثير من الباحثين إلى أن تلك الرواية هي عبارة عن رواية تنويرية أكثر منها رواية تاريخية أو حقيقة تاريخية يركن لها ، ومع ذلك فإن وجود اسم تيماء في مجمل حوار النص ومقارنته مع الأحداث التي وصفها نص حران يمكن أن يكون هذا سبباً إلى الاعتقاد في وجود صلة لليهود في حملة نبونيد ضد شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ومن هناك كان تواجدهم في بلاد العرب. و لم يقتصر الأمر عليهم، فربما يكون نبونيد قد جعل في حملته أيضاً أناسا من سكان بلاد الرافدين وأسكنهم أرض الحجاز ، وكان ينتقل بينهم بين الحين و الآخر ليتفقد أحوالهم وذلك من واقع ما لوحظ من بعض التأثيرات اللغوية في سكان تلك المناطق، وسكان بلاد الرافدين . انظر

جواد علي : المرجع السابق ،ص ٦١٨-٦١٩.وكذا صبحي أنور رشيد:"دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء"، ص ١١٦ - ١١٧.وكذا صبحي أنور رشيد:" العلاقة بين بلاد الرافدين وتيماء" ، ص٣٨٩ . وكذا جميل عبد الله المصري : الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ،" زمن الدولة الأموية " ، دار أم القرى ، عمان ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م،ص ٣٣.وكذا محمد خليفه حسن أحمد : دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٣٣.وكذا أحمد محمود صابون:"حول تأريخ دخول اليهود بلاد الحجاز"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثاني والأربعين ، العام الجامعي ٩٩٤ - ١٩٩٥م،ص ١٩ ،٩٤ - ٩٥ . وكذا

Gadd, op.cit.,pp.86 - 88 ; Musil. A., op.cit., p. 225 ; Hitti. p. k., History of the Arabs, London, 1960, p.39 ; Dougherty. R.P. op.cit., p. 106. ; Smith. S.,op.cit. , p. 88 .

مخطوطات (لفائف) البحر الميت عبارة عن مجموعة من ٦٠٠ مخطوطة بالعبرية ، والآرامية وجدت في كهف قرب قرية قمران في الأردن في أقصى شمال غرب البحر الميت وهى من الجلد والبردي ، أصلب معظمها التلف في بعض أجزائها تم اكتشافها تدريجياً منذ عام ١٩٤٧م، وتنسب إلى بعض الأشخاص اليهود المجهولين ، وتتضمن العديد من الإشارات الدينية التي تخص الحياة اليهودية فضلاً على أقدم نسختين من سفر (أشعيا) . انظر

Gaster. T.H., " Dead Sea Scrolls " in Encarta . Encyclopedia.,1997 .

الجزيرة العربية) ، كما يذهب إلى ذلك لفيف من الباحثين ، وإن قدومهم ذلك يعد اقدم تاريخ تواجد لهم في المنطقة .

وهكذا اختتم نبونيد توسعاته في المنطقة ، ببسط نفوذه على معظم المناطق الاستراتيجية وأخصب المناطق الزراعية فيها ، والممتدة من أدوماتو (دومه الجندل) شمالاً وحتى يثرب (المدينة المنورة) جنوباً ، ومتخذاً من تيماء مستقراً ومركزاً يدير فيها شؤونه ، وتحركاته بصحبه جماعات متعددة قدمت معه من أقطار مختلفة من إمبراطوريته .

الفصل الثالث

تيماء في عهد الدولة البابلية الكلدانية ودورها التاريخي في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

إن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن السكان العرب القاطنين في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، لم يكن اهتمامهم كبير بالنواحي السياسية ، على قدر اهتمامهم بالنواحي الاقتصادية ، نظراً لموقعهم التجاري الهام ، والذي قد يكون في طليعة الأسباب ، التي دفعت بالعاهل البابلي نبونيد بالتوجه نحو أراضيهم ، حيث أن معظم تلك المواقع التي ذكرها أخباره ، تقع على طول الطريق التجاري الهام ، والمشهور في تاريخ التجارة العالمية آنذاك ، والذي كان له أثره على تجارة شبه الجزيرة خاصة ، وعلى التجارة العالمية عامة ، حيث شكلت تلك المواقع أهمية كبرى بما وهبها الله من خيرات في خصوبة أراضها ، ووفرة مياهها وبساتينها ، وهو ما تفتقده الكثير من المناطق الأخرى ، في شبه الجزيرة العربية ، الأمر الذي كان له أثره الواضح في مساعدة تلك الواحات لتتبوأ مكانة اقتصادية مرموقة ، خاصة في مجال خدمة القوافل التجارية المارة بأراضيها ، وتوفير كل ما يلزمها من حاجيات بالإضافة إلى توفير الأمان لها [(1)] وخاصة تيماء التي اتخذها نبونيد مقراً له، وعاصمة لدولته وبقي بها طوال تلك الفترة من حكمه ، بما تميزت به من خصوبة أرضها ، ولطافة جوها ، بالإضافة إلى موقعها التجاري الهام، وكونها ملتقى لخطين بريين يعدان من أهم الطرق التجارية ، التي تعبر شبه

---

(١) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٣ - ٦٦٤ .

إن من الملاحظ أن المنطقة من الناحية السياسية كانت تشبه إلى حد كبير ما كان عليه الوضع السياسي في صدر الإسلام فهي عبارة عن حكومات مدن وقبائل رحل يرأس الواحدة منها زعيم أو حاكم قد يطلق عليه لقب أمير أو ملك في بعض الأحيان ، وكان للمدينة أو القبيلة مجلس يدير سياستها مؤلف من مشايخ القبائل وأشراف المدينة ، يشتركون في الحكم ويتشاورون في تسير دفة الحكم ، حسب ما يواجه المدينة أو القبيلة من مشاكل وتكون له الكلمة في أمور السلم والحرب . وهذا ما جعلها مدعاة للتناحر والتنافر والصراعات على مدى تاريخها القديم ، وأن المنطقة بأسرها لم تكن تحت إدارة موحدة أوحكومة موحدة يرأسها ملك أو أمير واحد ، حتى دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم . انظر جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٥ - ٦١٦ .

الجزيرة العربية، أحدهما الخط القادم من جنوبها الغربي والآخر القادم من سواحل الخليج العربي نحو سوريا من جرها إلى الاحساء فالهفوف قرب الرياض فبريدة ثم حائل فتيماء فالشام فكانت محور الشبكة التجارية للطرق ما بين جنوب وجنوب شرق شبه الجزيرة وبابل ومصر وسوريا (١) ، ومع أن تقدم نبونيد نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية لم يكن من الصعوبة عليه بمكان ، لعدم وجود أي قوة عسكرية تقف أمام تقدمه ، ومع ذلك فأن العرب وكما يستشف من أخباره ، لم يتركوه يحيا في أرضهم بسلام ، وتحرشوا به كما يتضح من النص التالي الذي جاء فيه (٢) :-

"...كما في أرض العرب الذين يكونون إلى الآن أعداء للبابليين ، وكانت (دائماً) جاهزة للسلب والنهب وتحمل على استيلائها ...."

وهذا ما يؤكد أن سكان بلاد العرب لم يكونوا من الوحدة السياسية بمكان وهذا ما سهل مهمة نبونيد العسكرية في المنطقة ، حيث لم يشر النص إلى وجود قوة عسكرية نظامية لصد هجومه بل إن العرب فروا من أمامه ، إلا إنهم لم يتركوه يحيا في أرضهم ، حيث كانت لهم جولات وصولات ، بينهم وبينه ، كر وفر ، وسلب ونهب ، لمعسكراته ومعسكرات جنده. كما أن النص يتحدث عن قتال نشب بين الملك نبونيد ، وبين العرب ، أسفر في نهاية الأمر ، عن انتصار الملك نبونيد على العرب ، وخضوعهم له واستسلامهم للأمر الواقع . كما جاء في النص التالي (٣) :-

"...نرجال كسر أسلحتهم تبعاً لأوامر سين وكلهم سجدوا عند قدمي ...."

---

(١) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(2) Oppenhiem, A. L, op.cit., p. 562 .

(3) Ibid.

وكما يتضح من النص أن البادي في هذه المعركة هم العرب أنفسهم ، حيث شمل النص على بعض الألفاظ الدالة على أن الهجوم كان من قبل العرب مثل (السلب) و(النهب) لأولئك الكلدانيين الغزاة ، ويرى Gadd [1] أن تلك الهجمات التي شنها العرب ضد البابليين الكلدانيين إنما جاءت عقب ما سبق ، من حملات توسعية لنبونيد في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ويستدل على ذلك من حيث وقوع هذا المقطع من النص عقب مقطع آخر من نفس النص يشير فيه إلى استتباب الأمر لنبونيد واستقباله رسل المصالحة ، والصداقة من شعوب المنطقة بأسرها ، وهو مقيم في تيماء . من مصر [2] ومن الميديين بالإضافة إلى العرب ، كما جاء في النص التالي [3] :-

"...وتبعاً لأوامر سين [و] اشتار سيدة المعارك وبدونها. لا الخصومات ولا المصالحات يمكن أن تحدث في الأقاليم ولا المعارك يمكن أن تحارب،

---

(1) Gadd, op.cit., p. 84 .

(٢) لا يستبعد Gadd أن يكون الملك المصري الذي أرسل لنبونيد هو الملك Amasis .II (٥٦٩ – ٥٢٥ ق.م) (امسيس الثاني) رغم ما يخالج ذلك من شكوك في ورود اسمه الذي سبق وأن ذكر مع نبوخذ نصر الثاني من قبل . وإن هذه الاتفاق أو معاهدة السلام التي تمت في عهد نبونيد تعد نهاية العداوة الطويلة التي كان يكنها كل من حكام بابل ومصر على حدٍ سواء .واستتباب نبونيد في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية أنهى ذلك الصراع الذي كان يدور بين الطرفين للسيطرة على هذه المنطقة التجارية كما أن الاتفاق في ذلك العهد بينهما كان ضرورة للوقوف أمام القوة الجديدة القادمة من فارس وتهدد الطرفين، وإن هذا الصلح ربما وقع في العام الثالث من حكمه أي في العام ٥٥٣ أو ٥٥٢ ق.م أو عام ٥٥٠-٥٤٩ ق.م أي العام السابع من حكمه وهو الوقت الذي كان فيه نبونيد يتربع على عرشه في تيماء . انظر

سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص١٧٦ . وكذا

Gadd, op.cit., pp.76 - 77 .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 562 .

وتمد عنايتها فوقهم . وملك مصر، والميدين وأرض العرب وكل الملوك المعادين الذين يرسلون لي الرسائل للمصالحة والصداقة....“

وهكذا فلم يرض العرب بالولاء والسلام طويلاً مع نبونيد ، حيث اشتبكوا معه ومارسوا عملية الهجوم على المستوطنات التي بسط نفوذه عليها ، مما دفعه إلى الخروج إليهم ، ومحاربتهم وكسر أسلحتهم . (هزيمتهم)

إن علاقة نبونيد بالعرب لم تسر على وتيرة واحدة ، حيث كانت تتخللها حروب ومصالحات متفرقة ، إبان استقراره في تيماء ، تنتهي عادة برضوخهم واستسلامهم له وعقد معاهدات صلح وسلم ، كما يرى بعض الباحثين [(١)] أنهم عقدوا معه صلحين :

الأول في تيماء على افتراض أنه في سنة ٥٤٨ ق.م أي في السنة السابعة من حكمه، واشترك فيه العرب بالإضافة إلى المصريين والميديين ، عن طريق الرسائل المتبادلة بينهم ، أو عن طريق السفراء بينهم .

في حين عقد الصلح الآخر في تيماء أيضاً ، ولكن هذه المرة مع (العرب) الموجودين في تيماء ، وما حولها ، وذلك في وقت قريب من عودته إلى بابل ، وإن عدم ذكرهم في النص بأسمائهم لا ينفي وجودهم ، فكل القبائل كانت على غير وفاق معه ، فهناك قبائل موالية له ، وأخرى ضده ، وقد يرجع ذلك إلى التحاسد والتنافس الموروث بينهم ، فكان ذلك سبباً في عدم ذكر أسمائهم .

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦١٥ .

ويرى Gadd أن إبرام صلح مع العرب أمر لا يستند على دليل – في رأيه – لتجاهل النص ذكر أسماء العرب الذين تم الصلح معهم . انظر

Gadd , op.cit. , p. 77 .

هذا ويذهب Gadd (1) أن أحداث هذا المقطع من النص قد يكون المقصود بها أحد الحربين ، إما التي كانت حول تيماء أو الحرب التي كانت حول ديـدان . حيث كانت نتيجة ذلك التدخل من قبلهم سبباً في تقدم الجيوش الكلدانية ، ضد مستوطناتهم ونهب ممتلكاتهم . وقد يستنتج من النص أيضاً أن العرب انقسموا إلى قسمين : قسم أظهر الولاء لنبونيد ، وأرســـل برســله ومبعوثيــه لنبونيــد ، طالبين منه السلام والأمان ، والصلح وحسن الجوار ، وقسم آخر ناصب نبونيــد العداء وحاول نهب ممتلكاته ، فما كان منه إلا الخروج إليهم ، والقضاء عليــهم ، وتشتيت شملهم (2) ، الأمر الذي دفعهم إلى الذهاب إليه ، والخضوع والركــوع عند قدميه ، وعقد الصلح معه ، ولقد سعى نبونيد - وكما يستدل من فحــوى نص حران من أجل تثبيت سيطرته على تلك المناطق - أن يقيم حاميات عسكرية تابعه له في بعضها ، حيث كان يقوم بجولات مختلفة بين تلك المناطق الخاضعــة لنفوذه بين الحين والآخر (3) ، لتدعيم سيطرته على تلك المناطق ، التي كــانت أشبه بمستوطنات أو مستعمرات أسكنها رعاياه القادمين معه في تلــك المنــاطق الستة ، التي ذكرها نصوصه ، وكان نبونيد يتجول بينها ويتفقد فيها أحوالهم ، أو الإقامة فيها في بعض الأحيان ليقر بذلك احتلاله للمنطقة .

وهكذا جاء نبونيد إلى المنطقة غازياً ، ثم استقر بها ، وكانت احوالـــه في تلك الأثناء مع سكانها ، متقلبة ما بين حالة حرب تارة ، و حالة ســـلم تـــارة أخرى، توجت في بعض الأحيان بمعاهدات هدنة ، دون أي شــروط مســبقة ، جاعلاً من تلك الواحات الواقعة ما بين أدوماتو شمالاً ، وحتى (يثرب) المدينــة المنورة جنوباً ، منطقة خاضعة لنفوذ بابل ، محققاً بذلك كله بمجموعة من أتباعــه

(1) Ibid. , p. 84 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٤ .

(٣) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٣-٦٦٢ .

العسكريين الذين تجمعوا حوله في شكل كتـــائب ، تكونـــت مـــن أطـــراف إمبراطوريته الشاسعة ، وخاصة الغربية منها ، فضلاً على من كان بصحبته مـــن جنود بابل نفسها ، فبسط نفوذه في صورة من الهيمنة والسيطرة المطلقة ، علـــى كل تلك الواحات المنتشرة ، على طول الطرق الصحراوية ، والممرات الضيقـــة ، بين رمال الصحراء ، أو بين الجبال الشاهقة ، متنقلاً في منطقة ، اتساعها ما بـــين ٤٠٠ كم طولاً ، وحوالي ١٥٠ كم عرضا تقريباً (١) ، ويرى جواد علي (٢) : أن نبونيد قد وضع خطة محكمه ، لفرض هيمنته على المنطقة ، وإلحاقها ببابل نهائياً ، وتمكن بالفعل في تنفيذ خطته تلك ، حيث أجبر أتباعه على الإقامة في تلك المواقع المختلفة ، والتي انتشر فيها جنوده ، بعد أن انتزع أملاكها من أصحابها الأصليين، وأعطاها المستوطنين الجدد . وكان حريصا على أن يتفقد أحوالهم بـــين الحـــين والآخر ، لتأكيد استيطانهم ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الملك نبونيد واجـــه - خلال تقدمه في شمال غرب شبه الجزيرة العربية أو على الأرجح عقب اســـتقراره في تيماء ، وأثناء توسعاته المختلفة في المنطقة - تمرداً من قبل جنوده الذين قدمـــوا معه ، حيث أعلنوا عليه العصيان والتمرد ، وربما كان ذلك نتيجة ما بذلوه مـــن جهد ، إبان توسعاته تلك في المنطقة، وطول الكر والفر بين المدن والمســـتوطنات العربية المختلفة ، حيث حل التعب بهم ، والإرهاق والتشوق لأوطانهم ، كمـــا أشار إلى ذلك في النص التالي (٣) :-

"...وجيشه المتعب المسلح [تذمر ..] ...."

---

(1) Gadd , op.cit. , p.p. 86,84 .

(٢) المرجع السابق ، ص٦١٨-٦١٩ .

(3) Oppenhiem , A.L. , op.cit. , p. 314 .

ومع ذلك فقد تمكن نبونيد من القضاء على ذلك العصيان ، ليعاود نشاطه التوسعي ، في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كما أشـــار إلى ذلـــك في النص التالي (١) :-

"...أناس بابل وسوريا العليا [حاتي] والذيـــن هـــم في حملتي تحولوا [مرة أخرى] إلى درجة أهم بدأو في خدمتي وتنفيذ أوامري خلال مناطق الجبال البعيدة والممرات الـتي يصعب الوصول إليها والتي تحركت نحوها (٢)...."

ولعل هذا الأمر هو الذي دفعه إلى توطينهم ، في المناطق التي فرض نفـــوذه عليها ، بعد أن اغتصبها من أصحابها العرب ، ليضمن بذلك ولاءهم .

وقد عاش وسط أهلها ، مختلطاً بهم قرابة عشر سنوات من حكمه ، كمـــا ذكر ذلك في نصوصه التي جاء فيها (٣) :-

"...ولمدة عشر سنوات أن تحركت حول هذه (المـــدن) ولم أدخل مدينتي بابل ...."

والتي اعتبرها فترة تنبؤ كلف بها في المنام (٤) بدأها منذ عـــــام ٥٥٢ ق.م وحتى عام ٥٤٢ ق.م تقريباً على رأي (٥) . أو ما بين عامي ٥٤٩ وحتى عـــــام

---

(1) Ibid., pp.562 - 563 .

(٢) إن الراكب ما بين تيماء والعلا يلاحظ تلك الممرات الصعبة التي وضعها النص حيث الطرق الملتويـــة والجبال الشاهقة .كما شاهد ذلك الباحث أثناء قيامه برحلة إلى تلك المناطق في عام ١٤١٤هـــ. انظر شكل رقم (٩) .

(3) Oppenhiem, A.L, op.cit., p. 562 .

(4) Ibid. , p. 563 .

(5) Winnett F.V. & Reed W.L. , op.cit. , p. 89 .

٥٣٩ ق.م على رأي آخر [١] . أو حتى عام ٥٤٠ ق.م وهى السنة التي يرى فيها حامد أبو درك [٢] طرد نبونيد من تيماء . ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هناك تضارباً واضحاً في بعض النصوص التي دونت في عهده ، وذكر فيها مدة إقامته في تيماء ، وخاصة تلك التي تنتسب إلى والدته ، والتي سجلت فيها مراسم دفنها ، في العام التاسع من حكمه ، والتي أشارت فيها حولياته بالقول [٣] : إن القدر حجبه عن حضور مراسم دفنها ، والتي تمت بغيابه . حيث كان مقيماً في تيماء . في حين هناك كتابات تذكارية تنسب إلى والدته وتعرف بنصوص " عائلة نبونيد " [٤] . أشارت في ملاحقها إلى أن نبونيد نفسه هو الذي قام بنفسه بمراسم دفن أمه ، ووضع جسدها في التابوت الخاص بها ، وقد يدفع ذلك إلى القول : بأن فترة بقاء نبونيد في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، طوال الفترة التي ذكرها في حولياته ، أمر لا يمكن الجزم به في الوقت الحاضر ، ويجب الأخذ في الاعتبار أن نبونيد قد يكون خرج من تيماء ،

---

(١) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ . وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦٢ .

(٢) حامد إبراهيم أبودرك : دراسة نقد ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية ، الطبعة الأولى ، الإدارة العامة للآثار ، الرياض ، ١٤٠٦هـ ، ص٥٢ .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 306 .

(٤) عبارة عن كتابات تذكارية لوالدة نيونيد وجدت منقوشة على الواح من حجر البازلت في حران ومحفوظة في متحف اسطنبول وقد ذكر فيها أنه في العام التاسع من حكمه : والدة نبونيد ملك بابل ماتت هي موتة طبيعية ونبونيد ملك بابل ذرية رحمها محبوب أمه وضع أجزاء جسمها في التابوت (لابسه) الأردية الصوفية الدقيقة والكتان اللامع (مع) الذهب أ . أو (؟) والأحجار الثمينة والغالية (وهو زخرفها) ورش جسمها بالزيت العطري ووضع التابوت في مقبرة مأمونة . انظر
Oppenhiem. A.L. , op.cit., p. 312 .

إلى بلاد الرافدين ، في أكثر من مرة، كان من ضمنها خروجه إلى بابل ، ليقـــوم بإجراءات دفن أمه (١)

هذا ويؤكد Winnett (٢) – ومن خلال دراسته لبعض نقوش تيماء الـــتي عثر عليها حولها – أن فترة استقرار الملك البابلي نبونيد في تيماء ، شهدت تيماء نزوح كثير من الناس إليها ، وأن ذلك الحال استمر حتى بعد رحيله عنها ، حيث لعبت تيماء في تلك الحقبة التاريخية دوراً هاماً وبارزاً ، في القوة السياسية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية " شمال الحجاز" . حيث دلت الأبحاث الأثرية فيـــها على أن تيماء شهدت توسعاً كبيراً في النشاط الاســـتيطاني ، خـــلال القـــرن السادس ق.م (٣) .

وكما حظيت تيماء بمكانة سياسية في عهد الدولـــة البابليـــة الجديـــدة ، فكذلك تأثرت اقتصادياً بعلاقاتها مع بلاد الرافدين ، وازدهرت تيماء اقتصاديـــاً خلال عهد استقرار الملك نبونيد فيها ، حيث أشارت بعض النصوص التي عـــثر عليها بعض الباحثين (٤) وتنسب إليه ، من أن الملك نبونيد وخـــلال إقامتـــه في تيماء، كان يتلقى المؤن من بابل ، ومن سوريا ، لينعم بها هو وسكان تيمـــاء ، حيث جاء في أحد نصوصه إشارة عن استقباله في العام الخامس من حكمه ، أحد رجالات بابل، مزوداً بجمال ودقيق نقله من بلاد بابل إلى تيماء ، كما أشـــار في

---

(1) "EL-saady.H , Naboidus in Arabia" : Areassessement , in : Publication of the Archaeologecal Institute in Alexandria ,1997,p 10.

(2) Winnett. F.V. Areconsidion of some of the inscriptions from the Tayma area, p. 72 .

(٣) جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(٤)عبارة عن كتابة دونت على لوح طيني صغير قام بنشرها دوغرثي Daugherty في عام ١٩٢٣م انظر صبحي أنورشيد : " العلاقات بين بلاد الرافدين وتيماء " ، ص٣٨٨ . وكذا
Dougherty. R.P., Archives From Erech at The time of Nebuchadnezzar and Nabonidas , 1923 , p. 309 .

نص آخر [١] مؤرخ بالعام العاشر من حكمه ، أن المؤن كانت تنقل إليه بواسطة الجمال من معبد الوركاء في بابل، إلى تيماء .هذا وقد أشار في نص آخر على أن معظم الأقاليم المفتوحة الخاضعة له كانت تدعمه خلال رحلته تلك ، من سكان بابل،وسكان بلاد سوريا العليا (حاتي) ،كما أشار إلى ذلك في النص التالي [٢] :

"...وتبعاً لأوامر المعبود سين ملك كل الآلهة وسيد كل الآلهة فإن أناس بابل وسوريا العليا يجمعون ناتجات الأقاليم (المفتوحة) والبحر وخلال كل هذه السنين وبدون استثناء ، أداد ، حارس السعد في السماء والعالم الآخر ، أمدهم بأوامر المعبود سين بالمطر حتى في عز الصيف وفي الشهور الآتية سيمانوا ، دواوزى ، ابو (و) أولولو ، ولهذا فإنهم تمكنوا أن يحضروا لي (لتدعيمي) الكثير بدون مشقه ...."

وهذا الجزء من النص جاء - بعد أن شرح مسبقاً - عن رحلته إلى تيماء ، واستقراره فيها [٣] ، وكما يتضح من النص أنه في خلال استقراره هناك ، كانت تقدم إليه خيرات تلك الأقاليم الخاضعة له ، والتي لاشك كان لها أثرها على استقرار القاطنين في تيماء وما حولها ، حيث أسفرت عن انتعاش حياتهم وازدهارها ، فأصبح أهلها وأتباعها في عهده يعيشون في بحبوحة من العيش،كما جاء ذلك في النص التالي[٤] :-

---

(١) وهي عبارة عن كتابة دونت على لوح طيني أيضاً وقام بنشرها دوغرتي في سنة ١٩٢٠م . انظر صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص٣٨٨ . وكذا

Dougherty. R.P., Records From Erech Time Of Nabonidus (1920) Text . No 134 Nabenidus And Belshazar (1929) , p. 34 .

(2) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 562 .

(3) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 562 .

(4) Ibid. , p. 563 .

"...وأن نظمت لأتباعي في المناطق الجبلية البعيدة (الحيـــاة) في بحبوحة كبيرة ووفرة ...."

وهكذا يتضح أن نبونيد تمكن من أن يجعل تلك الواحة ، الواقعة في شمـــال غرب شبه الجزيرة العربية ، مركزاً هاماً ومزدهراً ، وجعلها بمثابة عاصمة لدولـــة بابل الكلدانية ، خلال تلك الحقبة التاريخية من عهده ، فنعمت تيمـــاء بوضـــع اقتصادي متميز ، بالإضافة إلى وضع سياسي مرموق ، كما ســـبق وأن أشـــار الدارس إليه . و لم يغفل نبونيد الجانب العمراني خلال فترة استقراره في تيمـــاء ، حيث أشارت نصوصه أنه جعل المدينة جميلة وبـــنى بهـــا قصـــراً يليـــق بـــه، كما ذكر ذلك في النص الذي جاء فيها [1] :-

"...وهو جعل المدينة جميلة وبنى [هناك] قصراً مثل قصر سو– ان – نا ...."

ويذهب كثير من الباحثين [2] على عدم استبعاد قيام نبونيد ببناء مثل ذلك القصر، حيث أن التنقيبات الأثرية في منطقة تيماء كشفت عـــن بقايـــا مبـــاني متعددة، ومن ضمنها مبنى ضخم ، يقع في طرفها الشمالي الغربي ، يعرف عنـــد أهالي المنطقة باسم **قصر الحمراء** [3] ، والذي يقع على حافة قمة جبل تـــتراوح

---

(1) Oppenhiem. A.L. , op.cit. , p. 316 .

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٠. وكذا صبحي أنور رشيد : المرجـــع الســـابق ، ص٣٨٩ . وكذا رضا جواد الهاشمي ، المرجع السابق ، ص٦٦٢ . وكذا Winnett. F.V. & Reed W. L. , op.cit., p. 89 .

(٣) ويعرف بالقصر الأحمر أو القلعة الحمراء والاسم مشتق من الحمرة التي يصف بها موقعه علـــى حافـــة صخرية ذات لون قريب من الاحمرار ، ولم يرد له ذكر في معظم المؤلفات القديمة ولا حتى في تقـــارير الباحثين الأجانب الذين زاروا المنطقة ويقع على بعد ثلاث كيلو مترات عن الطريق الرئيسي الـــــذي يربط بين تبوك والمدينة ويرجع الفضل في اكتشافه إلى الإدارة العامة للآثار في المملكة العربية الســـعودية وذلك في مارس عام ١٣٩٧هـــ . انظر جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص٩٣ .وكذا حامد إبراهيم أبودرك: المرجـــع الســـابق ، ص٣٧. وكذا الشكل رقم (٥) .

مساحة سفحه ما بين (٨٠ م) طولاً و(٢٠م) عرضاً وبارتفاع حوالي (١٥م) تقريباً ، أما المبنى فهو عبارة عن مجموعة من الغرف المحاطة بأجدر مختلفة الارتفاعات ، تتجمع في شكل مستطيل يبلغ طوله حوالي (٣٥م) ، وعرضه حوالي ١٠م تقريباً ، وبشكل غير منتظم من الشرق إلى الشمال ، وعند اكتشافه لم تكن كل أجزائه ظاهرة ، حيث كانت بعض أجزائه مطمورة تحت الرمال ، إلا أن معظمها كان ظاهراً ، حتى تم اكتشافه بالكامل . وهو مكون من ثلاث مناطق (أقسام) عمرانية هي[1]:

المنطقة الأولى : وتشمل معظم المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي ، ويتميز بمخلفاته الدينية التي عثر عليها بداخله، وتشكل المباني الواقعة في الطرف الشمالي الشرقي المبني من حلبتين ومن غرفة صغيرة، وكلها محاطة بجدار مبني بواسطة قوالب كبيرة من الحجر الرملي الأحمر، وبارتفاع حوالي (٨٥ سم)، ويبلغ بعدا الحلبة الأولى ما بين ٢,٢٥ من الشرق إلى الغرب و٢م من الشمال إلى الجنوب . وتحيط بها أساسات سور في حدها الشرقي والغربي . وهما قليلا الارتفاع ما بين ٤٥-٥٠سم ، وبسمك (٠,٤٢ سم) ، فربما كانت أساساً لمبنى فوقي من الطوب "اللبن " بالنظر إلى الكميات الوفيرة من الطوب اللبن أو الآجر المتهالك والمنتشرة في القسم . أما جدارها الغربي فهو أيضاً مشيد من الحجر الرملي الكبير وبارتفاع حوالي (٠,٨٥ سم) ، وسمك حوالي (٠,٢٥ سم) . ويضيف حامد إبراهيم أبودرك [2] أن هذا القسم يعد المنطقة الأولى، وهو يتكون من فناء مكشوف متجهاً إلى الجنوب الشرقي ، مدعماً بثلاث حجرات صغيرة تقع في

---

(١) حامد إبراهيم أبودرك : المرجع السابق ، ص ٣٨ ،٩٣-٩٤.

(٢) نفس المرجع ، ص٣٨-٤٠ ، ٤٧-٥٠ .

الجانب الغربي للموقع ، وبها مدخل القصر الذي يبلغ عرضة حوالي ٢م تقريباً سقف ببلاطة ضخمة من الحجر المشذب ، ويبلغ مجموع أطوال جداره حوالي ١٢,٨ طولاً ، وبسمك حوالي ٧٠سم ، وبارتفاع يتدرج ما بين ٠.٧٠سم و١,٢٠م ويرى أن هذا الملحق يشكل المبنى المركزي لقصر الحمراء . كما أن هناك أيضاً ملحقات أخرى للقصر ، بالإضافة إلى المنطقة الأولي ، هناك (المنطقة الثانية)، والتي تقع في الجزء الشمالي من القصر ، وهو عبارة عن أبنية شيدت في شكل خطوط غير مستقيمة ، أي لم تخطط بعناية ، أو أنها بنيت بطريقة عشوائية، ولم تستعمل فيها المداميك ، بل قوالب حجرية بمقاسات مختلفة، منها الصغير ومنها المتوسط . وتم ربطهما بعضهما بالبعض بواسطة الصلصال ، كما يلاحظ أن عرض جدران هذه المنطقة أقل سمكاً من الملحق الأول، وربما يرجع تاريخ بنائه إلى وقت أسبق من بناء المنطقة الأولى .

أما المنطقة الثالثة فتقع في الجزء الجنوبي من القصر ويتألف من ثلاث غرف، ويلاحظ اختلاف أسلوب بنائه عن المنطقتين السابقتين، من حيث سمك جدرانه وصغر أحجام الحجارة المستخدمة في بنائه ، مع وجود بعض الأحجار الكبيرة ، والمداميك الحجرية المتوسطة ، والتي استخدم الصلصال فيها أيضاً ، في لصق بعضها بالبعض [(١)] .

ولقد حظيت المنطقة الأولى للقصر بأهمية كبيرة ، حيث عثر بداخله على مخلفات أثرية ، تبرز أهميته ، التي أثبتت الدراسات الأثرية نسبتها إلى عهد الدولة

---

(١) يرى جورث بودن أن القسم الثاني يتكون من خمس غرف مربعة الشكل تقريباً وأنها تقع غرب القسم الأول ، وأما القسم الثالث فيقع في جنوب غرب القسم الأول بحوالي ٤ أمتار . ويضيف قسم رابعاً يقع في الاتجاه الجنوبي الغربي للمبنى . انظر

جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص٩٠ .

البابلية الحديثة [1] ، وبالأخص إلى عهد الملك البابلي نبونيد ، خاصة وأن أسلوب البناء الذي شيد به ذلك الجزء من القصر يشبه في أسلوب بنائه ، طراز المباني السورية والفينيقية [2] ، التي انتشر بناؤها في عصره . وهو أمر غير مستبعد عن الملك البابلي نبونيد ، الذي قدم معه أناس من أهالي سوريا إبان غزوه لمناطق شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فربما يكون من ضمنهم صناع سوريون وفينيقيون ،كما أكدت ذلك، ما دلت عليه بعض التقارير التي ظهرت ، نتيجة القيام بدراسة لبعض العينات المختلفة من الفحم النباتي ، التي عثر عليه بداخل القصر بواسطة التحليل بالكربون ١٤ المشع ، من أن تاريخ تلك العينات يرجع إلى حوالي ٥٤٠ ق.م كتاريخ متوسط ، أو ٦٧٠ ق.م كتاريخ سابق لعمر الموقع، أو قد يصل إلى سنة ٤١٠ ق.م بتاريخ أقصر .

ومن المرجح معاصرة تلك الدلائل مع تاريخ استقرار الملك البابلي نبونيد في تيماء، ولا يستبعد أن يكون تاريخها يرجع إلى عام ٥٤٠ ق.م تقريباً . وأن تلك العينات التي أخذت من الموقع هي من أواخر مخلفات عهده في تيماء ، أي أن تلك العينات التي أخذت من الموقع من بقايا آخر القرابين، التي قدمها الملك في قصره ، أو معبده ، أو ربما كانت نتيجة حريق هائل أصيب به الموقع ، بعد تركه له [3] . ولعل من الأهمية بمكان أن مجمل المخلفات الأثرية ، التي عثر عليها بداخل القصر ، تشكل مجموعات مختلفة من الممتلكات الشخصية ، المتعلقة بالطقوس الدينية ، بما شملت من نص آرامي على مكعب حجري نقشت عليه بعض الدلائل

---

(١) سيأتي لاحقاً دراسة عن تلك المؤثرات الحضارية البابلية في آثار تيماء .

(٢) حامد إبراهيم أبو درك : المرجع السابق ، ص٥١ .

(٣) حامد إبراهيم أبودرك : المرجع السابق ، ص٥٢ . وكذا جورث بودن : " آخر نتائج محاولات التأريخ بالكربون المشع لآثار تيماء " ، ١٤٠١هـ ، أطلال ، العدد الخامس، الرياض ، ١٤٠١هـ، ص١١٩-١٢٢ .

التي تنسب الى فنون بلاد الرافدين ، بالإضافة الى وجود كميات ضخمة من عظام الأغنام والماعز المحترقة ، وجميعها توحي أن هذه المباني مباني دينيه[١] ، أي أن القصر ربما أنشئ على أساس معبد ديني [٢] .

وعليه فيمكن القول أن معظم تلك المحتويات ، تشكل جزءاً من الطقوس الدينية ، التي أسهمت في بلورة عباده المعبود سين ، الذي اعتنقه نبونيد [٣] ، والذي كان سبباً رئيسياً في تركه لبابل واستقراره في تيماء . وعلى ضوء ذلك فإن تاريخ المعبد وما حوى من مخلفات يدل – بدون أي شك ومن واقع جميع الأدلة الأثرية – أنه شُيد في فترة حكم الدولة البابلية الجديدة [٤] . وفي ذلك تأكيد على الوازع الديني لدى حكام دولة بابل الكلدانية ، حيث أن أهدافهم التوسعية شملت بالإضافة إلى أطماعهم الاقتصادية نواحي دينية، أرادوا تحقيقها حلف ستار أطماعهم التوسعية .

وكما أشارت نصوص الملك البابلي نبونيد ، إلى أنه شيد قصراً كذلك ، أشارت نصوصه على أنه بنى أسوار المدينة وقوى تحصيناها كما جاء في النص التالي [٥] :-

"...هو أيضاً بنى الأسوار لتقوية المدينة وأحاط المدينة بالحراس ...."

إن من المعروف أن مدينة تيماء تشتهر بأسوارها التاريخية ، والتي تحيط بها من ثلاث جهات بشكل غير منتظم ، من الشرق والجنوب والغرب ، في حين

---

(١) جورث بودن وآخرون : نفس المرجع ، ص١١٩-١٢٠ .

(٢) حامد إبراهيم أبودرك وعبد الجواد مراد : " تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء الموسم الثاني ، ١٤٠٤هـ " ، أطلال ، العدد التاسع ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ، ص ٦٣ .

(٣) جورث بودن وآخرون : تقرير مبدئي عن التنقيبات الأولية في تيماء ، ص٩٥-١٠٠ .

(٤) حامد إبراهيم أبودرك : المرجع السابق ، ص٦٥ . وكذا جورث بودن : المرجع السابق ، ص١٠٠ .

(5) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 313 .

ظل الجزء الشمال محمياً طبيعياً ، بوجود منطقة ملحية ضخمة تعرف بالسبخة ، الأمر الذي جعل تلك الناحية غير محتاجة إلى سور ، هذا ولقد اختلف الباحثون اختلافاً في أطوال وأحجام أضلاع الأسوار التي تحيط بالمدينة [1] ، فكما وصفها بودن Bowden [2] بأنها تشبه شكل الحرف (U) ، ويتجاوز عرضها ما بين متر وعدة أمتار ، في حين يبلغ ارتفاعها ما بين عشرة أمتار ، وحتى خمسة أمتار ، كما هو الارتفاع المعتاد. وهي مبنية بقطع غير مصقولة من الأحجار . كما أن واجهتها بنيت ، من قوالب رمادية ، من الحجر الرملي ، رصدت في شكل مداميك غير منتظمة ، وتتكون قاعدة ذلك الشكل من مركبات بنائية متعددة جعلها " Bowden " خمسة . وهي تشكل الجانب الشرقي . أما الجانب الغربي للمدينة فقد ظل محتفظاً بضخامته على طول امتداده. والذي يقدر بحوالي ٢.٥كم طولاً تقريباً ، ويتميز بتناسقه الجيد من حيث بناؤه . ومع ذلك فقد أصابه التصدع في ثلاثة مواقع ، خاصة قرب المباني المسورة وتلك التي بقرب الطريق الرئيسي ، ما بين تبوك والمدينة . أما السور الجنوبي للمدينة فيبلغ طوله حوالي ٣كم ، وبارتفاع أقل من السور الغربي ، ومعظم أجزائه مطمورة تحت الرمال ، حيث تتراكم عليه الرواسب الرملية ، وقد أصاب هذا الجزء من السور التصدع ، في حوالي ستة مواقع ، وذلك إما نتيجة اجتراف السيول له ، أو نتيجة الزحف العمراني الحديث حوله .

---

(١) حامد إبراهيم أبودرك : دراسة نقد ومقارنة لآثار تيماء ، ص٢١ .

حيث قام بدراسة مستفيضة للجهة الغربية للسور ، بالإضافة إلى تناوله أقوال المؤرخين الذين وصفوا تلك الأسوار التي تحيط بالمدينة القديمة . انظر

نفس المرجع ، ص١٢ - ٢٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص٨٧-٨٩ .

فمجموع أطوال الأسوار التي تحيط بالمدينة حوالي ثمانية كيلومترات (١) ، منها اثنان على شكل مبانٍ مركبة مسورة ، والباقي مختلفة عنها ، وتضم هذه الأسوار أشهر المناطق الأثرية في تيماء ، كقصر الرضم (٢) ، قصر الحمراء ، وشبكة الري ، وقد وصف Parr (٣) أسوار تيماء التي تحيط بالمدينة بعدة كيلومترات ، وكذلك الأبنية المرتبطة بها والمعزولة عنها . وأرجع تاريخ تلك الأسوار والأبنية جميعها إلى عهد الملك نبونيد ، الذي شيدها في مرحلة استقراره في تيماء ، كما أشار إلى وجود أبراج رباعية الشكل ، ويذهب على أن انشاءها كان من أجل المراقبة ، وأن تاريخها يتزامن مع بناء الأسوار ، حيث استعمل في بنائها نفس الخامات التي استعملت في بناء الأسوار . ويرى حامد إبراهيم أبو درك (٤) فيما إذا صح لنا إرجاع تاريخ تلك الأسوار إلى الملك نبونيد . فإنه

(١) تدل آخر التقارير أن مجموع أطوال أسوار المدينة تصل إلى حوالي خمسة عشر كيلومتراً . انظر حامد إبراهيم أبو درك وعبد الجواد مراد :" تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء ، الموسم الثاني ١٤٠٤هـ"، ص٦٥.

(٢) يقع شمال غرب طريق تبوك المدينة المنورة بحوالي (٨٥٠ م) وعلى مسافة (١٠٠م) من السور الغربي للمدينة وقد أطلق عليه اسم قصر ظلوم ، أو قصر الأبلق . وهو مبنى من أحجار قطعت جيداً تتخللها مداميك منتظمة من الحجر الخشن المتوسط الحجم ، والتي يتراوح حجمها ما بين (٠.٤٠سم) إلى (٠.٦٠سم) في الطول حوالي (٠.١٥سم) إلى (٠.٢٠سم) في الارتفاع ومتوسط ارتفاع الأسوار الخارجية له حوالي ٣,٥ م ، ويزيد سمكها عن ٢م ، ولازالت بعض أطراف السور مغمورة تحت التراب . وإن أبعاد الموقع ككل تتراوح ما بين ٣٤م × ٢٥م من الشرق إلى الغرب . انظر شكل رقم (٧) . وكذا جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص٨٩ . وكذا حامد إبراهيم أبودرك : دراسة نقد ومقارنة لأثار تيماء ، ص٢٤ .

(3) Parr. P. J., op.cit. , p. 41 .

(٤) حامد إبراهيم أبو درك : المرجع السابق ، ص٢٢. وكذا حامد إبراهيم أبو درك وعبد الجواد مراد : " تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء ،الموسم الثاني ١٤٠٤هـ" ، ص٦٥ . وكذا Parr. P. J. , op.cit. , p. 40 .

قد استخدم بنائين محليين ، أو سوريين وفلسطينيين ، حيث إن طريقة بناء الأسوار تتمشى مع الظروف المحلية، التي شيد فيها القصر . وهي مخالفة لما عهد عليه في مباني بلاد الرافدين ، كما يؤكد ذلك بقول Parr : إن بناء أسوار تيماء ذات تقنية صعبة، الأمر الذي لا يعزى إلى فئة ضعيفة مغلوبة على أمرها ، كوضع سكان تيماء خلال القرون الستة الأخيرة ، من الألف الأول ق.م . وهي بالطبع فترة معاصرة في قرنها السادس للإمبراطورية البابلية الجديدة ، وأن مثل هذا السور لابد وأن يكون من عمل إمبراطورية كبيرة وجبارة . إلا أن ذلك لا ينفي اشتراك سكان تيماء مع الملك البابلي نبونيد ، في تشييد سور المدينة ، وقد يكون على غضاضة من أمرهم وأن ذلك قد أرهقهم لعدم تعودهم على مثل هذه الأعمال ، وكما يتضح من فحوى نصه السابق والذي جاء فيه التالي[1] : -

"...والسكان أصبحوا مضطربين [....] والأجر (ومن خلال) الأجر
هو احتال عليهم . وخلال العمل الشاق : (هم) [.....] كسر في
النص : هو قتل السكان [.....] النساء والأطفال [.....] ...."

وكما يصف النص حال أهالي تيماء إبان بناء نبونيد لأسوارها ، حيث أصابهم الإرهاق والاضطراب الشديد ، وربما وصلوا في اضطرابهم إلى درجة إزهاق الأرواح في تحقيق غايتهم ، وإن دل على شيء فإنما يدل على مدى ما لاقاه أهالي تيماء ، على يد نبونيد ، من بطش وقهر ، في سبيل تحقيق غايته ، فلم يكتف بما صنعه برجالها أثناء فتحه لها ، فهو أيضاً لم يستثن النساء والأطفال ، من أن يصيبهم ما أصاب آباءهم أو إخوانهم ، بل وربما سخرهم في أعماله . بالإضافة إلى أن النص السابق يشير إلى أن الملك نبونيد أيضاً تعرض للفلاحين وممتلكاتهم ،

(1) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 314 .

وأجبرهم على دفع ممتلكاتهم والخضوع إليه ، وتسليمهم كل ما يملكــون،حــتى قوتهم وقوت أولادهم،كما يشير إلى ذلك النص السابق بالتالي [١] :-

"...والفلاحين (وممتلكاتهم) أحضروها إليه في النهايــة وكــل [الحنطة] الذي وجدوها في ذلك ...."

وقد يتضح من النص التأكيد على أن تيمـــاء كانت تتمتع بأرض خصبة ، صالحة للزراعة حيث دلت الاستكشافات الأثرية ، على وجود شبكة ري علـــى الجهة الشرقية لقصر الحمراء مباشرة ، وهي عبارة عن شبكة كبيرة ، من قنــوات ري مرتبطة بمجرى مائي طويل ، وتغطي تلك الشبكة مساحة ما يقــارب مــن كيلومتر واحد ، في تلك الأرض المنخفضة ، التي تحيط بأسوار المدينـــة ، مــن جوانبها الثلاثة، والتي يرى جورث بودن [٢] إن إنشاءها يرجع إلى عصر الدولــة البابلية الكلدانية . ولا يستبعد أن يكون تشييدها تم في عهد الملك البابلي نبونيــد خلال فترة استقراره في تيماء . وعلى كلٍ ، فقد زادت الكشوف الأثرية ، والــتي تجري على قدم وساق في تيماء ، أهمية تلك الواحـــة ، وأظـــهرت الدراســـات المختلفة لتلك الاستكشافات الأثرية ، دلائل عدة لمدى التأثيرات البابلية ، في هذه الواحة، والتي ترجع في مجملها إلى عهد الملك البابلي نبونيد ، وقد يرجع ذلك إلى سبب شهرة المدينة منذ اكتشاف مسلتها الشهيرة (مسلة تيماء) ، والمحفوظـــة في متحف اللوفر بباريس [٣] ، في سنة ١٨٧٩م، وكانت بمثابة تشـــجيع وانطلاقـــة

---

(1) Ibid. , p. 314

(٢) جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص٩٠ -١٠٠ .

(٣) المسلة Stele التي تكون طرفها العلوي محدباً ، ومسلة تيماء أول من رآها هوبر Huber وأويتنـــج Euting ثم دوتي Doughty في سنة ١٨٧٩م حيث وجدها من ضمن الأحجار المتساقطة من بـــئر هداج وقد قام بنقله Euting إلى فرنسا في عام ١٨٨٠م ، حيث حفظت في متحف اللوفر ببـــاريس ، على أن هناك من يرى أن الذي قام بذلك هو Huber بمساعدة القنصل الفرنسي بجدة ، وهي عبـــارة عن قطعة حجرية من الحجر الرملي تزن حوالي ١٥٠ كغم وطوله حوالي ١١٠ سم وعرض حـــوالي

=

للكثير من الرحلات الـــتي قـــام بهـــا الرحالـــة ، والمستشـــرقون الأجـــانب ، وغيرهم إليها (١) .

= ٤٣ سم وسمك حـــوالي ١٢ ســـم . انظـــر

صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٢٥ - ١٢٦ ، هامش ٩٣ . وكذا

Doughty. C. M. , Documents epi Graphiques Recueillis Dans le Nord D. Arabie , Paris ,1884 , P1.27 .

Euting. J., Tagebuch einer Reise in Inner - Arabien , vol.II , Leiden ,1914 , p.157 .

وانظر شكل رقم (٦) .

(١) حظيت تيماء بالجانب الأوفر من رحلات المستشرقين الأجانب كأكثر منطقة زارها أولئك الرحالـــة الأجانب ، والتي بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، فكان لهم السبق في كشف أســـرار هذه المنطقة ، حيث حملوا ما استطاعوا حمله ودونوا ما لم يستطيعوا حمله وحللوا ذلـــك وفـــق مـــا شـــاءوا . وتعد رحلة عالم الآثار الســـويدي والن G. A. wallin أول رحلة يقوم بها رحالة أجنبي إلى تيماء والتي بدأها من القاهرة ومنها إلى معان فوادي السرحان حتى وصل إلى تيماء عـــام ١٨٤٥م ، ثم قام برحلة مماثلة عام ١٨٤٨م ، ثم جـــاء بعـــده الرحالـــة الإيطـــالي كارلوجوارمـــاني Carlo Guarmani في عام ١٨٦٤م ، ثم كانت رحلة الرحالة الإنجليزي تشـــارلز دوتي Charles M. Doyghty عام ١٨٧٧م ما بين شهري ٢٧ شباط (فبراير) وحتى اذار (مارس) ثم زيارته الثانيـــة في نفس العام ما بين ٢ أيلول إلى ١ تشرين الأول (اكتوبر) ، والتي ادعى فيها اعتناق الإسلام ، وتخفـــى في شكل حاج و لم يفلح في الوصول إلى مكة وقد أسفرت زيارته تلك لتيماء عن استنساخ الكثير مـــن النقوش والكتابات الثمودية والنبطية العربية ، بالإضافة إلى نقوش آرامية وخاصة من تيمـــاء . ويعـــد تشارلز دوتي أول من أشار إلى مسلة تيماء، ثم بعد ذلك قام مع تشارلز هوبـــر Chanles Huber بزيارة أخرى لتيماء وانتهى بهما الأمر إلى حمل مسلة تيماء إلى متحف اللوفر . والتي تحفـــظ فيـــه إلى اليوم : وفي عام ١٨٨٤م . ثم قام المستشرق الألماني أوتنج Euting بزيارة إلى تيماء وكان بصحبتـــه تشارلز هوبر والذي انتقل في مناطق مختلفة من الحجاز حتى قتل عندما اقترب من مكة . وفي ما بـــين عامي ١٩٠٧- ١٩٠٩م زار الفرنسيان جوسين وســـلفيناك Taussenet Saviganac وســـجلا الكثير من النقوش والكتابات عن تيماء ومدائن صالح (العلا) وألف كتاباً قيماً فيهما ، ثم كانت رحلـــة المستشرق التشيكوسلوفاكي موسيل A.. Musil عام ١٩١٠م ، ثم كان الرحالة الإنجليزي عبـــدالله فلبي H. St, Philby . ثم رحلت السيدة الإنجليزية كرترود بـــل Gertrode. Bell مـــن ســـنة

=

هذا ولقد أسفرت تلك الرحلات ، وما تبعها من عمليـــات تنقيبـــات ، واستكشافات أثرية ، عن ظهور كثير من الدلائل والمخلفات المادية ، والنصيـــة ، من فنون ، وكتابات مختلفة ، عكف عليها لفيف مـــن البـــاحثين لدراســـتها ، وأظهرت دراستهم آراء متعددة لهذه المخلفات الأثرية ، من حيـــث أصلـــها ، وعصرها ، وذهبت الآراء حولها مذاهب شتى ، إلا أنه من الواضح إجماع كثـــير من الباحثين على أن معظم تلك المخلفات ، التي تم العثور عليها تحمل في طياتهـــا مؤثرات حضارية ، قادمة من بلاد الرافدين ، وبما أن لتيماء دورها السياسي إبـــان عصر الدولة البابلية " الكلدانية " ، فإن الربط بين تلك المخلفات الأثرية ، وبين

= ١٩١٣م . ثم رحلة كل من وينت ، وريد Winett Reed اللذين زارا تيماء في ٦/٥/١٩٦٢م وكانا لهما مشاركة وإسهاب واضح في نقل بعض النقوش الكتابية ودراستها وتأريخها وخاصة تلـــك الـــتي تتعلق بالقرن السادس ق.م . هذا وقد شارك بعض الباحثين السعوديين في تلك الزيارات ومنهم عبـــد القدوس الأنصاري ١٣٨٢هـــ وحمد الجاسر ١٣٩٠هـــ وأخيراً ما قامت به جمعية التـــاريخ والآثـــار السعودية ثم توالت بعد ذلك الكشوف والأبحاث الأثرية في منطقة تيماء بالتعاون ما بين جامعة الملـــك سعود وبين الإدارة العامة للآثار منذ عام ١٣٩٧هـــ تقريباً ويأتي منهم حامد إبراهيم أبودراك الـــذي قدم أطروحته للدكتوراه في آثار تيمـــاء وجـــورث بـــودن وآخـــرون . انظـــر صبحي أنور رشيد :"دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثـــار تيمـــاء"، مجلـــة ســـومر، الجـــزء الأول والثـــاني، المجلـــد التاســـع والعشـــرون ؛ بغـــداد ، ١٩٧٣م ، ص١٢٢ -١٢٥ . وكـــذا حـــامد إبراهيم أبودرك وعبد الجواد مـــراد :المرجـــع الســـابق ، ص٥٥ ، ٦٣ . وكـــذا حـــامد إبراهيـــم أبـــودرك ، دراســـة نقـــد ومقارنـــة لبعـــض المعـــالم الأثريـــة في تيمـــاء ، ص٥ . وكذا عبد القدوس الأنصاري : بين التاريخ والآثار ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٩م . وكذا حمـــد الجاسر : في شمال غرب شبه الجزيرة ، الرياض ، دار اليمامة، ١٤١٠هـــ/١٩٧٠م . وكـــذا
Euting. J., Tagebuch einer Reise in Inner – Arabien, vol. I Leiden 1806, pp.109-165 ; Musil , op.cit. ; Philby . H. St. The Land Of Midian , London , 1955.
وكذا عمر الديداوري : الترجمة العربية بعنوان أرض الأنبياء ، طبعة بيروت ، ١٩٦٥م .
Winnett. .F.V. & Reed. W. L. , op.cit. Doughty , C.M , op.cit., p. .
وكذا صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٢٦ .

فترة استقرار الملك البابلي نبونيد ، في تيماء ، خلال منتصف القرن السادس ق.م، أمر غير مستبعد ...

وتعد مسلة تيماء الشهيرة من أبرز تلك المخلفات المادية ، التي عثر عليها في تيماء، والتي عثر عليها مستعملة ، في رصف أحد حوائط بئر هداج ، وهو المكان الذي استخدمت فيه ، و لم يكن موقعها الأصلي ، كما يرى ذلك بعض الباحثين (١) وأن مكانها الأصلي هو جبل غنيم . ومسلة تيماء عبارة عن لوح من حجر البازلت ، نقش على سطحه الأمامي كتابة آرامية ، طمس أكثر أسطرها و لم يبقى منها إلا حوالي ٢٣ سطراً وعلى الجانب الأيمن منها مشهد ديني، لنحت بارز، يتألف من قسمين ، يفصل بينهما خط مستقيم ، نقش على الجزء الأعلى منه قرص شمس مجنح (قرص الشمس الطائر (٢)) يقف تحته رسم شخص على الجانب الأيمن، يرتدي ثوباً طويلاً ذا شراشب في أسفله ، ويضع فوق رأسه خوذة مخروطية الشكل، ويقبض في يده اليسرى على صولجان طويل ، في حين يرفع يده اليمنى في حالة دعاء أو تضرع . أما القسم الأسفل من النقش فيصور أيضاً رجلاً واقفاً باتجاه اليمين أمام طاولة (منضدة) عليها رأس ثور ، ويرتدي ثوباً مثل الشخص الذي أعلى النقش دونت تحته كتابة آرامية ، تحمل اسم الكاهن صلم شزب (٣) هذا وقد اعدت دراسات مختلفة على تلك المسلة

---

(1) Crohmann. A., op.cit., p. 43.

(٢) أول ما عرفه الآشوريون في عهد الدولة الوسطى : انظر

صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٢٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

إن الكتابة المذكورة على طرف الحجر تشير إلى أن أحد الكهان والذي اسمه صلم شزب Salm - Ahezab ابن (بسط - أو زيرى). (بيتوسيري) قد جلب أو أدخل عبادة جديدة إلى تيماء ، وهي عبادة (صلم هجم) وقام ذلك الكاهن بتشييد معبد له وتعيين كهنة يتوارثون خدمته ، وقد ذهب بعض الباحثين على أن لفظة صلم قد تعني كلمة صنم المشهورة في العربية ، في حين رأى

=

اتضح منها – كما ذكر ذلك صبحي أنور رشيد [1] للمسلة – التالي : أن صورة الشخص في الجزء العلوي من النقش تصور المعبود "صلم" في زي شخص آشوري ، في حين الشخص الواقف في القسم الأسفل من النص والواقف أمام مائدة القرابين هو الكاهن " صلم شزب " . ولا خلاف على أن النقش متأثر بفنون بلاد الرافدين .

ويضيف صبحي أنور رشيد ، الجديد بعد أن قام بدراسة مستفيضة لهذه الآراء ولدراسة المسلة نفسها حيث خرج بقوله : إن من المستبعد أن يكون رسم الشخص في النقش يمثل صورة المعبود " صلم " لأن من المعروف أن رموز المعبود في بلاد الرافدين تحف بالكثير من الرموز والشارات ، الدالة على الآلوهية،

= آخرون أن " صلم " ربما تعني كلمة لفظ الجلالة " الله " ، وإن لفظة "صلم" قد وردت في كثير من النصوص الثمودية وقد اعتبروه إلها رئيساً لهم وربما يكون الثموديون أخذوا عبادته عن أهالي تيماء حيث عثر على كثير من النصوص التي تحمل اسمه في جبل غنيم ، كما عثر على نصوص تحمل اسمه وتذكره بالتبجيل في أدوماتو . هذا ولقد وردت لفظه شبيهة له في الكتابات الحيانية مثل (صلم – لهب) و " صليهب " والتي تعني إلاههم المعبود . هذا ويرى بعض الباحثين أن النص يشمل اسمين صلم شزب وهو اسم بابلي واسم أبيه (بيتوسيري) وهو مصري ، مما يعنى وجود امتزاج بابلي مصري في تيماء في تلك الأثناء . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٣ . وكذا أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ، ص٥٩ . وكذا صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٢٧-١٢٨. وكذا فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، ترجمة محمد مبروك نافع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٥٢م ، ص٤٧ . وكذا حامد إبراهيم أبو درك : المرجع السابق ، ص٤ . وكذا عبد الرحمن كباوي وآخرون : " حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الرابع ، ١٤٠٨هـ " ، أطلال ، العدد الثاني عشر ، الرياض، ١٤١٠هـ ، ص٦٧ . وكذا

Cooke. G. A. A., Text Book of north-semitic Inscriptions, 1903, p.p.106-107 ; Winneet F.V. & Reed. W. L., op.cit. , p. 83.

(١) المرجع السابق ، ص١٢٨-١٣٢ .

مثل التاج ذو القرنين ، واللباس ذو الطيات ، في حين أن زي الشخص الموجود في الطرف الأعلى من النقش يختلف فهو يرتدي لباسا من ألبسة الأناس العاديين ، كما أن الخوذة المخروطية الشكل المدببة في الأعلى ، والخالية من القرون هي من أغطية الرأس التي كان يستعملها المحاربون الآشوريون والملوك البابليون الجدد ، أي أنها من لباس البشر أيضاً ، وليست من لباس المعبودة . مع ملاحظة عدم وجود خلاف في زي الشخصين المرسومين في النقش ، وهو المفروض أن يكون . فهناك فرق بين لباس البشر ولباس المعبودة ، حيث صورهم النقش يرتديان نوعاً واحداً من الثياب ، دون تميز . أما التميز الحقيقي فإنه يكمن في أن الشخصين ليسوا على قدرٍ واحدٍ من الأهمية ، فربما مثل الأول الملك وليس المعبود ، ويستند على ذلك بالصولجان الذي في قبضته ، والخوذة التي على رأسه ، وهي من لباس ملوك العصر البابلي الحديث . لأن الملوك الآشوريين استعملوا الطربوش واستعمل محاربوهم الخوذة . وإذا ما قورنت نقوش مسلة تيماء ، ونقوش مسلة حران والمنسوبة إلى الملك البابلي نبونيد ، والموجودة في المتحف البريطاني [1] ، فإن الشبه الواضح بين النقشين يدفع إلى القول بمعاصرتهم بعضهم البعض ، وحيث أن من المؤكد نسبة مسلات حران لنبونيد فليس من المستحيل نسبة مسلة تيماء أيضاً لنبونيد . كما يؤكد ذلك الصولجان الذي يحمله الشخص في نقش تيماء ، هو نفسه الذي يحمله في مسلات حران . أي أن ذلك الصولجان ذو الحلقات المتتابعة، والذي ينتهي شكله من الأعلى بحربة . وأما بالنسبة للرسم الأسفل للنقش فهو نقش ذو تأثير بابلي قوى ، لأن ما سجله النقش يشير إلى متعبد يقف أمام مائدة ، عليها حيوان أو رأس ثور . وكلاها يرمزان إلى طقس ديني يقدم للإله ، وهو أمر شائع في فنون العصر البابلي الحديث ، وانفردت به دون الفنون

(١) انظر ص (٣٢٨) من البحث عن مسلة حران .

الآشورية . ويختم قوله بأن المسلة يرجع تاريخها إلى القرن السادس ق.م ، وبالأخص إلى عهد الملك البابلي نبونيد ، وذلك لا على أساس الكتابة الآرامية ، والتي اعتمد عليها كثير من الباحثين (١) في تحليلهم للنقش . وإنما على أساس النقوش البارزة في المسلة ، والتي تشبه إلى حد كبير مسلة حران والمنسوبة للملك نبونيد ، بناءاً على التحاليل والمقارنة لذلك التشابه القوي بينهما ، وعليه يذهب كثير من الباحثين (٢) .

هذا ولقد كشفت التنقيبات الأثرية في تيماء، خلال الموسم ١٣٩٩هـ (٣) عن قطعة حجرية (لوح) أشبه بمسلة ، إلا أن أعلاها يأخذ شكلاً مستقيماً الجزء

---

(١) يرى هوبر أن كتابة مسلة تيماء تعود إلى أوائل الفترة الآرامية أي إلى القرن السادس أو الخامس ق.م في حين يرى آخرون أنها تعود إلى السنة ٢٢ من حكم الملك الأخميني دار الأول (٥٢١-٤٨٥ ق.م) هذا وقد أتبع جواد علي وفيليب حتي ليدزباسكي Iidzbarski في القول بأن كتابة المسلة ترجع إلى حوالي القرن الخامس ق.م . انظر

جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٣ . وكذا فيليب حتي : المرجع السابق ، ص٤٧ . وكذا صبحي أنور رشيد : المرجع السابق ، ص١٢٧ . وكذا

Huber ,C.H. ,Inscriptions Recueilles dons,I,Arabia Central ,1878-1887 , p.511.

(٢) يؤيد ذلك كل من أحمد حسين شرف الدين : المرجع السابق ، ص٦٣ . وكذا عبد الرحمن الأنصاري : المرجع السابق ، ص٨٠ .

(٣) بدأت التنقيبات الأثرية في تيماء بقصر الحمراء منذ عام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م حيث اكتشفت بضعة أمتار منه ، وتشكل الجزء الشمالي للقصر ، وفي عام ١٤٠٠م توسع البحث جنوباً لبضعة أمتار واستكمل بعد ذلك عمليات الحفر والكشف في عام ١٤٠٤هـ بما يعرف بالموسم الثاني وذلك على امتداد ما نفذ خلال العامين ١٤٠٢هـ و ١٤٠٣هـ ، وفي عام ١٤٠٥هـ استكملت أعمال الحفر والتنقيب في ما يعرف بالموسم الثالث ثم كان عام ١٤٠٦هـ وهو الموسم الرابع والأخير للحفر والتنقيب في آثار قصر الحمراء . انظر

حامد إبراهيم أبو درك وعبد الجواد مراد : "تقرير مبدئي عن حفريات وتنقيبات قصر الحمراء في =

الأسفل منه مهشم بعض الشيء ، وقد دونت عليها كتابات آرامية عثر عليها مدفونه – بعض أجزائها – في أحد غرف قصر الحمراء ، وبجوار أحد حيطانه ، مما يوحي بأنه ليس في موضعه الأصلي ، حيث أسقط في هذا الموقع دون اختيار ، وعلى كلٍ ، فإن أبعاد الحجر (أو المسلة) تبلغ (١,٠٢م) طولاً و(٠.٤٥سم) عرض ، وبسمك حوالي (٠.١٦سم) تقريباً [١] يحتوى الوجه المنقوش منه على رموز دينية ينسب معظمها إلى فنون بلاد الرافدين ، من أمثال نظم قرص الشمس المجنح ، والنجمة الثمانية رمز " الزهرة "، بالإضافة إلى هلال قمري كامل ، وكل تلك النقوش كانت تعلو الكتابة الآرامية ، والمكونة من عشرة أسطر تقريباً [٢] وتلك الكتابة تصف طقساً دينياً كما يرى ذلك جورث بودن [٣] ويضيف أنها ربما كانت تقديساً لقبيلة عربية شمالية ، وقد دونت بخط يشبه الخط المعروف في بلاد الرافدين، خلال النصف الأول من الألف الأول ق.م ، ويذكر ذلك نقلاً عن Rekmans وترجع أهمية ذلك النقش لكونه شديد الشبه بمسلة

= تيماء ، الموسم الرابع والأخير، ١٤٠٦هـ" ، أطلال، العدد الحادي عشر ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ص٤٢-٤٣ .

(١) حامد إبراهيم أبو درك : دراسة نقد ومقارنة لآثار تيماء ، ص٥٩.

وضع جورث بودن أبعاده ١,٠٢م × ٠.٣٠سم في حين وضع السير ليفنجستون أبعاد اللوح ما بين ٧٥سم طولاً و ٦سم عرضاً وقد ذكر في أطلال العدد الثالث في أخبار متفرقة أن أبعاده مابين ٤٠×٣٠سم وسمك ١٨سم . انظر لجنه التحرير ، أطلال ، العدد الثالث ، ١٣٩٩هـ ، الرياض ، ١٣٩٩هـ ، ص٩٢. وكذا جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٥ . وكذا السير ليفنجستون وآخرون : المرجع السابق ، ص٨٩. وقد أورد ترجمة للنص المكتوب على هذا اللوح أو المسلة . انظر نفس المرجع ، ص٨٩-٩٠ . وانظر شكل رقم (٧) .

(٢) حامد إبراهيم أبو درك : المرجع السابق ، ص ٥٩ . وكذا جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٥ . وكذا السير ليفجستون وآخرون : المرجع السابق ، ص٨٩.

(٣) جورث بودن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

تيماء، حيث وصل إلى درجة أن أطلق عليه مسلة تيماء الثانية ، وبذلك أمكن نسبته إلى عهد الملك البابلي نبونيد ، أسوة بسابقيه هذا . وقد أظهرت هذه المسلة التأثير الديني القوي الذي حمله نبونيد إلى تيماء ، والمشكل في عبادة المعبود " سين " القمر (١) .

كما أظهرت الاستكشافات الأثرية في تيماء شاهداً أثرياً آخر ، يبرز التأثير الحضاري لبلاد الرافدين في تيماء ، في تلك الحقبة التاريخية التي عاش فيها نبونيد في تيماء ، حيث عثر بعض الباحثين بجوار اللوح الحجري السابق على قطعة حجرية مكعبة الشكل (مكعب تيماء) يبلغ طول ضلعه حوالي ٠.٣٧سم من جوانبه المختلفة ، واجهتاه الشمالية والغربية كانتا ظاهرتين ، في حين كانت الواجهتان الآخريتان تختفي في حوائط أحد غرف مبنى قصر الحمراء ، التي كان يرقد فيها ذلك المكعب ، ومن فحص هذا المكعب وجد أن الواجهتين اللتين كانتا مخفيتين في حائط المبنى لا تزالا غشيمتين أي لم يُدون أو ينقش عليهما شيء بتاتاً، في حين كانت الواجهتان الشمالية والشرقية الظاهرتان مزينتين بنحت منخفض وبارز، يحيط بهما إطار عالٍ مزين بصف من الورود البسيطة ، وفي وسط الوجه الشمالي للحجر المكعب منظر أمامي لرأس ثور، ونقش بين قرنيه رسم لقرص شمس ، كما يظهر من النقش أن رأس الثور قد وضع على مذبح ، أو شبه قاعدة مشيدة ، من كتل حجرية مستطيلة ومنفصلة ، وضعت فوق بعضها البعض في شكل مدرج . كما يظهر النقش وجود قرن تقديس مثلث ، على جانبي الرأس ، وعلى يسار هذا الجانب ، يوجد منظر لإنسان يمسك في إحدى يديه شيئاً يشبه مخروط البلوط ، بينما يرفع يده الأخرى على شكل دعاء ، وقد كسا جسده كله

---

(١) نفس المرجع ، ص٩٥ . وكذا حامد إبراهيم أبودراك : المرجع السابق ، ص٦٠ . وقد أورد دراسة مقارنة بين الحجرين حجر تيماء المكتشف عام ١٨٧٩م وحجر تيماء المكتشف عام ١٩٧٩م . وللمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر نفس المرجع ، ص٦٠ -٦٥ .

بثوب طويل مزركش ، وبه ثنيات مائلة ، تبدو وكأنها قطعة قماش ، لفت حول جسده، وهذه الثنيات رسمت على شكل رأسي ، من الأمام والخلف للثوب . وقد يظهر من النقش أن الشخص المرسوم في النقش ، يرتدي قرطاً في أذنيه ، وقد جمع شعره في شكل كعكة مثبتة في الخلف . وأمامه وضع حامل قربان عليه مبخرة . كما يوجد حامل قربان آخر في النقش يقع على الجانب الأيمن لرأس الثور أو العجل ، ويضم النقش أيضاً نحتاً بارزاً لنجمة عشرية ، وفوقها وقرب الحافة عند القمة نحت بارز لهلال القمر ، وكلا النقشين الآخرين يقعان فوق مائدة القربان ، كما يوجد في أقصى الزاوية اليسرى للنقش ، وفوق صورة الإنسان ، قرص شمس مجنح وله أرجل مستطيلة ، وريش بالذيل ، رمز له بأنصاف دوائر ، أسفل قرص الشمس ، وفوق قرص الشمس حلقتان متماثلتان ومقوستان . أما الجانب الشرقي فقد زين بنحت بارز عبارة عن تشكيلة من الزهور البسيطة ، وبعض البراعم الزهرية التي لم تتفتح بعد ، وفي النصف الأسفل من النقش منظر جانبي لعجل يشغل نصف مساحة هذا الوجه ويحمل بين قرنيه " قرص شمسي " وفي أقصى اليسار منظر جانبي لشخص ضئيل يبدو وكأنه يقدم شيئاً للعجل ، ويرتدي ثوباً طويلاً خالياً من الثنيات ، ويخفي قدميه كما يظهر من النقش أن شعره طويل مرفوع من عند المؤخرة . وعند منتصف هذا الوجه، يوجد صورة لقرص شمس مجنح يغطي معظم هذا الوجه ، ورسمت في الجهة اليمنى منه ، وفوق القرص ، وردة شمسية ، وعلى يسارها شكل بالٍ لجسم غريب ، أشبه بتنين أو سمكة [(١)] . ويرى Bowden [(٢)] أن نقوش حجر تيماء تُعد ذات أهمية

---

(١) حامد إبراهيم أبودرك : المرجع السابق ، ص٥٤ – ٥٥ .
وقد أورد أيضاً دراسة مستفيضة للنقش بالمكعب . انظر نفس المرجع ، ص٥٦ – ٥٨ . وانظر شكل رقم (٨) .

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٤- ٩٥ .

كبيرة ، بالنسبة لتحديد المؤثرات الحضارية لبلاد الرافدين ، في قصـــر الحمــراء (تيماء) ، حيث إن معظم الصور المنقوشة ، تعود أصلاً إلى بــلاد الرافديــن ، بصورة مباشرة ، فصورة الرجل الذي يقترب من المذبح المدرج في موضع متوسط وهو يحمل رأس الثور، وكذلك منظر قرص الشمس المجنح الذي يتوسط قرنيـــه، ومائدة القرابين المدرجة على الجانب الآخر ، ترجع جميعها في أصلها إلى أسلوب فنون بلاد الرافدين ، كما أن شكل الرجل ونمط لبسه يؤكد ذلك ، فهو بـــابلي بكل تأكيد ، كما أن الرموز الدينية الظاهرة في النقش تحمل مواصفات طقـــوس بلاد الرافدين ، وعلى رأسها صورة الهلال " القمر " " سين " والنجم المشع ، وكذا قرص الشمس المجنح ، بخطوطه المستقيمة ، والذي يظهر بوضوح في النقوش الآشورية ، وليـــس بغريـــب في أن ينتمـــي إلى الدولـــة البابليـــة الحديثـــة ، ولعل من الأهمية بمكان ، الإشارة إلى أن Bowden يرى أن معظم تلك المخلفـات الأثرية التي عثر عليها في قصر الحمراء ، عبارة عن أدوات تشير إلى طقوس دينيـة كانت تقدم في قصر الحمراء لمعبد معبود القمر " سين " والتي يرجع تاريخـها إلى فترة نهوض تيماء ، في عصر الدولة البابلية الحديثة ، وخاصـــة في عـــهد الملـــك نبونيد، حيث إن معظم ما عثر عليه من إشارات إلى طقوس دينيـــة ، كمـــا في مكعب ومسلة تيماء ،ومقارنتهما معاً، ومع المؤثرات الأخرى التي تنتمي إلى نفس الفترة، تؤكد معاصرتهم جميعاً إلى عهد الملك البابلي نبونيد .

هذا ولقد عثر في تيماء على بعض الملحقات الفخارية ، التي تماثل ما عـــثر عليه في بلاد الرافدين ، في تلك الفترة ، ومنها قارورة فخارية كاملة ، ذات عنـق طويل وفوهة واسعة وقاعدة صغيرة مستوية يبلغ ارتفاعها حوالي (٣٤,٥٠ سم) وقطر فوهتها (٩,٧ سم) ، وقطر بطنها حوالي (١٦,٠.سم) ، وقطر قاعدتهـا حوالي (٣,٥ سم) وهي مصنوعة من طينة حمراء ، ذات قشرة صقلية لامعـــة ، مصنوعة بواسطة دولاب الخزف ، أو عجلة الفخراني ، وهي تشبه تماماً ما عـــثر عليه في قبر (ادوتى- نور) في عمان، والذي كشف عنها لنكســـتر هـــالدنج

Harding,L وعثر معها على ختم أسطواني يحمل كتابة جـــاء فيــها (ادوني – نورخادم أمين– أدب) وهو اسم حملته الكتابات الآشورية وعرفته بأنه كان ملكا على عمون Ammon كما وصفته نصوص الملك الآشـــوري آشـــور بانيبـــال (٦٦٨–٦١٢ ق.م) ، على أنه من ضمن الملوك الذين دفعوا له الجزية ولقـــد ربط بعض الباحثين بين تاريخ القارورة ، والختم . وبذلك جعلوا تاريخ القـلوورة يرجع إلى تاريخ الختم . أي إلى عهد الملك الآشوري آشـــور بانيبـــال . هـــذا بالإضافة إلى وجود قوارير أخرى ، شبيهة بما عثر عليه في الوركـــاء ، في معبـــد " بيت أكيتو " المخصص لأعياد رأس السنة البابلية وهذه القـــارورة الفخاريـــة أمكن إرجاع تاريخها إلى زمن الدولة البابلية الجديدة ، كما عثر على مثيلاتهـــا في " نفر " وأن تواجد هذه القارورة في تلك المناطق ، مع تواجدها في تيماء يؤكد هذه العلاقة ، كما يذهب صبحي أنور رشيد (١) تأكيداً لعلاقات تيماء مع بـــلاد الرافدين خلال عهد الملك البابلي نبونيد .

ولقد عثر على مبخرة في شكل صندوق مربع ، بأربع أرجل القسم العلوي منها مجوف تظهر عليه آثار الحرق ، كما طرزت المبخرة من الخارج بزخـــارف ، عبارة عن مثلثات غائرة ، ودوائر وخطوط مستقيمة ، عملت بطريقة التحزيـــز . وهذا النوع من المباخر عثر عليه في بابل وآشور ، وأور والوركاء ، وبعد دراســـة مستفيضة من قبل صبحي أنور رشيد (٢) اتجه برأيه على أن صناعة مثـــل هـــذه الفخاريات من المباخر قد شاع في زمن الدولة البابلية الجديدة في بلاد الرافديـــن ، وحيث أن تواجدها في تيماء أيضاً يقترن بوجود علاقات لتيماء مع بلاد الرافديـــن

(١) نفس المرجع ، ص١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص١٣٧ – ١٣٩ .

في ذلك الوقت ، فإن هذه المبخرة ترجع إلى زمن الملك البابلي نبونيد إبان فترة استقراره في تيماء .

ولعل من الجدير بالذكر ، أن الاستكشافات الأثرية التي قامت بها الإدارة العامة للآثار في تيماء ، خلال مواسم الحفريات المختلفة ، قد أظهرت تواجد كميات ضخمة من الفخار ، وفي مناطق متفرقة منها ، وخاصة في ما يعرف بقصر الحمراء، ومنها القوارير المصنوعة من الطين الأحمر اللامع ، والمصنوع بمهارة فائقة، والذي وجد له قرائن مختلفة في بلاد الرافدين ، بالإضافة إلى ما عثر عليه من بقايا مخلفات فخارية منتشرة ، في مواقع مختلفة ، خاصة في قصر الحمراء، أثبتت الدراسات التي قامت عليها - وبعد تصنيفها - ، أن أساليب صناعتها وطرزها الفنية وزخرفتها ، من النوع المنتشر في مناطق مختلفة من شمال شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين ، والتي تتلخص في التالي :

(١) الزخارف المحزوزة [١] :

التي تعد أبسط أنواع الزخارف التي تزين بها الأواني الفخارية في قصر الحمراء ، والتي عملت بواسطة آله حادة بسيطة خالية من التعقيد والتشابك ، وهي لا تتعدى حزاً أو حزين ، يحصران بينهما بروازاً ، أو يلتف الحزان مع البرواز، حول رقبة الإناء أو بدنه .

(٢) الزخارف البارزة :

وهي نادرة وتشبه الأولى وتزخرف بها الأواني الكبيرة الحجم .

---

(١) حامد إبراهيم أبودرك وعبد الجواد مراد:" تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء، الموسم الثاني ١٤٠٤هـ " ، ص ٥٥ ، ٦٠، ٦١ .وكذا حامد إبراهيم أبودرك وعبد الجواد مراد : " تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء ، الموسم الثالث ١٤٠٥هـ " ، أطلال، العدد العاشر ، الرياض ، ١٤٠٦هـ، ص٣٥-٤٢ .

(٣) الزخارف المضافة :

هي وحدات زخرفية تضاف إلى الإناء أو العمل الفخاري بعد تشـــــكيله مباشرة وتدخل معه فرن التجهـــيز ليكتمل شكلهما معاً .

(٤) الزخارف المختومة :

وهي عبارة عن زخارف معدة سابقاً على شكل أختام بشكل مقلـــوب ، مصنوعة من الفخار ، أو الحجارة ، أو المعدن . وبعد أن يتـــم تجـــهيز العمـــل الفخاري بختم بهذه الزخارف فتعطي الشكل الصحيح ، وتدخـــل إلى الفـــرن ، فتخرج بها وهو النوع الأكثر شيوعاً في فخار تيماء وقصر الحمراء .

كما تجدر الإشارة ، إلى أن الاستكشافات الأثرية في تيماء ، كشـــفت في موقع آخر من مدينة تيماء ، وفيما يعرف بالمنطقة الصناعيـــــة ، علـــى أطـــلال مركبات مبان، تشبه في بعض صفات بنائها ، وخاصة فيما يتعلـــق بالدعامـــات والعواميد ، الحاملة للألواح الحجرية الكبيرة ، ما يشبه بناء قصر الحمـــــراء [١] . وبذلك ، فإن هذه المباني يرجع تاريخها إلى زمن الملك البابلي نبونيد . وقد تحتـاج إلى مزيد من الأبحاث لتأكيد ذلك .كما إن الأبحاث دلت على الكثــــير ، مـــن النقوش والكتابات المختلفة كتلك التي عثر عليها في قصر الحمراء أو في جبل غنيم والتي وصفها وينت وريد Winnett Reed بالكتابة التيمائية واللذان جعلا تاريخـها يرجع إلى حوالي القرن السادس ق.م [٢] ، والتي يحمل بعضها لفظه " صلـــم "

(١) حامد إبراهيم أبودرك :" تقرير مبدئي عن حفريات موقـــع الصناعيـــة بتيمـــاء الموســـم الأول ، ١٤٠٨هـــ " ، أطلال ، العدد الثاني عشر ، الرياض ، ١٤١٠هـــ ، ص٢٠ .

(٢) حامد إبراهيم أبودرك : دراسة نقد ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء ، ص٦٥ وكذا Winneet F.V. & Reed. W.L.. , op.cit. , p.89 .

الذي ورد اسمه على مسلة تيماء الثانية .مما يؤكد معاصرهما ونسبتهم إلى عهد الدولة البابلية الجديدة .

وعلى ضوء كل تلك المؤشرات الفنية التي عثر عليها في تيماء لتأكد تواجد علاقات سياسية وحضارية بين منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبين بلاد الرافدين خلال حكم الدولة البابلية الجديدة ، حيث اتخذ نبونيد من تيماء عاصمة سياسية له إبان حكمه وقضى فيها وقت ليس بالقصير من عصره ، في تلك المنطقة القابعة في قلب الصحراء العربية والبعيدة عن العواصم المأهولة والقريبة منه ، فهل كان اختيار نبونيد لتيماء لأسباب دينية أم سياسية أو اقتصادية، أو ربما كان سبب شخصي لا دافع له [١] . فمن الملاحظ أن نص حران ، يشير إلى أن السبب المباشر لترك ذلك الملك مدينته التي هي بابل متجهاً نحو تيماء إنما كان بسبب صراع ديني شب بينه وبين كهنة مردوك [٢] بعد أن شاهد رؤيا أو حلم تلقى فيه نبونيد أوامر من قبل المعبود " سين " (القمر) ، يطلبه فيه بإعادة بناء معبده في حران " ايخولخول " فلما شرع في ذلك وشاع الخبر في سكان بابل تذمر الناس وكذلك كهنة مردوك الأمر الذي أدى إلى ظهور فتنه بينه وبين كهنة مردوك لأن في هذا الأمر رفعه المعبود "سين" (القمر) على المعبود مردوك ، المعبود التقليدي لأهل بابل[٣] وأن بفعلته تلك سيشكل انقلاباً على ديانة مردوك وكان ذلك بالفعل حتى وصل إلى درجة التقصير

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٢ .

(٢) لا يعتقد Parr أن السبب الديني وحسب سبباً في خروجه بل هناك أسباب أخرى يجب الأخذ بها . انظر

Parr. P. J., Aspects of the archaeology of North west. Arabia. in the first millennium. Bc. pp.49 - 50 .

(3) Bawden, op.cit.., p. 41. ; Gadd., op.cit., p. 88 ; Winnett F.V & Reed .W.L. , op.cit. , p. 89 .

في الاحتفـــال بأعيـــاده [١] كما أشارت على ذلك نصوصه التي جاء فيـــها [٢] :-

"...وفي نصف الليل فإن (سين) جعلني أحلم وقال (في الحلـــم) كما يأتي: أعد بناء ايخولخول بسرعة معبد سين في حران وأنا أمد يدي إليك فوق كل البلدان...."

كما يشير في النص على غضب سكان بابل والمناطق المحيط بها منه وكـــان نتيجة ذلك العصيان والتمرد من قبلهم ورفضهم المشاركة في بناء المعبد فما كـــان من سين وكما يصف النص أن سلط عليهم المصائب من كل حدب وبـــــاب . ثم يضيف في آخر النص :-

"...ولكن هو جعلني أترك مدينـــتي بـــابل علـــى الطريـــق إلى تيماء...."

وهكذا فإن أول الأسباب يتعلق بإعادة بناء معبد المعبود (سين) (القمر) في حران ذلك المعبود الذي تأثر بتقديسه عن طريق والديه [٣] .وبالأخص والدتـه التي كانت كاهنة له في حران [٤] . الأمر الذي دفع بكهنة مـــــردوك بـــالرفض وتأليب الشعب ضد ملكهم العتيد ، مما دفعه بالخروج من بابل نحو تيماء [٥] وربما كان يقصد من ذلك جعل تيماء مركز آخر لعبادة المعبود (سين) ، الـــــذي لم يكن غريباً على العرب ، حيث عرفوا تقديسه أيضاً [٦] ومع ذلك فـــإن التمـــرد

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ . وكذا أنطون مورتكـــات : المرجـــع السابق ، ص٣٦٣ - ٣٦٤ .

(2) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 562 .

(٣) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق، ص١٧٣ وكذا Roux. G., op.cit., pp.350 - 351

(4) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 560 .

(٥) ليوابنهايم : المرجع السابق ، ص١٣٣ .

(٦) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص١٧٤ .

الذي واجهه نبونيد كان مضمونه رفض المشاركة بل والمساهمة في بنـــاء معبـــد ايخولخول في حران ، وأن ذلك التمرد لم يصل إلى درجة رفض حكم الملـــك ، كما أن الملاحظ من فحوى النص أن خروج الملك كان برضى نفسه ولم يكـــن إجبارياً من قبل شعبه بل هو الذي انفصل عنهم ساخطاً عليهم، والذين هـــم في نظره مذنبين وكافرين على حد قوله وأن المعبود سين انزل بهم الشرور والآثـــام والأمراض بسبب رفضهم تقديسه . هذا وقد أشارت بعض المصادر على انتشـــار مرض الطاعون في بابل في تلك الفترة، ولعل مما يؤكد خروج الملـــك بطوعـــه واختياره هو أن الاحتفال برأس السنة والذي كان كهنة مردوك يقيمونه في بـــابل قد ألغى طوال فترة تغيب نبونيد عن بابل (١) كما أشارت إلى ذلـــك مصـــادره حيث جاء في النص التالي (٢) :-

"...الاحتفال بالعام الجديد الغي...."

وقد تردد ذلك القول في حولياته منذ السنة السابعة من حكمه وهي السنة التي أشار فيها إلى استقراره في تيماء. وختاماً فإن ما عثر عليه الباحثين من أدلـــه مادية وشواهد نصية في تيماء تحمل تأكيداً عن حرص ذلك الملك على تقديـــس عبادة المعبود (سين) أو القمر في تلك الواحة العربية ، وعلى ضوء ذلك فـــان السبب الديني قد يكون من أرجح الأسباب وليس الوحيد خاصة وأن هناك مـــن يرى أن توجهه نحو تيماء كان لسبب شخصي وهو هروبه من بابل بعد انتشـــار وباء الطاعون في بابل (٣) فكان خروجه للبحث عن موضع آخر بعيداً عن أمراض بابل فاختار تيماء نظراً لموقعها الجغرافي من حيث ارتفاعها عن ســـطح البحـــر

---

(1) Gadd. op.cit., pp.88 - 89 .

(2) Oppenhiem , A.L, op.cit., p. 306 .

(3) Gadd , op.cit. , p. 89 .

وجفاف هوائها [1] وهناك من يذهب أن اختياره لتيماء كان من واقع أهـــداف سياسية فعندما شعر نبونيد بالخطر الفارسي المحدق بدولته فكر بإنشاء جيش قوي وذلك عن طريق جمع شمل القبائل الآرامية ، المنتشرة في أطراف مختلفة من الشرق الأدنى القديم ليكون درعاً واقياً أمام التقدم الفارسي ، فبدء ذلك من حران شمـالاً ثم اتجه جنوباً حتى تيماء ليعضدد ذلك بالعرب المقيمين في تيماء وما حولهـــا [2] واللذين رأى فيهم قوة جديدة يطعم بها جيشه ويعيد بهم أمجاد دولتـــه ويســتعد بهم لمنازلة الفرس [3] الذيــن زاد خطرهــم علـــى حـــدود دولتـــه في عـــهد ملكهم قورش [4] هذا ولا يستبعد أن يكون الدافع الاقتصادي على رأس الدوافـع التي يجدر الأخذ بها ، حيث موقع تيماء الاقتصادي ومكانتها على خط القوافـــل التجارية من ناحية ومواقع المستوطنات الأخرى التي توسع فيها نبونيد في شمـــال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وتنقل فيها والتي تمتع سكانها بالرخاء والـــثروة والوفرة من ناحية أخرى [5] كما يشير إلى ذلك صراحة في نصوصه التي جاء فيها [6] :-

"...وأنا نظمت لأتباعي في المناطق الجبلية البعيدة (للحياة) في بحبوحـــة كبيرة ووفرة...."

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦١٤ .

(٢) أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٣٦٤ .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٤) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص١٧٤ - ١٧٥ .

(5) Gadd., op.cit. ,. p. 89 .

(6) Oppenhiem. A.L., op.cit., p. 563 .

ولهذا السبب يتجه كثير من الباحثين [1] على تأييده فهو من أبرز الأسباب التي دفعت بملوك بلاد الرافدين عامة وملوك بابل الكلدانية خاصة بالتوجه نحو منطقة تيماء وذلك بعد تقهقر الطرق البرية التجارية الأخرى والتي تمر ببلاد الرافدين من الجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية ، في الوقت الذي ازدهرت فيه طرق التجارة العربية الواقعة في غرب بابل فوجد نبونيد في الطريق العربي تعويضاً عن ما أصاب دولته من أضرار مادية من جراء سيطرة الأخمينيين والميديين على الطرق الشرقية فسعى نبونيد بكل جهده في سبيل بسط نفوذه على خط التجار العربي وبالفعل تحقق له ذلك وقام باحتلال تيماء ومنها توسع في باقي المناطق ونشر بها حاميات عسكرية ، وجعلها مستوطنات خاضعة له [2] بعد أن اسكنها بأُناس قدموا معه من أهالي سوريا وبابل وربما يهود أيضاً . خاصة في المدن التي اشتهرت بطبيعتها الصالحة لإقامة مثل تلك المستوطنات ، والتي تقع على طول خطوط التجارة الدولية آنذاك ، وكانت محط أنظار جميع القوافل التجارية بما توفره من خدمات ضرورية لها [3] ، والتي تأتي تيماء في مقدمه تلك المدن التي اشتهرت بموقعها الاقتصادي المتميز بكونها ملتقى للطرق التجارية المألوفة في ذلك الوقت ، فالاستيلاء عليها والبقاء فيها يعُد مكسب عظيم في حد ذاته للنبونيد . وعلى كلٍ فربما أراد نبونيد من استقراره في تيماء تجهيز نفسه لهدف أكبر من ذلك وهو التقدم جنوباً نحو البحار الدافئة عند بحر العرب فيتصل

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٢ . وكذا سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص٣٥٣. وكذا طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٥٥-٥٦٠ . وكذا رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦١ . وكذا Roux. G., op.cit., pp.356 - 357 .

(٢) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ، ص٦٦١ ،٦٦٤ .

(٣) طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٥٥ .

بإفريقيا شرقاً وبالهند غرباً فيتحكم بشكل أو بأخر بالتجارة العالمية قاطبة [١] أو لتأمين الطريق التجاري والذي يربط ما بين بلاد العرب وبلاد الرافدين والسواحل السورية [٢] . وبذلك يتمكن نبونيد من إنشاء إمبراطورية تجارية كبيرة في شبه الجزيرة العربية تتحكم في الطرق التجارية الهامة وبناء مركز اقتصادي هام يقف في مقاومة النمو الفارسي القادم من الشرق[٣] .ومهما تكن الأسباب حول اختيار نبونيد لتيماء ، فإن توسعاته تلك لم تكن تهدف إلى إحقاق حق وإزهاق باطل ، فما هي إلا مجرد حملات قام بها نبونيد وغيرة من ملوك الأرض القديمين لسلب خيرات الأمم والبطش بأهلها ، وبذل كل ما في وسعهم في سبيل ذلك ، ولم يألوا على فعل أي شيء وضد أي شيء في مقابل تحقيق غاياتهم .

---

(١) جواد علي : المرجع السابق ، ص٦١٢ - ٦١٥ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

(3) Bawden., op.cit., p. 41.

الباب الثالث

موقف الإسلام من الحضارة الآشورية والبابلية الكلدانية

الفصل الأول

مفهوم الحضارة في الإسلام وماهيتها

لكي تستكمل المسيرة التاريخية حياتها على الأرض ، في ضـــوء التفســير الإسلامي للتاريخ، فلابد أن يعرج الدارس إلى موضوع آخر . يعد خاتمة المطـاف في حركة الإنسان على الأرض، ومعرفة مدى تحقيق الغاية من وجوده ، ونتـــاج ذلك ، بما مكنه الله سبحانه وتعالى، من أدوات وإمكانيات ، سخرها الله لــــه . ذلك النتاج الذي يتجلى فيه قيمة العطاء الرباني غير المحدود ، والناجم من تفـاعل دؤوب تحت إرادة الله ، وبإبداع الإنسان ، وطاقته في تسخير ما وهبه الله مـــن نعم، والتي تعرف بالبناء العمراني ، أو البناء الحضاري ، أو الحضارة [١] ، وهـــي مرحله سامية من مراحل التطور الإنساني ، وهي الدالة على مظـــاهر الرقـــي ، العلمي والفني والأدبي والاجتماعي ، في الحضر [٢] ، ولم ترد لفظة الحضـــارة في المصادر الإسلامية والعربية ، باستثناء العلامة عبد الرحمن بن خلدون في القـــرن التامن الهجري ، الذي أعطي مدلولاً مرادفا لها في جملة (العمران البشرى) [٣] .

وهو مدلول متسع ، لشتى أنشطة الإنسان المختلفة ، بمظاهرها الماديـــة ، والمعنوية ، ونتيجة مجهوداته الظاهرة ، في عاداته وتقاليده ، وسلوكه وتفكـــيره، وكذا أنشطته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية والأدبيـــة ،

---

(١) الحضر خلاف البدو ، وهي الإقامة في الحضر .
وعرفت في المراجع الغربية بـــ Civilization المأخوذة من اللفظة اليونانيـــة Civtas أي المدينـــة و civis أي مساكن المدينة ، و civilis أي مدني انظـر
سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، ١٤٠٦هــــ، ص٢٤.

(٢) المعجم الوسيط ١ /١٨٧ .

(٣) سليمان الخطيب : المرجع السابق ، ص٢٥.وكذا جميل عبد الله المصري : "في الحضارة الإســلامية" ، مجلة المنهل ، المجلد الثاني والخمسين ، العدد ٤٨٥ ، جماد الآخر ، ١٤١١هــ ، ص٢١-٢٢ .

بالإضافة إلى نزعته الدينية [1]،وهي نتاج أمة إنسانية تجمعت لها عناصر الانطلاق، والإبداع وسعت لأن تقوم بدورها الحضاري، وصنع وجودها التاريخي، المقدر بإرادة الله، والمرهون بقضاء الله وقدره ، وتشترك فيه مع سائر الكائنات[2] . قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [3]

---

(١) رشيد سالم الناضوري :جنوب غرب آسيا ، وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٨٧- ٨٨ .

وهي تعنى الرقى الثقافي والمدني فالثقافة الرقى في الأفكار النظرية مثل القانون والسياسة والتاريخ والأخلاق والسلوك والمدنية هي الرقي في العلوم التجريبية كالطب والهندسة والاستفادة من الطبيعة التي سخرها الله للإنسان. انظر

أحمد شلبي : موسوعة الحضارة والنظم الإسلامية ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٨٠م ، ص١٩ -٢٠ .

(٢) عبد الحليم عويس : تفسير التأريخ علم إسلامي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص١٥٩ -١٦٠ .

ويعرف ل. ديورانت الحضارة بأنها : " نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي وتتألف من عناصر أربعة : موارد اقتصادية ، نظلم سياسية ، وتقاليد خلقية ، ومتابعة العلوم والفنون ،وفي نظره أن الحضارة تبدأ حين ينتهي الاضطراب والقلق ، وشروطها مرهونة بعوامل عده منها :-

العوامل الجيولوجية : حيث تتأثر المجتمعات بالعوامل الجيولوجية كالجليد الذي يغمر الأرض ، والزلازل والبراكين والعوامل الجغرافية: من حيث التوزيع السكاني في المناطق المناخية المختلفة كسكان المناطق الاستوائية التي تنتشر فيها بعض الأوبئة ومعظم أهلها مصابون بالخمول والكسل وفي المقابل أبناء المناطق الباردة، وسكان المناطق الجافة. العوامل الاقتصادية : حيث يشكل الاستقرار أهم عناصر بناء الحضارة وبناء المدنية ، وأن على النواحي الاقتصادية يتوقف البناء الحضاري فتداعيها يبعث إلى الفوضى والانحلال، بما ترتبط به من عوامل زراعية وتجارية وصناعية وخلافه . انظر

ل. ديورانت : نشأة الحضارة ، ترجمة زكى نجيب محمود، المجلد الأول ، الجزء الأول، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية ، ص٣-٥ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

والحضارة تتحقق أساساً من الإنسان ، وبإرادته وتفاعلاته ، المدفوعة بغرائزه الفطرية ، الموجودة في كيانه أفراداً أو جماعات (1) . وأن لكل أمة حضارة متميزة خاصة بها ، وتتميز بها شخصيتها وخصائصها الذاتية المعتمدة على أساسيات بناءها . وهي خاصة بجنس الإنسان دون غيره من الأحياء، تميز بها الإنسان بفضل ما وهبه الله من مرونة في جهازه العصبي ، والذي مكنه من القدرة على الاستدلال والاستنتاج . وبذاكره قوية للاحتفاظ بشتى التفاصيل وبلغه تمكنه من البناء الحضاري (2) .

وبما أن الإنسان لم يخلق عبثاً ، وأن خلقه لغاية واضحة ، فقد شكل بدوره، وبما هيأه الله ، الركيزة الأساسية في البناء الحضاري ، فالنظرة الإسلامية تركز في البناء الحضاري على الإنسان ، وبصفته الإنسانية ، وأنه صاحب الكلمة الأخيرة في هذا المفهوم الحضاري بما له وعليه ، ووفق علاقته واعتقاده أنه لامعبود الا الله ، والتزامه بالمنهج المترل من عند الله (3) . قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ } (4) العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى ، وبقيمه العليا الإنسانية لا الحيوانية ، المترفعة عن المادة من حوله، ليحقق خلافته على الأرض، بعهد الله ووفق حكم الله ومنهاجه (5) . قال تعالى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا

---

(1) عبد الحليم عويس :المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(2) جميل عبد الله المصري : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(3) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ،الطبعة السابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٢هـ ، ص٣٣٨. وكذا سليمان الخطيب : المرجع السابق ، ص٦٣ .

(4) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(5) سيد قطب ، معالم في الطريق ، دار الشروق ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٨٧ .

وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا } [1] هذا من جانب . ومن جانب آخر فهو يتصل بصفته الإنسانية التي ركيزتها عمارة الأرض، وهو جانب العمل والإبداع ، لمجابهة الفساد والركون في الأرض ، بما تلقاه من قيم وتعاليم ، والتزام كامل في ضوء شرائع الله المنزلة . وهذان الجانبان يشكلان باتحادهما معاً نشاط الإنسان على الأرض ، وإن افتقاد أحدهما للآخر سيؤدى إلى الخراب والضياع ، في الدنيا والآخرة ، ويؤدى بالإنسان إلى الانحراف عن الطريق الصحيح ، والموجه من الله خالقه [2] . قال تعالى : { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ } [3] وهكذا ففي رعاية الله وكنفه ، يتم البناء الحضاري .إيماناً وعملاً ، قال تعالى: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [4] .

وفي المفهوم الإسلامي أن الحرص الذي يوليه الإسلام للحفاظ على النشاط البشرى، ليس المقصود به هو ذلك النشاط الحضاري ذو الجانب المادي ، والذي يعتبر في النظرة الإسلامية ثانوياً لما هو أهم . كالمنجزات الفكرية والأخلاقية والروحية والنفسية ، المبنية على العمل الصالح بمفهومه الإنساني الشامل .الناتج من كد الإنسان وعطائه في طاعة الله وكما يقول عماد الدين خليل [5] :" ... عبر سلسلة طويلة من كفاح مبعوثي الله إلى بنى آدم ، ومن أجل ألاّ تصاب هذه

---

(١) سورة فاطر ، آية : ٣٩ .

(٢) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م، ص١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) سورة هود ، آية : ٦١.

(٤) سورة العصر ، الآيات : ١ - ٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص١٩٥ - ١٩٦ (بتصرف).

المنجزات الأساسية بنكسة أو كارثة،ترجع بحركة التاريخ البشري إلى الـوراء" . ويضيف أيضا " وإن هذا لا يعني أبدا اتخاذ موقف سلبي تجاه الإنتـاج المـادي للإنسان، حيث إن الإصلاح والأعمار من الأمور المناطة بالإنسان مـن واقـع استخلافه على الأرض ، وإن أي ضرر أو فساد يلحق بأحدهما ينعكس بشكل أو بآخر على الجانب الآخر . قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَـوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } (1) ، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } (2) وبذلـك تتحقـق إرادة الله سبحانه وتعالى ، في هيمنته على الكون المسخر من عنده ، تكريماً للإنسان ، مـن أجل عمارة الأرض بالخير والرخاء . في ظل المنهج والعقيدة الربانية التي ارتضاهـا لعباده (3) ، وأن ما وصلت إليه أي أمـة مـن الأمـم مـن علـوم وأدب ، وفنون وصناعة وتفوق عمراني واجتماعي وسياسي يعد مظـهراً مـن مظـاهر الحضارة ، وليس بأصل الحضارة التي هي الإيمان بالله وحده لا شـريك لـه . وهكذا نجد أن الحضارة ترتكز في بنائها ، وحسب النظرة الإسلامية ، على مـدى اتصال الإنسان بالله ، فهو المقياس وهو المعيار (4) .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) سليمان الخطيب : المرجع السابق ، ص١٢ .

(٤) أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها ، دار الأنصار ، القاهرة ، بدون تـاريخ ، ص٦ .

فالحضارة في الإسلام هي عقيدة الأمة وتراثها الفكري المتنوع في تخصصاته ومجالاته . والحضارة الإسلامية هي الإسلام وتراثه ، روحها العقيدة ، عقيدة التوحيد ، وجسدها ثمرة أعمال الإنسان في عمارته للأرض واستخلافه فيها من أجل إعلان كلمه لا معبود إلا الله (١) .

ويرى عبد الحليم عويس (٢) أن البناء الحضاري يشمل **ثلاثة عناصر** ، إذا ما تساوت وتوازنت مع بعضها البعض ، دفعت النمو الحضاري إلى الكمال ، وإذا ما اختلف أحد تلك العناصر ، أو تفوق أو ضعف أحدها عن الآخر ، تفكك البناء الحضاري وبالتالي دفع بالحضارة إلى السقوط .

وأول هذه العناصر هو **الإنسان** ، المؤهل من عند الخالق الباري ، للقيام بدوره المطلوب على الأرض ، أخلاقياً ونفسياً ويجتمع معه عنصر الوقت أو الزمان ، على اعتبار أن الإنسان عمر، أي حقيقة زمنية لا يمكن فصلها عن الإنسان .

والعنصر الثاني **الفكر** وهو الهدف ، والغاية التي يجب على الإنسان التمسك بها ، وهو الدين الذي يدفع الإنسان إلى التضحية ، وبذل الجهد ، وهو العقيدة وهو الثقافة ، وهو الجانب المعنوي للحضارة .

ثم يلي ذلك العنصر الثالث وهو عنصر **الأشياء (المادة)** ، بجوانبها المتعددة، والمرتبط بمختلف أنشطة الإنسان الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، أي أنها تشكل كل الأدوات المحسوسة التي يجاهد فيها الإنسان ، ويطوعها إلى إرادته ، بما وهبه الله من قدرة على التسخير . وان هذه العناصر الثلاثة لابد من أن يجمعها توازن منظوم ، يعطى كل عنصر قدره في المرحلة التاريخية التي تمر بها

---

(١) جميل عبد الله المصري : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٠ – ١٦٢ .

الحضارة ، فيبقي كل عنصر فعالاً ومؤثراً . وأن الحضارة لا تبنى إذا ما طغي أحدهما على الآخر ، فعندما يعبد الإنسان أخاه الإنسان ، ويطغى ذلك الإنسان بإشباع جسده، ويصبح هو الهدف، فتصاغ الحياة وما فيها للاستمتاع وإشباع الشهوات. متخذا ذلك بكل الغايات والوسائل فيقع الخلل . وعندما يطغى الفكر، يذوب الإنسان في الفكر على حساب الجسد والأشياء ، فيترك العمل ويصبح الفكر لمجرد الفكر ، فيرغب الإنسان أن يعيش عمره صائماً ولا يفطر، وآخر يقوم ولا ينام ، وثالث يترهبن ولا يتزوج ، فيطغى الفكر وتهدد الحياة بالخلل ، أما إذا ما اهتم الإنسان بالأشياء ، أو الجانب المادي على حساب الإنسان والفكر ، فتتصدر الأشياء بشتى فروعها من اقتصاد وتجاره وصناعه وزراعة وغيرها بؤرة النشاط الإنساني ، حتى يجعل منها الإنسان ركيزة من ركائز الحضارة . وهي في الحقيقة تفصيلات وتنظيمات ، ونتائج حضارة . فطغيان الاهتمام بها يخل بباقي المنظومة، وهكذا تصاغ الحضارة الإنسانية المنوطة بالإنسان، الذي كرمه الله واختاره لصنعها . قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (١)

وقال تعالى: { لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } (٢) وهذا التكريم يكون مرتبطا بالحفاظ على عبوديته لله ،والالتزام بمنهجه، أما إذا ما زاغ عن ذلك، فقد اتجه إلى الهبوط ، وإهدار كرامته ، والسير في طريق الانحراف والضلال (٣) . قال تعالى: { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

(٢) سورة التين ، آية: ٤ .

(٣) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٦٤ .

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }[1] وعلى الإنسان أن يتوازن في حياته مع الأشياء حوله ، وبالفكر الذي ارتضاه الله له. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً }[2] وللإنسان أن ينعم بما حوله في ذلك الإطار ، وأن يمتزج بالأشياء حوله بالعدل والقسط والتوازن. قال تعالى: { وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ }[3] وهكذا تظهر لنا الحضارة بمنظومياتها الثلاثية ، بإبراز عنصر الإنسان المؤمن بفكر (عقيدة) واضحة ، مع الأشياء حوله (المادة) في شكل متوازن ، بفعل وإرادة الله سبحانه وتعالى . فالمادة وحدها لا تعتبر حضارة لأنها افتقدت أهم شروطها وهو الإنسان، وكذا الفكر وهو هدفها ، وكما يقول محمد قطب [4] : إن المشي في الأرض والحفر فيها ، لا يشكل بحثاً عن التراث الحضاري، إلا إذا كان البحث يهدف للكشف في مجاهل الأرض لسكنها وعمارتها ، وإخراج كنوزها والاستفادة منها ، إما لتمجيد تلك المخلفات المادية والعقلية ، حتى وإن بدت رائعة وضخمة ، فليست من الحضارة الحقيقية إلا إذا قيدناها بدراسة الهدف الإنساني المنشئ لها وغايته . أي إن الحياة بجملتها وبجميع أنشطتها تتركز على قاعدة أخلاقية واحدة ، مفادها ومداها تقوى الله وخشيته ، وهو المنطلق في نظر التصور الإسلامي .

---

(١) سورة التين ، الآيات : ٥ -٦ .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٢٠ .

(٣) سورة الحجر ،آية : ١٩ - ٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤١ - ١٤٣ .

وإن المخلفات الأثرية (المادية) يتحدد النظر فيها كما يرى بعض الباحثين [1] وفق ثلاث جوانب : فجانب له فائدته العلمية والمادية ، مثل الوثائق والنقوش وقطع النقود ، والسدود والآبار والعيون ، والقناطر والطرق والأسوار . فالبحث فيها لا يضر للوصول إلى تراث يخدم الإنسان ، دون تعظيم وتقديس لها أو لمن بناها .

وجانب ثان لا فائدة مرجوة من البحث عنه ، بل يجب إزالته وتحطيمه ، مثل المخلفات في شكل معابد قديمة، ومشاهد القبور، وقباب مزارات، وتماثيل وصور . وجانب ثالث ، لا يضر ولا ينفع من مخلفات حضارية ضخمة ، في شكل مبان وأطلال ، ومساكن خربة وحصون وقلاع ، أو معالم أثرية ضخمة ، كالأهرامات والإيوانات ، ومن الأفضل تركها حتى تخرب وتفنى .

مع الأخذ في الاعتبار أن المفهوم الإسلامي يعد كل ذلك مظهر من مظاهر البناء الحضاري ، وليس جوهر الحضارة ، حيث أن الحضارة الحقيقية في نظر الإسلام قوامها الصفة الإنسانية القائمة على عبودية الله ، إيماناً وعملاً ، ظاهراً وباطناً، وليس مباني ضخمة ، ومباني شيدت بعصا التسلط والإرهاب ، وعلى جثث آلاف البشر بالقوة ، والسوط على ظهورهم ، والسيف على رقابهم فبنوا بكُرْه واستعباد وتسخير ، لإرضاء الحكام [2] .

ويلمس الدارس للتفسير الإسلامي للتاريخ . ارتباط حياة البشرية بمنهج التصور الإسلامي ، في البنية الحضارية ، ويعده جوهر الاستمرارية ، وإذا اتخذت الإنسانية تصوراً خاطئاً ، أو انحرفت عن فكرها الصحيح ، أو اختلف أحد

---

(١) محمد بن صامل السلمي : منهج كتابة التأريخ الإسلامي وتدريسه ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ص١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ، الجزء الأول، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤٠٥هـ ، ص٧- ٨ .

العناصر الثلاثة في البنية الأساسية للحضارة ، وخاصة العنصر الفكري ، الذي يمثل قاعدة التوازن في البناء الحضاري للإنسان ، فرداً وجماعة ، فإن اختلاله يؤدي إلى تمزق الأمة ، فتقع في مدار السنن الربانية التي تحكم البشرية، فتتعطل البنية الحضارية ، وتنشأ أمة من الناس خالية من القيم والمعاني السامية ، يدب في سلوكياتها الفساد والوهن، في مختلف أنماط حياتها ، وتكون عرضة للسقوط . فالفكر يشكل نقطة الارتكاز الذي تقوم عليه علاقة الإنسان بخالقه ، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وبالكون حوله .

وفساده أو الغفلة والبعد عنه ، يدفع بالإنسان نحو الانحراف عن الخير والحق والكمال ، ويشده إلى التدهور والانحلال ، ويكون الفساد الفكري ، بيئة صالحه لنمو الانحطاط الأخلاقي [1] . قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [2] وقال تعالى: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } [3] وهكذا يؤكد القرآن الكريم أن استقامة الفكر تؤدى إلى استقامة الحضارة،وانحراف الفكر يؤدى إلى سقوط الحضارة [4] .

عوامل السقوط والانهيار

أن وعد الله حق بأن كفل للبشرية الهداية والحياة السعيدة إذا ما سارت على الطريق والمنهج الصحيح ، أما إذ ما انحرفت عن الطريق والمنهج الصحيح ،

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٧٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٦ - ٧ .

(٣) سورة طه ، آية : ١٢٣ - ١٢٤.

(٤) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ص١٧١ .

فإن نصيبها البلاء والشقاء والهلاك ، بقدر من الله سبحانه وتعالى . قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } [١] وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [٢] وهكذا يأتي الضلال الفكري بفساد علاقة الإنسان بربه ، والخروج به عن عبادة الله الواحد القهار ، إلى عبادة الطواغيت البشرية، واتباع المذاهب الفكرية الهدامة ، والمنحرفة التي تكون من صنع الإنسان، التي يسيرها كما يشاء ووفق أهوائه [٣] . قال تعالى: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا } [٤] وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } [٥]

"وعندئذ ينغلق الفكر ، ويختلط الحق بالباطل ، وينتشر الكفر العقلي والانحراف العاطفي ، ويسود الهوى ، وتروج النظريات الفاسدة ، ويتحزب الناس أحزاباً بين أدعياء دجالين ، يحسب كل منهم أنه على الحق ، وتزين لهم أعمالهم ، وتختلط الأوراق ، وتضيع المعالم الكبرى ، في المسألة الحضارية" [٦] . وعلى أثر ذلك يتفشى الظلم في المجتمع ، نتيجة هذا الإسراف في السلوكيات ، وهو ظلم ذو طابع سياسي ، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم . قال تعالى:

---

(١) سورة النحل ، آية : ١١٢ - ١١٣ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٣) عبد الحليم عويس :المرجع السابق ، ص١١١ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية : ٦٧ .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٣٤ .

(٦) عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص١٧٢ .

{ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (١) وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (٢) وحيث يتمادى صاحب القيادة والطبقة التابعة له من المترفين والفسقة ، أو الإداريين الظلمة ، أو المجرمين الطغاة ، ليمارسوا طغيانهم على من تحت أيديهم ، ويذيقوهم كل فنون التعصب والتجبر لإلحاق التفكك والدمار بالأمة ، من ترف، وفسوق وطغيان ، وفوضى ، واستغلال ومكر ، ورفض لدعوات الرسل ، واستخدام القسوة والبطش ، وجعل آرائهم ومبادئهم تشريعا يصل والعياذ بالله إلى الكفر بالله وبما أنزل . ويلقي هؤلاء الطغاة الموافقة من الأمة (القاعدة) بسلبيتها ، فتتفشى ممارسات اجتماعية خاطئة ، بين جماعتين متناقضتين صغيرة مترفة فاسدة ، وجماعة كبيرة محرومة وبائسة ، تتطلع باستمرار إلى مسايرة تلك الجماعة الصغيرة المترفة ، فتتفشى فيها أخلاقيات هابطة يغيب معها التوازن بين الروح وبين المادة ، أي بين الإنسان والطبيعة بغياب الفكر فيستحقون عقاب الله عليهم، السلطة التي تظلم،والقاعدة التي رضيت بالظلم (٣) . قال تعالى:{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا }(٤) وهذا الظلم هو ظلم النفس ، حيث يتعدى الإنسان حدود ما أنزل الله ، قال تعالى:{ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٥) لأن الإنسان في النظرة الإسلامية مرهون بما قدمت يداه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر . قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ

---

(١) سورة غافر ، آية : ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢٣ .

(٣) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٦.

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٢٩ .

بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ } [1] فبعد أن يكون الظلم بيد الطبقة العليا ضد الطبقة الدنيا ، أو طبقه السادة ضد طبقه العامة ، يتحول الظلم إلى البشرية بأكملها أو الجماعة بأسرها . قال تعالى { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } [2] فيقع بذلك السقوط والهلاك ، ومن ثم الزوال والانقراض . قال تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[3] وكما يقول عنه عبد الحليم عويس [4] الفعل الإلهي ، الذي يحقق الله به ناموسه الكوني ، في أن لا يأخذ الناس بظلم وهم مصلحون ، ولا يأخذهم إلا بعد أن يمتعهم بنصيبيهم المقدر من المتعة المتاحة لهم. حيث تتاح الفرصة أيضاً ، لمن يبصر من وراء الحجب المادية والاجتماعية فقد يرجع إلى رشده ، ويعود إلى الحق قبل اللحظة الفاصلة ، وإلا فسوف ينتقل بظلمه إلى مرحلة جديدة من السقوط والانحراف ، وهو فساد السلوك . قال تعالى:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [5] وهو الاستدراج في مراحل الانحراف حتى يقع عليهم أمر الله قال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)

---

(١) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٣٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ - ٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٧٦ .

(٥) سورة الروم ، آية : ٤١ .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } (1) وهكذا يأخذ الترف النصيب الأكبر من فساد السلوك .

قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (2)وهم بالطبع علية القوم وسادالهم . قال تعالى: { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون } (3) حيث ينغمس الناس في الترف ، وتعظيم الثروات ، وينعم الناس بما أمدهم به الله لامتحاهم، فينصرفوا عن الكد والعمل والجد، والسعي في شتى جوانب الحياة المختلفة ، من زراعة وتجارة وخلافه ، فينغمسوا في الشهوات ، والبحث عن أعمال سهلة ، لا تتطلب مهارة وجهداً فائقا، وتأخذهم العزة بالنفس والغرور، وينطلق جموح شهواهم ليتلذذوا بالحياة الدنيوية فيأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون (4). قال تعالى: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } (5) مع الأخذ في الاعتبار أن الله سبحانه وتعالى قد أباح للإنسان أن ينعم بالدنيا، فكل ما فيها مباح ولكن في منهاج وتصور عظيم ، وضعه الله سبحانه وتعالى ، قوامه الاعتدال بغير إسراف يؤدى إلى فساد (6) . قال تعالى:{ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا

---

(١) سورة الإسراء ، آية: ١٦ - ١٧ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢٣.

(٣) سورة النحل، آية : ٣٤ .

(٤) عمر فروح : الإسلام والتأريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٥) سورة الحجر ، آية : ٢ - ٥ .

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٧٨ .

تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (1) وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (2) كيف لا والله قد سخر الأرض للانسان، وجعلها طيعة يتصرف فيها كيف ما شاء ، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (3)

وقد يأتي فساد السلوك على يدي بعض أصحاب الرأي والفكر ، الذين يسعون إلى تولى المناصب ، بأقوال وأعمال تفوق الخيال ، وهم يعبرون إلى موقع السلطة، وما إن يصلوها حتى تنقلب دعواهم إلى تيار فساد وطغيان ، فيقودوا أممهم أفراداً وجماعات إلى الهاوية والسقوط (4) . قال الله تعالى { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ } (5) وهكذا فإن ما يصيب الإنسان من بلاء ، هو من عند الله وهو سنة من سننه ، لتذكير الناس ما نسو ، فلما لم ينتهوا كان قضاؤه سبحانه وتعالى (6) قال تعالى: { وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (7) وفي هذه الأثناء يمهلهم ويذكرهم بمن سبقوهم وبمصيرهم . قال تعالى: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٦٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٦٨ .

(٣) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٠٤- ٢٠٥ .

(٦) عبد الحليم عويس :المرجع السابق ،ص١٨١.

(٧) سورة آل عمران ، آية : ١٧٨ .

قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } [١] وقبل أن يأخذهم إلى السقوط، يمنحهم الله المهلة الكافية ، لعلهم يصلحون ما أفسدوا ، ويتوبون إلى الله . قال تعالى : { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ } [٢] وهذه الفترة هي فترة إرسال الرسل لتحذير الأمم التي خرجت عن طريق الصواب ، بالرجوع إلى الله ، بالحق والخير والعدل والصلاح ، وإيقاف البغي، فإن بغوا كان قرار الله في الذين ظلموا - ويقصد بهم الطبقتين - فتأتي المصيبة عامة ، لا تدع الظالم ولا المظلوم ، لأنهم رضخوا للظلم و لم ينصحوا المفسدين فحملوا شيئاً من تبعة تلك الظالم [٣] .

قال تعالى:{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ } [٤] وقال تعالى: { وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ } [٥] لأن الله قد حث الإنسان على الوقوف أمام الظلم مهما كان، لتعمير الأرض ، والوقوف أمام التحديات ، مهما كانت أنواعها ودرجاتها ، كما حذره أن يكون من الذين رضوا بأن يكونوا مع الذين ظلموا أنفسهم [٦] . قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٦ .

(٢) سورة النحل ، آية : ٦١ .

(٣) عمر فروخ : المرجع السابق ، ص١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٠٨ -٢٠٩.

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ١١ .

(٦) عماد الدين خليل : المرجع السابق ،ص٢٨٥-٢٨٦ .

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [1] وليس كل الأئمة كذلك ، فهناك أئمة ارتضاهم الله لقيادة البشرية ومنحهم سبحانه وتعالى القدرة لقيادة الشعوب ، بتوفيق الله وحده ، مع التزامهم الكامل بالقيم والحق والعدل [2] . قال تعالى: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [3] وقال تعالى: { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } [4] ومما سبق يتضح أن سقوط الأمة – في منهج التفسير الإسلامي للتاريخ – يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفساد الفكر الذي يدفع إلى فساد السلوك ، فتكون المسيرة الإنسانية عرضة لجزاء الله وعقابه ، فذاك أول أنواع السقوط . وهناك نوع آخر من السقوط في سنن الله ، يعرف بسقوط المداولة. قال تعالى: { وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } [5] وهي بمثابة سنة من سننه سبحانه وتعالى ، وتأكيد بأنه لا ديمومة على الأرض ، بل هناك امتحان وتمحيص على الأرض ، ويقول عماد الدين خليل [6] : إن كلمة الناس في الآية ، تعني الناس أجمعين ، لا تفرق بين الأمة المسلمة والأمة الكافرة . وأن لكل أمة أجلا عند الله . قال تعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ } [7] وقال تعالى: { يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [8] وأن هذه الآجال

---

(١) سورة النساء ، آية : ٩٧ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ص٢٦٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٨١.

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٧٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤٠ .

(٦) المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

(٧) سورة الأعراف ، آية : ٣٤ .

(٨) سورة نوح ، آية : ٤ .

تمنح للتمحيص ، وإعطاء الفرصة ، لكل أمة أو جماعة ، لتكفر عن ظلمها وطغيانها ، وتستقيم إلى اليوم المعلوم ، والذي علمه عند الله قال تعالى: { وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى } (١) وقد تستعجل أمة يومها المعلوم ، ومصيرها المحتوم ، من باب التحدي والاستفزاز بمخاطبة أنبيائهم بأن يوفوا بما يوعدوهم (٢) . قال تعالى: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمْ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ } (٣) وفي الإسلام توحي المداولة وحركتها الدائمة بالأمل والتجديد ، وأن الأيام ليست ملكاً لأحد ، فمن هم في القمة ستترل بهم حركة الأيام إلى الحضيض ، ومن هم في القاع سيصلون القمة ، وكل ذلك ناتج من حرية أفعال الإنسان ، وأن هذه المداولة مستمرة ، لتبشر الإنسان بالأمل ، دون حزن أو هوان (٤). قال تعالى:{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٥) وفي الإسلام أن السقوط في المداولة مقدوراً بإرادة الله ، مع وجود إمكانية لكل أمة أو جماعة ، أن تعاود نشاطها الحضاري ، وتنشأ الدول ، وتمارس تجربة جديدة ، تتولى فيها زمام القيادة الحضارية والعقائدية ، وذلك وفق شروط لازمة لذلك ، ومنها التغير الداخلي (٦) قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } (٧) وأن هذا التغير - بما ارتبط به من جوانب خلقية ونفسيه وسلوكية - يشمل كل العلاقات

---

(١) سورة طه ، آية : ١٢٩ .

(٢) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٣ .

(٤) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٥٩ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩.

(٦) عماد الدين خليل ، المرجع السابق، ص٢٦١ .

(٧) سورة الرعد ، آية : ١١ .

الداخلية للإنسان مع نفسه، ومع أخيه الإنسان ، وفي نظر الإسلام أن هذا التغيير كفيل بإعادة البشرية إلى قمتها ، حيث إن من الصعوبة بمكان على أمة أن تستمر على وتيرة واحدة ، دون أن ينتابها الضعف ، لتفسح مكانها لجماعة أكثر استعداداً وحيوية ، وكل هذا من قدر الله ليمنح البشرية فرصتها في صياغة مصيرها ، في تثبيت نفسها ، أو تجديد مكانتها [1] قال تعالى:{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا } [2] ومن ثمة تكون البشرية قد تهيأت بالاستعداد اللازم ، لإعادة العمل في التاريخ ، وقادرة على التحدي والمواجهة ، فتصوغه من جديد ، وفي نظر الإسلام ، يكون الإنسان - بما مكنه الله من قدرة وإبداع - قادراً على التجديد والابتكار ، وبناء الأمة وليس العكس . قال تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ } [3] ومع ذلك فإن سنن الله سبحانه وتعالى واقعة لا مفر منها ، إذا ما انتكس المجتمع، وغرق في حياة الفوضى الفكرية والنفسية والسلوكية ، دون تفريق بين الأمم والجماعات، أو بين أصحاب ديانات سماوية أو غير ذلك ، فلا اعتبار لهم يومئذ إلا بالرجوع إلى الله ، ومدي التزامهم بذلك . قال تعالى: { لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا } [4] فإذا وقع الاختلال وقعت السنة المطبقة المرسومة من عند الله ،

(١) عماد الدين خليل : المرجع السابق ، ص٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ٤٥.

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٥ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١٢٣ .

على أثر اختلال المعايير [1] . قال تعالى: { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [2] .

تقويم الحضارة الآشورية والبابلية في ضوء المنهج الإسلامي .

تلك كانت نظرة الإسلام للحضارة ، ومفهومها ، وعوامل ثباتها وانهيارها. وفيما لو نظرنا إلى الدولة الآشورية ، خلال عصر إمبراطوريتها والتي استمرت حوالي ثلاثة قرون ما بين عامي ٩١١-٦١٢ ق.م ، أزهى عصور الدولة الآشورية، منذ قيامها ، هذا العصر رغم كونه لم يخل من حالات ضعف كثيرة في بعض الأحيان ، كان آخرها إيذاناً بنهايتها . هذا ولقد اتسعت دولة آشور خلال عصرها الحديث ، حتى شمل نفوذها معظم أراضي الشرق الأدنى القديم وحتى مصر [3] ، وفي الواقع فإن الدولة وجدت نفسها أثناء تكوين الإمبراطورية ، محاطة بتقلبات وتغيرات سياسية هامة تجري في مختلف الأقطار والأقاليم ، التابعة والمجاورة لها ، والتي كانت تتحين الفرصة المناسبة للفتك أو الانقضاض على الدولة الآشورية ، حيث عقدت التحالفات العسكرية المختلفة ، من أجل تحقيق جبهة قوية ، تقف أمام نمو آشور المتزايد ، كما ظهر من تحالفات الممالك الآرامية في سوريا ، مع باقي عناصر المنطقة في صراع طويل أمام التوسعات الآشورية في المنطقة ، ودولة آشور في عصر إمبراطوريتها كانت على درجة كبيرة من التجربة، في توجيه مسيرتها السياسية والعسكرية ، فبسطت نفوذها على المناطق المختلفة

---

(١) عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص١٨٧ – ١٨٨ .

(٢) سورة محمد ، آية : ٣٨ .

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور :معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ،منذ أقدم العصور وحتى مجيء الإسكندر الأكبر، الطبعة الثالثة ،دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨٤م،ص٣٧٨-٣٤٣ . وكذا عامر سليمان : حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص١٣٩ . وكذا أنطون مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون ، بدون تاريخ ، ص٢٨٦-٢٨٧.

والتي رضخت لها ، إما خوفاً أو طوعاً ، عن طريق السلم ، أو كرهاً عن طريق القوة العسكرية (١) وأزهقت في سبيل توطيد نفوذها أرواح كثيرة (٢) ، وفي الحقيقة فقد وصل الآشوريون إلى درجة كبيرة من التقدم العسكري ، واكتسب ملوك تلك الفترة السمة العسكرية البارزة بالإضافة إلى الحنكة السياسية (٣) وتبدأ هذه الفترة منذ عهد الملك الآشوري أداد نيراري الثاني (٩١١-٨٩١ ق.م) وتنتهي بالملك الآشوري آشور أوبلط الثاني (٦١١-٦٠٩ ق.م) أي من عام ٩١١ وحتى عام ٦٠٩ ق.م تقريباً (٤) ، وحكم خلالها حوالي تسعة عشر ملكاً ، كان معظمهم ملوكا أقوياء . استطاعوا أن يحدو من هجمات الأعداء على آشور من جهة ، وضموا إلى دولتهم أقطاراً جديدة من جهة أخرى . وحكموا بلاد الرافدين، من أقصى الشمال ، وحتى أدنى الجنوب ، بطابع عسكري بحت (٥) ، خاصة بعد إخضاع بابل تحت سيطرهم (٦). واستطاع الآشوريون أن يقيموا أول حكم سياسي منظم في العالم القديم ، وذلك عن طريق وضع النظم السياسية الكفيلة بتحقيق تلك الغاية ، وكان على رأسها تقسيم إمبراطوريتهم الشاسعة إلى مقاطعات ، تدين بالولاء لآشور ، لتضمن آشور بذلك التقسيم ، تنفيذ سياستها على تلك الأقاليم ، ولقد جعلت تلك الأقاليم أو المقاطعات على نوعين من التميز

---

(١) عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٤٠ .

(٢) أنطون مورتكات : المرجع السابق ، ص٢٨٧ .

(3) Collers , Encyclopedia , p. 428 .

(٤) محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء العاشر ، تاريخ العراق القديم ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٤١٠/١٩٩٠م ، ص٣٦١ ، ٤٣٠ .

(٥) سبتينوموسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقى ،١٩٨٦م، ص٦٩ .

(٦) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٦٠٦ . وكذا محمد عبد القادر محمد: الساميون في عصورهم القديمة ، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢١٧ .

والتقرب من آشور ، بين المقاطعات القريبة منها ، والمقاطعات البعيدة عنها ، فكانت تحصل من كلا الاثنين على الضريبة أو الجزية، وفي الوقت الذي تجعل على رأس السلطة ، في المقاطعات القريبة منها رجلاً من رجال آشور ، وتقيم على المناطق البعيدة عنها أحد رجال تلك الأرضين أو الأقاليم ، مع إقامتها إلى جواره نائباً أو مقيماً سامياً يشرف بدوره على ذلك الحاكم الوطني للمنطقة أو الإقليم التابع لها ، وكانت مهمته مراقبة المقاطعة ، ومدى ولائها لآشور ، في شتى النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وخاصة تلك الواقعة على طول الخط التجاري الهام ، القادم من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، لحماية قوافلهم ، وتأمين طرق مواصلاتهم ، وخاصة التجارية منها ومع ذلك فإن حالة الاستقرار الدائم كان أمراً مستحيلاً ، نظراً للنهج الاستبدادي الذي انتهجته آشور في حروبها وتوسعاتها ، ضد الشعوب والقبائل المقهورة ، من ذبح وتعذيب وسلخ وفرض الجزية الضخمة ، وإرسال الحملات التأديبية بين الحين والآخر على كل من يفكر في التخلص منها ، أو يمتنع عن دفع الجزية [1] ، حيث قسموا إمبراطوريتهم إلى أقاليم رئيسية ، تحت خضوعهم مباشرة ، أطلق عليها مسمى (بيناتو) أو (ناكو) ويشرف عليها مراقب (سيد) ويسمى (بيل بيناتي) يمثل الملك في تلك المقاطعة، وعليه تنفيذ الأوامر السياسية المركزية بجميع مهامه الإدارية العامة والشؤون المالية والعسكرية والدينية ، أما الأقاليم التابعه لهم فكانت تدار إما بأسلوب إدارة البلدان ، أو الأقاليم التابعة أو الموالية لها، فكانت تعترف بسلطان الدولة بدفع الجزية ، مقابل امتياز الحماية العسكرية التي توفرها لهم الدولة الآشورية ، وتحت قيماً يسمى " قيبو " . وإذا ما بدا من قبل تلك المقاطعات ثورة أو خروج ، أصبحوا عرضة للقوات الآشورية ، والتي عادة ما

---

(١) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٠٧ ، ١٨٩ .

ينتهي المطاف بها إلى تغير أميرها بحاكم آخر ، موالٍ لسياسة آشور ، ومستعد لدفع الجزية [1] وكذلك مارس الآشوريون أسلوب التهجير الجماعي ، على الشعوب المغلوبة ، حيث كانوا يقومون بانتزاع السكان الأصليين من أراضيهم ، واستبدالهم بآخرين وتهجيرهم إلى مكان آخر، ليفرضوا بذلك نوعاً من القهر لتلك الشعوب، وإحلال الشقاء بهم، وقد كانوا يختارون من بين أولئك المهجرين أمهر الصناع والفنيين، ويرسلونهم إلى آشور ليعملوا في خدمة قصور الأباطرة [2]. وأقاموا المراقبين (الجواسيس) والمندوبين السياسيين ، والذين يمثلون السلطة في آشور ، في مواطن سادات القبائل والممالك لمراقبة تحركاتهم واطلاع آشور على أحوالهم أولاً بأول ، ليضمنوا بذلك ولاءهم ، ومن ثم إجبارهم على الاستسلام ، والخضوع التام والدائم لآشور، فحكمت آشور الشرق حكماً عسكرياً صريحاً ، حتى أصبح طابعاً مميزاً لها [3] لم يسبقها إليها أحد خلال عصر إمبراطوريته ، حيث طورت أدواته ومعداته ، فاستخدموا العربات الحربية ، والمعدات الثقيلة والخفيفة ، وطور نظام القلاع ، وتحصينات المدن ، كما استخدم الآشوريين سياسة الحرب الباردة ، أو حرب الكلام ، حيث كانوا يتلون بعض الروايات ، عن قواهم الحربية، أثناء تحركاتهم الحربية، أو حصارهم للمدن ، الأمر الذي كان له أثره الفعال على نفوس معارضيهم في كل تلك المعارك التي شنتها آشور، فكان

---

(١) عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٤١-١٤٣.

(٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٦٠٦. وكذا عبد العزيز صالح :الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول، "مصر والعراق"، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٥١٠ .

(٣) جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة "تاريخ الشرق الأدنى القديم "، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ،ص٢٠٠.وكذا سبتينوموسكاتي : المرجع السابق ، ص٦٩. وكذا فيليب حتى :تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ،دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٥٧م ، ص ٢٣٨ .

أعداؤهم عادة ما يفرون من أمامهم ، بدون نشوب حرب ، في الوقـــت نفســه تردد آخرون كثيراً في إعلان العصيان والثورة عليهم، كما يلاحظ ذلــــك مـــن أخبارهم ، بأنهم كانوا متعطشين للدم والحروب ، وعقاب الأعداء ، وتقول بعض نصوصهم ... **لقد قتلتهم وقد صبغت بدمائهم الجبال فأصبحت تشبه الصوف الأحمر ، لقد قطعت رؤوس المحاربين وجعلتها على شكل أكوام ، لقد حرقـــت رجالهم وشبابهم ، وحرقت أيضاً نساءهم ، لقد قتلت السكان بأعداد كبـيرة ، وحرقت جميع المدن ، وقد قطعت أيديهم ، وأصابعهم ، وأنوفهم** (١) . فمــا إن تفتح المدينة ، ويدخلها الجنود عنوةً ، وتدق حصونها ، حتى يكون بمثابة إنـــذار لنهب المدينة ، فيطلق الزيت المغلي على السكان ، والنفط الملتهب ، وقذائـــف الحجارة ، وتفرغ القصور من محتوياتها، ويقف الملك الآشوري علـــى أبــواب المدينة، ليستعرض الأسرى الذين يتقدمهم ملكهم المغلوب ، وقد لاقـــى أشـد التعذيب ، وربما يعرض وقد قلعت عيناه ، أو حرق جسده ، أو سلخ جلــدة ، وعادةً ما يكون موضوعاً في قفص الحيوانات ، ثم بعد ذلك يســـتعرض الملــك رؤوس القتلة ، من جنود المدينة المغلوبة ، الذين أطاحت برؤوسهم جيوش آشور، وربما أبقوا على الصناع والصبية، ليكونوا في خدمة الإمبراطورية وقصور الملوك . وقد يحتفظون ببعض أبناء سادات القبائل، وأمراء المــدن لتربيتــهم وتأهيلــهم، ليكونوا في خدمتهم عندما يكبرون ، وينصبون حكاماً على قبائلهم أو مدنهم (٢)، حيث تصور المنحوتات الآشورية صفوف الأسرى الذين وقعوا في قبضه آشــور ، وهم يسيرون صفوفاً طويلة، تقودهم جيوش الحرب الآشورية نحو العاصمة ، وقد

---

(1) Colleer , Encyclopedia , vol.3 , p. 428 .

(٢) جيمس هنرى برستد : المرجع السابق ، ص٢٥٧-٢٥٩.وكذا جورج كونتينو : الحيــاة اليوميــة في بلاد بابل وآشور ، ترجمه سليم طـــه التكريـــتي ، الطبعــة الثانيــة ، وزارة الثقافــة والإعــلام ، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م ، ص ٢٢٠-٢٢٥.

قيدوا أيديهم ويسيرون في أشباه قطعان الماشية ، وعلى رؤوسهم أسواط الجلود ، وخلفهم تسير النسوة اللاتي يحملن أطفالهن وأمتعتهن ، ومن خلفهن تسير عربات، تحمل خيرات تلك الشعوب ، التي وقعت تحت أيديهم ، ثم بعد أن يصلوا إلى العاصمة يصبحوا كأرقاء ، ويكلفون بالعمل في شتى التخصصات ، كعمال البناء أو في تطهير القنوات ، وفي خدمة المعابد أو يعرضون في الأسواق للبيع (١) . هكذا سارت الأمور السياسية والعسكرية في آشور ، أثناء عصر الإمبراطورية ، ومع ذلك فلم تغفل آشور عن الجانب الحضاري ، لخدمة الإنسانية ، حيث تقدم الآشوريون في الكيمياء والطب ، وخاصة ما يتعلق بالأدوات المستعملة في هذه المهنة ، حيث تنسب المصادر إلى أن الآشوريين توصلوا إلى حوالي ٤٠٠ قطعة معدنية ، صنعت خصيصاً للخدمات الطبية ، واستعملوا أيضاً علاجات مختلفة ، تنسب لمهنه الطب، كاستعمال الحمامات الباردة لتخفيف الحمى ، كما توصلوا إلى اكتشاف بعض الأمراض النفسية ، وعالجوها ، وبرعوا أيضاً في صناعة الجلود ودبغها (٢) وكذلك صناعة الزجاج

---

(١) جورج كونتينو :نفس المرجع ، ص٤٠. يعترض عامر سليمان على ذلك على اعتبار أن المؤرخين تغالوا كثيراً في وصف البطش العسكري الآشوري ، ويرى أن ما قام به الآشوريين في حملاتهم العسكرية ، وأتباعهم القسوة والشدة لم يكن من الهمجية بمكان بل هو رد لكل عصيان ضد دولتهم وأدرء الأخطار المحدقة بهم ، ويرى أن هذا الانطباع الخاص الذي بنى علية أكثر المؤرخين (المستشرقين على الأخص) الأوروبيين إنما بنوه من واقع اعتمادهم ومشاهداتهم لنصوص العهد القديم، والتي اتصفت نصوصها بالحقد والعداء والضغينة على الآشوريين ، الذين لعبوا دوراً في القضاء على بعض الممالك اليهودية ، وهو نفس الهجوم الذي واجه البابليين الجدد . ويؤكد على ضرورة أخذ الحيطة والحذر في كل ما كتب ، ومع ذلك فإنه لا يمنع من القول بأن الآشوريين كانوا أشداء وأقوياء في معالجه التمرد والعصيان والفتن والاضطرابات التي قامت ضدهم . انظر عامر سليمان : المرجع السابق ، ص١٤٦-١٤٧

(2) Coller , Encyclopedia , vol.3 , p. 428 .

الملون ، وتفننوا في صناعة التطريز ، والتمويه بالذهب والفضة ، وأحكموا صقل الأحجار الكريمة [1] ، ولقد اهتم الآشوريون بالبناء ، فشيدوا القصور الفخمة والبيوت والمعابد والتي بنوها على أسس من الحجارة ، ومرفوعة بالطوب الطيني "الأجور" [2] ، ولقد خلفت لنا آشور ثروة علمية وأدبية ضخمة، في مجال الحياة الفكرية ، بما عثر عليه الأثريون من وجود مكتبة علمرة ، منسوخة على الألواح الطينية ، وتنسب إلى الملك الآشوري آشور بانيبال ، وتضم حوالي أثنين وعشرون ألف لوحة طينية سجلت عليها معارف ، ومؤلفات دينية وعلمية وأدبية مختلفة ، تُعد أقدم مكتبة عرفها الإنسان في التاريخ ، وقد نقلت بكاملها إلى المتحف البريطاني [3] ، ومن الجدير بالذكر أن آشور - وبرغم تقدمها الحضاري بشقيه المعنوي والمادي - قد رضخت في براثن الانحطاط الفكري ، وانتشرت في عصرها الكهانة والعرافة ، التي ضربت شتى جوانب الحياة الاجتماعية في آشور ، كما دل على ذلك تراثهم الحضاري ، الذي عثر عليه الباحثون في بلاد الرافدين [4] .

لم يكن البابليون أقل تعسفاً من الآشوريين ، حيث اتبعوا نفس سياسة الآشوريين في بذل كل ما في وسعهم ، في سبيل توطيد نفوذهم ، من بطش وقهر للشعوب المغلوبة ، وفي تهجير السكان من مواطنهم إلى مواطن أخرى ، خاضعة لنفوذهم ، وتحت سيطرتهم ، فضلاً عن فرض معتقداتهم

---

(١) خالد عبد العزيز الدائل : " التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥/١٩٨٥"، أطلال ، العدد العاشر ، ١٤٠٦/١٩٨٦، ص٨٢ .

(٢) جيمس هنري برستد : المرجع السابق ، ص٢١٢.وكذا جورج كونتينو : المرجع السابق ، ص٥٣ .

(٣) جيمس هنري برستد :نفس المرجع ، ص٢٢٤. وكذا حسن عون : العراق وما توالى عليه من حضارات ، الطبعة الثانية ، مطبعة رويال ،الإسكندرية ، ١٩٥٢م ، ص ٥٥ .

(٤) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

الدينية (الوثنية) عليهم [١] ، كنوع من أنواع الذل لهم ، ورغم صغر الفترة التي عاشتها الدولة البابلية الكلدانية، حوالي سبع وثمانون عاماً (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) . إلا أنها حملت في أخبارها الدور البارز ، الذي لعبته على التشكيل السياسي والحضاري ، في منطقة الشرق الأدنى القديم ، وظل اسمها مقروناً بأهم التغيرات السياسية في المنطقة [٢] . كما إن الدلائل الأثرية تشير إلى أن عهد الدولة البابلية الجديدة ، شهد بالإضافة إلى توسعاتها السياسية والحربية [٣] ، نهضة حضارية مادية، برزت في حقل البناء والتعمير ، وخاصة خلال عهد ملكيها نبوخذ نصر الثاني ، ونبونيد ، في شتى المدن والعواصم البابلية ، في بلاد الرافدين ، وخاصة بابل في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني ، حيث أعاد بناءها وبناء أسوارها وقصورها ومعابدها ، ولم يكن نبونيد آخر ملوك هذه السلالة البابلية الجديدة ، أقل اهتماماً من نبوخذ نصر ، في البناء والتشييد ، كما أشارت إلى ذلك حولياته [٤] .

وكما هو ملاحظ فالسمة البارزة للعصرين الآشوري والبابلي الكلداني هي السعي الجاد للسيطرة على الشعوب ، وبسط نفوذهم عليهم ، وسلبهم

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق ، ص٤٦٦. وكذا طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "الوجيز في حضارة وادي الرافدين"، الطبعة الثانية ، دار الشئون العامة ،بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٥٤٩ -٥٥٠ .

(٢) تمكن نبوخذ نصر الثاني من دخول القدس (أورشليم) وتهجير سكانها إلى بابل وكذلك فعل نبونيد مع سكان السامرة ،ولذلك حظي الاثنان بكثير من الأخبار ذكرتها مصادر العبرانيين وغيرهم من شعوب المنطقة . انظر

محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص٣٨٥ .

(٣) تعرض الباحث لذلك خلال الفصل الثالث للنظر .

(٤) طه باقر : المرجع السابق ، ص٥٥١ ، ٥٥٣ . وكذا سامي سعيد الأحمد : " العصر البابلي القديم "، العراق في التاريخ ، بغداد ،١٩٨٣م، ص١٦٩-١٧٣ ، ١٧٥-١٧٦ .

مكتسباتهم بجيوش رهيبة ، وأسلحة فتاكة ، وأين كل ذلك من موقف الإسلام من هذه الصفات ، التي قرنها التاريخ بشعوب آشور وبابل ، ويرى الدارس أنه لا مجال في هذا البحث من التوسع في عمل المقارنة ، بين الجوانب الحضارية الهامة لكل من آشور وبابل ، وموقف الإسلام منها ، حيث إن الموضوع الذي بحث فيها يتعلق بجوانب العلاقات السياسية والحضارية ، بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي من أبرزها الصفة السياسية العسكرية ، والفكرية الدينية ، فبالنظرة المقارنة لنظرة الإسلام للحضارة ، وبين ما وصلنا من أخبار عن الدولتين الآشورية والبابلية "الكلدانية"، على ضوء ما يمكن استنتاجه من خلال دراستنا السابقة ، هو أن معظم ما قامت به آشور في سبيل توطيد نفوذها ، لم يكن لإظهار حق ، وإزهاق باطل ، ولا لتخليص العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، ولا إلى رفع ظلم ، وتحقيق عدل ، حتى وإذا ما أخذنا بالجانب الحضاري المادي الذين برعا فيهما فإنهما لا يفيان بالعرض الذي ارتضاه الله للإنسان ، حيث تحقق لفئة (شعوب آشور وبابل داخل بلاد الرافدين) تطور عمراني ورخاء اقتصادي ، في حين احتجب عن شعوب أخرى كثيرة ، فرضت آشور وبابل نفسها عليهم فرضاً ، بالقهر وحد السيف ، فسلبتهم حقوقهم وامتيازاتهم وكرامتهم برمتها ، وجعلتهم شعوباً يحيون حياة شقاء ، مهجرين من أوطانهم ، وحتى إن بقوا فيها فهم يبقون عبيداً لسادات يحكمونهم بالنار والحديد ، أو أنهم يحيون حياة خوف ورعب ، من بطش آشور وبابل ، ففروا إلى الصحاري والقفار ، وإلى رؤوس الجبال ، كما لاحظنا في معظم النصوص التي وردت في موضع البحث ، وفي أماكن متفرقة منه، ومع ذلك كله فلم تهنأ آشور ولا بابل ، وظلوا في كر وفر ، فما إن تخبط ثورة ، حتى تولد ثورة أخرى ، وما إن يضموا أرضاً ، حتى تنفصل عنهم أرض أخرى ، وهكذا دواليك .

دستور الجهاد (الحرب) في الإسلام

يجد الدارس أن من الأهمية بمكان عمل مقارنة بسيطة بين السمة العسكرية ، والحروب التي قادها الآشوريون والبابليون ، وبين الجهاد في الإسلام ، للوقوف على مدى شفافية التصور الإسلامي ، في مثل هذه المواقف وتلك

وبادئ ذي بدء ، وقبل التعرض لموضوع الجهاد في الإسلام ، ينبغي التعرف على مدلول كلمة الجهاد في الإسلام لغة واصطلاحاً .

فالجهاد لغة :- مأخوذ من الجهد والمشقة وهو بذل الوسع والمجهود .

أما شرعاً :- فهو قتال من ليس له ذمة لـــدي المســـلمين مـــن الكفـــار والمشركين (١) .

والناظر لتلك الكلمة يجد دقه التصور الإسلامي ، في اختيار تلك اللفظـــة كبديل للفظة الحرب ، والتي تعني الحرب والدمار ، والقتال والويـــل والهـــلاك ، والظلم والاستعباد ، وإراقة الدماء ، التي عادةً ما تخلفها الحروب ، وتصيب بهـــا على حد سواء الغالب والمغلوب ، فلفظة الجهاد . الكلمة التي أصطلـــح عليـــها الإسلام ، لها منهج وتبيان وتفصيل في الإسلام ، حيث اختار لفظه الجهاد الـــتي تؤدي معنى الجهد والسعي ، وليس الدمار والخـــراب ، وإراقـــة الدمـــاء (٢) .

---

(١) المعجم الوسيط ١ / ١٤٧ . وكذا نديم مرعشلي : الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربيـــة ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص١٦٦ .

(٢) أبو الأعلى المودودي : الجهاد في سبيل الله ، الطبعـــة السادســـة ، مؤسســـة الرســـالة ، بـــيروت ، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م ، ص٤٣ .

للجهاد في الإسلام أقسام ومكونات مختلفة ومنها **جهاد النفس** ، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } سورة العنكبوت ، آية : ٦٨ .وهو الجهاد للوصـــول إلى الله والإيمان به سراً وعلانية ،برضى واحتمال لكل ما يوصلهم إلى ذلك الطريق ، فلم ينكصوا و لم ييأســوا وصبروا على الفتنة ، فتنة النفس وفتنة الناس حاملين أعباءهم ، وساروا إلى وجهتهم عبر ذلك الطريــق الطويل الشاق والغريب وهو في حد ذاته جهاد بين الحق والباطل بين الخير والشر ، بين حـــزب الله ،

=

ومع ذلك فإن الله عز وجل أراد من الجهاد في سبيله أن يحقق للأمة الإسلامية مكانتها وقيمتها وحقيقتها ، والإسلام في حد ذاته دين سلام ، وليس دين حرب، فالحروب التي خاضها المسلمون لم تكن حروباً من أجل توسيع رقعة دولتهم ، ولكنها جهاد من أجل كشف الظلم عن العالم ، ونشر دين الله ، وتخليص العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ، والتخلص من الانغماس في براثن الكفر والشرك والدمار .

وإن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الجهاد في الإسلام لم يفرض مع فجر الدعوة الإسلامية ، بل كان آخر أساليب الدعوة ، فقد سبقته دعوة التبصير والتدبير والإقناع ، قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (١) ثم أعقبها مرحلة جديدة أعلن فيها الإسلام الجهاد ،لإزالة ركائم الشرك المتحجرة من الحكومات الجائرة ، وذلك بعد أن أنعم الله على المسلمين ، بأن يكون لهم كيان سياسي داخل المدينة ، تحت زعامة المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان عليه الصلاة والسلام ، مسئولاً عن أمنها ، وسلامتها وحمايتها ، من أي عدوان أو ظلم يقع عليها ، وهو الذي بادر به أعداء

= وحزب الشيطان الذي لا يأبى إلا عن إخلال الإنسان وإخلال مجتمعه ، فتفسد الأخلاق التي هي قوام الإنسانية . وبالإضافة إلى جهاد النفس فهناك **جهاد الكلمة** ، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } سورة آل عمران ، آية : ١٠٩ ، وقال تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ ، وهو جهاد للنهوض بتكليف الأمة الخيرة بكل ما وراء هذا التكليف من متاعب ، وبكل ما في طريقها من أشواك، والوقوف والتعرض للشر والتحريض على الخير لصيانة المجتمع من عوامل الفساد . انظر سيد قطب ؛ الظلال ٤٤٧/١ .

(١) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .

الإسلام من قريش وحلفائها [1] ، ومن هــذا المنطلــق كــان الأذن بالجــهاد في سبيل الله ، قال تعالى في مشروعية الجهاد :{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } [2] ، وكما يقول سيد قطب [3] في تفسير الآية : " ولم يشأ الله أن يترك الإيمان والخير والحق عزلاً تكافح قوة الطغيــان والشــر والباطل ، اعتماداً على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في الفطر ، وعمق الخير في القلوب ، فالقوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب ، وتفتن النفــوس وتزيغ الفطر ، وللصبر حد وللاحتمال أمد ، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليــه ، والله أعلم بقلوب الناس ونفوسهم ، ومن ثم لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنــة ، إلا ريثما يستعدون للمقاومة ويتهيئون للدفاع ، ويتمكنون من وســائل الجــهاد ، عندئذٍ أذن لهم في القتال لرد العدوان " .

فهكذا جعل الإسلام الحرب نشراً للدين ودفعاً للعدوان ، وحماية للعقيدة ، وبرأهــا مــن الهــوى ، ومــن الدوافــع الاقتصاديــة والعنصرية [4] ، وأحاطها بجميع الضمانات التي تجعلها حريةً ، تحمل معها الحــق

---

(١) محمد شديد : الجهاد في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص٩١ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٣٩ .

(٣) الظلال ٤/ ٢٤٢٤ .

(٤) ركز المستشرقون في تفسير دوافع الفتوحات الإسلامية ، وجعلوا العامل الاقتصادي من أهــم تلــك الدوافع ، وهو الحصول على الغنائم الضخمة ، واستبدال أرضهم الجرداء بــأرض الــترف والنعيــم ، ويضيفوا أيضاً أن العنصرية العربية لها دورها في انطلاق العرب في فتوحاتهم نحو الشمال ، حيث كــان هناك عرب متواجدين في مناطق الشام والعراق ، والتي كانت تحت حكم الروم والفــرس ، ولذلــك جعلوا من الفتوحات الإسلامية سلسلة من سلسلة الصراع بين الشرق والعرب ، وهذا خطأين لايتفــق مع مفهوم الجهاد ودوافع الفتوحات الإسلامية . انظر جميل عبد الله المصري : الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين ، مجلة المنهل ، المجلــد الخمسين ، العدد ٤٧١ ، رمضان شوال ، ١٤٠٩هـ ، ص٧٤-٧٦ .

والخير ، والكرامة لكل إنسان ، وفرض لها نظاماً وحدوداً وآداباً شرعها لمصلحة البشرية كلها ، لا لمصلحة المسلمين خاصة ، وأقامها على أسس أخلاقية رفيعة ، تطهرها من الطمع والخيانة والقسوة .

فالإسلام لم يأذن بالعدوان ولم يبح حرب المباغتة ، بل فرض على المسلمين أن ينذروا عدوهم ، ويعلنوا الحرب عليه ، فقد يلجأ إلى التفاهم، ويؤثر السلم ، يقول الله تعالى: { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } (١) ، وأخيراً فإن الإسلام يحصر الحرب على ساحة القتال ، ويحرم التخريب والدمار والإتلاف ، وقتل المدنيين أو حرمانهم من الحياة المعيشية، فمهما كانت قسوة المعارك ، وحرارة القتال ، فالإسلام رسالة خير ورحمة ، لا سوط عذاب ونقمة ، ومن هنا كان منطلق الجهاد في الإسلام ، فقد كان دستور الحرب في الإسلام مبنياً على عدة عوامل ، في مقدمتها الدفاع عن النفس وتأمين الدعوة فلم تكن الجيوش الإسلامية تستهدف إراقة الدماء ، وسلب خيرات الأمم، وإنزال الذل بالبشرية ، والتمثيل دون التفريق بين رجل وامرأة ، أو بين شيخ وصبي ، فإن كرامة الإنسان تأتي في مقدمة حرص الإسلام على البشرية ، وكما يتضح ذلك جلياً في مراسلات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقياصرة ، والتي تكون شاهداً لا يقبل الشك على مدى التزام الإسلام بالدعوة الحسنة ، إلى دين الله الواحد القهار وخلاص أنفسهم من عذاب الله ، وترك الدعوة تشق طريقها في رعاياهم (٢) ، فالجهاد في الإسلام لم يكن ضد الشعوب ، وإنما كان مع قيصر وكسرى وجيوشهما الباغية، مع الجبابرة الطغاة ، الذين كانوا يسلبون الشعوب المغلوبة حرياتها وثرواتها ، والتي ما إن وصلتها تلك الجيوش

(١) سورة الأنفال ، آية : ٥٨ .

(٢) ابن هشام السيرة / ٣٧٤ .

الإسلامية وأعلنت دعوتها ، حتى أقبلت عليها الشعوب إما دخولاً في دين الله ، أو استظلالاً بحكومة الإسلام وقبول الجزية . وهكذا قصر الحرب على من أعلن الحرب من جيش العدو ولا يتعدى ذلك كبار السن والنساء والصبيان . فقد جاء : " عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَازِي فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ " (١) .

وفي رواية عن عُبَيْد ُاللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ " (٢)

ومن دستور الحرب في الإسلام النهى عن التمثيل بالقتلى ، أو الإحراق بالنار ، بأوامر الله عز وجل . فعن ابن مدثر عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تتثلوا ولا تقتلوا وليداً " (٣) .

وتلك هي وصيه كل خلفاء الإسلام فهذه وصيه أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يودع أسامه بن زيد عندما قال وردد " أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلو ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة

---

(١) صحيح مسلم (النووي) ٤٨/١٢.

(٢) صحيح البخاري (السندي)١٧٢/٢.

(٣) صحيح البخاري (السندي) ١٧١/٢.

مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لأكله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم من الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " (١) .

وعلى كلٍ فإن هدف الحرب في الإسلام رفع راية التوحيد وتحقيق السلام العالمي برسالة التوحيد وليس من أجل مصلحه خاصة أو ذات مغزى استبدادي استعماري .فعَنْ " أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا فَقَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (٢) .وعنه أيضاً رضِي اللَّهم عَنْه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ **كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (٣) .

فليس الجهاد من أجل المغانم والمكاسب وإنما هو لأمر أعده الله سبحانه وتعالى للمجاهدين في سبيله ، وليس لغرض مادي أو حظاً دنيوياً ، فإن هدف الجهاد إنما هو لإعلاء كلمة الله وهي كلمة التوحيد وهي تحقيق العدالة ، وهي الرحمة والأخوة .

وقد حرص الإسلام على الوفاء بالعهد وعدم الغدر أشد الحرص في شتى جوانب الحياة ،قال تعالى: { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ (١٩)الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢١٢/٣ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٢٧/٢ .

(٢) صحيح البخاري (النووي) ٣ / ١٢٠ .

(٣) مختصر صحيح البخاري (الزبيدي) ١-٢ / ٢٧٩ الحديث ١٢١٨ .

الْمِيثَاقَ} (١) ، وقال تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (٢) .

ويقول سيد قطب (٣) : " ويشمل كل عهد معروف يأمر به الله ، والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وأن الإسلام قد تشدد في مسألة الوفاء بالعهود فلم يسمح فيها أبداً " .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِي اللَّهم عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا (٤) وعن عُيَيْنَةَ أبن عبد الرحمن عن أبيه ، عن أَبِي بَكْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " (٥) .وعَنِ الأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ(٦) .

وهذه دلاله واضحة على تشديد الإسلام في الوفاء بالمعاهدات والمواثيق ليكون العدل الرباني مطبق على وجه هذه الأرض .

ومن دستور الحرب في الإسلام الجنوح للسلم والاستجابة للهدنة المؤقتة لكونها فترة من الانتظار للتفاوض وقبول الإسلام بإحدى شروطه الثلاثة : الإسلام أو الجزية أو القتال ، قال تعالى: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ

---

(١) سورة الرعد ، الآيات: ١٩-٢٠ .

(٢) سورة النحل ، آية: ٩١ .

(٣) الظلال ٤/٢١٩١ .

(٤) صحيح البخاري (السندى)٢/ ٢٠٢ .

(٥) سنن أبو داود ٣/ ٨٣ . الحديث ٢٧٥٩.

(٦) صحيح مسلم (النووي) ١٢/٤٤.

عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [1] .ولا تجوز المهادنة المطلقة وإنما الجنوح للسلم لفترة معينه محدودة قد تكون لإملاء شروط وغير ذلك وأما الجنوح بمعنى إيقاف الحرب نهائياً فمعنى ذلك إيقاف لفريضة الجهاد [2] .

ومن دستور الحرب في الإسلام الإحسان للأسير ، فقد أوصى الإسلام بالإحسان للأسير ، قال تعالى: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨)إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا } [3]

ويقول سيد قطب [4] في تفسيره لهذه الآيات :" هو تصور شعور البر والعطف والخير ممثلاً في إطعام الطعام ، مع حبسه بسبب الحاجة إليه ، فمثل هذه القلوب لا يقال عنها : أنها تحب الطعام الذي تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف انواعهم إلا أن تكون في حاجه إلى هذا الطعام ، ولكنها تؤثر به المحاويج " .

هذا ولقد احتوت المصادر الإسلامية على كم هائل ذاخر من النصوص والوقائع التى تبين العدالة والرحمة في الجهاد ، ولا يسع مثل هذا البحث أن يذكر كل التفاصيل وإنما يكتفي بالوقوف على شيء من دستور الحرب في الإسلام بالمقارنة بما كانت عليه دساتير الحرب عند الأمم السابقة وإظهار موقف الإسلام منها وخاصة عند الآشوريين والبابليين .وللإسلام موقف آخر تجاه تلك الحقبة التاريخية المعاصرة للآشوريين والبابليين، فكما أتضح في الفصول السابقة من البحث أن معظم النصوص التي وردت في البحث تتحدث عن أمم وشعوب

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦١ .

(٢) حسن أيوب :الجهاد والفدائية في الإسلام ،الطبعة الثانية ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٣٠٣هـ /١٩٨٣م ص١٢٨ .

(٣) سورة الإنسان ، الآيات : ٨-٩ .

(٤) الظلال ٦/ ٣٧٨١ .

ومعارك وحروب وملوك جعلوا من أنفسهم حكاماً أبديين وتلقبوا بألقاب جمعت بين الصفة الإنسانية والصفة الإلهية ، ولا أثر أو إشارة لا من قريب ولا من بعيد لخالق هذا الكون ولرسله الكرام الذين عاشوا في المنطقة وتحققت رسالاتهم على أرضها ، كما أشارت إلى ذلك معظم الكتب السماوية وفى مقدمتها القرآن المجيد، والسنة النبوية المطهرة ، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ، وما تبعهما من المصادر الإسلامية الخالدة ، فأين تلك الأمم ، من تلك الدعوات ، والذي تأتى في مقدمتها دعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، والذي عاش حياته طائفاً بلاد الشرق ، ما بين بلاد الرافدين وسورية وفلسطين ومصر وبلاد الحجاز، وشعيب في مدين ، وصالح في ثمود ، عليهما السلام .

الفصل الثاني

النشاط الديني في بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ودعوات التوحيد فيهما في عهود كلٍ من إبراهيم الخليل وشعيب وصالح عليهم السلام وموقف أقوامهم من دعواتهم

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن ينعم على الإنسانية في الفترة التي شهدت تلك التحركات البشرية ، والهجرات المختلفة ، ما بين بلاد الرافدين ، والمناطق الشرقية والغربية المحيطة بها ، وخاصة الفترة التي شهدت تقدم قبائل الأموريين نحو بلاد الرافدين خلال العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ - ١٥٩٥ ق.م) مولد خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وذلك في الأجزاء الجنوبية منه على أرجح الأقوال [١] . وقد اجتهد البعض [٢] في تحديد حياة خليل الرحمن عليه السلام بأنها كانت ما بين (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق.م) تقريباً ، بما أبرز من بعض القرائن المؤرخة والتي عاصرت زمنه ، وعلى كلٍ فهو إبراهيم بن آزر ، كما ورد ذلك

(١) تعددت الآراء حول تحديد مكان مولد إبراهيم الخليل عليه السلام فهناك من ذهب إلى أن مولده كان بالسوس من أرض الأهواز ، وقيل في بابل من أرض السواد وقيل في ناحية كوثي عند السواد وقيل بالوركاء أو أور على أن هناك من جعل مولده بحّران وقيل أن مولده كان في سوريا في أحد ضيع دمشق في قرية يقال لها برزة عند جبل قاسيون ، على أن هناك من يؤكد مولده بناحية حران ويرى بعض الباحثين وهو جمال عبد الهادي محمد أن عدم تحديد مكان مولد إبراهيم الخليل عليه السلام والاختلاف فيه لا يقدم ولا يؤخر في تحقيق الهدف الرباني من كون الله سبحانه وتعالى أورد سيرته عليه السلام لأن الله سبحانه وتعالى لو علم أن في تحديد الزمان والمكان خيراً لأخبر به وأن عدم ذكر المكان والزمان تجعل من التاريخ وأحداثه معلماً بارزاً لأصحابه وأسوة للدعاة إلى دين الله في كل مكان وزمان . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١٩ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٥٣ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٤٠ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، في بلاد العرب ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ ، ص١٢٣. وكذا جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت : تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها وحتى القرن السابع ق.م ، في مصر والعراق ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١١ هـ ، ص٧٨ ، ٢٠٥ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٢٣ - ١٢٧ .
وإن مولده كان في عصر الأحياء السومري . انظر جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت : المرجع السابق ، ص١٧٥ .

في القرآن العظيم : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [1] وسمي في المصادر التاريخية الإسلامية بإبراهيم بن تارح أو تارخ [2] . والأصح هو آزر أما تارح أو تارخ ؛ فهو اسم صنم تلقب به أبو إبراهيم الخليل عليه السلام . أما آزر فهو الأصل ؛ حيث إن اسم أبي إبراهيم الخليل عليه السلام يحمل صفتين : إحداهما لقب أو (كنية) وهو تارح أو تارخ، والأخرى اسم علم وهو آزر [3] ، فآزر هو المشهور والوارد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وإن من الأهمية بمكان أن اسم إبراهيم الخليل عليه السلام ورد في التوراة باسم (إبرام) ، حتى بلغ سنه تسعاً وتسعين ، ثم بعد ذلك ذكرته التوراة باسم (إبراهيم) [4] . هذا ولقد جاء اسم قريب من إبراهيم ، في بعض نصوص بلاد الرافدين ، وهو اسم (أباراما) مسجلاً على لوحة طينية ، ترجع إلى عهد الملك " اميسا دوقا " (آمي صدوقا) الملك العاشر من ملوك دولة بابل الأولى ، الذي حكم ما بين (١٦٤٦ – ١٦٢٦ ق.م) وأن احتمالية توارد مثل هذا الاسم في نصوص بلاد الرافدين ، وخاصة الجنوبية دليل على أن اسم إبراهيم لم يكن غريباً أو مستغرباً في تاريخ بلاد الرافدين ، مع الأخذ في الاعتبار أن احتمال العثور على أسماء لرسل الله وأنبيائه في النصوص الإنسانية أمرٌ غير ميسور؛ لحقيقة الصراع القائم بين القيم السماوية ، والإنسانية ، التي تدفع ببعض تلك

---

(١) سورة الأنعام ، آية : (٧٤) .

(٢) إبراهيم بن تارح (تارخ) بن ناخور بن ساروغ بن أرعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١٩. وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٥٣ .

(٣) وجعل ابن كثير أيضاً اسم أبيه في بعض الروايات تسارح بن ناحور . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٣٩ ، ١٤٢ .

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٢١ ، هامش ١ .

المجتمعات الكافرة إلى إغفال ذكر رجالات الدعوة إلى الله ، وطمس معالم الهدى في تاريخ البشرية [1] ، وعلى كلٍ فإن المصادر الإسلامية تذهب على أن مولده كان في عهد ملك من ملوك بلاد الرافدين الذي يدعى بـ (نمرود بن كنعان) [2] . هذا ولقد ذهبت المصادر الإسلامية [3] مذاهب شتى عن خوارق صاحبت مولده عليه السلام ، والتي هي غير مألوفة للبشر ، ومنها أن الملك النمرود بن كنعان علم بمولده واسمه وأن نهاية حكمه ستكون على يده ، وأنه سوف يفارق دينهم ، ويحطم أوثانهم ، وقد حدد له المنجمون الشهر والسنة التي سيولد فيها ذلك المولود ، ويظهر فيها . كما تذهب المصادر أن أبويه أخفياه عن بطش هذا الملك ، الذي أمر بقتل كل المولودين في قريته في تلك السنة ، ثم تختتم تلك الروايات بأن الله قد أعانه ونجاه من ذلك الملك .

لقد شب إبراهيم الخليل عليه السلام في أرض جنوب بلاد الرافدين ، وخرج إلى الحياة ومارس مشاهداته في ما حوله من الإنس ، والنبات ، والبهائم ، والدواب والتعرف على الأشياء من حوله وكان في قوم يعبدون الأوثان والنجوم والكواكب من دون الله ، فأكرمه الله بالنبوة ، فقام يدعو قومه ويحاجهم ، ونظر إلى السماء فوجد كواكباً تضاء بها السماء قال تعالى في سورة الأنعام من

---

(١) رشيد سالم الناضوري : جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الثالث ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص١٧٤ .

(٢) أحد أربعة ذكرتهم المصادر بأنهم حكموا العالم بأسره شرقه وغربه اثنين منهما مؤمنين ذو القرنين وسليمان بن داوود واثنين منهما كافرين النمرود بن كنعان وبختنصر . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١٩. وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٥٤ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٤٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٢٠ - ١٢١ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٥٤ .

المصحف الكريم : { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ(٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ(٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ...} [1] وهكذا كانت روح التوحيد في حياة إبراهيم الخليل عليه السلام ، حيث أخذ يدعو قومه إلى توحيد الله ، والاستسلام له بالطاعة .

وهنا بدأ حواره مع أبيه قال تعالى: { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } فكان جواب أبيه قال تعالى: { أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } [2] ومن هنا - وكما تذكر المصادر التاريخية - بدأ إبراهيم صراعه مع قومه ، وفي أحد أيام أعيادهم حمل إبراهيم على أصنامهم في مكان إقامتها وحطمها قال تعالى: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } [3] { فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ } [1] وعلق

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٧٥ - ٨٣ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٥٧ .

إبراهيم الفأس في عنق كبيرهم ، وتدور أحداث القصة في صراع إبراهيم مع قومه، حتى تثبت إدانته عليه السلام بتحطيم أصنامهم ، وأحضروا إبراهيم إلى الملك وعلية قومه قال تعالى:{ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ } (٢) فنظروا إلى بعضهم البعض نظرة استغراب وخجل. قال تعالى:{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ } (٣) وهكذا ظهرت الحجة على القوم الكافرين ، ثم يدور حوار كبير وعظيم بين إبراهيم الخليل عليه السلام ، والنمرود قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } (٤) ، وانتهت تلك المحاكمة الصورية بأن حكم الملك بحرق إبراهيم ، وانتهى الأمر بجمع الحطب ؛ لحرق إبراهيم الخليل عليه السلام ، فما كان من الخليل عليه السلام إلا أن يتضرع إلى الله ، فرفع الخليل يده إلى السماء قائلاً : اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل. فقذفوه في النار . وكان الله معه قال تعالى: { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } (٥) فكانت كما قال الله عز وجل ... وتكمل الروايه التاريخية أن النمرود ومن معه من الملأ أبقوا على النار أياماً ؛ حتى يتأكدوا تماماً من حرق إبراهيم . وبعد ذلك هموا بالسير وأثناء مرورهم رأى النمرود إبراهيم جالساً في النار ، ورجع إلى النار ، وقرب منها مَن وراءه كذلك، فأخرجه من النار وكف

---

(١) سورة الصافات ، آية : ٩٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيات : ٦٢ - ٦٣ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٦٥ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٦٩ .

عن إبراهيم ، ومنعه الله عز وجل من بطشه [1] ، وتنتهي الروايـــات التاريخيــة بخروج الخليل عليه السلام من أرض الرافدين ، صــوب حــران ، ومنــها إلى فلسطين، ومن فلسطين إلى مصر ، ومن مصر إلى فلســطين ، ومنــها إلى أرض الحجاز [2] . جاء إبراهيم الخليل عليه السلام إلى مكة وليس بها يومئذ أحد وليس بها ماء . جاء ومعه ابنه الرضيع وزوجه هاجر ، ووضعهما عند البيت عند دوحـة فوق زمزم ، ووضع معهما جراباً فيه تمر وسقاء ماء وتركهما إبراهيم الخليل عليـه السلام راجعاً فلحقته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنـا بهـذا الوادي الذي ليس به انس ولاشيء ... وجعلت تكرر ذلك مراراً ، ولم يلتفـت إليها خليل الرحمن . فقالت له : الله أمرك بهذا . قــال : نعــم قــالت : إذاً لا يضيعنا[3] . خرج إبراهيم حتى إذا ما وقف عند الثنية استقبل بوجهه البيت ثم دعا الله قــائلاً قال تعالى: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَــيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْــدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [4] وهكذا وصل خليل الرحمن إلى الحجاز ، وهنــاك

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٢٠ - ١٢٨. وكذا ابن الأثير : الكامل في التــاريخ ١/ ٥٤ - ٥٨ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٤٤ - ١٥٢ .

(٢)أن خروجه كان نتيجة بطش السومريين به وكان ذلك في حــــوالي عام ١٨٤٠ ق.م وكان نتيجــة ذلك أن سلط الله عليهم الأموريين والعيلاميين الذين جاسوا خلالهــا الديــار ودمــروا وقتلــوا في السومريين فكان الجزاء من جنس العمل. قال تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُــلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْــرًا } سورة الطلاق ، الآيــات : ٨ - ٩ . انظــر جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت : المرجع الســـابق ، ص١٧٥ — ١٩٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٢٩ — ١٣٠ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التــاريخ ١ / ٥٩ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) سورة إبراهيم ، آية : ٣٧ .

نشأ إسماعيل عليه السلام ، واختلط مع القبائل العربية التي كانت تقيم في مكـة ، وتصاهر معهم عليه السلام ، وكان له أبناؤه الذين عرفوا بالاسماعيليين ، حيـث تزوج من ابنة سيد جرهم اليمنية ، وأنجب منها اثنى عشر ولداً . ومن أبنائه نابت وقيدار اللذان جعلتهم المصادر الإسلامية أبوي العرب (١) . وقد ذكرت المصـادر أن إبراهيم الخليل عليه السلام وصل إلى الحجاز بعد ذلك في زيارة لإسماعيل وقد توفيت السيدة هاجر ، وعقبها بزيارة ثانية والتي أقر فيها زواجه ، ثم الثالثة الـتي أمر فيـها ببنـاء الكعبـة ، ثم كانت زيارة تفسير المنام من ذبح إسماعيل عليه السلام (٢) . قال تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٣) وقال تعالى: { ... وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّـي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيـمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَـرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ(١٠٢) فَلَمَّا أَسْـلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ(١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِـكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ(١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيـمَ(١٠٩) كَذَلِـكَ نَجْـزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّـا مِـنْ الصَّالِحِينَ(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

---

(١) نابت وقيذار وأذيل وميشا ومسمع ورما وماش وآزر وقطورا وفـاقس وطميا وقيدمان . انظـر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٧١ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٣٠- ١٣٣ ، ١٣٥-١٣٨ . وكذا ابن الأثـير : الكـامل في التاريخ ١ / ٥٩-٦١ ، ٦٤ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٥٤-١٦٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٢٧ .

مُبِينٌ } (١) وهكذا فإن المصادر الإسلامية قد تفردت بأخبار إبراهيم الخليل عليه السلام في الحجاز . وهذا ما جعل بعض المؤرخين الغربيين ينظرون إلى ذلك بكثير من الدهشة والاستنكار . كما يصف عباس محمود العقاد (٢) استنكارهم ذلك بقوله : " كأن المصادر الإسلامية قد نسبت إلى إبراهيم خارقة من خوارق الفلك ، وأسندت إليه واقعه بينة البطلان بذاتها وغير قابلة للوقوع ... وضح من أسلوب نقدهم أنهم يكتبون لإثبات دين ، وإنكار دين ، ولا يفتحون عقولهم للحقيقة حيث تكون ، فضلاً عن الاجتهاد في طلب الحقيقة ، قبل أن يوجههم إليه المخالفون والمختلفون ...." ويرى أن ذهاب إبراهيم إلى الجنوب من فلسطين نحو الحجاز ليس من الغريب . فإذا لم يكن من باب التجربة والاستطلاع ، فهو من باب أولى أن يذهب إلى الجنوب بعدما طاف معظم أراضي المعمورة آنذاك ، ويضيف أيضاً أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن لديه عند بيت المقدس وطن . لا وطن السكن ، ولا وطن الدعوة ، ولا وطن المرعى ، وأمور أخرى أوردها - رحمه الله - ترفع ذلك الاستغراب المقصود من قبل أولئك الباحثين الغربيين . وهو ما ذهب إليه أيضاً محمد حسين هيكل (٣) من أن الطريق ليس بغريب على نبي الله إبراهيم الذي ألف الارتحال ، والتنقل ، وألف اجتياز الصحاري ، خاصة وأن الطريق ما بين فلسطين ومكة طريق مألوف للقوافل التجارية منذ أقدم العصور . وإن من الأهمية بمكان أن الدلائل كثيرة والتي تؤكد تواجد القبائل العربية - والمنسوبة إلى الاسماعيلين - أي أبناء إسماعيل بن

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٩٩ - ١١٣ .

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص١٩١ .

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص٩٠-٩١.

إبراهيم عليهما السلام في بلاد الحجاز (١) ، فالدلائل والقرائن واضحة، عن رحلة الخليل عليه السلام دون أي لبس أو غموض . وقد أكدها المصادر الإسلامية الخالدة (٢) . ومن الجدير بالذكر أن حياة خليل الرحمن وعصره لازالا موضع خلاف كبير بين الباحثين .

وكما شهدت المنطقة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام ، فقد شهد ايضاً دعوة سيدنا شعيب عليه السلام في مدين . قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } (٣) وهو شعيب بن صيفون بن عنقاء بن ثابت بن مدين بن إبراهيم عليه السلام،وقيل هو شعيب بن ميكائيل (٤)، وقيل أنه شعيب بن يشخر بن لاوي بن يعقوب ، وقيل شعيب ابن ميكائيل بن يشجن (٥)، وعرف بـ يثرون (٦) ، وقيل أنه واحد ممن آمن بإبراهيم الخليل عليه السلام (٧) ،

---

(١) إسرائيل ولفستون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ص٧٤ - ٧٥ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٤٨ .

ولعل أكبر دليل على صدق تلك الأحداث الركن الخامس من أركان الإسلام وهو فريضة الحج والتي نقلتها الأجيال العربية ثم الإسلامية منذ هجرة الخليل الأول عليه السلام وحتى يومنا هذا .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٦٧ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٨٨ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٨٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص١٨٥ .

ويعلق محمد بيومي مهران مستغرباً ذلك لأن لاوى بن يعقوب لم يكن له ولد يدعى يشجر أو يشخر. انظر محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص١٩٦ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٦٧. وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٨٥.

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٨٨ .

وقيل أن جدته أو أمه ابنة لوط عليه السلام [1] ، هذا ولقد اختلف في كونه صاحب موسى عليه السلام الذي اتجه صوب مدين ، قال تعالى: { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ } [2] وقال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ } [3] . وقال تعالى: { فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى } [4] فهناك من ذهب إلى أن الذي استأجر موسى هو يثرون ابن أخ شعيب عليه السلام ، وهو صاحب مدين ويدعى بـ يثري [5] ، وقيل : إن المشهور هو شعيب النبي عليه السلام إلا أن في ذلك نظر في إسناده إلى الحسن البصري ، ومالك بن أنس ، وجاء به مصرحاً في الحديث ، و هناك من قال إنه شعيب صاحب الماء ، أو سيد الماء ، وليس بصاحب مدين . وقيل : إنه ابن عم شعيب عليه السلام ، وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب . وقيل : إن اسمه "يثرون" كاهن مدين – أي كبيرها وعالمها – [6] وشعيب من أهل مدين و لم يكن من أهل الأيكة [7] . كما يذكر ابن كثير [8] – رحمه الله – أنه ليس شعيباً النبي وإلا كان القرآن الكريم ذكره صراحة . هذا ولقد عرف بـ يثرو (Jethro) أو رعوئيل (Reuel) في العهد القديم واللفظة تعني كاهن مدين كما يرى ذلك جواد علي [9] وإن اسمه هو رعوئيل أو حوبلب

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٦٨ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٨٥.

(٢) سورة القصص ، آية : ٢٢ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٢٣ .

(٤) سورة طه ، آية :٤٠ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ٢٠٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ٢٤٤ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض / ٤٠ .

(٨) تفسير بن كثير ٣/ ٤٢٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص٤٥٣ .

بن رعوئيل وليس شعيباً . وعلى كلٍ فإن المدْينيُّون ينتسبون إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة كما ورد ذلك في سفر التكوين [١] الذي جاء فيه : " وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ، ويقشان، ومدان ، ومديان ... " وعلى ذلك فقد ذهبت بعض المصادر الإسلامية [٢] من نسبة المدينين إلى إبراهيم عليه السلام . على أن هناك من ذهب في نسبتهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ؛ حيث جعلوا لإسماعيل ثلاثة أبناء هم قيذار بن إسماعيل ، ونابت بن إسماعيل، ومدين بن إسماعيل [٣] فهم جميعاً من أبناء إبراهيم الخليل عليه السلام [٤] وإن الاتصال بين المدينيين والإسماعليين اتصال وثيق[٥] فإن لم يكن المدينيون من نسل إسماعيل فهم من نسل إبراهيم عليهما السلام ، فهم إن لم يكونوا حفدة ، فهم إخوة جميعاً ، ينتسبون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام . جمعتهم الأرض والمصالح المشتركة ، الاقتصادية والسياسية ، عبر تاريخ تواجدهم في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية [٦]، ومع ذلك فقد شكك بعض الباحثين الحديثين [٧] في أصلهم وذهبوا إلى القول : بأنهم ينتمون إلى سكان أعالي سوريا ، وإلى بلاد الأناضول ، بناءً على بعض الشواهد اللغوية ، وكذلك بقايا بعض أنواع الفخار التي عثر عليها في مواقع مختلفة ، تنسب إليهم ،

---

(١) الإصحاح الخامس والعشرين ، نص : ١-٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ص١٨٤ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ٥/٧٧ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال / ٩ .

(٤) ا. موسيل : المرجع السابق ، ص٧٥ . وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٥٢ .

(5) Knanf. A.E. , op.cit. , p. 151 .

(٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٥٤ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٣٠٣. وكذا إسرائيل ولفستون: تاريخ اللغات السامية ، ص١١١-١٢١ .

(7) Mendenhall, G.,Qurayya and The Midinites ,Riyadh ,vol. II, 1984/1404 , p.p.138-139.

ووجدت في بلاد العرب (شمال غرب شبه الجزيرة) وكذلك في فلسطين . وقد وجدت هذه الفكرة معارضة من قبل Parr [1] بقوله إن الدلائل اللغوية ، وكذا الفخارية ، لا يمكن أن يركن إليها في تحديد العناصر البشرية ، وخاصة الفخارية ؛ حيث إن تواجد الفخار في مكان ما يدفع إلى وضع عدة احتمالات من حيث نسبتهُ إلى صانعه ، فإما أن يكون محلياً ، أو مستورداً ، أو أُعيد صنعه محلياً ، ووفق طُرزِهِ السابقة (الأصلية) ، أو صنع وفق طرز معينة مستوحاة من الأصل ويؤكد أن المدينيين هم من سكان شمال غرب شبه الجزيرة العربية ومن الأعراب المحليين فيها ، ويرى أن تحكمهم وانتشارهم في تلك الأراضي لم يكن كاملاً مع بداية حكمهم ؛ حيث إن المنطقة كانت مأهولة بالسكان المحليين منذ بداية الألف الثاني ق.م تقريباً .

وعودة إلى ذي بدء فإن المدينيين عرفوا بـ مديان أو مدان [2] و" مدين " هو ابن إبراهيم الخليل عليه السلام في المصادر الإسلامية [3] . ومِدْين (Midyan) أو مَدين (Madyan) ينطبق على اسم مدينة مدين ، وعلى أرض مدين كلها، وربما أُخذ الاسم من أحد مواقع مصر القديمة في " كوم ضو " والذي يعرف بـ " المدامود " ، وربما يكون مشتقاً من مسمى قبائل "المجاي " المنتشرة في صحراء سيناء ، وأيضاً في " النوبة " [4]. على أن هناك من يرى أن اسم مدين عرف عند العرب باسم ماءهم [5] . وذكرت مدين في كثيرٍ من آيات الذكر

(1) Parr.P.J. , op.cit. , pp.39 - 41.

(٢) ا. موسيل : المرجع السابق ، ص ٨٣ . وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص٤٥٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

(٤) رشيد سالم الناضوري : " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر "، ص٧١ .

(٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٩١ ، هامش ٢ .

الحكيم (١) قال تعالى : { أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (٢) ولقد ورد اسمهم مصاحباً لنبي الله شعيب عليه السلام قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ } (٣) وهم أصحاب الأيكة الذين ورد ذكرهم أيضاً مصاحباً لنبي الله شعيب عليه السلام قال تعالى: { كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } (٤) أي أن أهل مدين هم أصحاب الأيكة (٥) أيضاً (٦) . ويؤكد ذلك ابن كثير (٧) – رحمه الله – من ثقة القول أهم أصحاب الأيكة ، بناءً على أنواع المعاصي التي كان أهل مدين يرتكبونها ، من التطفيف في الكيل والميزان وهو نفسه الذي كان أهل مدين يقومون به ، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك من يرى أهما أمتان مدين و أصحاب الأيكة (٨) ،

---

(١) الأعراف ، آية : ٨٥ ، التوبة ، آية : ٧٠ ، هود ، آية : ٨٤ ، هود ، آية : ٩٥ ، طه ، آية : ٤٧٠، الحج ، آية : ٤٤ ، القصص ، الآيات : ٢٢ – ٤٥ ، العنكبوت ، آية : ٣٦ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٧٠ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ١٧٦ – ١٨٠ .

(٥) والأيكة شجر ملتف كالغيضة وكان أصحابها يبيعونها والجمع أَيْك وهو شجر الدوم أو التمر . انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨ . وكذا عبد العزيز صالح: المرجع السابق،ص١٥٤.

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٦٧-١٦٨ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٩٠ . وكذا السيوطي : أسماء الجبال والبقاع في القرآن الكريم / ١٣٥ .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٨ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٦٨ – ١٦٩ .

(٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١٦٨ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ١٨٩ .

وقد حدد الجغرافيون المسلمون موقع أصحاب الأيكة فمسكنهم كان (تبوك) . وهي التي بعث الله فيها شعيباً عليه السلام [1] . ولقد اجتمعت فيهم خصال، استحقوا فيها عقاب الله قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(٨٥) وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ... } [2] وأصحاب الأيكة قال تعالى: { كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ } [3] ويتكرر النداء لمدين قال تعالى: { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٨٥) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } [4] وفي الآيات صورة واضحة لما كان عليه حال أهل

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض / ٤٠ . وكذا ياقوت : معجم البلدان ١/ ٢٩١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات : ٨٥ – ٨٦ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ١٧٦ – ١٨٤ .

(٤) سورة هود ، الآيات : ٨٤ – ٨٧ .

مدين ، وأصحاب الأيكة ، من حيث بخس الأشياء . والتي يقول عنها القرطبي [١] – رحمه الله – في تفسير قول الله تعالى: { وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ } " البخس هو النقص ، وهو يكون في السلعة بالتعييب ، والتزهيد فيها ، أو المخادعة عن القيمة ، أو الاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه ، وكل ذلك من أكل المال بالباطل " ويقول عنه ابن كثير [٢] في تفسير نفس الآية : " الوفاء بالكيل والميزان . ولا يبخسوا الناس أشياءهم – أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس – وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً " وقال أيضاً [٣] :إنهم كانوا يقطعون الطريق عُتُوّاً وفساداً في الأرض. أما القرطبي [٤] فيقول في تفسير سورة هود "... كان إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوه بكيل زائد ، واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا ، وإن جاءهم مشترٍ للطعام باعوه بكيل ناقص ، وشححوا له بغاية ما يقدرون ، فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك ، وبالوفاء نهياً عن التطفيف " .

وكذلك كان أمر أصحاب الأيكة أنهم إذا باعوا للناس لا يكملون الكيل ، ويعطونه ناقصاً ويأخذونه تاماً ، ومع ذلك فلم يستجب إلى دعاء نبي الله شعيب عليه السلام من قومه إلا قليل يقول الله تعالى في مدين في سورة الأعراف : { وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ(٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ(٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ٢٧٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٩ .

(٤) تفسير القرطبي ٤/ ٣٤٠٤ .

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(٨٩) وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ(٩٠) فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرِينَ } [1] .

ويقول الله تعالى عن مدين في سورة هود : { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَو أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٨٨) وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَو قَوْمَ هُودٍ أَو قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ(٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ(٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ(٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ(٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ } [2].

(١) سورة الأعراف الآيات : ٨٧ - ٩٢ .

(٢) سورة هود الآيات : ٨٧ - ٩٥ .

ويقول المولى – عز وجل – في أصحاب الأيكة : { قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ(١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٩٠)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [١].

يقول ابن كثير [٢] – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات إن الله سبحانه وتعالى وصف أهل مدين وأصحاب الأيكة في ثلاثة مواطن " كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ". ففي الأعراف ذكر أهم (أخذهم الرجفة) فأصبحوا في ديارهم جاثمين وذلك لأهم قالوا : { لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا } . فأرجفوا في الله ومن اتبعه فأخذهم الرجفة ، وفي سورة هود قال : { وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ } وذلك لأهم استهزءوا بنبي الله في قولهم { أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أو أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء ، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم ، فقال : { وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ } الآية وهاهنا قالوا : { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ } الآية على وجه التعنت والعناد فتناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه : { فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} وعن قتادة عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – : أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلهم منه شيء، ثم إن الله تعالى: أنشأ لهم سحابة ، فانطلق إليها أحدهم ، فاستظل بها ، فأصاب

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٨٥ –١٩١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨١– ٣٨٢ .

تحتها برداً ، وراحة ، فأعلم بذلك قومه ، فأتوها جميعاً ، فاستظلوا تحتها فأججت عليهم ناراً . وفي رواية أخرى " بعث الله إليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى " (١) .

وهكذا كانت نهاية مدين - كما صورها القرآن العظيم - نتيجة بخسهم للناس في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم (٢) . وتضيف كتب التاريخ أن قوم شعيب عليه السلام عذبوا في قطع الدنانير والدراهم ، وكانت مدين متجر العربان ، ومضرب الأعراب ، وكانوا يعشرون أموالهم بأموال الناس ، وكان لهم كاهنان يزينان لهم صنيعهم أحدهم سمير والآخر سمران (٣) . والمدينون — كما يقول عنهم محمد بيومي مهران — (٤) : دأبهم كدأب أهل المدن التجارية ، وبالتالي فإن قصتهم في القرآن الكريم هي قصة التجارة المحتكرة ، والعبث بالكيل والميزان ، وبخس الأسعار ، والتربص بكل وسيلة وطريقة ، في إثارة المارين بهم ، فكانت رسالته عليه السلام — أي رسالة النبي شعيب — خلاص للناس من شرور الاحتكار ، والخداع ، في البيئة التي كانوا يشكلون فيها حلقة الوصل بين الأمم . وعلى كلٍ فلم يكن هلاكهم بغتة ، بل كان بعد أن أعطاهم المولى — عز وجل —

---

(١) وفي رواية عن محمد بن كعب القرظي " أن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد فقرروا أن يدخلوا إلى البيوت فسقط عليهم فأرسل الله عليهم يوم الظلة ، فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليوم ظلاً : أطيب ولا أبرد من هذا ، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعاً تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعاً " . انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٨٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٨٩ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ٣ / ٧٦ . وكذا القرماني : أخبار الدول وآثار الأول / ٣٣ .

(٤) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص١٩٢- ١٩٣ .

الابتلاء والامتحان ، عن طريق الاستدراج والتمكين ، فإنهم كل ما عطلوا حداً بسط الله لهم في الرزق، فعطلوا حداً آخر، فوسع الله لهم في الرزق إلى أن كان أمر الله [1] .

وحول التحديد الزمني لمدين ، فإن بعض الباحثين [2] قد استنتج من واقع ورود اسم مدين في متن القرآن العظيم حيث إنها تأتي دائماً قبل موسى عليه السلام ، وبعد لوط مباشرة كما في سورة الأعراف وهود ويونس والحج والعنكبوت فهم قبل موسى عليه السلام بل أن قول الله تعالى في سورة هود : {وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أو قَوْمَ هُودٍ أو قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ } [3] وهذه الآية تدل - كما يذكر ذلك محمد بيومي مهران - [4] دون أي لبس أو غموض، بقرب قوم شعيب من قوم لوط مكاناً وزماناً . ويضيف أيضاً أنه من الثابت معاصرة نبي الله لوط لأبي الأنبياء الخليل عليه السلام والذي حدد فترته تقريباً ما بين (١٩٤٠ — ١٧٦٥ ق.م) . وعلى ذلك فإن قوم شعيب لابد وأنهم عاشوا في ما بعد القرن الثامن عشر ق.م . هذا إذا ما أضفنا نسب مدين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام من زوجته قطورة ، وما ذهبت إليه بعض المصادر الإسلامية من الربط بين قصة موسى عليه السلام، أثناء خروجه من مصر إلى أرض مدين ، واتصاله بشعيب صاحب مدين ، وقد تعارف المؤرخون على تحديد

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٨٩ .

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص١٤٩ .

(٣) سورة هود آية : ٨٩ .

(٤) دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، ص٣٠١ - ٣٠٢ .

وجاء عند ابن كثير في البداية والنهاية أن مدين بعد قوم لوط . انظر

ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٨٤ - ١٨٥ .

تاريخ خروج بني اسرئيل بالقرن الثالث عشر ق.م ، وإذا ما رجعنا إلى ما سبق، وأشار الدارس إليه نقلاً عن Parr بأن نشاط المدينين الذي سجلته التوراة كان خلال القرن الثالث عشر (١) بالتحديد ما بين (١٢٢٥ – ١١٠٠ ق.م) كما حدد ذلك أيضاً Mendenhall (٢) ، وعلى ضوء ذلك فمن المرجح أن المدينيين كانوا قد عاشوا في أرض شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، خلال القرن الثالث عشر ق.م . كما تجدر الإشارة إلى أن الأبحاث الأثرية ، في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وحتى وقتنا الحاضر لم تكشف لنا عن قيام حضارة متقدمة ، كما هو الحال في مصر أو بلاد الرافدين ، للدلالة على تلك النقلة الحضارية الكبيرة التي عاشتها المنطقة ، وتوصلت فيها للكتابة (٣) ، وإن من الظاهر أن منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية خلال الألف الثالثة ق.م كانت لا تزال في خضم ثقافة العصور الحجرية – كما يرى ذلك بعض الباحثين – (٤) مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك لا ينفي وجود استيطان بشري ، وصلات خارجية لسكانه مع الأقطار المجاورة لهم ، ومع ذلك فإن الآراء تتجه إلى القول بأن منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بدأت منذ الألف الثاني ق.م في تكوين مجتمعات مستقرة متحضرة ، وأن السبب في ذلك يرجع إلى نتيجة الانهيار الاقتصادي الذي أصاب الأطراف الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة العربية المتأثر

---

(1) Parr. P. J. , op.cit. , p. 31 .

(2) Mendenhall,G., op.cit. , p. 137 .

(٣) دانيل بوتس وآخرون :" التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشرقية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م" ، أطلال ، العدد الثاني ، الرياض ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ص٢٢ .

(٤) عبد الله حسن المصري : " ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها "، الندوة العالمية الثانية لأبحاث الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٨٦ .

بالانهيار الزراعي الذي أصاب بلاد الرافدين خلال الألف الثاني ق.م والذي يعرف بعصر الظلام . فكانت تلك الأسباب دافعاً قوياً وراء بزوغ نجم شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والتي هيأته فيما بعد إلى قيام الممالك الغربية الشمالية القوية خلال الألف الأول ق م في كل من قُرية وتيماء ودادان وادوماتوا " دومة الجندل " (١) ، واللاتي حظين بمكانه سياسية ، واقتصادية متقدمة ، جعلته هدفاً لتقدم القوة السياسية المختلفة في المنطقة للتحكم فيها ، وعلى رأسها الإمبراطورية الآشورية والدولة البابلية (الكلدانية) ، وذلك خلال الألف الأول ق م ، فهناك موقعان في شمال غرب شبه الجزيرة العربية وهما (قُرية وتيماء) عثر فيهما على نوع من الفخار السطحي المتميز ، يرجع تاريخ صنعه إلى نهاية الألف الثاني ق.م، وبالتحديد إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م ، كما يؤكد ذلك Parr من واقع الدراسات المختلفة لفخار المنطقة (٢)؛ حيث لوحظ وجود مطابقة لطرز وزخارف فخارية في المنطقة تشابه طرزاً وزخارف ملونة تنسب إلى طرز وزخارف فخار إيجة وسوريا ، ويرجع تاريخها إلى العصر البرونزي المتأخر (٣) ، كذلك تم العثور على فخار في المخلفات الطبقية

---

(١) عبد الله حسن المصري : " مقدمة آثار الاستيطان البشري في المملكة العربية السعودية " ، أطلال ، العدد الأول ، الرياض ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص١٤ - ١٥. وكذا مايكل جيلمور وآخرون : "تقرير مبدئي عن استكمال مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م " ، أطلال ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص١٦ .

(٢) بناء على دراسته للفخاريات التي عثر عليها في المنطقة ومقارنتها بما جمع في المناطق التي حولها ، المحفوظة في المتحف الوطني بالرياض ، ومتحف جامعة الملك سعود بالرياض ، بالإضافة إلى ما نشرة Winnett V.F. & Reed W.L في عام ١٩٧٠م في مجلة حوليات معهد لندن للآثار في عام ١٩٧٠م . وكذا التقرير الذي أعده جوني دوتي في اجتماع اكسفورد عام ١٩٧١م . انظر
Parr. P. J. , op.cit. , p. 38 .

(3) Knauf. A. E. , op.cit. , p. 151 .

في تيماء يشابه فخاراً عثر عليه في وادي عربة ، والذي يرتبط زمنياً مع مدونات مصرية ترجع إلى عهد الأسرتين ١٩، ٢٠ المصريتين ؛ وفي هذا دلائل تشير إلى تواجد (ترابط) زمني معاصر على الأقل مع فخار فلسطين ، وجنوب شرق البحر المتوسط ، والذي يؤرخ ما بين (١٣٠٠ – ١١١٥ ق.م) وهذا الوقت ينطبق تقريباً مع ما سجلته التوراة عن المدينيين ونشاطهم في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة ، والذي أطلق عليه Parr اسم الفخار المديني [1] ؛ فإن الدراسة التي قام بها كل من Dagton، Harding ، Parr في عام ١٩٧٠م على فخار قُرية وتيماء ، بالإضافة إلى مواقع أخرى في المنطقة الواقعة ما بين شمال العلا حتى حدود الأردن شمالاً ، ومن تيماء شرقاً وحتى ساحل البحر الأحمر غرباً ، فإن الفخار الذي عثر عليه في قُرية يتميز بأشكاله الزخرفية وأحجامه وألوانه من الكريمي والأحمر ، وبصناعته المختلفة ما بين الخشن وبين ما هو مصنوع بواسطة العجلة ، وزخرفته الشائعة بألوانه المتعددة ، من الأحمر والأسود والأصفر والبني ، بالإضافة إلى بعض الشرائح ذات الوان الكريمي، أو ذات الوان مزدوجة ، بالإضافة إلى بعض النقوش التي رسمت عليها أشكال لطيور وحيوانات وكذلك بعض الأشكال الهندسية وكل هذه الخواص الفخارية التي عثر عليها مشابهة لفخار عثر عليه في (تمنع) في الأردن ، وكذلك عثر عليها بكميات صغيرة في كل من شرق وادي عربة ، وفي جزيرة فرعون ، وجنوب إيلات ، وأماكن أخرى متفرقه، في نهاية جنوب البحر الميت ، وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفي سيناء ، وقرب البتراء ، وعند النجيف . وبمقارنة الكميات التي عثر عليها في مناطق شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، بما عثر عليه في (الأردن ، فلسطين ، سيناء) والتي شكلت حوالي ٢٥ % مما عثر عليه أصلاً في شمال غرب شبه

(1) Parr. P. J. , op.cit. , p. 39 .

الجزيرة العربية ، الأمر الذي دفع بالقول إلى أسبقية صنعه في شمال غـــرب شـــبه الجزيرة العربية [١] .

هذا ولقد أكدت الدراسات النوعية للفخار أن منطقة قُرية كانت مركـــزاً هاماً في صناعـــات الخزفيـــات (الفخاريـــات المزخرفـــة) ، والـــتي تعـــرف بالفخار المديني [٢] .

وعلى ضوء ذلك يتأكد أن منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية في نهايـة الألف الثاني ق.م كانت صاحبة أسبقية حضارية ، من حيث الاستقرار والانتاج . مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك الاستقرار والانتاج في أرض شمال غـــرب شـــبه الجزيرة العربية كان دائماً مرتبطاً بالعوامل البيئية والمناخية ، فحين تكثر الأمطـــار وتكسو أراضيها الحشائش ، تزداد نسبة الرعي فيندفع الإنسان إلى الاســـتقرار ، ولو لفترة نسبية ، ثم لم يلبث الوضع إلا أن يتغير عندما تقل الأمطار ، فتضطـــرب الحياة اضطراباً شديداً ينتج عنه هجرات متعـــاقبة ، يكون لها تأثيرها على الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة [٣] . ومهما يكن من أمر فإن شمـــال وشمـــال غرب شبه الجزيرة العربية خلال الألف الثاني ق.م كان من القوة بمكان ؛ بأسبقيته الحضارية تلك ، عن جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، الذي يدفع الباحثين على جعله صاحب البناء الحضاري في شبه الجزيرة العربية ، ويؤكد Parr أن الاستقرار الذي عاشته قُرية وتيماء في تلك العصور قد يصل إلى قرن من الزمان ، توقـــف بعدها نشاط سكانها (المدينيين) ، وتحولوا إلى الإعرابية ، حيث تعد قُرية مـــن

---

(1) Bawden. G., Painted Pottery of Tayma and Problems of Cultural Chrovology in North West Arabia, In Midina Moab and Edom, (eds),1983, pp.38 - 39.

(2) Bothenberg .B. & Glass. J., " The Midianite Pottery " In Midian Moab and Edom, (eds),1983, pp.69-70.

(٣) محمد السيد غلاب : المرجع السابق ، ص١٩٠ .

أحد أبرز المعالم الأثرية في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وتعتبر من أوائل المناطق الاستقرارية فيها [1] ، كما دلت على ذلك التنقيبات الأثرية فيها ، حيث عثر الباحثون على بقايا أبنية في شكل أبراج ، محاطة بجدار به بعض الدعامات ، ومناطق تحصين مبنية أُسُسُها من الحجارة ، والجزء الأعلى مبني من الطوب (اللبن) ، ويتراوح عمق أساساتها حوالي ٧١ سم . ذلك بالإضافة إلى وجود جدار مائل مجاور للقلعة ، يمتد حتى يصل إلى أحد الخنادق ، ربما يكون مجرى مائيا كان الغرض منه ري الحقول التي يطوقها الجدار ، وربما شكل الجدار المائل شبكة ري متقنة ، كأول شبكة ري منظمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وهذه الحوائط كانت تستعمل لحالات ثلاث : إما تكون كأحواش لرعاية الحيوانات أو لتخزين المحاصيل الزراعية ، أو للتحكم في المياه والغرين ، أو حوائط فاصلة بين الملكية الزراعية والملكية الفردية ، هذا بالإضافة إلى ما عثر عليه الباحثون من وجود أفران تبدو واضحة للمشاهد (وهي ما يقارب الستة) ، وبها فتحات تسرب الدخان وتنتشر في قُرية ، وحول الأفران بقايا فخارية ، ذات طبيعة متجانسة ومتميزة بألوانها وزخرفتها ، التي سبق وأن أشار إليها الدارس، ويوجد جنوب القلعة بناءٌ أشبه بمعبد بالإضافة إلى مجموعة من الركامات الحجرية ترتبط بمستوطنة قُرية [2] . وإن حصيلة هذه المؤشرات الحضارية تشير إلى أن منطقة قُرية كانت مستوطنة غاية في الدقة ، تعتمد على الزراعة الدائمة ، بما شملته من حقول مسورة ، وخزانات وقنوات ري تعتمد في زراعتها على مياه ينابيع طبيعية وليس على آبار كما في تيماء ، وأن قُرية تلك قد حظيت

(1) Parr. P. J., op.cit., pp.43 - 44, p.p. 41,39 .

(٢) مايكل إنجراهام وآخرون : " التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحه موجزة عن مسح المنطقة الشمالية) " ، أطلال ، العدد الخامس ، الرياض ، ١٤٠١ هـ ، ص٦٦ ، ٦٩ .

بمستوى اجتماعي غاية في التنظيم ، وفي المهارة الفنية ، خلال القرن الثاني عشر ق.م ، وكما كان لقُرية دورها الحضاري في شمال شبه الجزيرة العربية كذلك كان الحال بالنسبة لتيماء التي شاركت قُرية تلك الأسبقية الحضارية في نهاية الألف الثاني ق.م [1] . وأن المنطقتين تغطيهما بقايا فخارية من ذلك النمط . والمعروف بفخار مدين ، والذي تشير التوراة على نشاطهم في تلك الحقبة التاريخية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية [2] ، حيث كانت أرض مدين ملتقى ثلاثة أقاليم : إقليم الهلال الخصيب ، وإقليم شبه جزيرة سيناء ، وإقليم شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وحظي موقعها بأهمية استراتيجية، اكتسب معها أهمية تاريخية في شتى المجالات الاقتصادية والبشرية والسياسية ، وشكلت بموقعها حلقة ربط واتصال في النطاقين البري والبحري ، من عصور ما قبل التاريخ ، والعصر التاريخي ، وامتد نفوذها الاقتصادي ما بين مدينة العقبة شمالاً ، وحتى المويلح جنوباً ، وغرباً الساحل الشرقي لخليج العقبة والبحر الأحمر ، ذلك بالنسبة للمدينيين المستقرين ، في حين امتد نفوذ المدينيين الرحل حتى وادي عربة شمالاً ، وشرق الحجاز شرقاً [3] ، وبذلك توسطوا الطريق التجاري الرئيسي بين الشمال والجنوب ، وانتشروا في مواقع مختلفة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وجنوب الأردن [4] ، فشاركوا في صنع التجارة العالمية آنذاك خلال نهاية العصر البرونزي ، وبداية العصر الحديدي [5] . وفي هذه الأثناء كانت تجارة العطور قد

---

(1) Parr. P. J., op.cit. , p. 39 ; Mendenchall G. , op.cit. , p. 44 .

(2) Parr. P. J., op.cit. , p. 39 .

(٣) رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص٧١ – ٧٢ .

(4) Ibid. , p. 39 .

(5) Knauf. E. , op.cit. , p. 151 .

برزت على ساحه التجارة العالمية [1] ، الأمر الذي دفع بالمدينيين إلى إنشاء الاستراحات ، وتجهيزها بكل ما تحتاجه قوافل التجار من الجمال والماشية ، وكافة لوازم رحلاتهم التجارية [2] ، بل وشارك المدينيون أبناء المناطق المختلفة في نقل البضائع، والاتجار بها، وخاصة تجارة العطور مع مصر [3]، ونشاطهم التجاري أسهب في ذكره القرآن الكريم مع نبي الله لهم شعيب عليه السلام .

وعلى ما سبق يفهم أنهم كونوا مجتمعا زراعيا مستقرا ، وعرفوا نظم وطرق ري في أوديتهم ، كما يتضح من ذلك الفخار المنتشر في معظم أرجاء منطقتهم ، كما دلت الأبحاث عن وجود عدد كبير من المستوطنات الزراعية ، على روافد وادي الحمضى ، ووادي الجزال في منطقة مدين ، كذلك لوحظ من بقايا أثرية عثر عليها في منطقة مدين أن المدينيين عرفوا زراعة المطاط [4] . وعلى كلٍ فإن الأدلة تذهب على أن المدينيين مارسوا الزراعة منذ نهاية الألف الثاني ق.م [5] . ذلك بالإضافة إلى أنهم مارسوا الرعي ، وصناعة النسيج ، وصناعة المعادن [6] ، كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير والزنك والفيروز والكبريت ، مع تميزهم في الصناعات النحاسية ، وصنع السبائك والسلاسل والأساور [7] ، كما دلت على ذلك بعض الدلائل الأثرية في مواقع انتشارهم [8] .

---

(1) Parr. P. J. , op.cit. , p. 41 ; Mendenhall ,G. , op.cit. , p. 142 .

(٢) رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص٧٢ .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٨ .

(4) Knauf. E. , op.cit. , p. 151 .

(٥) أحمد كسناوي وآخرون : المرجع السابق ، ص٦٤ .

(6) Mendenhall G., op.cit. , p. 142 .

(٧) رشيد سالم الناضوري : المرجع السابق ، ص٧٢ .

(٨) أحمد كسناوي وآخرون : المرجع السابق ، ص٥٩ .

ورغم تشكيك Parr في ذلك ، إلا أنه يؤكد وجود مناجم عدة للنحاس والذهب في المنطقة ، ومناجم أخرى تم اكتشافها تبعاً عبر هذا العصر ، ويرى أن ظهور الجمل في حياة أهل مدين هو الذي دفعهم إلى الاعرابية ، وترك حياة الاستقرار ، بعد فترة استقرار نسبي دام في نظره قرابة المائة عام [١] .

وكما تأثرت المنطقة بدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام . وشهدت دعوة سيدنا شعيب عليه السلام في مدين . فقد شهدت المنطقة دعوة سيدنا صالح عليه السلام في قوم ثمود . فقد تحدث القرآن الكريم في كثير من سُوَرِه عن قوم ثمود ونبي الله إليهم صالح عليه السلام قال تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ } [٢] والجدير بالذكر أن معظم المصادر الإسلامية أشارت إلى أن مساكن قوم ثمود كان في الحجر [٣] ،

---

(1) Parr. P. J. , op.cit. , pp.41 - 49 .

(٢) سورة هود ، آية : ٦١-٦٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١٦ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ١٣٠ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ٥٠ . وكذا ابن حوقل : صورة الأرض / ٣٩ . وكذا المقدسي : البدء والتاريخ ٢ / ٣٦ .

قام الدارس بزيارة لتلك المنطقة في عام ١٤١٤هـ حيث لاحظ وجود ثلاث حاضرات العلا تليها شمالاً الحجر ثم ما يعرف بمدائن صالح والمسافة بينهم حوالي ١٥ كم ، فالعلا هي المحافظة وإطارها المعماري معظمة حديث . أما الحجر فهي عبارة عن كتل جبلية تظهر فيها فتحات منحوته في الصخر وتظهر للمشاهد على أنها أبواب شقت في تلك الجبال ، وأمامها يوجد حوض يقال له محلب الناقة وهو حوض صخري بناه الأنباط لحفظ مؤنهم ثم بعد ذلك مدائن صالح والتي تقع على بعد حوالي

=

ولقد وهبهم الله سبحانه وتعالى من القوة ما جعلهم ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين. إلا أنهم أنكروا نعم الله عليهم ، وعاثوا في الأرض فساداً، وكفروا بالله – سبحانه وتعالى – وعبدوا إلها غيره ، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ } [(١)] وقال تعالى: { وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ } [(٢)] ، وقال تعالى: { وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ..} [(٣)] وقال تعالى: { ... أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ(١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ...} [(٤)] ، ولقد بعث الله لهم نبي الله صالحاً [(٥)] ، يدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار ،

= ١٥كم من العلا وتتميز بمواقعها الأثرية وبجبالها الرملية وهي كما وصفها عبد الرحمن الأنصاري بأنها سهلت على سكان المنطقة في تلك الآونة أن ينحتوا بها مقابرهم وهي منتشرة في أماكن متفرقه من ذلك السهل وتحمل على أبوابها تلك المقابر عناصر فنية مختلفة : فرعونية وإغريقية بالإضافة إلى الرومانية والعربية ، زينت أبوابها بكتابات نبطية أرامية تعلوها رءوس خرفان وتماثيل لنسور وثعابين وكواكب ومساحة تلك القبور لا تتجاوز حوالي ١٦م ويرى أن تاريخها لا يتجاوز بأي حال من الأحوال القرون الميلادية . انظر

عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن العربية شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية " ، ص٧٩ .

(١) سورة الحجر ، الآيات : ٨٠-٨٢ .

(٢) سورة الفجر ، آية : ٩ .

(٣) سورة العنكبوت ، آية : ٣٨ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ١٤٦-١٤٨ .

(٥) وهو صالح بن اسف بن ماشح بن عبيد بن خادر بن ثمود بن جاثر بن أرم بن سام بن نوح ، توفي في مكة المكرمة وهو ابن ثمان وخمسون سنة وأنه كان يدعو في قومه قرابة ٢٠ سنة . انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١ / ١١٨ . وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٥٢ .

وإخلاص العبودية له ، وينهاهم عن عبادة الأوثان . ولقد استجاب لـــه بعـض قومه، إلا أن الغالبية العظمى منهم قد كفروا برسالته وعتوا في طغيانهم ، بطلـب الأدلة والبراهين ؛ لتصديق نبوته ، ووصل بهم الأمر إلى طلب الآيات مـــن نـبي الله صالح عليه السلام [١] ، فكان لهم ما طلبوه ، قال تعالى: { وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ } [٢] فكانت معجزته الناقة ، الـــتي أخرجـــها الله لهـم مـــن حجـر أصم أمام أعينهم [٣] . ومع ذلك فإن التجبر والكفر ، والعتو عن أمر الله طغى في أنفسهم ، فأصبحت آذانهم لا تسمع ، وأعينهم لا ترى ، إلا أن يقفوا أمام دعـوة نبي الله صالح بتكذيب ما يدعو إليه . وتمادوا في ذلك حتى وصل بهم الأمـــر إلى الفتك بآيات الله ، وعقروا ناقة الله التي كانت آية دعوة نبيهم . قـــال تعـالى: { فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } [٤] ولم يقفوا عند ذلك بل سارعوا إلى صالح عليه السلام ، يطلبون منه مـــا وعدهـم من عذاب قال تعالى: { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } [٥] وقال تعالى: { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذْ انْبَعَثَ

---

(١) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، ص٢٧٧ .

(٢) سورة هود ، آية : ٦٤ .

(٣) وكانت آية لأنها شملت على ثلاث خصال :- أولاً كانت تشرب ماء القبيلة بأجمعه (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ثانياً كونها خرجت من الصخر الأصم الحجر الجماد ، ثالثاً : أنها كـــانت تعطـي القبيلة حليبا على قدر الماء الذي كانت تشربه . انظـــر محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٩هــــ/١٩٨٩م ، ص٣٠٩ .

(٤) سورة هود ، آية : ٦٥ .

(٥) سورة الأعراف ، الآيات : ٧٧- ٧٨ .

أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا } [1] ، ولقد صمموا بعد عقر الناقة على قتل سيدنا صالح عليه السلام ، وذلك خلال المدة التي أمهلهم فيها الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ(٤٧) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(٥٠)فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [2] ويقال إن الله – سبحانه وتعالى – أرسل على أولئك الرهط الذين تآمروا على قتل رسول الله صالح حجارة من السماء ، رضختهم ودمرتهم قبل قومهم ، وقد كان هلاك قومه الذين كفروا ، خلال الأيام الثلاثة ، وهو موعد العذاب الذي وعدهم به الله – سبحانه وتعالى – ففي اليوم الأول اصفرت وجوههم ، وفي اليوم الثاني احمرت وجوههم ، وفي اليوم الثالث اسودت وجوههم ، وقيل إن في هذا اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا .. ينتظرون العذاب ، وفي اليوم الرابع ومع شروق الشمس أتتهم صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض ، فاضت فيها الأرواح ، وزهقت فيها النفوس ، وسكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وحقت الحقائق ، فأصبحوا في دارهم جاثمين ، جُثثاً هامدة

(١) سورة الشمس ، الآيات : ١١- ١٥ .

(٢) سورة النمل ، الآيات : ٤٥ – ٥٣ .

لا حراك فيها [1] . وهكذا كانت نهايتهم . قال تعالى: { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [2] وقال تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ } [3] وقال تعالى: { فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ } [4] .

وهكذا كانت نهايتهم ونجّى الله صالحا ومن معه ، وحاق بالذين كفروا العذاب . قال تعالى: { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } [5] فعن نافع عن ابن عمر قال : (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس عام تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستسقى الناس من الآبار التي كان يشرب منها ثمود ، فعجنوا منها، ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل . ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا . قال : إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم) [6] .

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين كذبوا إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا

---

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١/١١٧-١١٨ .وكذا ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/٥١ . وكذا ابن كثير : البداية والنهاية ١ / ١٣٦ .وكذا محمد علي الصابوني : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

(٢) سورة فصلت ، آية : ١٧ .

(٣) سورة القمر ، آية : ٣١ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٧٨ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٧٩ .

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٨ / ٢٣٤ .

باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ فإني أخاف أن يصيبكم مثل ما أصابهم) [1] وحيث أن معظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر عاد ، ورد فيها اسم ثمود ، وحسب الروايات الإسلامية فإن قوم ثمود كانوا بعد قوم عاد بحوالي ٥٠٠ علم ، وأنهم كانوا قريبين من فترة إبراهيم الخليل عليه السلام [2] .

على أن عبد الوهاب النجار [3] يرى أن هلاك عاد كان ما بين فترة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وموسى عليه السلام ، أي ما بين القرنين الثامن عشر والثالث عشر ق.م . ففي زمنٍ ما خلال تلك الفترة كانت دعوة صالح عليه السلام ، ويستبعد محمد بيومي مهران [4] ذلك ؛ لأن بعض آيات القرآن الكريم قد تقدم وتؤخر في ذكر الأقوام فقد يسبق ذكر موسى إبراهيم عليه السلام [5] ، وقد تسبق قصة ثمود عاداً [6] ، ويرى أنه لا توجد أدلة كافية لتحديد زمنهم حتى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٥٥ والحديثان السابقان إسنادهما صحيح وذكرا في البخاري ومسلم .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال / ٧ . ويرى المقدسي أنهم قبل إبراهيم وبعد نوح وهناك من رأى أن هلاكهم كان نتيجة إصابتهم بكارثة عظيمة كثوران بركان أو هزات أرضية ولا يستبعد ذلك من حيث موقعهم في منطقة الحراري بشبه الجزيرة العربية وأن الكلمتين رجفة أو صيحة تذهبان إلى هذا المعنى . انظر المقدسي : البدء والتاريخ ٣ / ٤٥ . وكذا جواد علي : المرجع السابق ، ص٣٣٢ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٧٨ – ٢٧٩ . وكذا

Montgomery J. , Araban and The Bible , Philadelphia , 1934 , p. 91.

(٣) المرجع السابق ، ص٤٨ ، ٥٨ – ٥٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٨١ .

(٥) كما في سورة الشعراء ما بين الآيتين : ١٠ – ٦٩ قال تعالى: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى } آية : ١٠ إلى قوله تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ } آية : ٦٩ .

(٦) قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ } سورة ق ، الآيات : ١٢ – ١٣ .

وقتنا الحاضر ، ويرجح – حدساً لا يقيناً – أن قوم ثمود كانوا يعيشون في الفــترة الواقعة في النصف الأول من الألف الأول ق.م .

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على توفيقه وتمام نعمه أن وفقني في إتمام هذه الدراسة والتي اتضح من خلالها أن معالم تاريخ العلاقات السياسية والحضارية بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين ، تمتد في جذورها إلى فترات تاريخية مبكرة ، ترجع في بعض فتراتها إلى عصور ما قبل التاريخ وبالتحديد إلى حوالي الألف الرابع قبل الميلاد ، حيث ساعد الموقع الجغرافي للمنطقتين على تحقيق تلك العلاقات المبكرة بينهما ، كما أكد ذلك بما عثر عليه الباحثون من بقايا مؤثرات حضارية في مصر تشبه ما عثر عليها بلاد الرافدين ، خلال عصور ما قبل الأسرات ، في الوقت نفسه لم يعثر الباحثين على مؤثرات حضارية مصرية في بلاد الرافدين مقارنة بما سبق . كما أن الدراسات لتلك المؤثرات دلت على أن الذين حملوا تلك المؤثرات لم يكونوا من العناصر السكانية لمصر خلال تلك الفترة ، حيث أن بعض النقوش التي عثر عليها على تلك المؤثرات كنقش " **مقبض سكين جبل العركي** " ، تضمن على أحد جوانبه منظراً لبادية عربية ورجل في زي عرب ، الأمر الذي دفع إلى القول بأن الذين قاموا بنقل هذه المؤثرات هم العرب سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، نظراً لموقعهم الجغرافي بين المنطقتين ، حيث شكلت العناصر العربية حلقة الوصل بين بلاد الرافدين ومصر إما كتجار قدموا بها ، من بلاد الرافدين ، وإما عن طريق هجراتهم إلى مصر، بالطريقين : البرى عبر سيناء ، أو البحري عبر أراضيهم، من عند أرض مدين إلى سواحل البحر الأحمر الشرقية ومنها إلى سواحل البحر الأحمر المقابلة على الأراضي المصرية . وعلى ضوء ذلك لم يكن سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية في منأى عن باقي شعوب الشرق الأدنى القديم بصفة عامة وعن بلاد الرافدين بصفة خاصة ، بل وشاركوهم الأحداث والتغيرات المختلفة منذ ذلك الوقت المبكر ، حيث أنهم أثروا وتأثروا بهم .

كما أن بعض المؤشرات النصية ، التي عثر عليها الباحثون في بلاد الرافدين كمسمى " ماجان " و" ملوخا " ، ربما توحي بوجود مدلول سياسي لمنطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، أشار إليه بعض حكام بلاد الرافدين ، خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، والتي كان يقدم إليها سكان بلاد الرافدين ، لأخذ المواد الخام وعلى رأسها النحاس والخشب التي تفتقر إليها أراضيهم .

هذا ولقد أوضحت الدراسة أن منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، شهدت عبر أراضيها تحركات وهجرات بشرية متعددة نحو سوريا وبلاد الرافدين ومن ضمنها الشعبة السامية الغربية ، التي منها الأموريون ، الذين تقدموا من سوريا نحو بلاد الرافدين حيث توغلوا في أراضيه ، وكان لدخولهم فيه الأثر البالغ على مجريات الأمور السياسية ، حيث أصبحوا بعد فترة وجيزة على رأس السلطات الحاكمة فيه ، وذلك خلال الألف الثاني قبل الميلاد .

ومهما يكن من أمر ، فقد أثبتت الدراسة أن العلاقات بين منطقتي بلاد الرافدين وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، وخلال عصري الإمبراطورية الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)، والبابلية الكلدانية ، (٦٢٦-٥٣٩ ق م) أي في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ، قد اتخذت منعطفاً أو مساراً جديداً ، حيث وضحت فيه معالم تلك العلاقات بين المنطقتين، حيث نجد سعى الآشوريون ، ومن بعدهم البابليون الكلدانيون على بسط نفوذهم على المناطق الغربية لدولتيهما ، وتحقيق طموحاتهم التوسعية ، وأهدافهم الاستعمارية ، وفي مقدمتها الأهداف الاقتصادية ،في الوصول إلى مناطق المواد الخام من جهة ، وإلى موانئ البحر المتوسط، حيث مصب التجارة العالمي من جهة أخرى ، بالإضافة إلى الأهداف السياسية ، ومنها تأمين حدود دولتيهما من تلك الغارات ، التي لم تتوان العناصر السكانية المقيمة على حدود دولهم ،وخاصة تلك القاطنة في البادية العربية ، من التحرش والقيام بغزوات مباغته تجاه إمبراطوريات بلاد الرافدين والمناطق التابعة لها ، أو التي تبسط

نفوذها عليها ، أما دفاعاً عن أنفسهم و مصالحهم ، وإما للكسب وتأمين موارد عيش جديدة لهم .

كما بينت الدراسة أن العرب كانوا ضمن تلك العناصر ، التي تصدت للنفوذ الآشوري في الغرب ، حيث يعتبر ظهورهم في تلك الحقبة التاريخية أول ظهور لهم على مسرح الأحداث التاريخية في المنطقة ، حسب مدونات النصوص، فقد أشار إليهم الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ق.م) في إحدى كتاباته، التي تحدث فيها عن حروبه مع الممالك الآرامية وذلك من خلال النص المشهور بنص معركة قرقر ، التي كانت في سنه ٨٥٣ ق.م ، ورغم الاختلاف الواضح في آراء الباحثين حول مدلول لفظة "عريبو" أو " بلاد العرب " الواردة في النص من حيث موطنهم الأصلي وهويتهم في من يكونوا وأين كانوا يعيشون ، والتي من المرجح أنهم من سكان شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، كما أستدل على ذلك من واقع الدلائل ، والقرائن التي تابعت ظهور اللفظة بعد ذلك في النصوص المختلفة ، حيث أصبحت اللفظة علماً للسكان القاطنين في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ،مع نهاية العصر الآشوري ، وبعد اندماج معظم القبائل العربية المنتشرة في أطراف البادية السورية، وتلك التي كانت تسكن شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كقبائل القيداريين والنبطيين بالإضافة إلى قبائل المدينيين ، الذين كانوا ينتشرون في أراضي شاسعة من شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية خلال تلك الحقبة التاريخية موضع البحث .

كما أوضحت الدراسة أن في عهد الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) بدأت التدخلات الحربية للآشوريون في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث تقدمت الجيوش الآشورية نحو أدوماتو " دومة الجندل "، التي تسلم من ملكتها ، حينذاك ، " زبيبي " الجزية . وكانت حملته ، تلك ، عقب معاركة الحربية مع الممالك الآرامية، وتسلمه الجزية منها ومن غيرها من

المدن والأقاليم المختلفة ، الواقعة في سوريا وفلسطين ، كرمز ولاء لآشور . وعلى ما يبدو أن ولاء عريبو لآشور لم يدم طويلاً، حيث تصف أخباره بعد ذلك ، قيامه بحملة عسكرية أخرى ضد شمسي " سامسي " ملكة عريبو ، والتي نقضت العهد الذي بينها وبين آشور ، والذي ربما يكون قد أبرم مع سابقتها . ثم بعد ذلك يسترسل في وصف معاركه في المنطقة ، والتي تقدم فيها جنوباً حتى حدود تيماء ، الذي يعتبر ذكرها هنا أول ذكر لها في نص تاريخي ، والتي سارعت إلى دفع الجزية له ،وتقدم بعد ذلك في أرض مدين وغزا قبائل خايابا (عيفة) وبادانا وختي ، بالإضافة إلى إقليم موصري ، الذي جعل من حاكمها مندوباً يراقب تحركات حكام المنطقة ، والوقوف على مدى ولائهم لآشور . وكذلك كان الحال بالنسبة للجاليات السبئية ، والتي كانت تنتشر على طول طرق القوافل التجارية الهامة ، القادمة من بلاد العرب الجنوبية نحو شمالها الغربي ، وخاصة حول منطقة ديدان (العلا) في تلك الفترة ، فما أن علمت بتقدم الجيوش الآشورية ، حتى سارعت إلى خطب ود العاهل الآشوري دفاعاً عن مصالحهم الاقتصادية في المنطقة .

ولقد دلت معارك الملك تجلات بلاسر الثالث في منطقة شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، على المكانة الاقتصادية المرموقة التي تمتعت بها المنطقة ، والتي يمكن استنباطها من أنواع وكميات الجزية الهائلة ، التي كان يدفعها حكامها لحكام بلاد الرافدين ، والتي تشمل على الجمال والنوق والأغنام (الماشية) ، والأحجار الكريمة ، والأعشاب والتوابل، علاوة على الذهب الخام (التبر) ، والفضة والنحاس والقصدير .

وفي الواقع فليس من المستغرب أن يدفع حكام شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، مثل تلك الكميات الضخمة من الجزية ، أو الهدايا لحكام بلاد الرافدين وغيرهم ، بما تمتع به موقعهم الجغرافي والمكانة الاقتصادية ، على أحد أبرز طرق القوافل التجارية الهامة، في العالم ، خاصة خلال الألف الأول ق.م .

أما في عهد الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ق.م) ، فقد واصل الآشوريون تدخلاتهم السياسية والاقتصادية في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فبعد تسلمه الجزية من شمسي ، ملكة عريبو، ومن أتعمار السبئي ، اشتبك مع قبائل الثموديين المقيمين في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهو أول ذكر للثموديين في النصوص التاريخية ، ثم غزا بعد ذلك مناطق وقبائل مختلفة منه قبيلة ابايدى (أبيداع) ومرسماني وخيابا (عيفة) وآخرين كانوا حولهم ، والذين وصفهم بملوك البحر والصحراء ، والذين لم يعرفوا حاكماً من قبله، وأجبرهم جميعاً، على دفع الجزية لآشور ولم يكتف بذلك، بل نراه يقوم بتهجير العرب القاطنين في شمال غرب شبه الجزيرة العربية من أراضيهم ، وإسكانهم السامرة . ولعل من أبرز ما يلفت النظر في نصوص هذا الملك ذكر إقليم موصري، والذي سبق وأن ورد ذكره منذ عهد الملك شلمنصر الثالث ، والذي من المرجح وقوعه في شمال غرب شبه الجزيرة العربية وربما أمتد شمالاً حتى جنوب البحر الميت أي على طول الحدود مع مصر ، والتي كان الآشوريون يتطلعون إلى ضمها إلى نفوذهم ، ومن هنا كان عدم الاستغراب في أن يكون إقليم موصري المذكور في النصوص الآشورية يقع ضمن إقليم شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

أما في عهد الملك سنحريب (٧٠٥-٦٨١ق.م) فتأخذ العلاقات الآشورية وشمال غرب شبه الجزيرة العربية منعطفاً جديداً ، مفاده تقدم العرب إلى داخل الأراضي الآشورية ، ومشاركتهم الخارجين عليها ، والثائرين للإطاحة بها .

فقد بعثت ملكتهم التي تدعى (ياتيعه) بقوة عسكرية تحت قيادة أخيها باسقو (الباسق) ، إلى بابل للمشاركة في ثورتها ضد سنحريب وأسفر تدخلهم ذلك إلى هزيمتهم ، وملاحقة الجيوش الآشورية لكل العرب القاطنين بلاد الرافدين، والذين كانوا متواجدين في مناطق متفرقة منها ، ويمتهنون أعمال متفرقة فيها ، ولم يكتف سنحريب بذلك ، بل قام بتتبعهم في المناطق التابعة لهم في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث سارعت الجاليات السبئية المقيمة هناك ،

إلى إرسال الهدايا له . كما أشارت المصادر التاريخية ، إلى تقدم الملك سنحريب نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وغزا أدوماتوا (دومة الجندل) في عهد ملكتها (تلخونو) ، التي ربما تربعت على عرش أدوماتوا خلفاً ليطيعه ،التي هزمت وأتباعها على يده من قبل .والذي يبدو أن اشتباك الملك سنحريب مع تلخونو كان خارج أدوماتو وكان في معيتها قائد جيوشها ، خزائيلي الذي لقبته النصوص ، بعد ذلك بملك عريبو ، والذين هزما معاً على يد الجيوش الآشورية ففرت هي إلى أدوماتو ، حيث تحصنت بها ، وفر هو من أمام سنحريب إلى البادية الفسيحة ، الواقعة حول أدوماتو ، فتقدمت جيوش سنحريب نحو أدوماتوا، ودخلتها وأسر ملكتها تلخونو ، وكذلك حمل معه إلى آشور أميرة عربية تدعى تاربو أو(تبؤة)، بالإضافة إلى حمله أصنام معبوداتها ، وما كان في معبدها من حاجيات . لاستعبادهم ، وتحطيم نفوسهم ، وإجبارهم على الخضوع لآشور .

وتولى بعده الملك أسرحدون (٦٨١-٦٦٩ق.م) الذي عفا عن خزائيلي ، وأقامه ملكاً على عريبو ، كذلك أطلق سراح تلخونو وأعاد الملكة تبؤة إلى عرشها ، ملكة وكاهنة على أدوماتوا، وفي الحقيقة فإن مدلول لفظة ملكة الوارد في النصوص الآشورية ، أثار كثيراً من التساؤل عند الباحثين ، من حيث كونه لقباً سياسياً أم لقباً دينياً ، والراجح أنه يجمع الصفتين ، كما يتضح ذلك من واقع قيادتهم للجيوش المحاربة ، والتفاوض ، وإبرام المعاهدات ونقضها ، ودفع الجزية أو الرجوع عنها ، بالإضافة إلى خدمتهم لأصنام آلهتهم .

وكما يظهر من الدراسة أن أسرحدون قد أتخذ في مستهل حكمه تجاه شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية سياسة تتسم بالاستقرار ، وإيثار السلم ، فأقر ملكية خزائيل ، ومن بعده أقر ابنه ياتاع على عرش عريبو ، ومن قبل كان موقفه مع تلخونو وتبؤة ، إلا أن العرب القاطنين في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية أبوا أن يحكمهم ملك متوج ، بأيد أجنبية، فأعلنوا الثورة على

ياتاع بزعامة أحدهم ويدعى واهب ، إلا أن ذلك لم يكن ليرضى العاهل الآشورى ، ومن ثم يقرر إرسال حملة عسكرية ، لإعادة إخضاع عريبو أو بلاد العرب ، إلى نفوذ آشور ، وكان له ذلك ، وأعاد تنصيب ياتاع ثانياً على عريبو، إلا أن الآخر قاد بنفسه هذه المرة الثورة على أشور ، وأعلن التمرد على أسرحدون ، ولكنه عندما أحس بمقدم أسرحدون فر إلى البادية ، حيث تقدمت الجيوش الآشورية في بلاد العرب ، وغزت منطقة بازو ، والتي سبق وأن أشارت إليها النصوص الآشورية عند هروب الملكة شمسي نحوها ، في عهد تجلات بلاسر الثالث . ولا يستبعد أن يكون هروب ياتاع إليها ، والذي وصفها بالأصقاع البعيدة ، فكان ذلك سبباً في تقدم الجيوش الآشورية ، نحوها وإخضاعها للتاج الآشوري ، والتي من المرجح أن تكون في الأطراف الغربية لشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والقريبة من الحدود المصرية ، حيث كان أسرحدون يتهيأ لغزو مصر ، وأراد أن يضمن ولاء سكان تلك المناطق في طريقه إلى مصر ، كما أنه تمكن في حملته تلك أن يأسر ثمانية من ملوكها ،وأخذهم إلى عاصمته نينوى ، ونصب أحدهم ،والذي يدعى ليلى ملك يادي (يدع) على أرض بازو .

أما في عهد خليفته آشور بانيبال (٦٦٨-٦٣٣ق.م) فقد قدم إليه ياتاع بن خزائيل ، مقدماً فروض الولاء ، لآشور ومن ثم فقد عفا عنه ، وأعاد تنصيبه ملكاً للعرب . ولم تمض فترة طويلة حتى نجد أن العرب قد استغلوا الفتنة ، التي نشبت بين آشور بانيبال ، وأخيه " شمش شوم أوكن " ملك بابل ، حيث مدوا يدهم لمساعدته ضد أخيه آشور بانيبال ، ولكن كانت نتيجة ذلك هزيمتهم على أبواب بابل ، لتنطلق بعدها معارك عدة بين العرب وآشور بانيبال ، الذي كان النصر حليفاً دائماً له، رغم أن العرب شكلوا في ذلك الوقت قوة لا يستهان بها ضد آشور ، والتي تزعم فيها ملوك عريبو ، أو بلاد العرب ، تلك التكتلات السياسية العربية ، ضد آشور . بالإضافة إلى ظهور قبائل القيداريين ، وكذلك النبطيين ، ودخولهم في معارك متعددة ضد آشور بانيبال ، والتي كان آخرها تحت زعامة

ياتاع بن خزائيل ، الذي اندمجت كل تلك القبائل تحت زعامته ، والتي أطلقت عليهم النصوص الآشورية ، المنسوبة إلى آشور بانيبال لقب الإسماعليين (نسبه إلى إسماعيل بن خليل عليهما السلام ، الذين عرفوا فيما بعد بعرب الشمال) ، الذين غزا آشور بانيبال أراضيهم في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وأنزل بهم هزائم متلاحقة ، صورتها النصوص أشنع تصوير .

وثمة أهمية أخرى ، أظهرتها الدراسة ويجب وضعها في الحسبان وهي اعتماداً على مصادر بلاد الرافدين ، وافتقارنا لمصادر الطرف الآخر وهم العرب للوقوف على حقيقة تلك العلاقات ، وخاصة الحربية منها ، بين العرب والآشوريين . وأصبح من المسلم به الأخذ بما ذكرته النصوص الآشورية ، حتى تظهر لنا معاول الباحثين تأكيداً أو نفياً لذلك ، ليتسنى لنا تحديد هوية تلك العلاقات ، التي كانت قائمة بين بلاد الرافدين وشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية من جميع جوانبها .

أما عن العلاقات بين شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين في عصر الإمبراطورية البابلية الكلدانية ، فقد تسنى للباحث الوقوف على مصادر متنوعة ، ساهمت في تحقيق الوقوف على أهم سمات تلك العلاقات وإظهارها، فقد أشارت المصادر الإسلامية إلى تقدم الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني " بختنصر " (٦٠٥-٥٦٢ق.م) نحو الحجاز ، وتنقله في مناطق مختلفة منه ، وصولاً إلى (ذات عرق) شمال شرق مكة ، أو (حاضورا) ، والتي جعلتها المصادر نفسها في اليمن ، أو في اليمامة ، أو أصحاب الرس ، وفي الواقع إذا ما أخذنا بتلك الروايات الإسلامية ، فان موقعها لا يتعدى موقع حاصور ، الواقعة في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية والتي أشارت إليها التوراة ، ورغم تأثر تلك الروايات الواضح ، ببعض الخرافات التي نسجت حولها، من واقع تأثرها بالإسرائيليات ، إلا بالأخذ بالقول إن وصول نبوخذ نصر إلى الحجاز أمر مسلمٌ

به ، كما أكدت ذلك بعض النصوص المنسوبة إليه ، والتي يشير فيها إلى توجهه نحو أدوماتو ، في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية .

وعند دراسة العلاقات في عهد الملك نبونيد (٥٥٥-٥٣٩ق.م) فالأمر مختلفاً تماماً ، فقد أشارت نصوصه المتعددة ، والتي عثر عليها الباحثون في كل من بلاد الرافدين ، وفي حران ، وتيماء ، إلى تميز تلك العلاقات بين المنطقتين في عهده ، بشكل واضح ، لا يقبل الافتراضات ، حيث أشارت إلى تحركه من عاصمته بابل، في العام الثالث من حكمه ، نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية وبالتحديد نحو تيماء، على أثر رفض أتباعه تحقيق رؤيا رآها ، لإعادة بناء أحد معابد المعبود (سين) القمر في حران ، فترك بابل ، بعد أن أصابها غضب المعبودات متجهاً نحو تيماء وظل بها قرابة عشر سنوات من حكمه ، ورغم جعله من السبب الديني سبباً رئيسياً في تحركه نحو تيماء ، وهو أمراً غير مستبعد إلا أن من الأهمية بمكان الأخذ في الاعتبار أن هناك أسباب أخرى وراء خروجه إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، أوضحتها الدراسة ، وفي مقدمتها الأسباب الاقتصادية .

هكذا ، فقد تبوأت المنطقة في تلك الحقبة التاريخية ، مكانة اقتصادية كبيرة، مستمدة من سريان خط التجارة الأهم في المنطقة ، خاصة خلال عصر الإمبراطورية البابلية الكلدانية ، خاصة بعد سيطرة الميديين ، على الأطراف الشمالية الشرقية للهضبة الإيرانية ، والفرس الآخمينيين ، على الأطراف الجنوبية الشرقية للهضبة نفسها ، الأمر الذي جعل الطرق الشرقية ، والتي لعبت دوراً بارزاً في الاقتصاد الآشوري ، تفلت من زمام البابليين الكلدانيين ، فحرصوا على تعويض ذلك ، بالطريق العربي القادم نحو موانئ البحر المتوسط من بلاد العرب . ومن هنا كان انطلاق نبونيد نحو شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، حيث تقدم نحوها على ما يبدو بجيش مؤلف من الكلدانيين والسوريين ، بالإضافة إلى اليهود ، الذين ربما صحبوه في رحلته تلك بغية الحصول على بعض الامتيازات

التجارية ، التي كان معظم سكان المنطقة – علاوة على حكامها – يسعون إلى تحقيق ذلك .

وعلى كلٍ ، فقد وضحت الدراسة ، أن نبونيد وصل إلى أدوماتو (دومة الجندل) في العام الثالث من حكمه أي في حوالي سنة ٥٥٢ق.م ، أما وصوله إلى تيماء ، فرغم الخلاف القائم حول تأريخ تقدمه نحوها ، كان في العام الثالث ، أي بعد تقدمه نحو أدوماتو مباشرة ، أو في العام السادس من حكمه حوالي سنة ٥٤٩ ، أو ٥٤٨ق.م ، حيث أشارت نصوصه إلى استقراره فيها ، أو أن استقراره كان في أحد الأعوام التي تقع ما بين الثالث والسادس من حكمه .

هكذا ، فإن من المرجح أن نبونيد تقدم نحو تيماء ، في العام الثالث من حكمه ، و لم يستطيع دخولها ، وربما وجد مقاومة عنيفة منها ، ومن مناطق أخرى ، لم تدونها كتاباته عن توسعاته في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وربما تكون تلك المناطق التي قام باحتلالها فيما بعد ، قد ربما أنزلت به هزائم قبل أن يستقر به الحال ، في تيماء في محاولته الثانية ، والتي قتل فيها ملكها ، وفتك بمواشي أهلها ، ومواشي السكان المجاورين لها ، وبطش بأهلها ، وأستذلهم ، في سبيل تحقيق غايته . وبعد ذلك انطلق في أقاليم شمال غرب شبه الجزيرة العربية (شمال الحجاز) فاتحاً ، حيث غزا ديدان ، ولا يستبعد أن يكون قد أنزل بها مثل ما أنزل بتيماء .، ومن ديدان اتجه جنوباً إلى باداكو (فدك) الحائط حالياً ، وخيبر، ثم (يديع) الحويط حالياً، وواصل تقدمه ذلك ، جنوباً حتى يثريبو (يثرب) المدينة المنورة، وهو أقدم ذكر وصلنا عنها في النص التاريخي .

ولقد أثبتت الأبحاث الأثرية التي عثر عليها الباحثون في تيماء ، على عمق العلاقات التي كانت بين تيماء وبلاد الرافدين في عهد نبونيد ، وعلى إقامة ذلك الملك في تيماء ، وتشييده قصراً بها ، أو معبدا، وربما كان بناءاً ، جمع الصفتين ، كما يستنتج ذلك من كمية الشواهد ، الأثرية ذات الطابع الديني ، الذي عثر عليها داخل ذلك المبنى ، ومن طرازه المعماري ، الذي يعرف به حالياً بقصر

الحمراء ، بالإضافة إلى إقامته أسواراً للمدينة ، واستصلاح أراضيها وإنشائه قنوات للري ، في غاية الدقة . وإلى جانب هذا فقد أثبتت الدراسة ، أن تيماء أصبحت خلال عهده بمكانة عاصمة لبابل ، فكانت تستقبل فيها الوفود الأجنبية، وتعقد على أرضها المعاهدات المختلفة الداخلية والخارجية ، كما حظيت بانتعاش اقتصادي ملحوظ ، حيث كانت تأتي إليها المؤن من بابل ، ومن سوريا .

ولقد ألقت الدراسة الأضواء على إمكانية مغادرة نبونيد لشمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، في العام التاسع من حكمه ، لحضور تشييع جثمان أمه ، كما أشارت إلى ذلك بعض أخباره التي دونتها النصوص ، ولكنه عاد بعدها إلى تيماء ، غير أنه بعد ذلك عاد إلى بابل ، بعد أن أكمل العشر سنوات في تيماء وما حولها .

ورغم ما نقلته المصادر التاريخية المختلفة عن التقدم الحضاري ، لكل من الدولتين الآشورية ، والبابلية الكلدانية إلا أنهما – وفي ضوء المجهر الإسلامي لتفسير التاريخ – كانتا دولتين وقعتا في براثن الكفر ، والانحطاط الفكري ، ولم تكن توسعاتهم تلك التي سعوا في تحقيقها بكل ما أوتوا من قوة ، وبطش بالشعوب المجاورين لهم ، إلا قهراً وغلبه دون غاية أو هدف ، ولم تكن حروبهم تلك وتوسعاتهم إلا لمجرد سلب خيرات الأمم ، واستعباد شعوبها ، ليكونوا أداة طيعة في أيدي حكامها ، دون إحقاق حق ، أو إزهاق باطل وما كان رضوخ تلك الشعوب التي حكموها قهراً إلا التذمر وعدم التواني ، في إظهار عصيانهم ، والمشاركة مع كل ثائر ضدهم ، لم يتحقق لهم من خلالها ديمومة أو استمرارية لدولهم ، فكان خاتمة أمرهم وبالاً ، وصدق الله العظيم القائل في محكم الذكر الحكيم :{ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } سورة الحج ، الآيات : ٤٥-٤٦ .

وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } سورة الروم ، آية : ٩ .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المنطقتين ، شهدتا خلال تلك الحقبة التاريخية موضع البحث ، دعوة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكل من شعيب، وصالح عليهم وعلى رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – أفضل الصلاة وأذكى التسليم . قال تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } سورة النحل ، آية : ٣٦ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

قائمة الاختصارات

ABBREVIATIONS

A A E = Arabian Archqeology and Epigraphy , Printed in Denmark by P.J. Schmidt A/S. Vojens.

A N E T = Prithard, J.B. (eds.) , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, New Jersey , 1969 .

A R A B = Luckenbill, D.D. , Ancient Records of Assyria and Babylonia , 2 vols., Chicago , 1929 .

B A S O R = Bulletin of the American Schools of Oriental Research , New Haven .

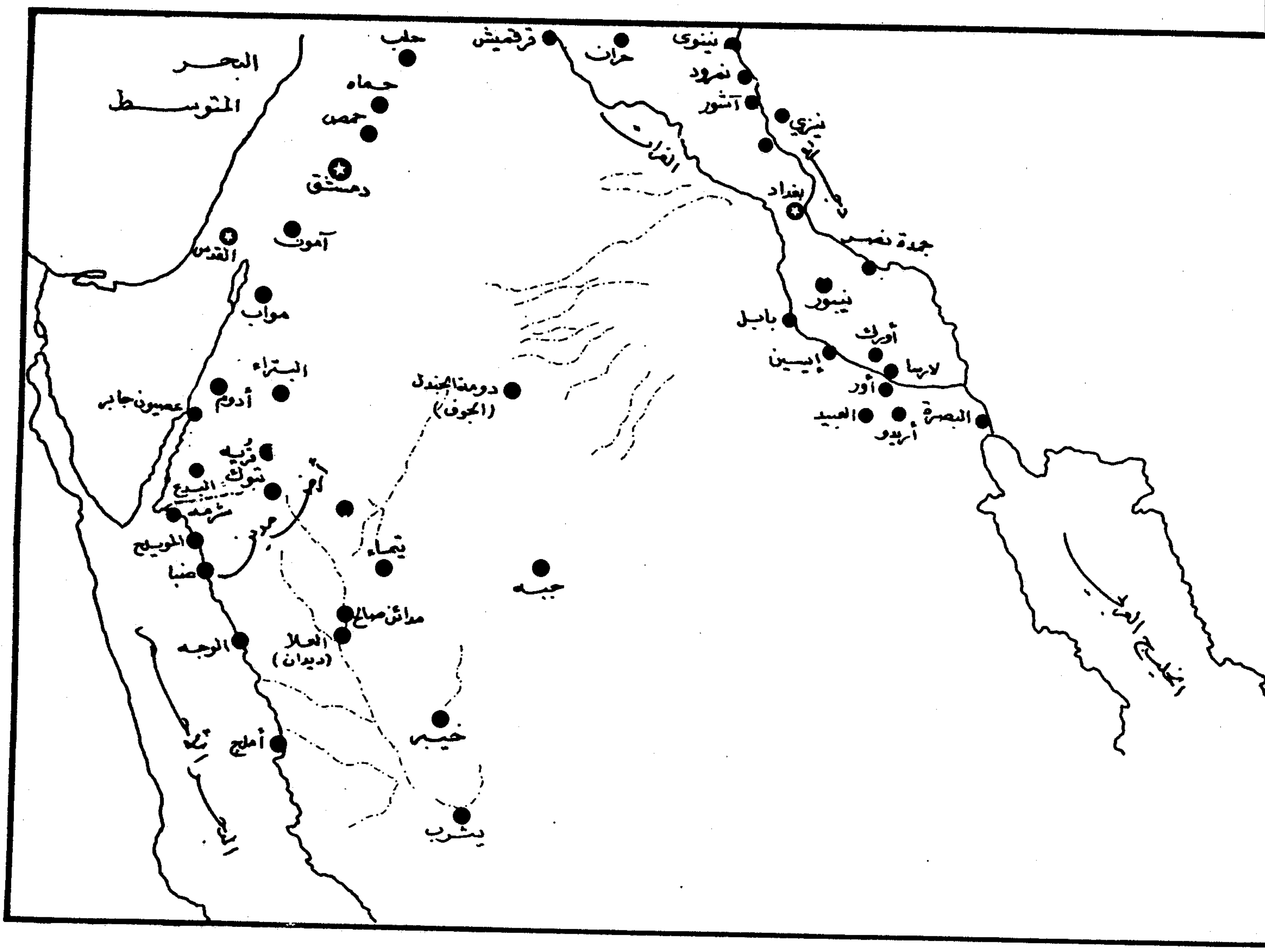
B I F A O = Bulletin de L' Institut Francais d' Archëologie Orientale , Le Caire .

C A H = Cambridge Ancient History , Cambridge .

Z D M G = Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellshaft , Leipzig, Wiesbaden .

M E J = The Middle East Journal .

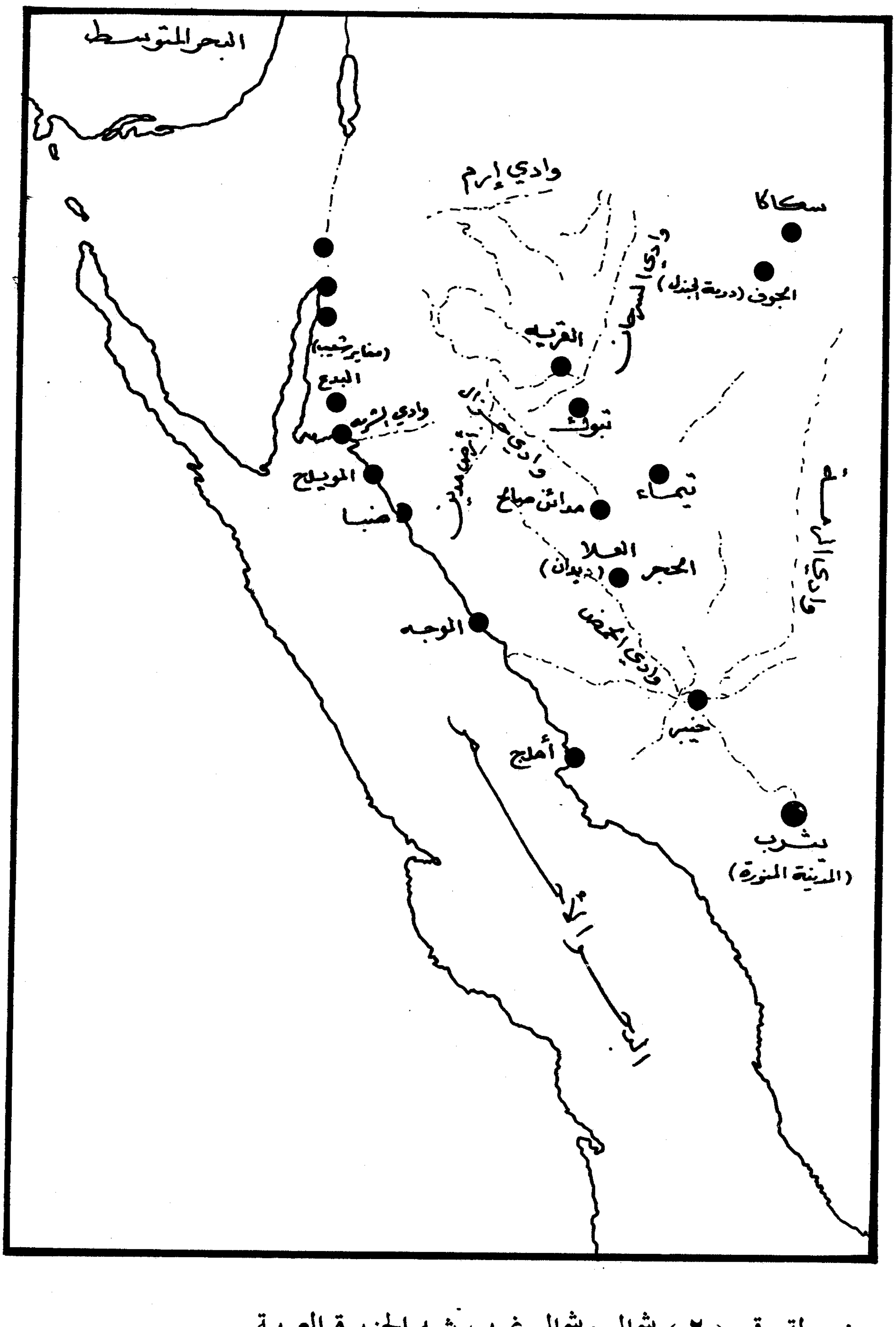
ملحق الخرائط والأشكال



خريطة رقم (١) الشرق الأدنى القديم

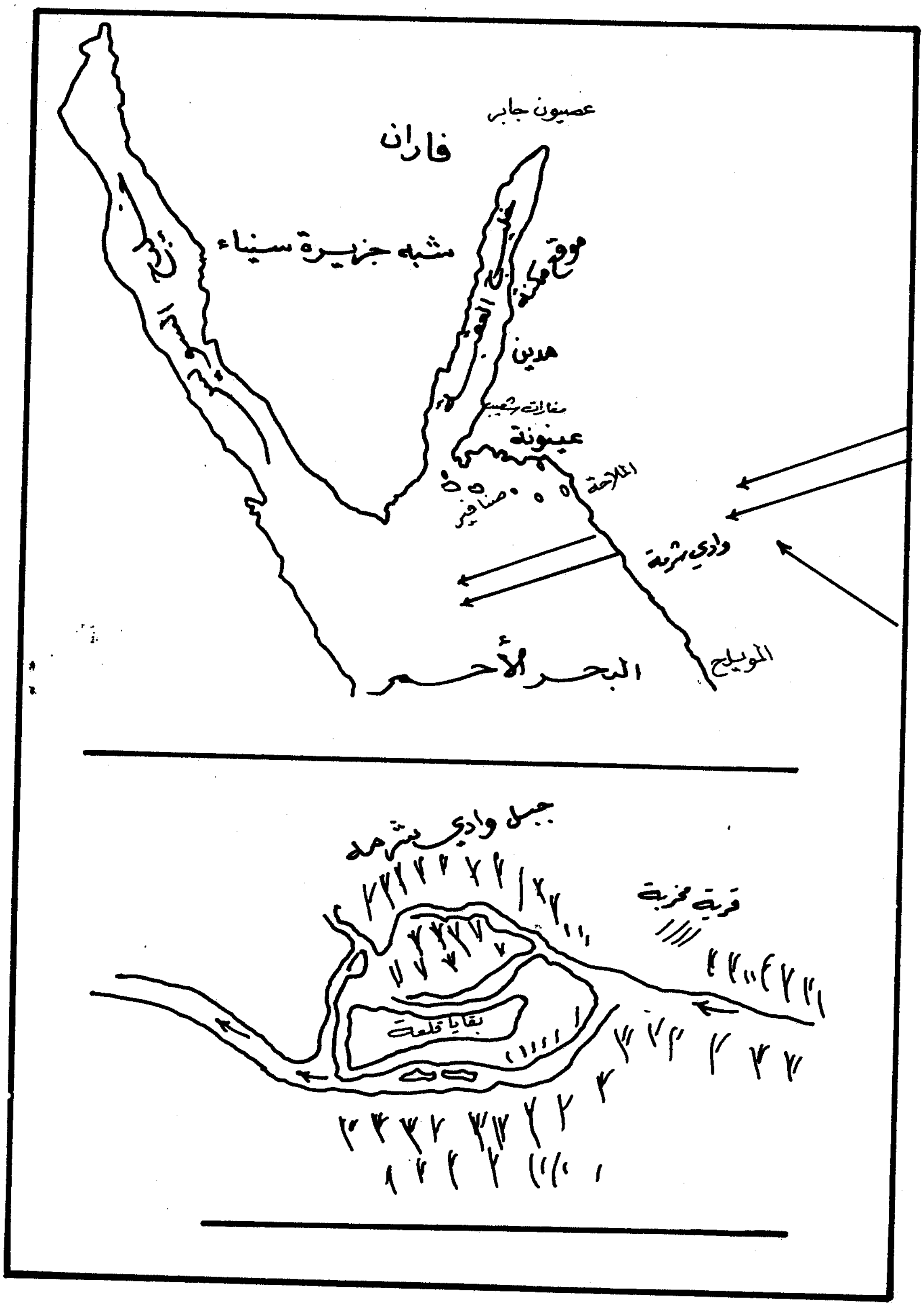
Britannica Atlas .

ومحمد عبد القادر محمد : الساميون .



خريطة رقم (٢) شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية

Britannica Atlas .



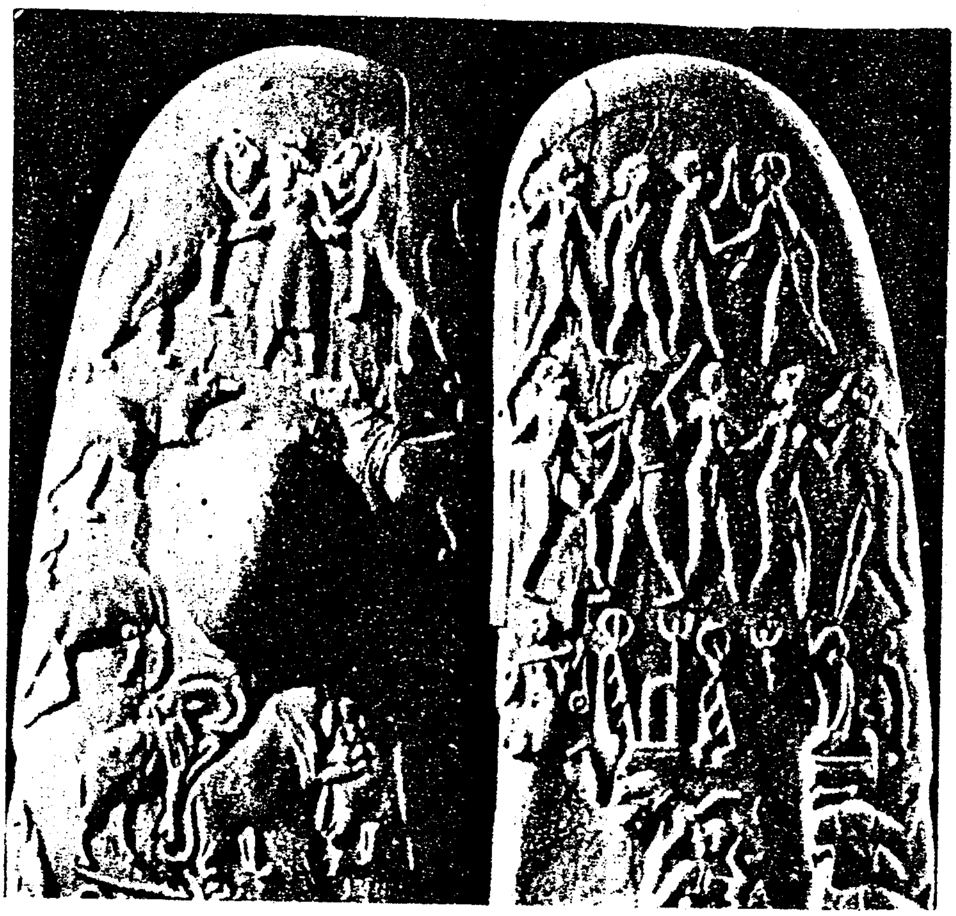
خريطة رقم (٣) الطريق الافتراضي عبر مدين لمصر

رشيد سالم الناضوري : حول أرض مدين من حيث موقعها ودورها التاريخي المبكر



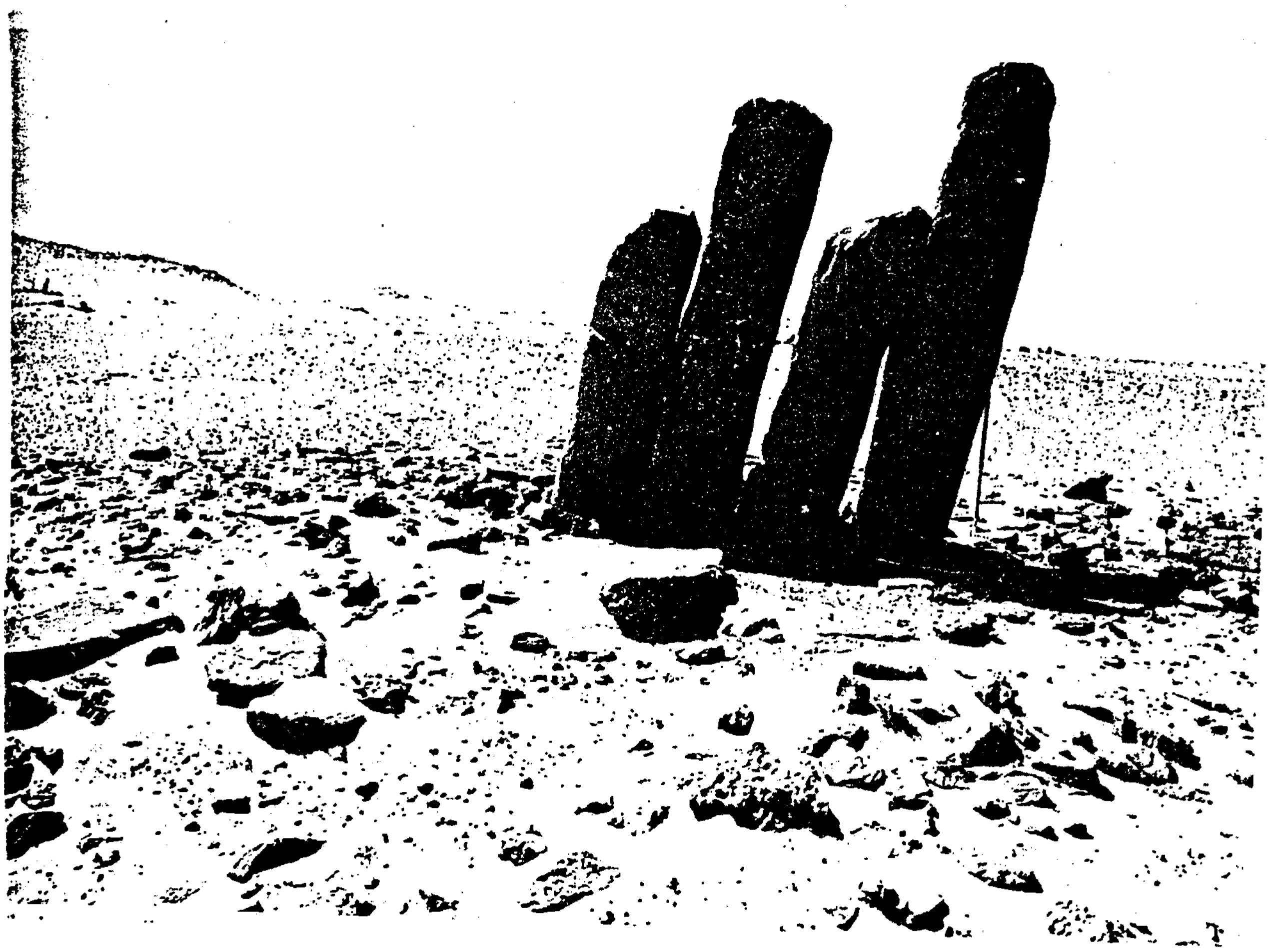
خريطة رقم (٤) أهم الطرق التجارية المارة بشبه الجزيرة العربية

محمد السيد غلاب : التجارة في عصر ما قبل الإسلام .

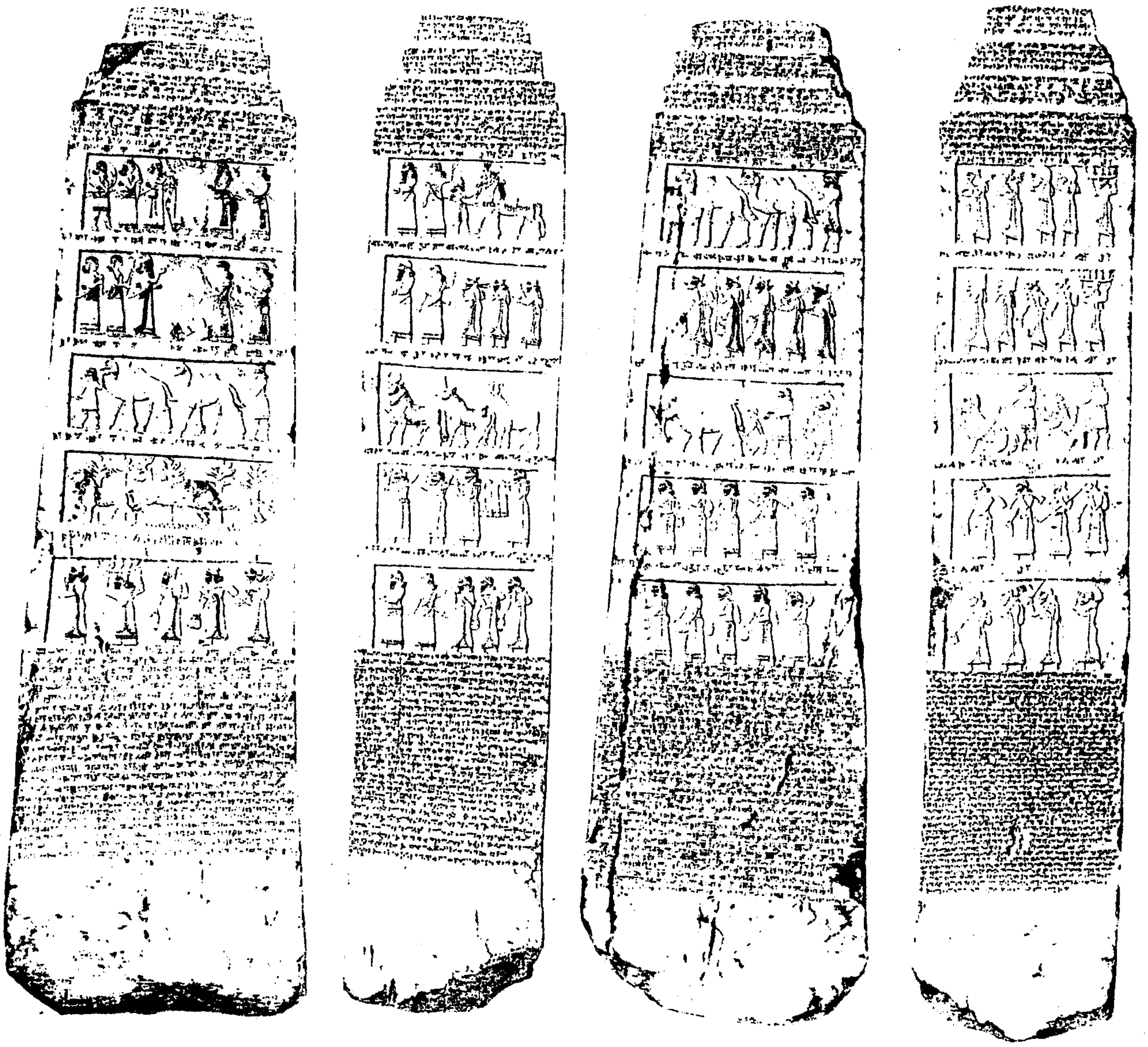


شكل رقم (١) سكين جبل العركي

محمد عبد القادر محمد : العلاقات المصرية العربية القديمة .

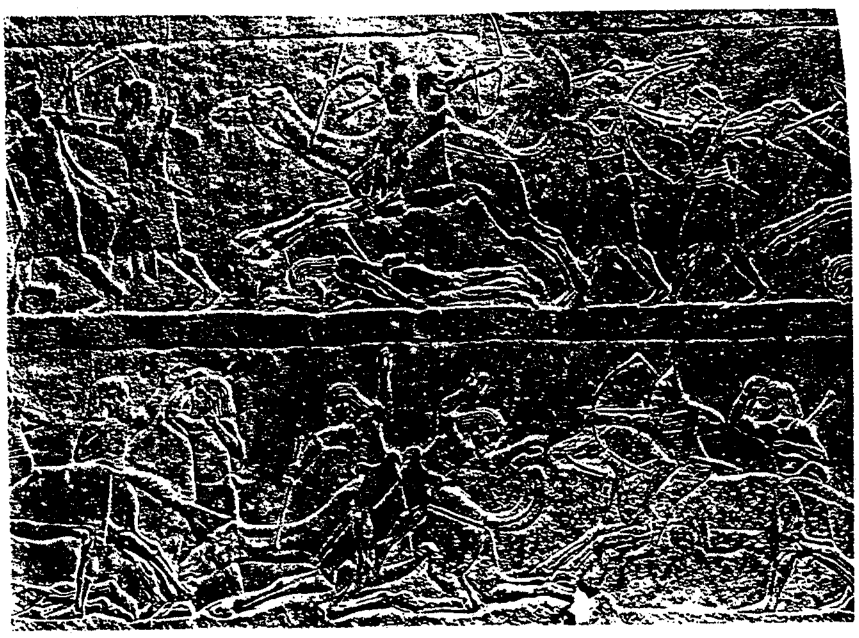


شكل رقم (٢) (منظر) موقع الرجاجيل
أطلال ، العدد (٣) .



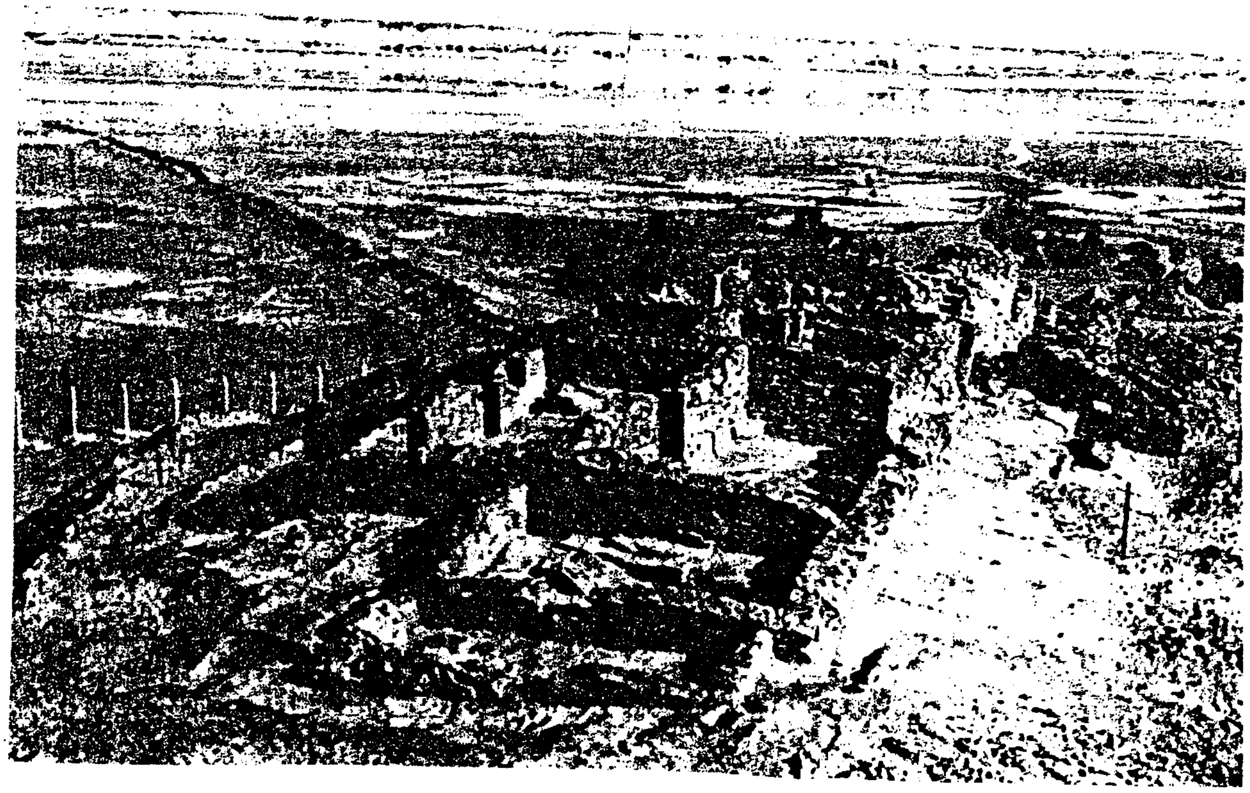
شكل رقم (٣) المسلة السوداء

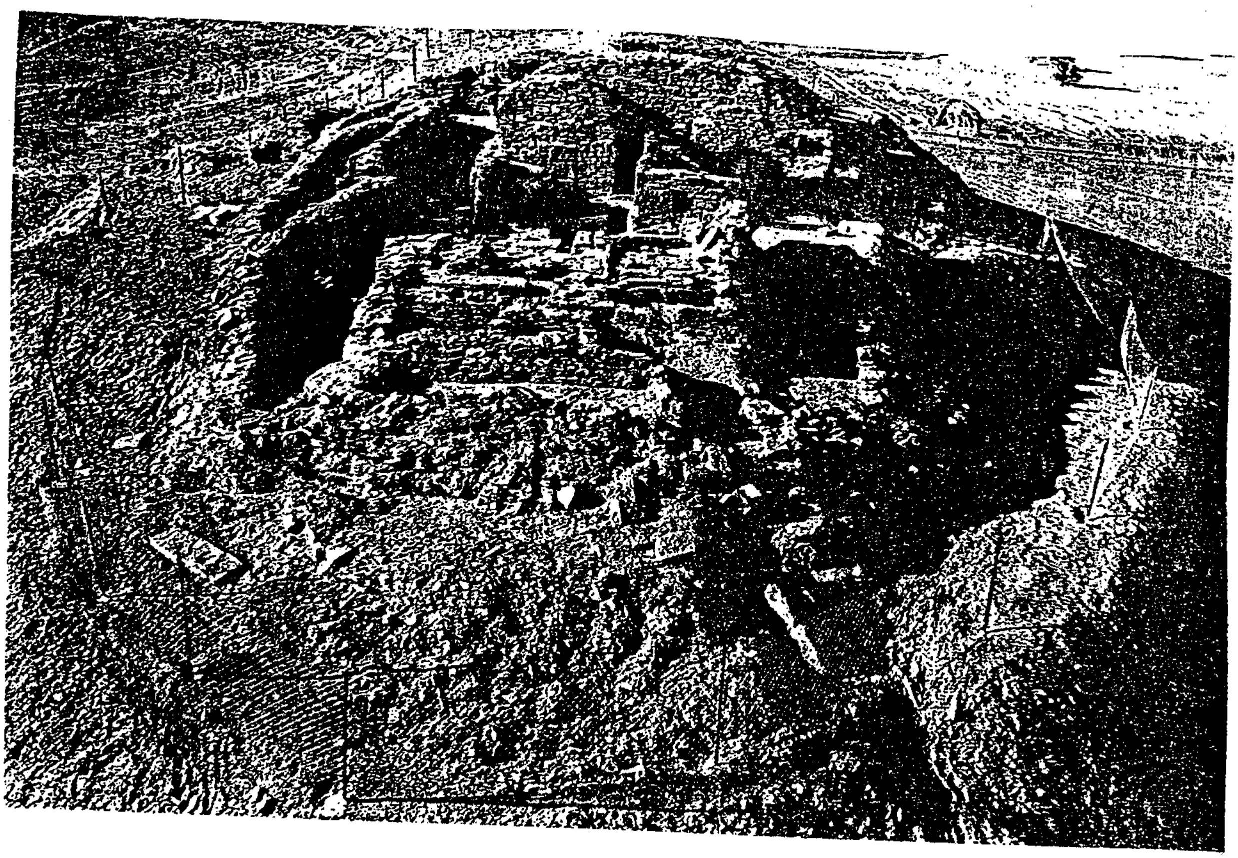
Mitchell. T.C. The Bible in The British Musem .



شكل رقم (٤) العربَ في النقوش الآشورية

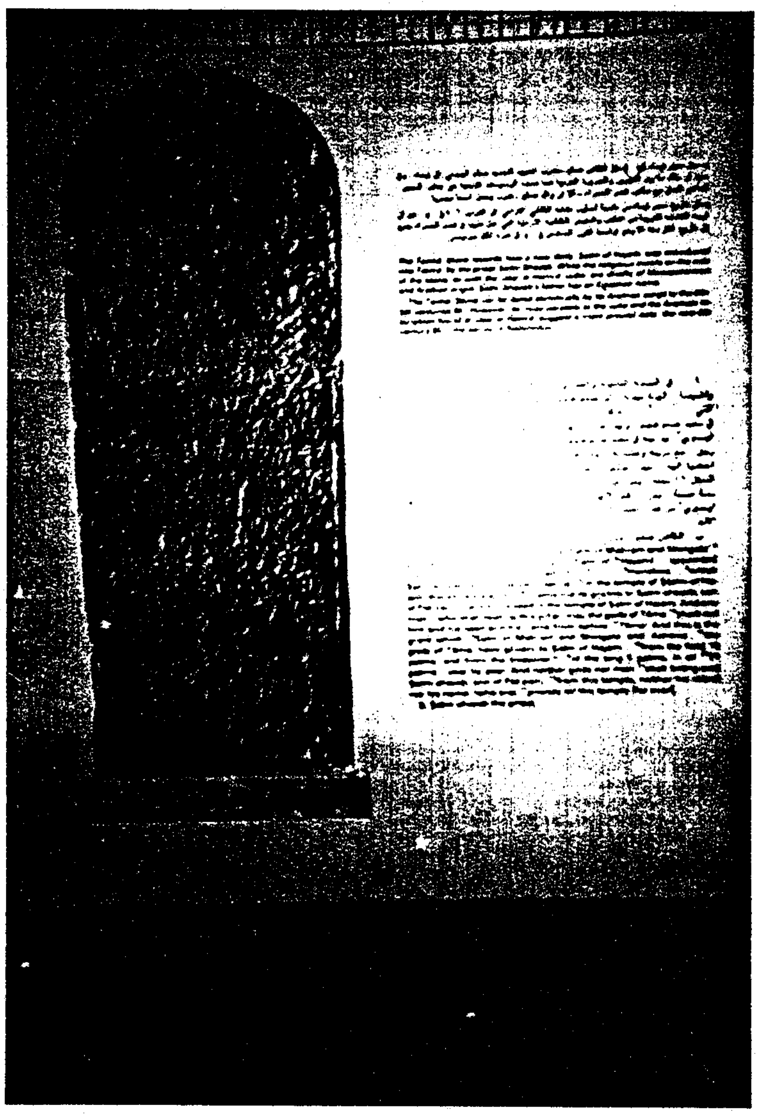
Reade. J. Assyrian Sculpture .





شكل رقم (٥) بعض مناظر قصر الحمراء بتيماء

أطلال ، العدد (١١) .



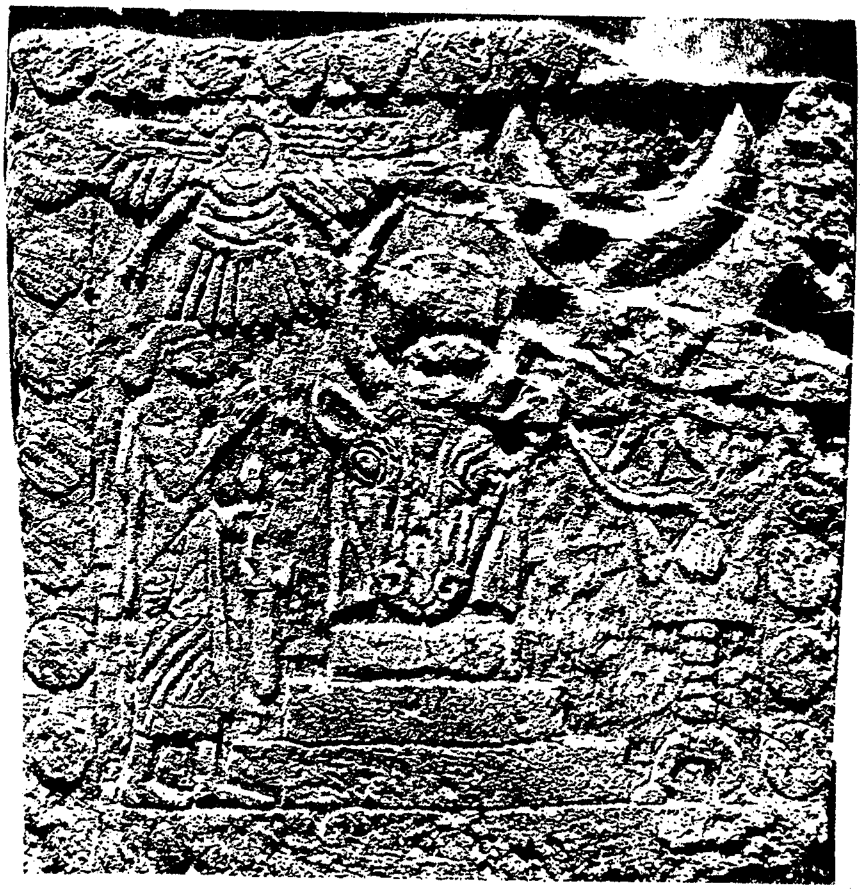
شكل رقم (٦) مسلة تيماء





شكل رقم (٧) لوح تيماء (مسلة تيماء الجديدة)

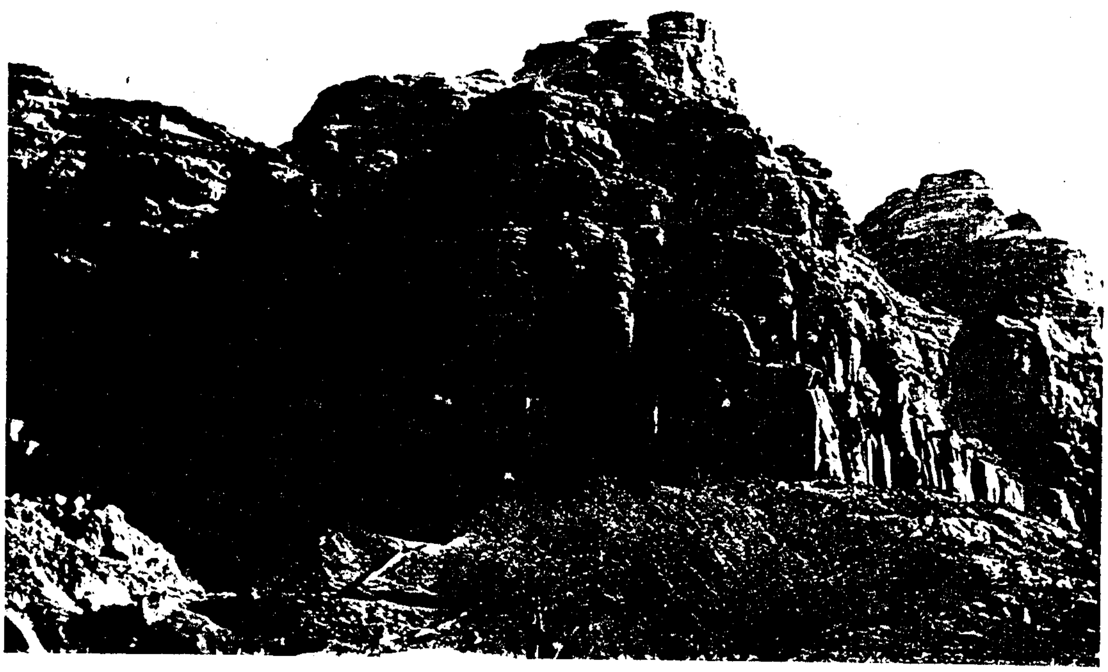
حامد إبراهيم أبو درك : دراسة نقد ومقارنه لبعض المعالم الأثرية في تيماء .



شكل رقم (٨) مكعب تيماء

أطلال ، العدد (٣) .





شكل رقم (٩) منظر للطريق ما بين تيماء ومدائن صالح

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبو الأعلى المودودى :

الحضارة الإسلامية ، أسسها ومبادئها ، دار الأنصار ، القاهرة، بدون تاريخ .

– الجهاد في سبيل الله ، الطبعة السادسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

أحمد أمين :

فجر الإسلام ، الطبعة الثالثة عشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٨٢م .

أحمد أمين سليم :

في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (مصر – وسورية – القديمة) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

– دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، (مصر – العراق – إيران) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

– في تاريخ الشرق الأدنى القديم ،(العراق – إيران – آسيا الصغرى) ، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٩٠م .

أحمد حسين شرف الدين :

اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطابع الفرذدق التجارية ، الرياض، ١٤٠٥هـ .

أحمد شلبي :

موسوعة الحضارة والنظم الإسلامية ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٨٠م .

– مقارنة الأديان ، الجزء الثالث ، " الإسلام " ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٨٥م .

أحمد عطية رمضان :

فلسفة التاريخ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

أحمد فخري :

دراسات في تاريخ الشرق القديم ، (مصر - العراق - سوريا- اليمن - إيران)، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٨٤م .

أحمد كسناوي وآخرون :

" تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة (شمال غرب الحجاز) ١٤٠٢هـ " ، أطلال ، العدد السابع ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

أحمد محمود صابون :

"دراسة تاريخية لمشكلة تحديد ماجان وملوخا "، مركز بحوث الشرق الأوسط ، العدد ١٦٧ ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

-" حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز " ،مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، المجلد الثاني والأربعين ، ١٩٩٤/١٩٩٥م .

أحمد محمود صبحي ،

في فلسفة التاريخ ،الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٤م.

إسرائيل ولفستون :

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٢٤م .

- تاريخ اللغات السامية ، الطبعة الأولى ،دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠م .

ابن الأثير ، على بن أبي الكرم (عز الدين بن الأثير) :

الكامل في التاريخ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ .

ابو داود ، سليمان ابن الأشعث:

السنن ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، بدون تاريخ .

البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم :

الصحيح ، بحاشية السندي ، المكتب الثقافي ، ودار أحياء الكتب العلمية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز :

معجم ما أستعجم ، الجزء الأول ،تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

تقي الدين الدباغ :

" العراق في عصور ما قبل التاريخ " ، العراق في التاريخ ، بغداد ،١٩٨٣م .

توفيق برو :

تاريخ العرب القديم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ .

توفيق سليمان :

دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة منذ أقدم العصور وحتى عام ١١٩٠ ق.م ، الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام ، الطبعة الأولى ، دار دمشق ، ١٩٨٥م .

ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم :

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، دار الحديث، القاهرة ، بدون تاريخ .

- مجموع الفتاوى ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، دار المساحة العسكرية، القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

التوراة.

جبرا إبراهيم جبرا :

" بلاد العرب من جغرافية سترابون " ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، ١٣٧١هـ .

جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت :

الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٦هـ .

- منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا وكيف ، الطبعة الأولى، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٦هـ .

- تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها وحتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ١٤١١هـ .

جميل عبد الله محمد المصري :

الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ، "زمن الدولة الأموية "، دار أم القرى ، عمان، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

– " في الحضارة الإسلامية " ، مجلة المنهل ، المجلد الثاني والخمسين ، العدد ٤٨٥ ، جماد الآخر ، ١٤١١هـ .

– " الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين "، مجلة المنهل ، المجلد الخمسين ، العدد ٤٧١ ، رمضان وشوال ، ١٤٠٩هـ .

جواد علي :

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٧٦م .

– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

الجوهري ، إسماعيل بن حماد:

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،مجلدان ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ .

حامد إبراهيم أبو درك :

دراسة نقد ومقارنة لبعض المعالم الأثرية في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال نتائج الاستكشافات الأثرية، الطبعة الأولى ، الإدارة العامة للآثار ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .

–" تقرير مبدئي عن حفريات موقع الصناعية بتيماء الموسم الأول ١٤٠٨هـ" ، أطلال، العدد الثاني عشر ، الرياض ، ١٤١٠هـ .

حامد إبراهيم أبو درك وعبد الجواد مراد :

" تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء الموسم الثاني ١٤٠٤هـ " ، أطلال، العدد التاسع، الرياض ، ١٤٠٥هـ .

– " تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء الموسم الثالث ١٤٠٥هـ " ، أطلال ، العدد العاشر ، الرياض، ١٤٠٦هـ.

– " تقرير مبدئي عن التنقيبات بقصر الحمراء بتيماء الموسم الرابع والأخير ١٤٠٦هـ"، أطلال ، العدد الحادي عشر ، الرياض ، ١٤٠٩هـ .

حسن أيوب :

الجهاد والفدائية في الإســـلام ، الطبعـــة الثانيـــة ، دار النـــدوة الجديـــدة ، بـــيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

حسن حده :

الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب " العموريين "، الطبعة الثانيـــة، مطبعة اليازجي ، دمشق ، ١٩٩٦م .

حسن ظاظا :

اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق،١٤١٠هـ .

– الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية ،١٩٧١م

حسن عثمان :

منهج البحث التاريخي ، الطبعة الرابعة دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ .

حسن عون :

العراق وما تولى عليه من حضارات ، الطبعة الثانية ، مطبعـــة رويـــال ، الإســـكندرية ، ١٩٥٢م .

حسين حمزة بندقجي :

جغرافية المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ، جده ، ١٤٠١ .

حسين مؤنس :

التاريخ والمؤرخون ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

حسين يوسف موه وعبد الفتاح الصعيدي :

الإفصاح في فقه اللغة، الجزء الثاني "باب الإبل" دار الفكر العربي القاهرة ، بدون تاريخ .

حمد الجاسر :

في شمال غرب الجزيرة،الطبعة الثانية، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٧٠م .

الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله :

معجم البلدان ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

حمود بن ضاوي القثامي :

شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، الجزء الأول " الآثار " ، دار البيـــان العـــربي ، جدة، ١٤٠٥هـ .

ابن حنبل ، أحمد بن محمد الشيباني :

المسند ،بشرح أحمد محمد شاكر الجزء الثامن ، الطبعة الثانية، ١٩٥٠م .

– الجزء السادس طبعة ١٩٤٨م . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٦٨هـ .

خالد العسلي :

" الإعراب في النقوش العربية الجنوبية " مجلة العرب ، الجزء الخامس ، كـانون الثـاني ، ١٩٧١م .

خالد الدسوقي :

" قوم ثمود بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش "، مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية، جامعة الملك سعود ، العدد السادس ، الرياض ، ١٩٧٦م .

خالد عبد العزيز الدايل :

" التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م "، أطـلال، العدد العاشر ، الرياض، ١٤٠٦هـ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد :

المقدمة ، مؤسسة الأعلم للمطبوعات ، بيروت، بدون تاريخ .

– العبر وديوان المبتدء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومـن عـاصرهم مـن ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

الدميري ، كمال الدين :

حياة الحيوان ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

الدينورى ، أبو حنيفة :

الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، الطبعة الأولى ، دار أحياء الكتـب العربيـة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

رشيد سالم الناضوري :

جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، مرحلة التكوين والتشكيل الحضـاري والسياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٧٥م.

- جنوب غربي آسيا وشمال أفريقية ، الكتاب الثالث ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦م.

- "حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

رضا جواد الهاشمي :

" مردوك عظيم آلهة بابل " ، المورد ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، بغداد ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م .

- "العرب في ضوء المصادر المسمارية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثاني والعشرين ، ١٩٧٨م .

- " تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ملحق العدد الثالث والعشرين ، ١٩٧٨م .

الزبيدى ، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف :

مختصر صحيح البخاري ، المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، تحقيق إبراهيم بركة وأحمد عرموس ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

زهير أحمد القيسي :

" أقدم ذكر العرب في مدونات ما بين النهرين "، مجلة ما بين النهرين ،العدد السادس عشر ، ١٩٧٦م .

سامي سعيد الأحمد :

" العصر البابلي القديم " ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م .

- السومريون وتراثهم الحضاري ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٥م .

- " الدولة الكلدانية زمن نبوبلاصر ونبوخذ نصر " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد التاسع والعشرين ، السنة الثانية عشر ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

- " العراق في كتابات اليونان والرومان " ، مجلة سومر ، الجزأين الأول والثاني، المجلد السادس والعشرين ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

السخاوى ، شمس الدين محمد عبد الرحمن :

التوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ .

ابن سعد ، محمد :

الطبقات الكبرى ، الجزء الأول ، طبعة دار التحرير ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

سعد زغلول عبد الحميد :

في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ .

سليمان أبو غوش :

"كلمات إنجليزية من أصل عربي"، مجلة مرآة الأمة ، الكويت ، العدد السابع، ١٩٧٤م .

سليمان الخطيب :

أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

سليمان سعدون البدر :

منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ، الكويت ، ١٩٧٦م .

سيد أحمد على الناصري :

تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهللستيني ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

سيد قطب :

مقومات التصور الإسلامي، الطبعة الرابعة ،دار الشروق، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

- معالم في الطريق ، دار الشروق ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- في التاريخ فكرة ومنهاج ، الطبعة السادسة ،دار الشروق ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- في ظلال القران، الطبعة الحادية عشر ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

السيوطى ، جلال الدين :

أسماء الجبال والبقاع في القران الكريم ، تحقيق محمد عبد الرحيم ، دار الأنوار، دمشق ، ١٩٩٦م .

الشريف الإدريس :

" جزيرة العرب من نزهة المشتاق " ، تحقيق إبراهيم شوكة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الحادي والعشرون ، ١٣٩١هـ .

شفيق علام :

" بعض العوامل الحضارية التي وصلت مصر من البلاد الشرقية في عصر فجر التاريخ"، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،الكتاب الثاني،جامعة الملك سعود،الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

شوقي أبو خليل :

موضوعات فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب المطول ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق، ١٤٠٦هـ .

صالح موسى درادكة :

بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار شيرين ، عمان ،١٤٠٨هـ .

الأصفهاني ، حمزة بن الحسن :

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

صبحي أنور رشيد :

" العلاقات بين وادي الرافدين وتيماء " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ،١٣٩٩هـ /١٩٧٩م ،الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

– " دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء " ، مجلة سومر ، الجزأين الأول والثاني، المجلد التاسع والعشرين ، بغداد ، ١٩٧٣م .

صلاح عبد القادر البكري :

جغرافية البلاد العربية ، الطبعة الثانية ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٣٧٥هـ .

الطبري ، محمد بن جرير :

تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

طه باقر :

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في حضارة وادي الرافدين)، الطبعة الثانية ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

عاتق بن غيث البلادي :

معجم معالم الحجاز، الطبعة الأولى ، نادى الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ .

عامر سليمان :

"العصر الآشوري" ، العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م .

– " حضارة العراق " ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥م .

عباس محمود العقاد :

إبراهيم أبو الأنبياء ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .

عبد الله حسن المصري :

" ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

– " آثار الاستيطان البشرى في المملكة العربية السعودية "، أطلال ، العدد الأول ، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

عبد الله يوسف الغنيم :

أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة ، الكويت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

عبد الحميد زايد :

الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

عبد الحليم عويس :

تفسير التاريخ علم إسلامي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ.

عبد الحليم محمود :

الجهاد في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

عبد الرحمن صادق الشريف :

جغرافية المملكة العربية السعودية ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

عبد الرحمن الطيب الأنصاري :

" لمحات عن بعض المدن القديمة في شمالي غربي الجزيرة العربية "، مجلة الدارة ، العدد الأول، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

عبد الرحمن بن عطا آل كراع :

هدية الأصحاب في جواهر انساب منطقة الجوف ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، المطابع الأهلية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .

عبد الرحمن كباوي ، وآخرون :

" حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الرابع ١٤٠٨هـ " ، أطلال ، العدد الثاني عشر ، الرياض ، ١٤١٠هـ .

– " تقرير مبدئي من المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية ١٤٠٥هـ " ، أطلال ، العدد العاشر ، ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .

عبد العزيز صالح :

تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، بدون تاريخ .

– الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

عبد القدوس الأنصاري :

بين التاريخ والآثار ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٩م .

عبد المحسن الحسيني :

"الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٢/١٩٥٣م .

عبد المنعم عبد الحليم سيد :
" الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، الكتاب الأول ، الجزء الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- "الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام "، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

عبد المنعم ماجد :
التاريخ السياسي للدولة العربية ، عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين ، الطبعة السابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

عبد الوهاب النجار :
قصص الأنبياء ، القاهرة ، بدون تاريخ .

عدنان الحديدى :
" الحاجة إلى مسح شامل في مناطق شمال الجزيرة العربية " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

علي أبو عساف :
الآراميون ، دار أماني ، سورية ، ١٩٨٨م .

علي حسن :
الموجز في علم الآثار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

علي سامي النشار :
شهداء الإسلام في عهد النبوة ، الطبعة السابعة ، المكتبة الأدبية ، حلب ، ١٩٧٩م .

عماد الدين خليل :
التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م .

عمر الفاروق السيد رجب :

الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (أرضه وسكانه) ، دراسات ايكلولوجية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، جده ، ١٣٩٩هـ .

عمر فروخ :

تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤م .

– العرب في حضارتهم وثقافتهم ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م .

– الإسلام والتاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

فاضل عبد الواحد على :

" السومريون والأكاديون " ، العراق في التاريخ ، بغداد ١٩٨٣م .

فراس السواح :

الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم ، دار علاء الدين ، دمشق ، بدون تاريخ .

فؤاد حمزة :

قلب جزيرة العرب ، الطبعة الثانية ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ١٣٨٨هـ .

فيصل الوائلى :

"تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية (٨٥٣-٦٣٠ ق.م) " ، جامعة الكويت، الذكرى والتاريخ ، ١٩٧٨م .

القرطبي ، شمس الدين محمد بن أحمد :

الجامع لأحكام القران الكريم ، الجزء ين الأول والثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفدا العربي، القاهرة ، ١٩٨٩م .

– الجزء السابع ، الطبعة الأولى،دار الفدا العربي ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

القرمانى ، أحمد بن يوسف :

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، عالم الكتاب ، بيروت .

القشيرى ، مسلم بن حجاج :

الصحيح ، بحاشية النووى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

الكافيجى ، محمد بن سليمان :

المختصر في علم التاريخ ، عن كتاب التاريخ عند المسلمين ، مكتبة المتنبى ، بغداد،بـدون تاريخ .

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل :

البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، الجيزة ، بدون تاريخ .

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل :

تفسير القران العظيم ،القاهرة ، بدون تاريخ .

لطفي عبد الوهاب يحي :

العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٧٩م .

– " الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، الكتاب الأول ، الجزء الأول، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

– " الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

محمد أبو المحاسن عصفور :

معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم .من أقدم العصور وحتى مجيء الإسكندر ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

محمد بيومي مهران :

دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء السابع ،"إسرائيل (التاريخ)"، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ /١٩٧٩م .

– دراسات في تاريخ العرب القديم ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

– دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، أولا في بلاد العرب ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

– مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء العاشر ، تاريخ العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

– مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، " مصر " ، الطبعة الرابعة ، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

– " الساميون والآراء التي ذكرت حول موطنهم الأصلي " ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، العدد الرابع ، الرياض ، ١٣٩٥هـ /١٩٨٥م .

– " العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد السادس ، الرياض ، ١٩٧٥م .

محمد رشاد خليل :

المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، الطبعة الأولى ، دار المنار ، القاهرة، ١٤٠٤هـ .

محمد حسين الذهبي :

الإسرائيليات في التفسير والحديث، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبه، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

محمد حسين على الصغير :

تاريخ القرآن ، الدار العالمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

محمد حسين هيكل :

حياة محمد ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

محمد خليفة حسن أحمد :

دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

محمد السيد غلاب :

"التجارة في عصر ما قبل الإسلام " ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام ،١٣٩٩هـ /١٩٧٩م ،الكتاب الثاني ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

محمد شديد :

الجهاد في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

محمد بن صامل السلمي :

منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٨هـ .

محمد عبد اللطيف محمد علي :

تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، مطبعة كرموز ، الإسكندرية ، ١٩٧٧م .

محمد عبد القادر محمد :

" العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة " ، الندوة العالمية الأولى لدراسات الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، الكتاب الأول ، الجزء الأول ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

– الساميون في عصورهم القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٦٨م .

محمد على الصابوني :

النبوة والأنبياء ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

محمد قطب :

حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، الطبعة الأولى، المجموعة الإعلامية، الرياض ١٤٠٨هـ .

– كيف نكتب التاريخ الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

– مذاهب فكرية معاصرة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ .

– مفاهيم ينبغي أن تصحح ، الطبعة السابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٢هـ .

محمد مبروك نافع :

تاريخ العرب " عصر ما قبل التاريخ " ، القاهرة ،١٩٥٢م .

محمود شاكر :

التاريخ الإسلامي ، الجزء الأول ، قبل البعثة ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٥م .

– شبه الجزيرة العربية " الحجاز " ، المكتب الإسلامي ، عمان ، بدون تاريخ .

محمود شكري الألوسى البغدادى :

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرح وتعليق محمد بهجة الأثرى ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

محمود طه أبو العلا :

جغرافية شبه جزيرة العرب ، الجزء الثاني (جغرافية المملكة العربية السعودية) الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

– جغرافية شبه الجزيرة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

محمود عبد الحميد أحمد :

الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر ، الطبعة الأولى ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨م .

المسعودي ، علي بن الحسين :

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

مصطفى أبو ضيف أحمد :

دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل الإسلام إلى ظهور الأمويين ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٨٣م .

مصطفى العبادي :

محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة كريديه أخوان، بيروت ، بدون تاريخ.

المعجم الوسيط :

مجمع اللغة العربية ، المجلد الثاني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ.

المقدسي ، مظهر بن طاهر :

أحسن التقاسيم ، طبعة ليدن ، ١٩٠٦م .

– البدء والتاريخ ، مكتبة المتنبي ، بغداد ،طبعة باريس ، ١٩٠٣م .

المنذرى ، زكى الدين عبد العظيم :

مختصر صحيح مسلم ، تحقيق ناصر الدين الألبانى ، الطبعة السادسة ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

منير محمد الغضبان :

المسيرة الإسلامية للتاريخ، الطبعة الثانية ، دار الفرقان ، عمان ،١٤٠٢هـ .

نبيه عاقل :

تاريخ العرب القديم في عصر الرسول ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م .

نجيب ميخائيل إبراهيم :

مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الخامس ، الإسكندرية ، ١٩٦٣م .

نديم مرعشلي :

الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م .

النصيبي ، أبي القاسم بن حوقل :

صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

نسيب وهيبة الخازن :

من الساميين إلى العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ، ١٩٧٩م .

هتون اجواد الفاسي :

الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية ، في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي ، الرياض ،١٤١٤هـ .

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافرى :

السيرة النبوية ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الهمدانى ، الحسن بن أحمد بن يعقوب :

صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، الطبعة الثالثة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

- الأكليل ، تحقيق نبيه أمين فارس ، الجزء الثامن، دار العودة، بيروت ، بدون تاريخ .

يوسف القرضاوي :

المدخل لدراسة السنة النبوية، الطبعة الثانية، مكتبة وهبه ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

المراجـــع المترجمـــة إلى العربيـــة :

السير ليفجستون وآخرون :

" تيماء مجسات حديثة ونصوص منقوشة جديدة ١٤٠٢هـ " ، أطلال ، العدد السابع ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

– " حصر وتسجيل النقوش الصخرية ١٤٠٤هـ " ، أطلال ، العدد التاسع ، الرياض، ١٤٠٥هـ .

أنطون مورتكات :

تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون ، بدون تاريخ .

الويس موسيل :

شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ، ترجمة عبد المحسن الحسيني ، مطابع رمسيس ، الإسكندرية ، ١٩٥٢م .

برينتس ديجوس وآخرون :

" تقرير مبدئي عن مسح مناطق التعدين القديمة ١٤٠١هـ " ، أطلال ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

بيتر بار وآخرون :

"التقرير المبدئي عن المرحلة الثانية لمسح المنطقة الشمالية ١٣٩٧هـ "، أطلال، العدد الثاني ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .

جورث بودن وآخرون:

" التنقيبات الأولية في آثار تيماء ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م " ، أطلال ، العدد الرابع ، الرياض، ١٤١٠هـ .

جورث بودن :

" آخر نتائج محاولات التأريخ بالكربون المشع لآثار تيماء ١٤٠١هـ " ، أطلال، العدد الخامس ، الرياض ، ١٤٠١.

جورج رو :

العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد بدون تاريخ .

جورج سارتون :

تاريخ العالم ، ترجمة طه باقر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

جورج فاضلو حوران :

العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة يعقوب بكر ، مراجعة يحي الخشاب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

جورج كونتينو :

الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتي ، الطبعة الثانية ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

جيمس هنرى برستد :

انتصار الحضارة " تاريخ الشرق القديم " ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،١٩٦٦ م.

دانيل بوتس وآخرون :

"التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشرقية ١٣٩٧هـ " ، أطلال ، العدد الثاني ، الرياض ، ١٣٩٨هـ .

ديتلف نيلسن وآخرون :

التاريخ العربي القديم ، ترجمة فؤاد حسنين على ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

روبرت ادامز وآخرون :

" الاستكشاف الأثرى للملكة العربية السعودية تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل مقدمة لمسح المنطقة الشمالية والشرقية ١٣٩٦هـ "، أطلال ، العدد الأول، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

سبتينو موسكاتى :

الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الرقى ، بيروت ، ١٩٨٦م .

سيتون لويد :

آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم وحتى الغزو الفارسي ، ترجمة محمد طلب، الطبعة الأولى ، دار دمشق ، ١٩٩٣/١٩٩٢م .

فيليب حتى :
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، الجـــزء الأول، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧م .
– تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، الجزء الثـاني، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨م .
– تاريخ العرب المطول، ترجمة محمد مبروك نافع ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٥٢م .
ليو اوبنهايم :
بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدى فيضى عبد الرزاق ، الطبعة الثانيـــة ، وزارة الثقافـــة والإعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٨٦ .
ليونارد كوتريل :
الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف ٤٨ عالماً أثرياً ، ترجمة محمد عبد القادر محمـــد وزكـــى اسكندر ، مراجعة عبد المنعم بكر ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
م. ب.لارس :
" آشور القديمة والتجارة الدولية " مجلة سومر ، المجلد الخامس والثلاثون ، ١٩٧٦م .
مايكل إنجراهم وآخرون :
" التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية مع لمحة عن مسح المنطقة الشـــمالية"، أطلال ، العدد الخامس ، الرياض ، ١٤٠١هـــ .
مايكل جيلمور وآخرون :
" تقرير مبدئي عن استكمال مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ١٤٠١هــــــ "، أطلال ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هــ
هـــ.ج.ويلز :
موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة محمد مأمون نجاة ، مكتبـــة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

و.ل.ديورانت :
نشأة الحضارة ، ترجمة زكى نجيب محمود ، ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
– قصة الحضارة ، ترجمة زكى نجيب محمود ، الطبعة الرابعة ، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مطابع النحوى ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
ي.ا.بلياييف :
العرب والإسلام والخلافة العربية،ترجمة أنيس فريحة،الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
يوريس زارينس :
"الرجاجيل موقع فريد من الألف الرابع ق.م"، أطلال،العدد الثالث،الرياض، ١٣٩٩هـ.

BIBLIOGRAPHY

Albright. W.F.,

"The chalidaean Inscriptions in Proto-Arabic Script", BASOR, 128,1952 .

Bawden. G.,

" Painted Pottery of Tayma and Problems of Cultural Chrovology in North West Arabia " , in Midina Moab and Edom , (eds.) ,1983 .

Belgrave. J. H.D.,

Central Arabia , vol.I, London , 1966 .

Bothenberg .B. & Glass . J.,

" The Midianite Pottery " in Midian Moab and Edom, (eds.) , 1983 .

Caetani. L.,

Arabia Preistoriea Epessi Camento Della Terra Studi Distaria Aarientale , vol.I, Milan , 1911 .

Cooke. G. A.,

AText Book of north-semitic Inscriptions , Mobite-Hebrew-Phoenican-Aramaic-Nabataean-Palmyrene-Jewish ,Oxford ,1903 .

-"Archacolgical Material in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia ,1977/1397,Riyadh ", vol.I , Part I , 1979/1399 .

Cook. S.A.,

" Israel and The Neighbouring States ", C A H ,Vol 111,.

Dostal. W.,

"The Development of Bedouni Life in Arabia . Seen from Archaeological Material ", in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia " , 1977/1397 , Riyadh , vol. I , Part I , 1979/1399 .

Doughty. C. M.,

Documents epi Graphiques Recueillis Dans le Nord D. Arabie , Paris , 1884 .

Dougherty. R.P.,

Records From Erech Time Of Nabonidus, New York , 1920 .

-Archives from Erech at The Time of Nebuchadnezzar and Nabonidas , Nw York , 1923 .

- Nabonidus and Bilshazzr , New Havevn , 1929 .

- The Sealand of Ancient Arabia, London , 1932 .

Ebeling , E. und Meissner , B .,

Reallexikon der Assyriologie , Erster Band., Berlin und Leipzig , 1928

EL-saady.H ;

" Naboidus in Arabia ": Areassessement , in : Publication of the Archaeologecal Institute in Alexandria ,1997.

The Encyclopedia. Americana , Vol 5 , New York, 1948 .

Encyclopedia Collier's .

Ernest. M.,

Die Assur Texte Salmanssars III ," Die Weit", (des.) , Orients ,1947 .

Euting. J.,

Tagebuch einer Reise in Inner – Arabien vol. I, Leiden 1896 .

- Tagebuch einer Reise in Inner - Arabien , vol.II , Leiden , 1914 .

Forbes R.J. ,.

Studies In Ancient Technology, vol. II, Leiden, 1955 .

Glaser. E. ;

,Skizze Der Geschechte Und Geographeic Arabiens,11,berlin,1895.

Gadd. C.J.,

The Stones of Assyria , 1930 .

-"The Harran Inscription of Nabonidus " ,Anatolian Studies, vol.III,1958.

-" The Last Kings of Akad and The Gutian Supremacy " , CAH , vol. I, Part 2 .

Gaster. T.H.,

" Dead Sea Scrolls " in Encata . Encyclopedia.,1997 .

Hitti.P. k..,

History of the Arabs, London, 1960 .

Hommel. F.,

Explorations In Arabea , Philadephia,1903. .

Huber. C.H.,

Inscriptions Recueilles (dos.),I,Arabia Central ,1878-1887 .

Jwixman. D.,

The Vassal Treaties of Esarhaddon , London , 1958 .

Knauf. E.A.,

"Midianttes and Isimaelites " , in Midian,Moab, and Edom , (eds.) , 1983.

-Nabataean Origins in Arabian Studies in Honour of Mahmmud Ghul 1984 , Wiesbaden , 1989 .

Lambext. W. G.,

"Nabonidus Arabia " , Proceedings of the 51h Seminar for Arabian.Studies, 2 , 1972 .

Luckenbill. D.D.,

Ancient Records of Assyria and Babylonia , 2vols., Chicago , 1929 .

Lummens. H.,

" L'ancienne Frontiere entre La Syrie et Le Hidjaz " , B I F A O ,vol. XV ,1902 .

Lyard. A.H.,

Nineveh and its Remains, I, 1849 .

MendenHall. G.,

"Qurayya and The Midinites",in The Second International Symposium, on Pre-Islamic Arabia,1979/1399,Riyadh,vol.II, 1984/1404 .

Mitchell .T .C.,

The Bible in The British Musem, London ,1994 .

Montgomery J.,

Araban and The Bible , Philadelphia , 1934 .

Moritz. G.,

" Die Nationalitat der Arumu Stammein suoost Babylon." , in C.Adler and A. Ember, (eds.)., Oniental Studes Dedicated to Paul Haupt, Baltimore and Leipzig., 1926 .

The New Encyclopedia . Britanica , vol. II , Chicago , 1973 .

Oppenhiem. A.L.,

" Babylonia and Assyrian Historical Texts ", ANET .

Olmstead. A. T.,

A History of Assyria , Chicago , 1933 .

Parr.P.J.,

" The Early History of The Hejaz ", A A E , IV , 1993 .

-"Aspects of The Archaeology of North West Arabia in The First Millennium,B.C.", in (Fahal.T. eds), L'Arabie Preislamique Et Son Environment Historique Et Culturel Strasbourg (1989) .

-" Archaeological Sources for The Early History of North West Arabia , in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia , 1977/1397 , Riyadh , vol. I , Part I , 1979/1399 .

Potts. D.,

" Thaj in the licht of Recent Research ", ATLAL. vol.7, Riyadh , 1983 .

Philby.J .B .,

The Land Of Midian ,M E J,9 , 1955 .

Roux. G .,

Ancient Iraq , Second edition ,Penguin Books; 1986 .

Saggs. H.W.F.,

The Greatneess that was Babylon , London , 1962 .

Smith. S.,

" Sennacherib and Esarhaddon ", C A H , vol.III .

Thompson,R.C.,

" The New Babylonian Empir ",C A H,vol. III .

Vandan Branden A.,

les Textes Thamoudeens de Philby.,vol. II, 1958 .

Winnett. F.V. & Reed.W.L.,

Ancient Records From North Arabia , Toronto ,1970 .

Winnett. F.V.,

" Areconsidion of some of the inscriptions from the Tayma area ", in the First International Symposium on the Sources for The History of Arabia " , 1977/1397 , Riyadh , vol. I , Part I , 1979/1399 .

Zadox. R.,

"Arabians in Mesopotamia during the later Assyrian, Chaldean, Achaemenian Helienistic Periods chiefly According to the Cuneiform sources'', ZDMG, 131, 1981 .